كتاب

الانيس المطرب بروض القرطاس

في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

للشيخ ابى الحسن علىّ بن عبد الله ابن ابى زرع الفاسىّ

وقيل لابى محمّد صالح ابن عبد الحليم الغرناطىّ

قد عنى بتصحيحه وطبعه وترجمته العبد الضعيف المفتقر

الى رحمة ربّه مدرّس العربيه فى المدرسه الاوبساليه

كارل يوحن تورنبرغ

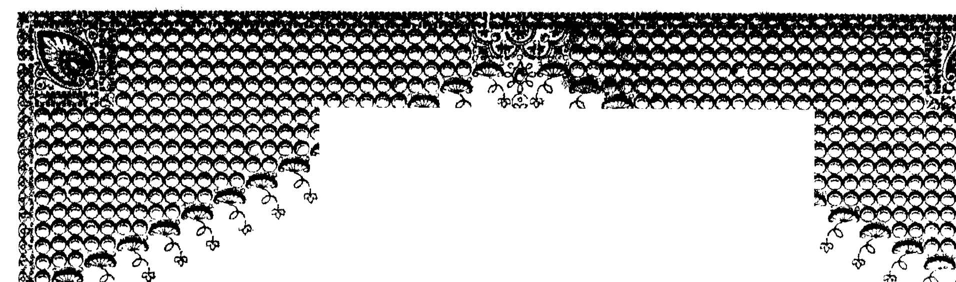
طبع فى مدينة اوبسالة بدار الطباعة المدرسيّة

سنة ١٨٤٣ مسيحيّة

كتاب

الانيس المطرب بروض القرطاس

في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس



بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله مُصرِّف الامور بمشيئته وتدبيره، و مُسَهِّل العسير بتوفيقه وتيسيره، ومُبْدِع الاشياء بحكمته وتصويره، خالق الخلق بقدرته وباسط الرزق بتقديره، احمده حمدا معترفا بنعمته مُقِرّا بتقصيره، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مُخْلِصٍ بقلبه وسرّه وضميره، واشهد ان محمّدا عبده ورسوله اصطفاه برسالته وحباه بمحبّته وتفضيله وتخبيره، صلّى الله عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين وازواجه الطاهرات الذين ذهب عنهم الرجس وخصّهم بتطهيره، ورضى الله عن صحابته السابقين بتصديقه ونصرته وتعزيزه وتوقيره، وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ما اختلف الليل بظلمته والنهار بنوره، والدعاء للدولة السعيدة العليّة المرينيّة العثمانيّة اعلى الله كلمتها ورفع قدرها وابقى على مرّ الايام مُلكها وفخرها بالتاييد والتمكين والنصر والفتح المبين، اما بعد اطال الله بقاء مولانا الخليفة الامام مُعْلِى الاسلام ورافعه ومذلّل الكُفر وقامعه تاج العدل وناشره وماحى الظُلم وهاتكه ملك الزمان وسراج الاوان ناصر الدين والايمان امير المسلمين ابى سعيد عثمان ابن مولانا الامام المظفر المؤيد المنصور الملك العابد الزاهد المبرور الذى له فى كل فضيلة تقدّمٌ وسبقٌ للامام العادل القايم بالحق امير المسلمين ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق نصره الله وايّده واعلى كلمته وابده وخلد ملكه واياه ورفع بالنصر والسعد لواءه واعلامه وفسّح له فى البلاد شرقًا وغربًا واوطاء له رقاب الاعداء سلمًا وحربًا وفتح له وعلى يده

الفتح

الفتح المبين وجعل الخلافة كلمة قايمة فى عقبه الى يوم الدين ولا زال للخلافة يحيى آثارها ويجدد اظهارها ويعلى منارها ويجلو انوارها والسعد يخيم بفنايه والمسرّة تزدحم ببابه واحبابه والنصر مقرون براياته والويته وقلوب الأيمة مجتمعة على طاعته ومحبّته ما دام ثوب الليل بالصبح معلم وغنى الحمام على غصن وترنّم لا زال يحيى حمى الاسلام مجتهدًا فى الحق ينظر للدنيا والدين ينال ما شاء من اشياء مقاصده يغنى ويعطى عطاء غير ممنون، وانى لما رايت مكارم دولته السعيدة مقام سعادة اطالها الله وخلدها واعلى كلمتها وايّدها تنظم نظم الجمان، وصور محاسنها تتلى بكل لسان، وغرر مأثرها تشرف بكل ناحية ومكان، وغرر انوارها تكفى عن الغزل، وتسير سير المثل، اردتُ خدمة جمالها، والتقرب الى كمالها، والتفيىء بظلالها، والورود من عذب زلالها، بتاليف كتاب جامع لطيف الاخبار ومُلَح الآداب يحتوى على غرر من التاريخ وعجايبه ونوادر الاثار وغرايبه يخبر بنبذ من اخبار ملوك المغرب المتقدمين، وامرايه الماضين، واممه السالفين، وتاريخ ايامهم وذكر انسابهم واعمارهم وسِيَرهم وغزواتهم واحوالهم فى دولتهم، وما رسموه بالمغرب من المراسم، وصنعوه من المصانع والمعالم، وفتحوه من البلاد والاقاليم، وبنوه من الحصون والمدن والمكارم، اذكرهم اميرًا بعد امير وملكًا بعد ملك وخليفةً بعد خليفة وامّةً بعد امّة على حسب تواليهم فى اعصارهم ومراتبهم فى دولهم وازمانهم كما وقع فى الزمان، من اول دولة الامير ادريس بن عبد الله الحسنى الى هذا الاوان، ابذلُ فيه جهدى واظهر جلدى بقدر الوسع والامكان، ومُساعدة الزمان، فاستخرتُ الله تعالى فى تاليفه واستعنتُه فى تقييده وتصنيفه، فسهّل الله علىّ ما اردته من ذلك ويسّره كله بفضله وبركة مولانا امير المسلمين الظاهرة الباهرة، فألفتُ هذا المجموع المقتضب انتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد عليها وجمعت شواردها عن مهاد المعوّل على صحّتها والمرجوع اليها سوى ما رويته عن اشياخ التاريخ والحفّاظ والكتّاب وقيدته عن الرواة الثقات الانجاب وحذفت فيه الاسناد خيفة الاكثار والامتداد وتركت التسهيب والتطويل وتجنبت الاختصار والتقليل وجعلته كتابا مخرجا عن التوسّط فهو خير الامور معتمدًا فى ذلك على ما رواه الجمهور عن النبى صلّى الله عليه وسلم فى الحديث الماثور انه قال يؤدّب امته ويبسطها خير الامور اوساطها، وسميته الانيس المُطرِب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، والله تعالى يعصمنا فيه من الزلل، ويجنبنا الخطاء فى القول والعمل، ويبلغنا فيه السؤل والامل، ويبقى لنا مولانا امير المسلمين تعلوا على الدولات دولته وتمضى فى الاعداء اوامره وصولته منصورة اعلامه محمودة ايامه لا ربّ غيره ولا خير الا خيره،

الخبر عن ملوك المغرب من الادارسة الحسنيين رضى الله عنهم وذكر قيامهم فيه وبنيانهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه كان السبب فى دخول الادارسة الحسنيين المغرب وتملكهم عليها انّ الامام محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم كان قام على امير المومنين ابى جعفر المنصور العبّاسىّ بالحجاز منكرًا لجوْره وعسفه وذلك فى سنة خمس واربعين ومائة سنةً ارسل اليه المنصور جيشا عظيما الى المدينة فهزم الامام محمّد وقبض على جماعة من اصحابه واهل بيته وفرّ هو الى بلاد النُوبة فقام بها الى ان توفّى المنصور، وولى الخلافة بعده ولده المهدى فصار محمّد بن عبد الله بن حسن الى مكّة فى ايام الموسم فلما وصلها. دعا بها الناس الى بيعته فبايعه خلق كثير وتابعه جميع اهل مكّة والمدينة وعامة اهل بلاد الحجاز وكان يدعا بالنفس الزكية لنسكه وكثرة عبادته وزهده وورعه وعمله وفضله وكان له ستة اخوة وهم يحيى وسليمان وابراهيم وعيسى وعلى وادريس فبعث منهم دُعَاةً الى الامصار يدعون الى امامته و بيعته بعث علىّ الى افريقيّة فاجابه بها خلق كثير من قبايل البربر و بقى هنالك الى ان توفّى ولم يتم له امر وبعث اخاه يحيى الى خراسان فاقام بها حتى قُتِل اخوه محمّد ففرّ الى بلاد الديلم فاسلم على يدَيْه منهم خلق كثير ودعا لنفسه فبايعه عالم عظيم وقوى امره وذلك فى اول خلافة الرشيد فلم يزل الرشيد يبعث له بالجيوش ويدبّر عليه الحيلة حتى اتاه بالامان فاقام عنده مدّة الى ان مات مسموما فى ايام الرشيد وبعث ايضا اخاه سليمان الى بلاد مصر داعيا للامصار ولما اتّصل به قتْلُ اخيه سار الى بلاد النُوبة ثم الى بلاد السودان ثم خرج منها الى زاب افريقيّة ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها وذلك فى ايام اخيه ادريس فكان له بها اولاد كثيرة فكل حسنىّ هنالك فمن نسل سليمان ابن عبد الله بن حسن وقد دخل اكثر ولده الى بلاد القبلة والسوس الاقصى ولما قويتْ شوكة الامام محمّد بمكّة شرّفها الله و بويع له فى كثير من الامصار وظهرت دُعَاته فى اكثر البلاد خاف امير المومنين العبّاسىّ المهدى من امره فصرف وجهه اليه بجيش من ثلاثين الف فارس فخرج الامام محمّد الى لقآء جيش المهدى وقتاله فى عسكر عظيم من اهل الحجاز واليمن وغيرهم فالتقى الجمعان بموضع يعرف بفجّ على ستة اميال من مكّة شرّفها الله فكان بينهما قتال شديد وحروب عظيمة قُتِل فيها الامام محمّد

بن

بن عبد الله بن حسن رحمه الله وهزم جيشه وقُتل منهم خلق كثير وفرّ الباقون وبقى القتلى في موضع المعركة لم يُدفنوا حتى اكلتهم الطيور والسباع لكثرتهم وكانت هذه الوقيعة يوم السبت وهو يوم التروية الثامن من شهر ذى حجّة سنة تسع وستين ومئة وفرّ اخوته ابراهيم وادريس فيمن فرّ فسار ابراهيم الى البصرة فقام بها ولم يزل يحارب اعداءه حتى قُتل رحمه الله وغفر له ☆

واما ادريس فانه لما قُتل اخوه وشيعته فرّ بنفسه مستترًا في البلاد يريد المغربَ فسار من مكّة حتى وصل مصرَ ومعه مولاه اسمه راشد فدخلها والعامل عليها للمهدى علىّ بن سليمان الهاشمىّ فبينما هو ادريس ومولاه راشد يمشيان فى شوارعها ويجيلان بطرفها اذ مرّ بدار حسنة البناء والهيئة فوقفا ينظران اليها ويتأملان حُسْنَ بنائها واتقانها واذا صاحب الدار قد خرج وسلّم عليهما فردّا عليه السلام فقال لهما ما الذى تنظران من هذه الدار فقال راشد يا سيدى انه اعجبنا حسنُ بنائها واحكام اتقانها وشكلها قال واظنكما غريبين من هذه البلاد قال راشد جُعلتُ فداك ان الامر كما ذكرتَ قال فمن اىّ الاقاليم انتما قال من الحجاز قال من اىّ بلده قال من مكّة قال واخالكما من شيعة الحسنيين الفارّين من وقعة فخّ فارادا ان ينكرا له حالهما ويُخْفيا عنه امرهما ثم انهما توسّما فيه الخير والفضل فقال له راشد يا سيدى اراك صورة حسنة وقد توسّمنا فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرك ولا بدّ ان تكون افعالك وشِيَمُك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ولاكنّ ارايت إن اخبرناك مَنْ نحن وما خبرُنا وامرُنا اكنتَ تستره علينا قال نعم وربِّ الكعبة اكتم امركم واصون سرّكم وابذل جَهْدى فى صلاح حالكم، قال راشد ذلك الظنّ بك والثقة بفضلك هذا ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين وانى مولاه راشد ففررتُ به خوفًا عليه من القتل قاصدًا الى بلاد المغرب فقال لهما الرجل لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما فانى من شيعة اهل البيت ومواليهم واول من كتم سرّهم وستر امرهم وبذل جهده فى حقّهم فلا تخافا ولا تحزنا فانتما من الامنين ثم ادخلهما الى منزله فاقاما عنده مدةً فى اكرام ونعيم فاتّصل خبرهما بعلىّ ابن سليمان الهاشمىّ عامل مصرَ فبعث الى الرجل الذى هما عنده فقال له انه قد رُفع الىّ خبرُ الرجلين الذين هما فى منزلك مختفين وان امير المومنين قد كتب الىّ فى طلب الحسنيين والبحث عن مَنْ وجد منهم وقد بعث عيونَه على الطرقات وجعل الرصاد فى اطراف البلاد والقبالات فلا يمرّ بهم احدٌ من الناس حتى

يعرف ويعلم صحّة نسبته وحاله ومِنْ اين قدم والى اين يسير وانى اكره ان تعرّض لدماء اهل البيت او ينالهم اذى من سببى فلك الامان ولهما فسِرْ اليهما وقُلْ لهما يخرجان من عملى لئلا يصل خبرُهما الى المهدى فيخرجكما من يدى وقد اذن لكما فى الخروج ثلاثة ايام فسار الرجل الى ادريس ومولاه راشد فاعلمهما الخبرَ فعزما على الخروج الى المغرب فاشترى لهما الرجل راحلتين ولنفسه أُخْرَى وصنع لهما زادًا يبلغهما الى افريقيّة وقال لراشد اخرج انت مع الرفقة على الجادّة واخرج انا مع ادريس على طريق غامض اعرفه لا تسلكه الرِفاق وموعدنا مدينة برقة انتظرك بها حيث نامن عليه الطلب فقال الراى ما رايتَ فخرج راشد مع الرفقة على الجادّة فى زى التجار وخرج ادريس مع الرجل المصرىّ على البرية حتى وصل به مدينة برقة فقعدا بها حتى لحق بهما راشد فجدّد لهما الرجل هناك زادًا يبلغهما وودّعهما وانصرف راجعًا الى مصرَ، وسار ادريس مع مولاه راشد الى افريقيّة يجدّان السيرَ حتى وصلا القَيْرَوان فاقاما بها مدةً ثم خرجا الى المغرب الاقصى، وكان راشد من اهل النجدة والشجاعة والعلم والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لاهل البيت فغمد الى ادريس حين خرج به من القيروان فالبسه مِدْرَعة صوف خَشِنة وعمامة غليظة وصيّره كالخادم له يامره وينهاه كلّ ذلك خوفًا عليه وحياطةً له فلم يزل على ذلك حتى وصل به الى مدينة تِلِمْسان فاستراح بها ايامًا ثم ارتحل عنها نحو بلاد طنجة فسار حتى عبر وادى ملوية ودخل بلاد السوس الادنى والسوس الادنى حدّه من وادى ملوية الى وادى امّ الربيع وهو اخصب بلاد المغرب واعظمها بركةً والسوس الاقصى من جبل دَرَن الى وادى النون فسار ادريس ومولاه راشد حتى نزلا بمدينة طنجة وهى يومئذ قاعدة بلاد المغرب وامّ مدنه اذا لم يكن بالمغرب مدينة اعظم ولا اقدم منها، وقد ذكرنا تاريخها ومَن بناها فى كتابنا الكبير المسمى بزهرة البستان فى اخبار الزمان، فلما وصل ادريس الى مدينة طنجة اقام بها ايامًا فلم يَجِدْ بها مرادَه فرجع مع مولاه راشد حتى نزل مدينة وَليلى قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة وليلى مدينة متوسّطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الاول فنزل بها ادريس على صاحبها عبد الحميد الأَوْرَبىّ المعتزلى فاقبل عليه عبد الحميد واكرمه وبالغ فى برّه فاظهر له ادريس امرَه وعرّفه بنفسه فوافقه فى حاله وانزل معه فى داره وتولّى خدمته والقيام بشؤنه، وكان دخول ادريس المغرب ونزوله على عبد الحميد بمدينة وليلى فى غرّة ربيع الاول المبارك من سنة اثنين وسبعين ومائة فاقام عنده ستة اشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد اخوانه وقبايل اوربة فعرّفهم بنسب ادريس وفضله

وقرابته

وقرابته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشرفه وعلمه ودينه وكمال خلال الفضايل المجتمعة فيه فقالوا له الحمد لله الذى اتانا به وشرّفنا بجواره ورويته فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يدَيْه فما تريد منّا قال تبايعوه قالوا سمعًا وطاعةً ما منّا مَنْ يتوقف عن بيعته وما يريد ۞

الخبر عن بيعة الامام ادريس الحسنى

هو الامام القايم بالمغرب الاقصى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم بويع له بمدينة وليلى يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنين وسبعين ومائة وكان اول من بايعه قبايل اوربة بايعوه على الامارة والقيام بامرهم وصلواتهم وغزوهم واحكامهم وكانت اوربة فى ذلك الوقت اعظم قبايل المغرب واكثرها عددًا واشدّها قوةً وباسًا واحدّها شوكةً ثم بعد ذلك اتته قبايل زناتة واصناف قبايل البربر من اهل المغرب منهم زواغة وزوارة ولماية ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغُمارة فبايعوه ودخلوا فى طاعته فقويت اموره وتمكّن سلطانه ووفدت عليه الوفودُ من كلّ ناحية وساير البلدان. وقصد اليه الناس من كلّ صُقْع ومكان فاستقام امره بالمغرب واخذ جيشًا عظيمًا من وجوه قبايل زناتة واوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم فخرج بهم غازيًا الى بلاد تامسنا فنزل اولاً مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها ساير بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان اكثر هذه البلاد على دين النصرانيّة ودين اليهوديّة والاسلام بها قليل فاسلم جميعهم على يدَيْه ثم قفل الى مدينة وليلى فدخلها فى اخر شهر ذى حجّة من سنة اثنين وسبعين المذكورة فاقام بها شهر المحرّم مفتتح سنة ثلاث وسبعين حتى استراح الناس ثم خرج برسم غزو مَن بقى بالمغرب من البربر على دين النصرانيّة واليهوديّة والمجوسيّة وكان قد بقى منهم بقية متحصّنون فى المعاقل والجبال المنيعة فلم يزل الامام ادريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى ادخلوا فى الاسلام طوعًا وكرهًا وفتح بلادهم ومعاقلهم واباد من ابى الاسلام منهم بالقتل والسبى ودمر بلادهم وهدم معاقلهم منها حصون بنى لاوة وحصون مديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازان ثم رجع الى مدينة وليلى فدخلها فى النصف من جمادى الاخرة من سنة ثلاث وسبعين المذكورة فاقام بها بقية جمادى المذكورة والنصف من رجب التالى له حتى استراح جيشه ثم خرج من نصف رجب المذكور برسم غزو مدينة تِلِمْسان ومَنْ بها من قبايل

مغراوة وبنى يافرن فوصل مدينة تلمسان ونزل بخارجها فاتاه اميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوى الخزرى فطلب منه امانه فامنه ادريس وبايعه محمد بن خزر وجميع مَنْ معه بتلمسان من قبايل زناتة فدخل ادريس مدينة تلمسان صلحًا فأمّن اهلها وبنا مسجدها واتقنها وصنع فيها منبرًا وكتب عليه بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما امر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم وذلك فى شهر صفر سنة اربع وسبعين ومئة، فاتصل بالرشيد ان ادريس قد استقام له امر المغرب وبايعه كافة مَنْ به من القبايل وانه قد فتح مدينة تلمسان وبنا مسجدها وأُخْبِر بحزمه وحاله وكثرة جنوده وشدّتهم فى الحرب وانه قد عزم على غزو افريقيّة فخاف الرشيد ان يعظم امرُه فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبّة الناس فى اهل بيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فاغتمّ لذلك غمًّا شديدًا وعظُم عليه شانه فبعث الى وزيره القايم بامر مملكته وصلاح سلطنته يحيى بن خالد بن برمك فاخبره بامر ادريس واستشاره فيه وقال له انه ولد علىّ بن ابى طالب وابن فاطمة بنت النبىّ صلّى الله على وسلّم وقد قوى سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شانه واشتهر اسمه وفتح مدينة تلمسان وهو باب افريقيّة ومَنْ ملك الباب يوشك ان يدخل الدارَ وقد عزمتُ ان ابعث له جيشًا عظيمًا لقتاله ثم انى فكرت فى بُعْد البلاد وطول المسافة وتنافى المغرب عن المشرق ولا طاقة لجيوش العراق على المُوصل الى السوس من ارض المغرب فرجعتُ من ذلك وقد غالنى امره فاشر علىّ برايك فيه، وقال له يحيى بن خالد يا امير المومنين ان امن الراى ان تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهاء ولسان واقدام وجرءة فيقتله ويستريح منه فقال الراى ما ذكرتَ فمَن يكن الرجل فقال يا امير المومنين اعرف فى حاشيتى رجلا اسمه سليمان بن جرير من اهل الحزم والاقدام والقتال والشجاعة والعلم بالجدل والكلام والمكر والدهاء تبعث به اليه فبعث له قال اسرع بذلك الان فخرج الوزير يحيى الى سليمان بن جرير فعرّفه المقصود وما يريد منه امير المومنين ووعد له على ذلك الرفعة والمنزلة العالية والهبات السنية وعطاه اموالا جايلة وتحفا مستظرفة وجهّزه بما يحتاج اليه، فخرج سليمان بن جرير من بغداد يجدّ السير حتى وصل الى المغرب فقدم على ادريس بمدينة وليلى فسلّم عليه فسأله الامام ادريس عن اسمه ونسبه ومن اىّ البلاد قدم وما سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالى ابيه وانه اتّصل به خبره فاتاه برسم خدمته لاجل محبّته وولايته لاهل البيت اذ لا يعدل فيهم احد ولا يقاس بهم سواهم فانس به ادريس وسكن الى قوله وسرّ به سرورًا عظيمًا وركن اليه وحلّ من قلبه بمنزلة رفيعة فكان لا يقعد ولا يأكل الا معه لانه لم يجد فى بلاد المغرب مَنْ

يانس

يانس به ويستريح اليه غيره وذلك بجهل اهل المغرب فى ذلك الوقت وجفاء طباعهم ولما ظهر له ايضا من سليمان بن جرير من النُبْل والادب والظرف والبلاغة فحلّ منه محلّا رفيعا فكان سليمان بن جرير اذا قعد الامام ادريس بين رؤساء البربر ووجوه القبائل يتكلم سليمان فيذكر فضائل اهل البيت وعظّم بركتهم ويقيم الدليل على امامة ادريس وانه الامام لا امام غيره وياتى على ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وباحاديث تُعْجب ادريس فكان ادريس يتعجّب من فصاحته وبلاغته ومعرفته بالجدال ويستظرفه ويحبّه، فلم يزل سليمان بن جرير عند ادريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلاً من اجل مولاه راشد الذى لا يزايله ولا يفارقه الى ان غاب راشد ذات يوم فى بعض شؤنه فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده وجلس بين يديه على عادته فتحدّث معه قليلًا فلم يرَ لراشد اثرًا فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة فقال له يا سيدى جعلت فداك انى جئتُ من المشرق بقارورة الطيب ثم انى رايتُ هذه البلاد ليس بها طيب فرايت ان الامام أَوْلَى بها متى تخذها تطيب بها فقد آثرتك بها على نفسى وهو من بعض ما يجب لك علىّ ثم اخرجها من وعاء ووضعها بين يديه فشكره ادريس على ذلك ثم اخذ القارورة ففتحها وشمّها فلما راى سليمان بن جرير الامام ادريس قد فتح القارورة وشمّها وتحصل به مراده منه وتمّت حيلته فيه جعل يده فى الارض وخرج كانّه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسًا له من عتاق الخيل وسُبّاقها كان قد اعدّها لذلك وخرج من مدينة وليلى يطلب النجاة، وكانت القارورة مسمومة فلما استنشق ادريس الطيب صعد السمّ فى خيشومه وانتهى الى دماغه فغشى عليه وسقط بالارض على وجهه لا يفهم ولا يعقل ولا يعلم احدٌ ما به ولا ما اصابه فاتّصل خبر غشيته بمولاه راشد فاقبل اليه مسرعًا فدخل عليه فوجده يحرّك نفسه وقد اشرف على الموت لا يقدر ان يبين الكلام فقعد عند راسه متحيرًا فى امره لا يعلم ما به حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الارض واقام ادريس فى غشيته الى عشى النهار فتوفّى رحمه الله وكانت وفاته فى مستفتح ربيع الاخر سنة سبع وسبعين ومائة فكانت امارته بالمغرب خمسة اعوام وسبعة اشهر، واختلف فى سبب وفاته فقيل سمّه فى طيب كما تقدّم وقيل سمّه فى حوت من الشابل وقيل سمّه فى سَنُون لانه كان يشتكى باسترخاء لِثاته والله اعلم بصحّة ذلك، فلما توفّى ادريس نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فسأل عنه فأُخْبِرَ انه قد لقى على اميال كثيرة من البلاد فعلم حينئذ انه هو الذى سمّه فركب فى جمع كثير من البربر وخرج فى طلبه وجدّ السيرَ طول ليلته وتقطّعت الخيل فى اثره فلم يلحق به احدٌ من

القوم الا راشد وحده ادركه وهو بحوز نهر ملوية فصاح به راشد وشدّ عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجّه فى راسه ثلاث شجّات وجرحه فى جسده كلّ ذلك لا يصيب له مقتلا وعيا جواد راشد ففرّ سليمان بن جرير وهو مثخن بالجراح فسار حتى وصل العراق فاخبر بعض الناس انه رءاه ببغداد مبطولة يده اليمنى وبراسه وجسده ءاثار الجراحات قد بريئت، فرجع راشد مِنْ تبع سليمان بن جرير الى مدينة وليلى فدفن بقربها ادريس ليتبرّك الناس بقبره وزيارة تربته رحمه الله ورضى عنه، ولم يكن لادريس حين وفاته ولد الا وليدة تركها حُبلى، قال محمّد عبد الملك بن محمود الورّاق فى كتاب المقباس والبكرىّ والبرنوسىّ وغيرهم ممن عُنِىَ بتاريخ ايام الادارسة ان الامام ادريس بن عبد الله لما توفّى لم يترك ولدًا مولودًا الا انه ترك جارية له مولدة من تاليف البربر اسمها كَنْزة حاملاً منه فى الشهر السابع من حملها فجمع راشد رُؤساء القبايل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن ادريس فاخبرهم ان ادريس لم يترك ولدًا الا حملا بجاريته كنزة وهى فى الشهر السابع من حملها فان رايتم ان تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرًا ربّيناه فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبرّكًا باهل البيت وذرية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وان كان جارية نظرتم لانفسكم مَنْ ترونه اهلا لذلك فقالوا له ايها الشيخ المبارك ما لنا راى الا ما رايتَ فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بامرنا كما كان ادريس وتصلّى بنا وتحكم فينا بما يقتضى الكتب والسنّة حتى تضع هذه الجارية فان وضعت غلامًا ربّيناه وبايعناه وان وضعت جارية نظرنا فى امرنا على انك احقّ الناس به لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بامر البربر حتى تمّتْ للجارية اشهر حملها فوضعت غلاما اشبهَ الناس بوالده ادريس فاخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كانه لم يمُتْ فسمّاه راشد ادريس باسم ابيه وقام بامره وامر البربر وكفله حتى فُطِم فشبّ فادّبه احسن ادب واقراه القران فحفظه وله من السنّ ثمانية اعوام وعلّمه السنّة والفقه والنحو وروى الحديث والشعر وامثال العرب وحِكَمها وسير الملوك وسياستها وعرّفه بايام الناس وردّه مع ذلك على ركوب الخيل والرمى بالسهام ومكايد الحروب فلما درب فى ذلك كلّه وكمل له من السنّ احدى عشرة سنة اخذ له مولاه راشد البيعة على قبايل المغرب فبويع له بجامع مدينة وليلى ٥

الخبر عن دولة الامام ادريس بن ادريس الحسنى رضى الله عنه

هو الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى

رضى الله عنهم امّه امّ ولد مُوَلّدَة بقرية اسمها كَنْزة مولده فى يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومائة كنيته ابو القاسم صفته صفة ابيه ابيض اللون مشوبا بحمرة اكحل اجعد تامّ القدّ جميل الوجه اقنى مابج العينين واسع المنكبين شَثْن الكفين والقدمين ابلج ادعج فصيحا بليغا اديبا عالما بكتاب الله تعالى قيما بحدوده راويا لحديث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عارفا بالفقه والسنّة والحلال والحرام وفصول الاحكام ورعا تقيا جوادا كريما حازما بطلا شجاعا له عقل راجح وحلم راسخ واقدام فى مهمات الامور قال داوود بن ابى القاسم بن عبد الله بن جعفر الاورقى شهدتُ مع ادريس بن ادريس فى بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقاربا الجمعان نزل ادريس فتوضّأ وصلّى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدّم للقتال فقاتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرّة ثم يكرّ فى الجانب الثانى فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته فوقف بازايها والناس يقاتلون بين يديه فطفقتُ انظر اليه وادىم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحرّض الناس ويشجّعهم فاعجبنى ما رايتُه من شجاعته وقوة جاشه فالتفت نحوى فقال الىّ يا داوود ما لى اراك تديم النظر الىّ فقلتُ ايها الامام انه اعجبنى منك خِصَال لم ارَها فى غيرك قال وما هى يا داوود قلت اولها ما اراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك وطلاقة وجهك وما خصصتَ به من البشر عند لقاء عدوك قال ذلك بركة جدّنا صلّى الله عليه وسلّم ودعاء به لنا وصلاته علينا ووراثة ابينا علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قلتُ ايها الامام واراك تبصق بُصَاقا مجتمعا وانا اطلب قليل الريق فى فمى فلا اجده قال يا داوود ذلك لاجتماع عقلى وقوة جاشى عند الحرب وذهاب عقلك وعدمه من فمك لطيش لبّك وافتراق عقلك وما خامرك من الرعب قال داوود فقلتُ ايها الامام وانا ايضا اتعجب من كثرة تقلّبك فى سرجك وقلّة قرارك فى موضعك قال ذلك منى زَعَم الى القتال وحزم وصرامة وهو احسن فى الحرب فلا تظنّه رعبا وانشا يقول

أَلَيْسَ ابونا هاشمٌ شدّ ازْرَهُ	وأَوْصَى بَنِيه بالطعان وبالضَرْبِ
فَلَسْنَا نَمَلُّ الحَرْبَ حتى تَمَلَّنَا	ولا نشتكى مّما يصيبُ من النَصَبِ

وكان ادريس شاعرا مجيدا وكان بهلول بن عبد الواحد رئيسا معظما فى قومه وكان من خاصّة ادريس فكاتبه ابن الاغلب عامل الرشيد على افريقيّة واستهواه بالمال فمال اليه وبايع الرشيد فكتب اليه ادريس بن ادريس

أبهْلول قد شمّمت نفسُك خُطّة | تبدّلت منها صولة برشاد
اضلّك ابراهيم من بُعْد داره | فاصبحت منقادًا بغير قياد
كانك لم تَسْمَعْ بمَكْرِ ابن الاغلب | وقد تَرامَى بالكَيْدِ كلّ بلاد
ومن دون ما منّتك نفسك خاليا | ومنّاك ابراهيم شوك قتاد

وزيره عمير بن مصعب الازدىّ قاضيه عامر بن محمّد بن سعيد القيسىّ وكاتبه ابو الحسن عبد الله بن ملك الانصارىّ، ولما كمل للامام ادريس من العمر احدى عشرة سنة وخمسة اشهر عزم مولاه راشد على اخذ البيعة له على قبايل المغرب من البربر وغيرهم فاتّصل الخبر بابراهيم بن الاغلب عامل افريقيّة فحاول قتل راشد فاندسّ اليه من بلّغ اموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر فاستهواهم به فقتلوا راشدا وذلك فى سنة ثمانية وثمانين ومائة فقام بامر ادريس بعده ابو خالد يزيد بن الياس العبدىّ فاخذ له البيعة على جميع قبايل البربر وذلك يوم الجمعة غرّة ربيع الاول سنة ثمانية وثمانين ومائة بعد قتل راشد بعشرين يومًا وهو ابن احدى عشرة سنة وخمسة اشهر قاله عبد الملك الورّاق فى تاريخه وفى قتل راشد يقول ابراهيم بن الاغلب فى بعض ما كتب به الى الرشيد يعرّفه بخدمته ونصيحته

الم ترنى بالكيد ارديتُ راشدا | وانى بأُخْرى لابن ادريس راصدُ
تَنَاوله عزمى على بُعْدِ داره | بمختومة من طيبهنّ المكايدُ
فتَاهُ اخو عكٍّ بمقتل راشدا | وقد كنتُ فيه شاهدا وَهْوَ راقدُ

يريد باخى عكّ محمّد بن مقاتل العكىّ والى افريقيّة للرشيد لانه لما حاول ابن الاغلب على قتل راشد فتمّ له كتب العكىّ الى الرشيد يُعْلِمه انه هو الذى فعل ذلك فكتب صاحب البريد بصحّة الخبر الى الرشيد واعلمه ان ابن الاغلب هو الفاعل لذلك والمتولّى له فصحّ عند الرشيد كذب العكىّ وصدق ابن الاغلب وكان ابن الاغلب من قوّاد افريقيّة فكتب الرشيد بعزل العكىّ عن افريقيّة وولاها ابراهيم بن الاغلب قال البكرىّ والبرنوسىّ ان راشدا لم يمت حتى اخذ البيعة لادريس بالمغرب وان الامام ادريس لما كمل له احدى عشرة سنة شهر من ذكآئه ونُبْله وعقله وفصاحته وبلاغته ما اذهل عقول الخاصّة والعامّة فاخذ له راشد البيعة على ساير البربر وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الاول سنة ثمانية وثمانين ومائة فصعد ادريس المنبر وخطب الناس فى ذلك اليوم وقال الحمد لله احمده واستغفره واستعين

به

به وأتوكّل عليه واعوذ به من شرّ نفسى وشرّ كلّ ذى شرّ واشهدُ ان لا اله الا الله وان محمّدا عبده ورسوله الى الثَّقَلَيْن بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلّى الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذى يضاعف للمحسنين فيه الاجر وللمسيئ الوِزْر ونحن والحمد لله على قَصْدٍ فلا تمدّوا الاعناق الى غيرنا فانّ الذى تطلبونه من اقامة الحقّ انما تجدوه عندنا، ثم دعا الناس الى بيعته وحضّهم على التمسك بطاعته، فعجب الناس من فصاحته ونُبْله وقوة جاشه وثبات جَنَانه على صغر سنه، ثم نزل فسارع الناس الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبايل المغرب من زناتة واوربة وصنهاجة وغمارة وساير قبايل البربر فتمّت له البيعة وبعد بيعته بقليل وتوفّى مولاه راشد والله اعلم، فاستقام الناس لادريس بن ادريس بالمغرب وتواطأ مُلكه وكثر سلطانه وقويت جنوده واتباعه وعظمت جيوشه واشياعه ووفدت عليه الوفود من البلدان وقصد نحوه الناس من كلّ ناحية ومكان فاقام بقيّة سنة ثمانية وثمانين التى ولى فيها يعطى الاموال ويصل الوصول ويستميل الرؤساء والشيوخ، وفى سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس وفود العرب من بلاد افريقيّة وبلاد الاندلس فى نحو لخمس مائة من القيسيّة والازد ومذحجْ وبنى يحصب والصدف وغيرهم فسرّ ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقرّبهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتزّ بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربىّ فاستوزر عمير بن مصعب الازدىّ وكان من فرسان العرب وساداتهم ولابيه مصعب مأثرة عظيمة بافريقيّة والاندلس ومشاهد فى غزو الروم كثيرة واستقضا منهم عامر بن محمّد بن سعيد القيسىّ من قيس غَيْلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع مالكا وسُفْيان الثَّوْرىّ وروى عنهم كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العَدْوَة فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ولم يزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق فكثر الناس وضاقت بهم مدينة وليلى فلما راى ادريس ان الامر قد استقام له وعظم مُلْكه وكثر جيشه وضاقت بهم المدينة عزم على الانتقال عنها واراد ان يبنى لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصّته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب فى خاصّة من قومه ورؤساء دولته وخرج يتخيّر البقاع وذلك فى سنة تسعين ومائة فوصل الى جبل زالغ فاعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوايه وكثرة محارثه فاختطّ مدينة بسَنَده مما يلى الجوف وشرع فى بنيانها فبنا جزءا من سورها فاتى سيل من اعلاء الجبل فى بعض الليالى فهدم جميع ما كان بناه من السور المذكور وحمل حوله من خيام العرب وافسد كثيرا من الزرع فلما رأى ذلك ادريس فرفع

يده من البناء وقال هذا موضع لا يصلح للمدينة فان السيول تركبه من راس الجبل،
قال ابن غالب في تاريخه وقيل ان ادريس بن ادريس لما وصل الى جبل زالغ صعد عليه
فاعجبه ارتفاعه واشرافه على جميع الجهات فجمع قواده ووجوه دولته وحشمه فامرهم ببناء
الديار في سند الجبل فبنوا الدير وحفروا الابار وغرسوا الزيتون والكروم والاشجار وشرع هو
في بناء المسجد والسور فبنا من سورها جزءا يزيد على الثلث فلما كان في بعض الليالي
نزل مطر عظيم وابل فهبط السيل من اعلى الجبل دفعة واحدة فهدم ما كان بنا وافسد
جميع ما كان غرس وحمل ذلك كله حتى رمى به في نهر سبوا وهلك فيه خلق كثير
فكان ذلك سبب رفع اليد من بنيانها، فاقام الامام ادريس الى ان دخل شهر المحرّم مفتتح
سنة احدى وتسعين ومائة فخرج يتصيّد ويرتاد لنفسه موضعا يبنى فيه ما قد عزم عليه
فوصل الى وادى سبوا حيث الحمّة خولان فاعجبه الموضع لقربه من الماء ولاجل الحمّة
التى له هناك فعزم ان يبنى به المدينة فشرع في حفر الاساس وعمل الجيّار وقطع الخشب
وابتدا بالبناء ثم انه نظر الى وادى سبوا وكثرة ماء يأتى به من المدود العظيمة في زمن
الشتاء فخاف على الناس الهلكة فبدأ له في بنائها ورفع يده عنها ورجع الى مدينة
وليلى، فبعث وزيره عمير ابن مصعب الازدىّ يرتاد له موضعا يبنى فيه المدينة التى اراد
فسار عمير في جماعة قومه يرتاد له ما طلب فاخترق تلك النواحى وجال في تلك الجهات
يختبر الارضين والمياه حتى وصل الى فحص ساييس فوجد فسحة الارض واعتدالها وكثرة
المياه واعجبه ما رآه من ذلك فنزل هناك على عين ماء غزيرة منفردة في مروج مخضرة
فتوضّا منها ومن معه وصلّى بهم صلاة الظهر حولها ثم دعا الله تعالى ان يهون عليه
مطلبه وان يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته ثم ركب وامر قومه ان يقعدوا ينتظرونه
عند تلك العين حتى يعود اليهم فنسبت العين اليه وسمّيت به عين عمير الى الآن وعمير
هذا هو جدّ بنى الملجوم من بيتات مدينة فاس فسار عمير في فحص ساييس يطلب
ما خرج اليه حتى وصل الى العيون التى ينبعث منها نهر مدينة فاس فرأى عيونا كثيرة
تزيد على ستين عنصرا ومياها تطرد في فسيح الارض وحول العيون شجرة من الضرفاء
والطخش والعرعر والطلح وغيره فشرب من ذلك الماء فاستطابه فقال ماء عذب وهواء
معتدل وهو اقلّ ضررا واكثر منفعة وحوله من المزارع اكثر مما حول نهر سبوا ثم سار مع
مسيير الوادى حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين الجبلين غيضة ملتفة
الاشجار مطردة بالعيون والانهار وفى بعض مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبايل من
زناتة تعرفون بزواغة وبنى يرغش فرجع عمير الى ادريس فاعلمه بما وقع عليه من
الارض

الارض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وحصنها واعتدال الهواء فاعجبه ما رءاه من ذلك وسال عن مالكى الارض فقيل له قوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال ادريس هذا فال حَسَنٌ فبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة ءالاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك وشرع فى بناء المدينة، وقيل كان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة زواغة وبنو يرغش وكانوا اهل اهواء مختلفة منهم على الاسلام ومنهم على النصرانيّة ومنهم على اليهوديّة ومنهم على المجوسيّة وهم بنو يرغش وكانوا يسكنون بخيامهم بحَوْمة عدوة الاندلس الآن وكانت بيت نارهم بموضع يعرف بالشيبوبة وكانت زواغة يسكنون بحومة عدوة القرويين وكان القتال بين القبيلتين لا يزال على مرّ الايام فلما اتى ادريس مع عمير لينظر الى الموضع الذى ارتاده له وجد زواغة وبنى يرغش يقتتلون فيما بينهم على حدود الارض فبعث ادريس اليهم فحضر الفريقان بين يدَيْه فاصلح بينهما ثم اشترى منهما الغيضة التى بنا بها المدينة وكانت غيضة لا تُرام لكثرة المياه والشجر والسباع والخنازير فرضوا جميعا ببيعها واخراجها من ايدى الفريقين ثم شرع فى البناء، وقيل انه اشترى موضع عدوة الاندلس من بنى يرغش بالفين درهم وخمس مائة درهم ودفع اليهم المال وكتب العقد بشرائها منهم كاتبه الفقيه ابو الحسن عبد الله ابن مالك المالكىّ الانصارىّ الخَزْرجىّ وذلك فى سنة احدى وتسعين ومائة فنزل به ادريس وشرع فى بناء السور وضرب ابنيته وقِبابه بالموضع المعروف بجداوة ودوّر عليها جدارا من الخشب والقصب فسمّى الموضع جداوة الى اليوم ثم اشترى عدوة القرويين من بنى الخير الزواغيين بثلاثة الاف درهم وخمس مائة درهم وشرع فى بنائها ✿

الخبر عن بناء الامام ادريس مدينة فاس وذكر ما خصّت به من الفضائل والمحاسن التى تفوق بها بلاد المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه لم تزل مدينة فاس من حين أُسِّسَتْ دار فقه وعلم وصلاح ودين وهى قاعدة بلاد المغرب وقُطْرها ومركزها وقُطْبها وهى ملك الادارسة الحسنيين الذين اختطّوها ودار مملكة زناتة من بنى يفرن ومغراوة وغيرهم من ملوك المغرب فى الاسلام ونزلها لمتونة فى اول ظهورهم على المغرب ثم بنوا مدينة مرّاكش فانتقلوا اليها لقربها من بلادهم بلاد القبلة فاتى الموحّدون بعدهم فنزلوا مرّاكش واتخذوها دار ملكهم لقربها من بلادهم وكونها مبنية فى جوارهم وبين قبائلهم ومدينة فاس لم تزل أُم بلاد

المغرب فى القديم والجديد وهى الآن قاعدة ملوك بنى مرين اطال الله ايامهم واعلى امرهم وخلّد سلطانهم فهى بهم فى المحلّ الرفيع والشكل البديع وقد جمعت مدينة فاس بين عذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب المَدَرَة وحسن الثمرة وسعة المحرث وعظيم بركته وقرب المحتطب وكثرة عوده وشجرته وبها منازل مُونِقة وبساتين مشرقة ورياض مُوَرَّقة واسواق مُرَتَّبة منسّقة وعيون منهمرة وانهار مندفقة منحدرة واشجار ملتفة وجنات دايرة بها مُحْتَفة، وقالت الحُكماء احسن موضوعات المُدُن ان تجمع المدينة خمسة اشياء وهى النهر الجارى والمحرث الطيب والمحطب القريب والاسوار الحصينة والسلطان اذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكفّ جبابرتها، وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التى هى كمال المدن وشرفها وزادت عليها بمحاسن كثيرة نذكرها بَعْدُ ان شاء الله تعالى فلها المحرث العظيم سقْيًا وبَعْلًا على كل جهة منها ما ليس هو على مدينة من مداين المغرب وعليها المحطب العظيم بجبال بنى بهلول التى فى قبلتها يصبح كلّ يوم على ابوابها من احمال حطب البلوط والفحمة ما لا يُوصف كثرة، ونهرها يشقّها بنصفين ويتشعّب فى داخلها انهارا وجَدَاوِلا وخُلْجَانا فتتخلّل الانهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها واسواقها وحمامتها وتطحن به ارحاؤها ويخرج منها وقد حمل اثفالها واقذارها ورحاضاتها وقد انشد الفقيه الصالح الزاهد ابو الفضل بن النحوى فى مدحها واوصافها

يا فاس منك جميع الحسن مستوق	وساكنوك جميع الرزق قد رُزِق
هذا نسيمك ام روح لراحتنا	وماؤك السلسبيل الصافى ام الورق
ارض تخلّلها الانهار داخلها	حتى المجالس والاسواق والطرق

وكان الفقيه ابو الفضل بن النحوى من اهل العلم والدين والورع والفضل ذكره صاحب كتاب التشوّف من اكبر رجال المغرب، وللفقيه الكاتب البارع ابى عبد الله المغيلىّ فى وصفها ويتشوّق اليها حين ولى القضا بمدينة ازمور

يا فاس حيّا الله ارضك من ثرا	وسقاك من صَوْب الغمام المُسْبِل
يا جنّة الدنيا التى اربَتْ على	حِمْصَ بمنظرها البهىّ الاجمل
غُرَفٌ على غُرَف ويجرى تحتها	ماء الذ من الرحيق السَلْسَل
وبساتين من سُندس قد زخرفت	بجداول كالايم او كالمفصل
بجامع القرويين شرف ذكره	انسٌ تذكر يهيج تململ
وبصحنه زمان المصيف محاسن	جمع العشى القرب فيه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنى	واكرع بها عينى فديتك وانهل

قال

قال المؤلف ويخرج نهر مدينة فاس منها ويسقى جنّاتها وبحايرها الى ان ينصب بوادى سبوا على مقدار الميلَيْن منها وماء نهر مدينة فاس من افضل مياه الارض واعذبها واخفّها يخرج من عيون من اعلاها فى بسيط الارض من ستّين عُنْصُرا كلّها تنبعث من جهة القبلة وثلاثة عناصر من قبل المغرب على نحو عشرة اميال من المدينة فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من الماء فيصير نهرا كبيرا فيجرى فى بسيط من الارض على الكرفس والسعداء من منبعثه حتى ينحدر على المدينة فى مروج خضر لا يزال كذلك صيفا وشتآ حتى يدخل البلد فينقسم فى داخلها على جداول كثيرة كما قدمنا، ومن فضايل ماء هذا النهر انه يفتت الحصى ويذهب الصُنان لمن اغتسل به ودام على شربه ويلين البشرة ويقطع القمل ويسرع الهضم ويشرب على الريق فلا يعدى ومن يستكثر من شربه فلا يضرّه وذلك لاجل جريانه على الكرفس والسعداء فهو فى نهاية الخفّة والعذوبة، ومن فضايل ماء هذا النهر ما ذكره ابو جنون المتطبّب انه ينبه شهوة الجماع اذا شرب على الريق ومن فضله انه تغسل فيه الثياب بغير صابون ييبيضها ويكسوها رَوْنقا وبصيصا ورايحة طيبة كما يفعل الصابون فيقسم عليها انها غسلت بالصابون، ومن فضايل نهر مدينة فاس انه يخرج الصدف الحسن الذى يقوم مقام الجوهر النفيس تباع الحَبّة منه بمثقال ذهب واقلّ واكثر وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه ويوجد فى مياه هذا النهر السراطين وليست توجد فى مياه الاندلس الا نادرا ويخرج فيه ايضا انواع من الحوت من اللبيس والبوارى والسنباج والبوقة وهو حوت لذيذ الطعم كثير المنفعة وعلى الجملة ان ماء نهر مدينة فاس يفوق مياه المغرب فى العذوبة والخفّة وكثرة المنفعة، وتفوق مدينة فاس غيرها من بلاد بمعدن الملح الذى عليها ليس فى معمور الارض معدن ملح مثله وهو على نحو ستّة اميال منها وطول هذه الملاحة نحو ثمانية عشر ميلا اولها من محشر الشطبى واخرها بوادى مكس عند دمنة القبول وفى هذه الملاحة اصناف من الملح لا يشبه بعضها بعضا فى الالوان والصفات فالملح بالمدينة كثير جدّا يباع عشرة اصواع بدرهم واقلّ واكثر بحسب ما يجلب ومن بركة هذه الملاحة انها كلّها تحرث بالزرع فتجد فدادين الزرع فى وسط الملح بخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلا من الله تعالى وبركة منه وكان الملح قبل هذا يباع بالمدينة حمل بدرهم لا يجد بايعه من يشتر به منه لكثرته، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من مدينة فاس جبال بنى يازغة حيث يقطع خشب الارز فيجلب الى المدينة منه فى كلّ يوم ما لا يحصى كثره، ومن هذا الجبال ينبعث نهر سبوا من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمرّ بشرقى مدينة فاس على مقدار

امبابين منها فيصيد اهل المدينة الشابل والبورى واصناف الحوت ويحملون منها احمالا الى المدينة فتصل طرية لم تتغيّر واكثر نزهات اهل المدينة نهر سبوا، وبالقرب ايضا من مدينة فاس على مسيرة اربعة اميال منها ونحوها حامّة عظيمة تعرف بحامّة خولان ماؤها اشدّ ما يكون من السخانة، وبالقرب ايضا منها حامّة وشتاتة وحامّة يعقوب وهى من الحمامات المشهورة بالمغرب، وسُكّان مدينة فاس احدّ اهل المغرب اذهانا واشدّهم فطنة وارجحهم عقلا والينهم قلوبا واكثرهم صدقة واعزّهم نفوسا والطفهم شمايلا واقلّهم خلافا على الملوك واكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم وكيف ما تقلّبت الاحوال فهم يسمون على ساير اهل بلاد المغرب علما وفقها ودينا، ومدينة فاس لم تزل من يوم اسّست ماوى الغُرباء من دخلها استوطنها وصلح حالها بها وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهم فهى فى القديم والحديث دار علم وفقه وحديث وعربية وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل على ذلك على مرّ الزمان وذلك ببركة دعوة بانيها ادريس رضى الله عنه فانه لما اراد الشروع فى بنايها رفع يده وقال اللهمّ اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل اهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ثم اخذ المِعْوَل بيده فابتدا بحفر الاساس فلم تزل منذ بنيت الى يومنا هذا وهو عام ستّة وعشرينّ وسبع مائة دار علم وفقه والسنّة والجماعة بها قايمة ويكفى من فضلها وشرفها ما ورد عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم فى وصفها وانه وجد فى كتاب درّاس بن اسمعيل ابى ميمونة بخطّ يده رحمه الله حدّثنى ابو مضر بالاسكندرية قال حدّثنى محمّد بن ابراهيم المواز عن عبد الرحمان بن القاسم عن ملك بن انس عن محمّد بن شهاب الزُهْرىّ عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنهم عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم انه قال ستكون بالمغرب مدينة تسمّى فاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة اهلها على السنّة والجماعة ومنهاج الحقّ لا يزالون متمسكين به لا يضرّهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة، وذكر ابن غالب فى تاريخه ان الامام ادريس لما عزم على بنايها ووقف بموضعها ليختطّها مرّ به شيخ كبير راهب من رهبان النصرى قد نيف على مائة وخمسين سنة كان مترهّبا فى صومعة قريبة من تلك الجهة فوقف بادريس وسلّم عليه ثم قال له ايها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين قال ادريس اريد ان اختطّ بينهما مدينة لسكناى وسكناء ولدى من بعدى يعبد الله تعالى بها ويتلى بها كتابه وتقام بها حدوده قال ايها الامير ان لك عندى فى ذلك بُشْرى قال وما هى ايها الراهب قال انه اخبرنى راهب كان قبلى فى هذا الدير هلك منذ

منذ مائة سنة انه وجد فى كتاب علمه انه كان بهذا الموضع مدينة تسمّى ساف خربة منذ الف سنة وسبع مائة سنة وانه يجدّدها ويحيى عاثرها ويقيم دارسها رجل من عال بيت النبوّة يسمّى ادريس يكون لها شان عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قايم بها الى يوم القيامة فقال ادريس الحمد لله انا ادريس وانا من عال بيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم وانا بانيها ان شاء الله تعالى، فكان ذلك مما قوى عزم ادريس على بنائها فشرع فى حفر اساسها، قال المؤلف ويدلّ على صحّة هذه الرواية ما رواه البرنوسىّ انّ رجلا من اليهود احتفر اساس دار يبنيها لسكناه بقنطرة عزيلة من المدينة المذكورة والموضع يوميذ شعرة بالطاخش والبلوط والطرفاء وغير ذلك فوجد فى الاساس دُمْيَة رخام على صورة جارية منقوشة على صدرها بالخطّ المسند هذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فاقيم بموضعه بيعة للعبادة، وكان تاسيس ادريس لمدينة فاس على ما ذكره المورّخون الذين عنوا بتاريخها وبحثوا عن ابتداء امرها فى يوم الخميس غرّة ربيع الاوّل المبارك سنة اثنين وتسعين ومائة للهجرة اسّس عدوة الاندلس منها وادار بها السور وبعدها بسنة اسّست عدوة القرويين وذلك فى غرّة ربيع الاخر من سنة ثلاث وتسعين ومائة وابتدا ببناء سورة عدوة الاندلس القبلى فادار السور على جميعها وبنا بها الجامع الذى برحبة البير المعروف بجامع الاشياخ واقام به الخطبة ثم شرع فى بناء العدوة القرويين فى سنة ثلاثة وتسعين المذكورة وكان موضعها شعرة وغياضا ملتفة فكان يقطع الشجرة والخشب ويبنى فى موضعه وعجبه ما رءاه من كثرة العيون بها وتدفّق الانهار فانتقل عن عدوة الاندلس اليها ونزل منها بموضع يعرف بالقرمدة وضرب فيه قيطونة فاخذ فى بناء الجامع فبنا المسجد المعروف الان بجامع الشرفاء شرّفه الله بذكره واقام فيه الخطبة ثم اخذ فى بناء داره المعروفة الان بدار القيطون التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنا القيسارية الى جانب المسجد الجامع وادار الاسواق حوله من كلّ جانب وامر الناس بالبناء والغرس وقال لهم من انشاء موضعا واغترسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى فبنا الناس الديار واغترسوا الثمار وكثرت العمارة والغيطنة فكان الرجل يختطّ موضع منزله وبستانه من الشعرا ثم يقطع منه الخشب فيبنى به لا يحتاج الى خشب غيره، ووفد عليه فى تلك الايام جماعة من الفرس من بلاد العراق فانزلهم بناحية عين علون ومنهم بنو ملونة وكانت عين علون شعرا من طخش وعليون وكلخ وبسباس واشجار برية وكان بها عبد اسود يقطع الطريق هنالك وكان الناس قبل بناء المدينة يتحاموتها ولا يمرّون بتلك الناحية ولا يقدر احد على سلوكها من اجل

علون المذكور والتفات الاشجار وهرير المياه والانهار وكثرة الوحش المؤدية بها وكان الرعات يتحامونها بمواشيهم ولا يسلكها الا الجماعة من الناس فعرف ادريس بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة الاندلس فامر بالقبض عليه فخرجت الخيل فى طلبه فقبض عليه واتى به اليه فامر بقتله وصلب على شجرة هنالك كانت على راس العين المذكورة فبقى علون مصلوبا على تلك العين حتى تمزقت اشلاءه وسقطت اوصاله فسميت العين به الى الان، وادار الامام ادريس سور عدوة القرويين وابتداه من راس عقبة عين علون وصنع براس العقبة بابا وسماه باب افريقية وهو اول باب صنع بالمدينة المذكورة ثم هبط بالسور على عين دردور حتى وصل به الى عقبة السعتر فصنع هنالك بابا وسماه باب حصن سعدون ثم هبط بالسور الى اول اغلان فصنع هنالك بابا وسماه باب الفرس ثم ادار السور مع اغلان حتى وصل به شفير الوادى الكبير الفاصل بين العدوتين فصنع هنالك بابا وسماه باب الفصيل وهو الباب الذى يخرج منه الى بين المدينتين ثم جاز الوادى بالسور وطلع به مع نفقة النهر خمس مسافات وصنع هنالك بابا سماه باب الفرج وهو الذى يسمى الان باب السلسلة ثم جاز النهر ايضا بالسور الى عدوة القرويين وطلع به مع النهر الكبير فى اسفل القلعة الى عيون بين الصادى الى الجرف وصنع هنالك بابا سماه باب الحديد وهو فى اعلاء القلعة مما يلى الجرف ثم سار بالسور من باب القلعة المذكورة الى باب افريقية فجاءت عدوة القرويين مدينة متوسطة كثيرة الانهار والعيون والبساتين والارحا لها ستة ابواب وابتدا ايضا سور عدوة الاندلس من جهة القبلة فبنا باب الفوارة هنالك ومنه يخرج الى مدينة سجلماسة وهو الان مبنى يعرف بباب زيتون ابن عطية لم ينفتح من سنة عشرين وست مائة وهبط بالسور على المخفية الى الوادى الكبير الى برزخ وعمل هنالك بابا يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم سار بالسور على الشبيبوبة وفتح هنالك باب يعرف بباب الشبيبوبة مقابل لباب الفصيل من عدوة القرويين ثم سار بالسور الى راس حجر الفرج فصنع هنالك بابا سماه باب ابى سفيان ومنه يخرج الى بلاد غمارة والى الريف ثم سار بالسور على جراوة فصنع هنالك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسية ومنه كان يخرج الى بلاد تلمسان ومنه يخرج الى حارة المرضى فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى ان هدمه عبد المومن بن على ايام ظهوره على المغرب وفتحه لمدينة فاس وذلك فى سنة اربعين وخمس مائة فلم يزل الباب مهدوما الى ان بناه الناصر بن المنصور الموحد حين جدد سور المدينة وذلك فى سنة احدى وست مائة وسماه باب الخوخة وكانت حارة المرضى بخارج هذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرا

ريح

الريح الغربية فتحمل الرياح أجرتهم ولا يصل منها لاهل المدينة شىّ وليكون تصرّفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد، فلما كانت المجاعة العظما التى خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدم الاقوات وذلك من سنة تسعة عشر الى سنة سبع وثلاثين وستّ مائة لما اراد الله تعالى من انقراض الدولة الموحّديّة وظهور الدولة المرينيّة بالمغرب اطالها الله وخلّدها فانتقل الجذماء فى ايام المجاعة والفتنة من خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التى بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين وهى الكهوف التى بقرب الوادى بين مطمر الزرع وجنّة المصارات فاقاموا هنالك الى ان ظهرت دولة المرينيّة على المغرب واستقام امرها واشرع نور عدلها وشمل الناس من بركتها فانجبر الناس وعمرت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات فرُفع الى امير المسلمين ابى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضى عنهم امر الجذماء وان تصرفهم وغسل ثيابهم وانيتهم واقذارهم فى نهر مدينة فاس لقريبهم منه وان ذلك ضرر لاهل المدينة فامر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ابو العلاء ادريس بن ابى قُريْش ان ينقلهم من هنالك ليبعدوا من ماء النهر فنقلهم الى كهوف بُرْج الكوكب الذى بخارج باب الجيسة من ابواب عدوة القرويين وذلك فى سنة ثمان وخمسين وستّ مائة وبنا ايضا ادريس بسور عدوة الاندلس القبلى بابا وسمّاه باب القبلة فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى ان هدمه دوناس الازداجىّ حين غلب على عدوة الاندلس فدخلها بالسيف فبناها الفتوح بن المعزّ بن زيرى بن عطية الزناتىّ المغراوىّ ايام ولايته على المدينة المذكورة وقيل ان الذى بناها الفتوح بن معنصر اليفرنىّ وبه سمّيت قاله ابن غالب فى تاريخه، وقال عبد الملك الورّاق كانت مدينة فاس فى القديم بلدين لكلّ بلد منها سور يحيط بها وابواب تختصّ بها والنهر بين البلدين فاصلا وهو الوادى الكبير الداخل من ناحية باب الحديد من ابواب عدوة القرويين فيجرى بين العدوتين حتى يخرج من موضع يسمّى بالرميلة قد صنع له هنالك فى السور بابين عظيمين يخرج عليهما شبابك من خشب الارز مزردة وثيقة يخرج منها الماء وكذلك صنع له فى موضع دخوله باب كبير عليها شُبّاك محكم وثيق، واسوار المدينة منيعة مرتفعة وابوابها حصينة فلعدوة القرويين فى سورها الغربى باب الحديد ومنه يخرج الى واديها والى جبال فازان ومعدن عوّام وباب سليمان وهو بابها الاعظم ومنه يخرج الى مدينة مرّاكش وبلاد المصامدة وغير ذلك من بلاد المغرب ولها ايضا فى سورها المرضى باب الجوف وهو باب مقبرة ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التى براس المغية سُدّ فى

زمان المجاعة سنة سبع وعشرين وستّ مائة فلم يزل على حاله الى الآن ولها ايضا فى سورها الجوفى باب حصن سعدون وهو الباب الذى كان انشاه ادريس بعقبة السعتر فلما اكثر الناس بالمدينة واتّسع الارباض بخارجها فى ايام زناتة ادار عليها الامير عجيسة بن المعزّ سورا وصنع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسمّاه باسم عجيسة كما فعل اخوه الفتوح فى عدوة الاندلس فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية ايام زناتة وايام لمتونة الى ايام امير المومنين ابى عبد الله الناصر الموحّد حين امر ببناء سور المدينة الذى كان هدمه جدّه عبد المومن عام اربعين وخمس مائة فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا كبيرا وسمّاه باسم باب عجيسة وترك باب عجيسة على حاله ثم امر بتغيير اسم الباب الذى بناه وترك اضافته الى عجيسة فاسقط الناس العين من اسم عجيسة وادخلوا الالف واللام عوضا منها فقالوا باب الجيسة ولم يزل باب الجيسة على ما بناه الناصر منها الى ان تهدّمت وتخرّب اكثرها لمرّ السنين عليها وتوالى الايام والليالى فعرف امير المسلمين ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضى عنه بامرها وهو فى بلاد الاندلس فنفذ امره الكريم من الجزيرة الخضرا ببناء الباب واصلاحه فجدّدت باسرها ما عدا القوس البرانى منها فانه وجد صحيحا فترك على حاله وذلك فى سنة اربع وثمانين وستّ مائة وكذلك امر ايضا امير المسلمين ابو يوسف رحمه الله باصلاح السور القبلى من عدوة الاندلس فجدّد اكثره ورُمّ ما تخلّف منه وهدم من باب زيتون بن عطية الى باب الفتوح على يد قاضيه الفقيه ابى امية الدلايى فاصلحه واتقنه وذلك فى سنة احدى وثمانين وستّ مائة، ودور مدينة فاس اكثرها على طبقتين الاعلا والاسفل ومنها ما يكون على ثلاثة طبقات واربع طبقات وذلك لعقد تربتهم وكثرة خشب الارز عندهم وهو انيب خشب فى الارض يعمر العود منه فى سقف البيت الف سنة لا يعفن ولا يتسوس ولا يعتريه شئ ما لم يصبه الماء، ولم تزل الخطبة تقام فى عدوتى مدينة فاس من حين بُنيت الى الآن خطبة بعدوة الاندلس وخطبة بعدوة القرويين وقيسارية ودار سكّة بكلّ عدوة منها، وكان بها فى ايام زناتة سلطانان اخوان اشقاء ابنا الامير المعزّ بن زيرى بن عطية وهما الفتوح وعجيسة فكان الفتوح بالاندلس وعجيسة بالقرويين وكلّ واحد منهما له جيش وحشم والقا الله تعالى بينهما العدوة والبغضاء كلّ ذلك على طلب الرياسة وتنافسا على الظهور فى الدنيا فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان والقتال بينهما على ضفّة النهر الكبير بموضع يعرف بكهف الرقادين بين المدينتين

وكان

وكان اهل عـــدوة الاندلس اهل نجـــدة وشدّة واكثرهم ينتحل الحـــرات والفلاحة واهل عدوة القرويين اهل رفاهة ونخوة فى البناء واللباس والفرش والمطعم والمشرب واكـــثـــرهم صُنّاع وتجّار وسوقة ورجال عدوة القرويين اجمل من رجـــال عـــدوة الانـــدلـــس ونساء عدوة الاندلس اجمل من نساء عدوة القرويين ، وبمدينة فاس من اصناف الازهار والفواكه ما لا يوجد فى غيرها من البلاد الا مفترقة فى اقاليم شـــتّى وتوجد فى مدينة فاس مجتمعة فى نهاية الحسن والطيب وتختصّ عدوة القرويين بكثرة الانهار والارحاء والعيون العذبة والابار القريبة الطيبة وبها الرّمان السفرىّ الذى ليس فى المغرب مثله حلاوة ولذّة والتين السفرى والسبتىّ الطيب الحسن والعنب والخـــوخ والجـــوز والعناب والسفرجل والاُتْرج وساير الفواكه الخريفية تاتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والحلاوة وتختصّ عدوة الاندلس ايضا بحسن الفاكهة الصيفية وطيبها كالتفّاح الاطرابلسىّ الحلو الاصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ولذّته ومطعمه وخفّته ورقّة بشرته وطيب رائحته واعتدال خلقته ، والتفّاح الابوميّ الملحىّ والكلاخىّ واصناف الكُمَثْرى والمشمش والبَرْقوق والتوت كلّ ذلك بها فى نهاية الطيب والحسن وبخارج بنى مسافر من ابوابها موضع يعرف بمرج فرتة تثمر بها الاشجار مرّتين فى كلّ سنة فياكل الناس التفّاح والكمثرى بالمدينة الصيف والشتاء وبحصد الزرع بفحص المصارات التى بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن اربعين يوما ، قال المؤلف للكتاب قد شاهدتُ الزرع حُرِثَ بالمصارات المذكورة فى خامس عشر من شهر ابريل وحُصِدَ فى اخر شهر ماية منشاه فى الطيب والبركة عن خمس واربعين يوما وذلك فى سنة تسعين وستّ مائة وهو عام الشرقية دامت فيه الريح الشرقية اربعة اشهر ولم ينزل مطر تلك السنة ولم ترو ارض الا فى الثانى عشر من شهر ابريل المذكور فحرث الزرع مخاطرة فجاء كما ذكرنا ، ومما تفوق به مدينة فاس ساير مدن الارض ان بها ماءان ماء العيون ومياه الانهار فمياه العيون باردة فى الصيف حين يراد ذلك منها لتبريد للحرّ وقطع الظماء وهى ايضا مستخنة فى الشتاء حين يحتاج الى ذلك منها ومياه الانهار فى العكس فى ذلك سخينة فى الصيف باردة فى الشتاء فلا يزال الماء المسخن والبارد موجودان بها فى الشتاء والصيف فهى بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظّف ، واختلف الناس فى السبب الذى سمّيت من اجله فاس فقيل ان ادريس لما شرع فى بنايها كان يعمل فيها بيده مع الصنّاع والفَعَلَة والبناءين تواضعا منه لله تعالى ورجـــاء الاجر والثواب فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وفضّة فكان ادريس يمسكه بيده

ويبدا به الحفر ويختط به الاساسة للفعلة فكثر عند ذلك ذكر الفاس على السنتهم فى طول مدّة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس احفروا بالفاس فسمّيت مدينة فاس لاجل ذلك قاله صاحب كتاب الاستبصار فى عجايب الامصار، ويقال انه ايضا لما شرع فى حفر اساسها من جهة القبلة وجد فى الحفير فاسا كبيرا طوله اربعة اشبار وسعته شبرا وزنته ستين رطلا فسمّيت المدينة به واضيفت اليه، وقيل ان ادريس لما شرع فى بنايها قال له كاتبه ايها الامير كيف تسمّيها قال سمّوها باسم اوّل رجل يطلع عليكم فمرّ بهم رجل فسالوه عن اسمه وكان ألثغ فقال اسمى فارس فاسقط الراء من لفظه لاجل اللثغة فقال ادريس سمّوها كما نطق بها فقالوا فاس، وقيل سمّيت فاسا لان قوما من الفرس نزلوها مع ادريس حين اسّسها فسقط عليهم جُرْف فماتوا تحته من حينهم ولم ينجوا منهم الا قليل فسمّيت بهم مدينة الفرس ثم خفّف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ثم اسقطوا الراء من اللفظ اختصارا فقالوا مدينة فاس، وقيل لما تمّت بالبناء قيل لادريس كيف تسمّيها قال اسمّيها باسم المدينة التى كانت قبلها فى موضعها الذى اخبرنى الراهب انه كان هنا مدينة أزليّة من بنيان الاوّل فخربت قبل الاسلام بالف وسبع مائة سنة وكان اسمها مدينة ساف لاكن أقلب اسمها الاوّل واسمّيها به فقلبه فاتى منه فاس فسمّيت مدينة فاس وهذا اصح ما يمكن فى تسميتها والله اعلم، ولما فرغ ادريس من بناء المدينة وادار السور على جميعها وركب الابواب انزل بها القبايل كلّ قبيلة بناحية فنزلت العرب القيسيّة من باب افريقيّة الى باب الحديد من ابواب القرويين ونزلت الازد على حدّهم ونزلت اليحصبيون على حدّ القيسيّة من الجهة الاخرى ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيحان كلّ قبيلة بناحيتها فامرهم ادريس بغرس الارض وعمارتها فغرسوا جانبىّ الوادى من منبعته بفحص عاسادس الى مصبّه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار فعمرت الارض بالحراثة والغراسة واينعت الثمار واطعمت الكروم والاشجار من سنتها وذلك ببركة ادريس واسلافه الطاهرين صلوات الله عليهم ورحمته ونيته الصالحة وطيب التربة وعذوبة المياه واعتدال الهواء فظهرت البركات وتوالت الخيرات وزادت العمارات، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات واتاها من رغب فى جوار السلالة الكريمة الطاهرة اهل بيت المصطفى صلى الله عليهم وسلّم ومن ركن الى الانس والعافية فاجتمع بها خلق كثير من اليهود ممن رغب فى العافية فانزلهم بناحية اغلان الى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية فكان مبلغ جزيتهم فى كلّ سنة ثلاثين الف دينار وانزل جميع اجناده وقواده بعدوة الاندلس وجعل

بها

بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بايدى ثقاته ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وساير رعيته من التجار والصنّاع والسوقة، فاقامت مدينتىْ فاس على ما بناه طول مدّته وايام ولده من بعده الى ايام زناتة فكثرت العمارات بها وبنيت الارباض عليها واتّصل البناء حولها من كلّ جهة فبنيت بها الفناديق والحمامات والارحا والمساجد والاسواق من باب افريقيّة الى عين ابيصبلن وبنا الناس من الجانب القبلىّ والجوفىّ والشرقىّ ونزلتها القبايل من زناتة ولواتة ومغيلة وجراوة واوربة وهوارة وغيرهم واقتطعوا الجهات فنزلت كلّ قبيلة جهة مثل حارّة لواتة وحارّة الربط واغلان والصرامنة وحارّة ابن ابى برقوقة وبرزخ وحارّة بنى عامر والجر الاحمر وغير ذلك ودارت الارباض بالمدينة من كلّ الجهات واتّصل البناء بعضه ببعض، واما اهل الاندلس من قرطبة حين اوقع بهم الامام الحاكم بن هشام واجلاهم عن الاندلس الى العدوة فصعدوا الى مدينة فاس وكانوا ثمانية الاف بيت فنزلوا بعدوة الاندلس وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا الى ناحية الكدّان ومصمودة والفوارة وحارات البادرة والكنيف الى الرميلة فسمّيه بهم عدوة الاندلس، وسمّيت عدوة القرويين لان من نزلها مع ادريس ثلاث مأية بيت من اهل القرويين فسمّيت بهم ونسبت اليهم، وبنا بعدوة القرويين فى ايام زناتة حمام قرقف وحمام الامير وحمام الرشاشة وحمام الربض وبنا بعدوة الاندلس حمام جزراوة وحمام الكدّان وحمام الشيخان وحمام الجريرة وبنوا الفناديق وزادوا مساجد كثيرة وازالوا الخطبة عن جامع الشرفاء الذى بناه ادريس لصغرها واقاموها بجامع القرويين لسعتها ولم تزل مسجد الشرفاء على ما بناه ادريس بن ادريس لم يزدْ بها احد من الملوك ولا من الرعيّة زيادة تحريا منها وتبركا بابقاء ما بناه ادريس منها الى ان عفنت سقوفها وتخلّفت جدراتها واشرفت جميعها على السقوط والانكباء لتقادم العهد ومرير الايام عليها فانتدب الى بنايها الفقيه الموفى الحاج المبارك ابو مدين شعيب بن الفقيه الحاج المبرور المرحوم ابى عبد الله بن ابى مدين ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء مغفرته وثوابه فشرع فى نقضها وبنايها وردّها الى ما كانت عليه من غير زيادة ولا نقصان وذلك فى سنة ثمان وسبع مأئة، وانتهت مدينة فاس فى ايام المرابطين وايام الموحّدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدّعة ما لم تبلغه مدينة من مدن الغرب انتهى عدد مساجدها فى ايام المنصور الموحّد وولده الناصر سبع مأئة مسجد وخمسة وثمانون مسجدا، واحصى ما بها من السقايات وديار الوضوء مائة واثنان وعشرون موضعا منها ديار الوضوء اثنان واربعون وباقيها سقايات منها بمياه العيون ومنها بمياه الانهار، واحصيت الحمامات بها المبرزة

للناس فى تلك المدّة فكانت ثلاث وتسعين حماما، واحصيت الارحاء التى دار عليها سور المدينة فوجدت اربع مائة حجر واثنين وسبعين حجرا دون ما بخارجها من الارحا، واحصيت الديار بها فى ايام الناصر فكانت تسعة وثمانون الف دار ومائتى دار وستّة وثلاثون دار وتسعة عشر الف مضرية واحدى واربعون مضرية ومن الفناديق المعدّة للتجارة والمسافرين والغرباء اربع مائة فندقا وسبعة وستّون فندقا، واحصيت الحوانيت بها فى المدّة المذكورة فكانت تسعة الاف حانوت واثنان وثمانون حانوتا، وقيسارتان احداهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الاندلس على وادى مصمودة، واحصى بها من الترابيع والاطرزة المعدّة لصناعة والحياكة ثلاثة الاف موضعا واربعة وستّون موضعا، وكان بها من الديار المعدّة لعمل الصابون سبعة واربعون دارا، ومن الديار للدّباغ ستّة وثمانون دارا، وديار الصبّاغ مائة دار وستّة عشر دارا، وكان بها اثنا عشر دارا لسبك النحاس، وكان بها من الكوش المعدّة لعمل الخبز وبيعه مائة كوشة وخمس وثلاثون كوشة، وكان بها احدى عشر موضعا لعمل الزجاج، وبخارجها من الديار المعدّة لعمل الفخّار مائة دار وثمانية وثمانون دارا، وكان بصفّتَىْ الوادى الكبير الذى يشقّها من حيث يبتدى لدخول البلد الى آخرها حيث يخرج بازمبلة بالجانبين منه دار الصبّاغين وحوانيتهم ودار الدبّاغ ودار الصبانين وحوانيت الحناطين والقصّابين والسفاجين والكوش والافران المعدّة لطبخ الغزل وغيرهم مما يحتاج الى الماء وفى اعلاء ذلك كلّه اطرزة للحياكة ولم يكن بالمدينة وادٍ يظهر للناس حشا الوادى الكبير المذكور وباقى انهارها بُنِى عليها ديار وبنى اعلاها دوايرا ومصارى وحوانيت ولم يكن داخلها رياض ولا غرس حاشا زيتون ابن عطية خاصّة، وكان بها اربع مائة حجر لعمل الكاغيد، وخرب ذلك كلّه فى ايام المجاعة والفتنة التى كانت فى ايام العادل واخيه المامون والرشيد وذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة سبع وثلاثين وستّ مائة وكان توالى مدّة الخراب عليها عشرين سنة الى ان ظهرت دولة المرينيّة فانجبرت البلاد وتامّنت الطرقات، قال المؤلف نقلتُ ذلك كلّه من تقييد بخطّ الشيخ الفقيه المشرّف ابى الحسن علىّ بن عمر الاوسىّ نقله من زمام بخطّ المشرّف القويقر مشرّف المدينة فى ايام الناصر الموحّد، وذكر ابن غالب فى تاريخه ان الامام ادريس لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى آخر خطبته فقال اللهمّ انك تعلم انى ما اردتُ ببناء هذه المدينة مُباهاةً ولا مفاخرةً ولا سمعةً ولا مُكابرة وانما اردتُ ان تُعْبَدَ بها ويتلى كتابُك وتقام بها حدودك وشرايع دينك وسنّة نبيّك محمّد صلىّ الله عليهم وسلّم ما ابقيت الدنيا اللهمّ وَفِّقْ سُكّانها

سُكّانها وقُطّانها للخير واعنّهم عليه واكفهم مؤنة اعدآيهم وادرّ عليهم الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق انك على كلّ شيء قدير، فامن الناس على دعايه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت البركات فكان الزرع بها فى ايام ادريس وايام ذريته لا يباع ولا يشترى لكثرته فبلغ وسق القمح بها فى ايامهم درهمَيْن ووسق الشعير درهمًا والقطنيه ما لها سوم والكبش بدرهم ونصف والبقرة باربعة دراهم والعسل خمسة وعشرين رطلا بدرهم والفاكهة لا تباع ولا تشترى من كثرتها دام ذلك بها خمسين سنة، ولما فرغ ادريس من بناء المدينة وانتقل اليها بجملته واستوطنها واتخذها دار مُلكه اقام بها الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح ساير بلاد المصامدة ورجع الى مدينة فاس فاقام بها الى شهر محرّم من سنة تسع وتسعين فخرج منها برسم غزو قبايل نَفَزة فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر فى احوالها وصلح اسوارها وجامعها وصنع فيها منبرا، قال ابو مروان عبد الملك الورّاق دخلتُ مسجد تلمسان فى سنة خمس وخمسين وخمس مائة فرايتُ فى راس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمّر عليه هنالك مكتوب هذا ما امر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ رضى الله عنهم فى شهر محرّم سنة تسع وتسعين ومائة، فاقام ادريس بمدينة تلمسان واحوازها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها الى ان توفّى رحمه الله فى سنة ثلاث عشر ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحايط الشرقى منها وقيل دفن قبلتها، وقال البرنوسىّ توفّى ادريس بن ادريس بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى الثانى عشر من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشر ومائتين المذكورة وسنه يوميذ ثمان وثلاثين سنة ودفن الى جانب قبر ابيه برباطة وليلى وكان سبب وفاته انه اكل عنبا فشُرِقَ حبّة منه فمات من حينه فكانت ايام مُلكه بالمغرب ستّ وعشرين سنة وخلف من الولد اثنى عشر ذكرا اوّلهم محمّد وعبد الله وعيسى وادريس واحمد وجعفر ويحيى والقاسم وعمر وعلىّ وداوود وحمزة فولى بعده محمّد وهو اكبر منهم ۞

الخبر عن دولة الامير محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى بالمغرب

هو الامير محمّد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم امّه حرّة من اشراف نفزة صفته اسمر اللون حسن

القدّ شابّ السنّ مليح الوجه اجعد الشعر، لما ولى قسّم بلاد المغرب بين اخوته وذلك
براى جدّته كنزة امّ ابيه ولى اخاه القاسم مدينة طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر ومدينة
تطون وبلاد مصمودة وما والى ذلك من البلاد والقبايل، وولّى اخاه عمر مدينة تيجنساس
ومدينة ترغنة وبلاد صنهاجة وغمارة، وولّى اخاه داوود بلاد هوّارة وبلاد تسول ومكناسة
وجبال غياثة، وولّى اخاه يحيى مدينة البصرة ومدينة اصيلا ومدينة العرايش الى بلاد
ورغة، وولّى اخاه احمد مداين مكناسة وبلاد فازان ومدينة تادلا، وولّى اخاه عبد الله
مدينة اغمات وبلاد نفيسة وبلاد المصامدة والسوس الاقصى، وولّى اخاه حمزة مدينة
تلمسان واعمالها، واقام هو بمدينة فاس دار مُلكهم وقرار سلطانهم وتصاغر الباقون عن
الولاية فبقوا فى كفالة جدّتهم مع اخيهم محمّد الاكبر فاقام الادارسة ولاة على بلاد المغرب
فضبطوا ثغورهم وحكموا بلادهم وامنوا سُبُلهم وحسنت سيرتهم الى ان خرج على الامام
محمّد اخوه عيسى بمدينة شالة وبلاد تامسنا ونكث بيعته ونبذ طاعته واستبدّ لنفسه
فكتب الامام الى اخيه القاسم صاحب طنجة وسبتة يامره بحربه فامتنع القاسم من ذلك
واحجم عنه فكتب محمّد الى اخيه عمر صاحب مدينة تيجنساس وبلاد غمارة بمثل ما
كاتب به القاسم فامتثل امره وسارع اليه وجمع عسكرا عظيما من قبايل البربر من غمارة
واوربة وصنهاجة وغيرهم وسار نحو عيسى فلما قرب من احوازه كتب الى اخيه محمّد
يستمدّه فامدّه بالف فارس من قبايل زناتة وفرسانهم فمضى عمر لوجهه فاوقع باخيه
عيسى وهزمه هزيمة عظيمة واخرجه عن مدينة شالة وعن ساير عمله وولى بلاده وكتب
الى اخيه محمّد بالفتح والهزيمة فكتب اليه الامام محمّد يشكر فعله ويوليه عمله ويامره
بالمسير الى قتال اخيه القاسم الذى عصى امره فسار الامير بجيوشه الى قتال اخيه
القاسم حتى نزل عليه بمدينة طنجة فخرج القاسم الى لقايه فكانت بينهما حرب شديد
ثم هزم فيه القاسم واحتوى عمر على ما بيده من البلاد وسار القاسم الى ساحل البحر
مما يلى مدينة اصيلا فبنا هنالك مسجدا على ضفّة النهر بموضع يعرف بتاهدارت فقام
يتعبد فيه وزهد فى الدنيا الى ان مات رحمه الله واقام الامير عمر بن ادريس عاملا لاخيه
محمّد على ما كان بيده وبيد اخيه القاسم الى ان توفّى بموضع يقال له فجّ الفرس من بلاد
صنهاجة فحمل الى مدينة فاس فدفن بها وصلّى عليه اخوه محمّد الامام عمر بن ادريس
هذا هو جدّ الحموديين القايمين بالاندلس بعد الاربع مائة للهجرة وترك عمر بن ادريس
من الولد علىّ وادريس امّهما زينب بنت القاسم الجَعْدىّ وعبد الله ومحمّد امّهما جارية
متولدة اسمها رباب واقام الامام محمّد بن ادريس بعد وفاة اخيه عمر سبعة اشهر وتوفّى
بمدينة

بمدينة فاس فدفن بشرقى جامعها مع ابيه واخيه وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة احدى وعشرين ومائتين فكانت ايامه بالمغرب ثمانية اعوام وشهرا واحدا واستخلف ولده علىّ فى مرضه الذى توفّى منه ✿

الخبر عن دولة الامير على بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى

هو الامير علىّ بن محمّد بن ادريس بن ادريس امّه حرّة اسمها رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الازدىّ بويع يوم وفاة ابيه فاستخلافه له فى حياته وسنّه يوم بويع تسعة اعوام واربعة اشهر فظهر منه من الذكاء والنُبل والفضل ما يقتضيه شرفه وحسبه الصميم وسار بسيرة ابيه وجدّه فى العدل والفضل والدين والحزم واقامة الحقّ وتاسيس البلاد وقمع العداء وضبط البلاد والثغور فكان الناس بالمغرب فى ايامه فى امن ودعة الى ان توفّى فى شهر رجب من سنة اربع وثلاثين ومائتين فكانت ايامه بالمغرب نحو الثلاثة عشر سنة وولى بعده اخاه يحيى ✿

الخبر عن دولة الامير يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى

هو الامير يحيى بن محمّد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ ابن ابى طالب رضى الله عنهم وولى بعد وفاة اخيه علىّ وبعهده اليه فى حياته فسار بسيرة اخيه وابيه وجدّه وفى ايامه كثرتْ العمارة بفاس وقصد اليه الناس من الاندلس وافريقيّة وجميع بلاد المغرب فضاقتْ بسُكّانها فبنا الناس الارباض خارجها وبنا الامير يحيى بها الحمامة والفناديق للتجارة وفى ايامهم بُنى جامع القرويين شرّفه الله بذكره ✿

الخبر عن جامع القرويين وصفته وما زيد فيه فى كل زمان من حين اسس الى وقتنا هذا وهو عام سنة وعشرين وسبع مائة

قال المؤلّف عفى الله عنه لم تزل الخطبة بجامع الشرفاء الذى بناه ادريس بعدوة القرويين وبجامع الاشياخ من عدوة الاندلس طول ايام الادارسة وكان موضع جامع القرويين ارض بيضاء يعمل بها اصناف الجصّ وبها اصناف من الشجر لرجل من هوارة كان قد حازها والده قبله حين بنيت المدينة فاتى اهل وفد القرويين الى ادريس فى جمع كثير

بعيالاتهم واولادهم فانزلهم حوله بعدوة القرويين وكانت فيهم امراة مباركة صالحة اسمها فاطمة وتكنى ام البنين بنت محمد الفهرى القيروانى اتت من افريقية مع اختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور فتوفى زوجها واختها فورثت منهم مالاً جسيماً حلالاً طيباً ليس فيه شبهة لم يتغير ببيع ولا شراء فارادت ان تصرفه فى وجوه البر واعمال الخير فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه فى الاخرة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فاشترت موضع القرويين ممن كان حازه ودفعت اليه المال ثم شرعت فى حفر اساسه وبنائه وذلك يوم السبت مهل رمضان سنة خمس واربعين ومائتين فبنته بالطبية والكذان وحفرت فى وسطه فصنعت كهوفا واقتطعت الكذان واخرجت منها التراب والحجر والرمل الاصفر الطيب فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ولم تدخل فيه شيء من تراب غيرها وحفرت البير التى فى الصحن فكان البناؤن يسقون منها لبنء الجامع المكرم حتى فرغ من بنايه ولم تصرف فيه سواه احتياطا منه وتحريا من الشبهات ولم تزل فاطمة القروية المذكورة صايمة من يوم شرع فى بنيه الى ان تم وصلت فيه شكرا لله تعالى الذى وفقها لاعمال الخير، وكان المسجد الذى بنته فاطمة المذكورة اربع بلاطات وصحن صغير وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبرى الان وجعلت طوله من الحايط الغربى الى الحايط الشرقى مائة وخمسين شبرًا وبنت صومعة غير مرتفعة فى موضع القبة التى على راس العنزة الان فتم الجامع اربع بلاطات وصحن صغير ذكره ابو القاسم بن جنون فى تفسيره فى تاريخ مدينة فاس، وقيل كانتا اختين فاطمة ام البنين ومريم بنتى محمد الفهرى المذكور فبنت فاطمة الجامع القرويين وبنت مريم جامع الاندلس من مال حلال طيب موروث عن ابيهما واخوتهما فلم تزل المسجدان على ما بنته الاختان المذكورتان بقية ايام الادراسة كلها حتى انقضت ايامهم وملكت زناتة على البلاد واستقام ملكهم بالمغرب فبنوا الاسوار على ارباض العدوتين الاندلس والقرويين فزادوا فى الجامعين القرويين والاندلس زيادة كثيرة حدودها باقية الى الان وكثر الناس وضاق مسجد الشرفاء بالناس لصغره فازالوا عنه الخطبة واقاموها بجامع القرويين لكبره وسعته وصنعوا به منبرا من خشب الصنوبر وذلك فى سنة ست وثلاث مائة وكان اول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد عبد الله بن على الفارسى وقيل ان اول من ازال الخطبة عن مسجد الشرفاء ونقلها الى جامع القرويين الامير حامد بن محمد الهمدانى عامل عبيد الله الشيعى على المغرب وذلك فى سنة احدى وعشرين وثلاث مائة ونقل الخطبة عن مسجد الاشياخ بالعدوة الى جامع الاندلس وكان اول خطيب

خطيب خطب به الفقيه الصالح ابو الحسن بن محمود الصَدَفى فلم يزل الامر على ذلك ولم تزل الجامعان على حالها القرويين والاندلس الى ان تغلّب امير المسلمين عبد الله الناصر لدين الله ملك الاندلس على بلاد العدوة فبايعته مدينة فاس فيمن بايعه فولى عليها عاملا له من زناتة يعرف باحمد بن ابى بكر الزناتى وكان رجلا فاضلا من اهل الدين والفضل والورع وكتب الى امير المومنين الناصر يستاذنه فى اصلاح مسجد القرويين واتقانه والزيادة فيه فاذن له فى ذلك وبعث اليه بمال كثير من اخماس غنايم الروم وامره ان يصرفه فى بنايه فاصلح جامع القرويين وزاد فيه من ناحية الشرق وناحية المغرب والجوف وهدم صومعته القديمة التى كانت فوق العنزة وبنا الصومعة التى به الان ۞

الخبر عن بناء صومعة القرويين شرف الله ذكره

لما شرع الامير ابو العبّاس احمد بن ابى بكر فى بناء صومعة القرويين جعل سعة كلّ وجه منها سبعة وعشرين شبرًا فيتحصل فى الاربع جهات مائة شبر [واحدة] وثمانية اشبار وهو الذى فى ارتفاعها بلا شكّ ولا ريب وكذلك يجب ان تكون من جهة البناء والنظر الهندسى وجعل بابها من جهة القبلة وكتب عليه فى مربعة بالجصّ وحشاه بالازورد بسم الله الرحمان الرحيم المُلك لله الواحد القهّار هذا ما امر به احمد بن ابى بكر بن احمد بن ابى سعيد عثمان بن سعيد الزناتى هداه الله ووفّقه ابتغاء ثواب الله تعالى وجزيل احسانه فابتدا العمل فى هذه الصومعة فى يوم الاثنين غرّة رجب الفرد من سنة اربع واربعين وثلاث مائة وفرغ من بنايها وتشبيدها فى شهر ربيع الاخر سنة خمس واربعين وثلاث مائة وكتب فى طرفيّ المربعة لا اله الا الله محمّد رسول الله وجعل فى تربعة اخرى من جهة الصحن فيها مكتوب قُلْ يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم، وركب على راس المنارة تفافيحا صغرى مموهة بالذهب وركب فى اعلاها سيف الامام ادريس بن ادريس الذى بنا المدينة تبرّكا به وسبب الغاية فى اعلاء المنار ان الامير احمد بن ابى بكر الزناتى لما فرغ من بناء الصومعة اختصم اليه بعض حَفَدَة ادريس فى السيف المذكور وطلب كلّ واحد منهم ان يحوز السيفَ لنفسه فطال نزاعهم فيه بين يدَيْه فقال لهم الامير احمد بن ابى بكر هل لكم ان تبيعوه منّى وتتركوا النزاع فيه قالوا وما تصنع به ايها الامير قال اجعله فى اعلاء هذه الصومعة التى بنيتُ تبّركا به فقالوا اما ان تفعل هذا فنحن

نهبهُ لك طيبة بذلك نفوسنا فوهبوه له فجعله فى اعلاء المنار، ولم تزل الصومعة على ما
بناها احمد بن ابى بكر بالحجر المنجور المحكم وبها اثقاب تعشّش فيها الطيور واصناف
الطير من الحمام والزرازير الى ان ولى الفقيه الخطيب الصالح ابو عبد الله بن ابى الصبر
خطّة القضاء مع الخطابة والامامة بالجامع المذكور وذلك فى سنة ثمان وثمانين وستّ مائة
فاستشار فى اصلاحها وتبييضها [واصلاحها] اميرَ المسلمين ابا يعقوب بن امير المسلمين
ابى يوسف بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضى عنهم فاذن له فى ذلك وامره ان ياخذ من
اموال اعشار الروم ما يحتاج اليه فقال ان فى مال الاحباس ما فيه كفاية ان شاء الله
فشرع فى تبييضها فلبس الصومعة بالجصّ والجيّار وسمّر المسامير الكبيرة بين احجارها
ليثبت التلبيس والبناء فدخل فيها من المسامير ثلاثة عشر رُبْعا ونصف رُبْع فلما
فرغ من تلبيسها دلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة فانقطعت منها اذاية الطير فحسنت
وبنا حينئذ الغرفة التى على بابها البيتُ للمؤذنين والخوصة، وبقى الجامع المكرم على ما
زاد فيه الامير احمد بن ابى بكر الى ايام هشام المويد فتغلّب حاجبه المنصور بن ابى
عامر فبنا بالجامع المبارك القبّة التى على راس العنزة فى وسط الصحن حيث كان المنار
القديم ونصب على اعلاها طلاسما وتماثيلا كانت قبل ذلك على راس القبّة فوق المحراب
مما صنعه الاوائل ومنه ما صنع فى ايام الشيعة فجعل الطلاسم على اعمدة من حديد
فوق القبّة منها طلسم للفار فكان الفار لا يدخلها ولا يعشّش فيها ولا يفرخ بها وان
دخلها افتضح وقُتل، ومنها طلسم للعقرب وهو صورة طاير فى منقاره شبهُ ذنب عقرب
فالعقرب لا يدخل الجامع المكرم اصلا ولا يفرخ فيها وان ادخله بعض المصلّين فى
ثوبه ملصقة جمد فلا يتحرّك، قال الحاجّ الفقيه ابن هارون لقد شاهدتُ عقربا ظهر به فى
يوم جمعة جاءت فى ثياب بعض المصلّين وفى بعض امتعتهم فوقعت بين الصفوف
جامدة فلا تتحرّك كمثل الميت حتى كملت الصلاة والناس قد فسحوا من حولها
خوفا من اذايتها فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحرّكت حين قتلت وهذه غاينتها،
ومنها طلسم على راس عمود من نحاس اصفر فيه تفافيح يُذْكَر انه للحية فهى ايضا لا
تتعرّج فيها ولا تدخلها وان دخلتها افتضحت وقُتلت وقيل ان ما وجد فيها من
الحيات فهو من عمار الجنّ وهذا لا ينكر ولم يوجد قطّ على قديم الزمان وحديثه من
لدغته فيه حيةٌ ولا عقربٌ، وبنا ايضا الحاجب المظفّر عبد الملك بن المنصور بن ابى
عامر السقاية والبيت المستظلة بازا باب الحفات وجلب اليها الماء من وادى حسن
الذى بخارج المدينة من ناحية باب الحديد وصنع بالجامع المكرم منبرًا من خشب

القنب

القنب والابنوس وكتب عليه بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما هذا ما امر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المويد بالله اطال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن ابى عامر وفقهم الله تعالى وذلك فى شهر جمادى الاخرة سنة خمس وسبعين وثلاث مائة، فكان ذلك المنبر يُخطب عليه الى ايام لمتونة ولم تزل الولاة والامراء والملوك يتهممون فى الزيادة فى الجامع المكرم واصلاح ما تهدم منه تبركا به وابتغاء ثواب الله تعالى حتى قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه وجاءت دولة امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين اللمتونى فكثرت العمارات بالمدينة وتناهت القبضة فضاق الجامع بكثرة الخلق حتى كان الناس فى ايام الجمعة يصلون فى الاسواق والشوارع والطرق فاجتمعوا الفقهاء والاشياخ وتكلموا فى ذلك مع قاضى المدينة وهو الفقيه ابو عبد الله محمد بن داوود وكان احد القضاة الفضلاء من اهل العلم والعدل والورع فاعلم القاضى الى امير المسلمين بما رُفع اليه من امر الجامع المكرم واستاذنه فى الزيادة فيه فاذن له فيه وقال له يكون فيه الانفاق فى ذلك من بيت المال فقال له القاضى لعل الله ان يغنيه عنه بماله الذى يجمع من احباسه بايدى الوكلاء فامره على بن يوسف بتقوى الله تعالى والتحرى فى ذلك من الشبهات والاجتهاد فى امر الجامع وبنايه والزيادة فيه والنظر فى احباسه وجميع امواله واستخراجه فدعا له وانصرف عنه الى مجلس قضايه فسال عن الاحباس فوجدها فى ايدى قوم قد اكلوها وحسبوها من اموالهم فازالها عن ايديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يوثق بدينهم وحاسب المعزولين الذين كانت بايديهم وطالبها بغلات الرباع والارضين لخمسة فخرج عنهم بالمحاسبة اموالا كثيرا فاغرمهم اياها واضاف اليه غلة تلك السنة فاجتمع له من ذلك ما يزيد على الثمانين الف دينار ثم شرع فى الزيادة فى الجامع من قبلته وشرقه وغربه فابتداء بشراء الاملاك والديار التى فى قبلة الجامع وشرقه وغربه فاشترى منها ما احب واحتاج اليها باحسن شراء واتم ثمن دون غبن على احد فى ذلك وكان اكثرها ديار اليهود لعنهم الله، ومن امتنع من البيع قوم عليه موضعه ودفع له الثمن بالزيادة اقتداء بعمل امير المومنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين زاد فى المسجد الحرام فلما كمل له من شراء الدور ما اراد وما يصلح به اخذ فى هدمها وبيع نُقضها فاجتمع له فى ثمن نُقضها مثل قيمتها التى اشتريْت به وبقيتْ الارض زيادة ببركة من الله تعالى فرضاها للجامع فاخذ فى البناء فبنا اولاً الباب الكبير الغربى وهو باب الفخارين القدماء ويعرف الان بباب الشماعين وكان يجلس على بنايه

بنفسه فحسنه فى طوله وارتفاعه وعرضه واتّساعه وركب عليه ابواب عظيمة وحسن قواعده حتى لا يمكن ان يصنع مثله وصنع على ظاهر الباب من داخل المسجد قبّة فيها مكتوب صنعت هذا الباب والقبّة وكملت بالبناء والتركيب فى شهر ذى حجّة سنة ثمان وعشرين وخمس مائة، ولما حفر اساس هذا الباب وُجِدَ تحت رتاج المصراع الذى عن يسار الداخل فى الباب المذكور حيث هى الدكانة الان عين ماء مغبوّ عليها تربيع شبه الصهريج طوله ثمانية اشبار وعرضه كذلك والبناء عليه مغبوّ لا يعلم احد كم له من السنين فخيل لهم انه كنز مدفون فهدم الاقباء فلم يجدوا غير صهريج يندفق بماء معين وفيه سلحفا قد ملات الصهريج باسره من اوّله الى اخره فلما ارادوا اخراجها منه فلم يستطيعوا ذلك فاستشار القاضى ابن داوود الفقهاء فى امره فاجتمع امرُهم ان يترك فى موضعه ويعاد عليه الاقباء كما كان فسبحان الله العظيم القايم برزقه الخالق لما يشاء لا اله الا هو اليه المصير فبنا عليه موضعه واعاد عليه الاساس وطبع الباب وجُعِلَتْ قواعده من نحاس احمر قاله ابو القاسم بن جنون، قال المؤلف للكتاب رايتُ تقييدا بخطّ الحاجّ الفقيه الصالح ابى الحسن بن محمّد بن فرون الازدىّ ان الاقباء المذكورة انما وجدتْ فى موضع رتاج المصراع الذى على يمين الداخل من ناحية القرسطون ولم يزل الباب الكبير على ما بناه القاضى ابو عبد الله بن داوود الى ان احترق السوق فى ليلة اربع وعشرين من شهر جمادى الاخرة من سنة احدى وسبعين وخمس مائة طلع حريق النار من سوق باب السلسلة حتى وصل الى باب المذكور فاحترقت القبّة التى كانت امامه فى الخشب واحرق اكثر الباب فجددت الباب والقبّة على يد السيد ابى حفص بن امير المسلمين يوسف بن علىّ بن عبد المومن بن علىّ وبامره وذلك فى شهر جمادى الاخرة سنة ستّ مائة وكان الناظر فى بنايها ابو الحسن بن محمّد الازرق العطّار والانفاق فيها من بيت مال المسلمين على يد القاضى ابى يعقوب بن عبد الحقّ، وتوفّى القاضى الفقيه ابو عبد الله بن داوود فولى القضا مكانه الفقيه المبارك عبد الحقّ بن عبد الله بن معيشة فحذا حذوَه واقتفا اثره فى ذلك وجمع اهل البنا والنظر السديد وكان من نظره ان يجعل محراب القرويين على عين قرقاف فلم يمكنه ذلك لاجل ديار الفقيه ابى علىّ بن ابى الحسن التى تعترضت له فى طريقه فكان الذى اجمع رايهم عليه من الزيادة ثلاث بلاطات ومحراب ومنبر وزاد فيه من ناحية الغرب البلاط المرتفع على ارض المذكور من القبلة الى الجوف وزاد فيه من ناحية المشرق بلاطَيْن من القبلة الى المزدرع بنى ذلك كلّه بترابه الذى

خرج

خرج منه ولم يُدْخِلْ فى بنائه من تراب الكهوف والمقاطع التى يبنى الناس منها شيأ وكذلك الكذّان الذى بنى به انما قطع منه لانه حفر فى وسط البلاط الثانى من القبلة حفيرا يظهر فيه كهف بعيد المراخى لا يظهر قعره فكان الفعلة يقطعون الكذّان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤسهم للبنائين فيبنون به ولم يصرفوا فى بنائه ماءً حاشى ماء البير الذى فى الصحن كلّ ذلك تحريا من الشبهات الّا يدخلها وتانّق فى بنائه غاية وتحفّظ وراء من نظره السديد ان يجعل الابواب كلّها مغشيا بالنحاس الاصفر ويبدلها مما هى عليه ويعمل امام كلّ باب قبّة ويزيد فى سعته وكماله ويبدل الصومعة فشرع فى بناء المحراب والقبّة التى عليه منقوشين بالذهب والازورد واصناف الاصبغة فتمّ ذلك على غاية الجمال والكمال وكان يبهت الناظر اليه من حسنه ويشغل المصلّى ، فلما دخل الموحّدون المدينة وذلك يوم الخميس الخامس عشر ربيع الاخر سنة اربعين وخمس مائة خاف فقهاء المدينة واشياخها ان يستنقد الموحّدون عليهم ذلك النقش والزخرف الذى فوق المحراب لانهم قاموا بالتقشّف والناموس فقيل لهم ان امير المومنين عبد المومن بن علىّ يدخل غدا المدينة مع اشياخ الموحّدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين فخافوا لذلك فاتى الحماميون الجامعَ تلك الليلة فنصبوا على ذلك النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالكاغيد ثم لبّسوا عليه بالجصّ وغسل عليه بالبياض وذلك فنقصت تلك النقوش كلّها وصارت بياضا ، وصنع المنبر الذى به الان من الابنوس والصندل والعاج والنارنج والعناب واصناف الخشب العظيم وكان الذى عمله عليه واحتنه الشيخ الاديب ابو يحيى العتاد عمر عُمْرًا طويلا حتى نيف على المائة وكان اماما فى اللغة والشعر فغشى منها ثلاثة وجاءته العزلة فعُزل والمنبر والبناء باب الجنائز وصحنه كلّ ذلك على ان يتمّ ، فولى بعده قضاء المدينة المذكورة الفقيه الحافظ العالم المشاور ابو مروان عبد الملك بن بيضا القيسىّ فتمّ ذلك كلّه على ما بداه ابو محمّد عبد الحقّ بن معيشة حاشى نقشه باقى الابواب بالصُفْر وابدال الصومعة فانه لم يبقَ فى ذلك شيأ ووقف فيه حيث انتهى ابن معيشة وكان الفراغ من هذه الزيادة المذكورة وحجرة الجامع وباب الجنائز والمنبر فى شهر شعبان المكرّم سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة ، واوّل خاطب خطب عليه الشيخ الصالح ابو محمّد مهدى بن عيسى وكان من افصح الناس واكثرهم قريحة كان يخطب كلّ جمعة خطبة لا تشبه الاخرى فلما دخل الموحّدون المدينة بُدِّلَتْ احوال باحوال ورجال برجال وبدل الخطباء والأيمة بجميع البلاد فكان لا يؤمّ ولا يخطب الا من يحفظ التوحيد

باللسان البربرى، واما الصحن بالجامع المكرم فعمل وفرش فى ايام الفقيه القاضى ابى عبد الله بن داوود وكان الذى تولى فرشه وبناءه صخر البناء وكان من اعرف الناس بالبناء والنجارة وكان قد فرشه غيره قبله فلم يرض عمله ولم يكمل فاحضره العريف ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الخولانى واشترط على نفسه ألّا يبقى فيه تحضيب ولا رقدة وانه ان صب اعلاه قلة ماء انحدرت فى اسفله مجموعة لا ينقص منها شى لشدة اعتداله فكان رحمه الله باع اربعة من الديار اصولا موروثة عن ابيه وصنع باثمانها أجرا اشبه البجماط نصف اجرة الطول وصنع الجيار فبناه العريف المذكور بماله وبيده هو وصخر بن مسعود حتى كمل عمله واتقانه ولم ياخذ عليه شيئا الا ابتغاء ثواب الله تعالى نفعهما الله بنيتيهما، وكان جملة ما دخله من الاجر لفرشه اربعة واربعون الف اجرة لان طول الصحن احد عشر قوسا فى القوس الواحد من القبلة الى الجوف عشرون صفا فى كل صف مائتى اجرة فيتحصل فى كل قوس اربعة الف اجرة فجملة ما يتحصل فى احد عشر قوسا اربع واربعون الف اجرة وحوله تلرد ديار فيه ثمانية الف اجرة فيجتمع فى الجميع كله اثنان وخمسين الف اجرة دون شك ولا ريب، وكان فراش الصحن وبناء الباب الكبير المقابل القرسطون على يد القاضى بن داوود المذكور فى سنة ست وعشرين وخمس مائة، ولما تم الصحن بالفرش والبناء امر الفقيه القاضى فصنع بكاكير وشرايط غليظة وقلاع من شقاق الكتان مبطنة بالمغيرة على قدر الصحن وما يظله فكان اذا اتى زمان الصيف واشتد الحر شدت البكاكير وجبدت الشرايط فيرتفع القلاع فى الهوى على الصحن كله فيستظل الناس تحته من حر الشمس ويكونون فى الظل وجعل فى القلاع ابوابا للرياح تدخل منها لئلا يُهلك الناس الغمّ والحرُّ فلم يزل القلاع ينصب فى زمان الصيف فيستظل به الناس فى زمان الحر كله حتى تمزق بطول السنين ومر الايام والليالى فلم يقدر احد ان يعمل مثله، واما الخصة والبيلة التى بالصحن فعملت فى سنة تسع وتسعين وخمس مائة على يد ابى عمران موسى بن حسن بن ابى شامة وهو صانعها وكان من اهل الهندسة والمعرفة بالبناء وكان الذى انفق فيها ماله الفقيه المبارك ابو الحسن السجلماسى نفعنا الله بقصده وكان من اهل الدين واليسار والايثار كان يتصدق كل يوم بعشرة دنانير من صُلب ماله وربحه ولما شرع فى عملها اخرج من المعدة الكبيرة قادوس من رصاص فشق به فى الصحن حتى وصل الى البيلة والخصة المذكورتين وهى بيلة من رخام ابيض لم ير مثلُها لحسنها وصفايها وشدة بياضها وطولها وغيبها عشرون ثقبا من جهة اليمين وعشرون ثقبا من جهة الشمال

وينصب

وينصبّ الماء الى البيلة من انابيب خمسة فاذا امتلات انحدر الماء فى الاربعين تقبا التى على اليمين والشمال فيصير الى الخصة وهى خصة من نحاس احمر مموه بالذهب قامت على ساق من نحاس مموه منقوش طوله خمسة اشبار من الارض وقسم الساق بنصفين يصعد الماء من النصف الواحد فيفور فى وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة انابيب فيملا الخصة ثم يغور فى اثقاب بجوانب الخصة لانها بطانتين ثم ينحدر من النصف الثانى من العمود المذكور فلا تزال البيلة والخصة مملونان بالماء يجريان ولا يسيل على الارض منها قطرة واحدة والناس يشربون منها وينتفعون بمايها وصنع حول الخصة اكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دايرة يشرب بها الناس منها وفوق البيلة شبك من رخام ابيض غاية فى الزمان وتحته كتاب منقوش فى حجر احمر بسم الله الرحمان الرحيم صلّى الله على محمّد وان من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار وان منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون كملت فى جمادى الاخرة سنة تسع وتسعين وخمس مائة ويصير فضل ماء الخصة والبيلة المذكورتين الى حياضى عين فرقف فينتفع به هنالك فى البيوت والسقاية ثم يصير الى دار الصنّاع وهنالك يغور وتتمّ منفعته، واما العنزة التى يُصلّى اليها فى زمان المصيف فحدثت القديمة من خشب الارز الواحا ساذجة فى اعلايها كتاب صُنِعَتْ هذه العنزة فى شهر شعبان المكرّم من سنة اربع وعشرين وخمس مائة واما العنزة التى بها الان فصنعها الفقيه الخطيب قاضى الجماعة وخطيبها ابو عبد الله بن ابى الصبر ايام ولايته القضاء بمدينة فاس وانفق فيها من مال احباس وابتدا فيها بالعمل فى اوّل شهر ذى قعدة عام سبعة وثمانين وستّ مائة وفرغ من عملها وركب فى موضعها فى يوم السبت خامس يوم من شهر ربيع الاوّل عام تسعة وثمانين وستّ مائة موافق الثامن عشر لشهر مرس بالعجمية، وعدد سوارى الجامع المكرّم مائتا سارية واثنتان وسبعون سارية منها قديمة ومنها جديدة وعدد المسقفة منها ستّة عشر بلاطا من القبلة الى الجوف ومن المغرب الى الشرق وتربيع لا اعوجاج فيه من كلّ الجهات يحمل كلّ بلاط منها اربعة صفوف فى الصفّ الواحد من الناس مائتان واثنا عشرة رجلا لان فى كلّ بلاط احدى وعشرين قوسا يجلس فى كلّ قوس عشرة من الرجال فيكمل من العدد فى كلّ بلاط ثمان مائة واربعون رجلا لا شكّ فيها ولا ريب وعدد البلاطات ستّة عشر بلاطا فيجتمل فيها جميعها من عدد الرجال ثلاثة عشر الف رجل واربعة واربعون رجلا بلا شكّ ولا ريب وكسر ما بين السوارى منه فوجد يحمل خمس مائة وستّون رجلا فيجتمل من العدد اربعة

عشر الفا وكسر الصحن فوجد يحمل الفين وسبع مائة رجل، وحجر الجامع يصلّى فيها صفوف من الناس غير معتدلة فصحّح العدد بالف وخمس مائة رجل وحول الجامع رحاب واسواق يصلّى فيها الناس يوم الجمعة كسرت باربعة الاف رجل وخمس مائة رجل فيجمل فيها من عدد المصلّين يوم الجمعة اثنان وعشرون الفا وسبع مائة تنقص قليلا وتزيد قليلا والامام واحد وذلك في سنين الرخاء والعمارة، وعدد القرمود الذي في سقف الجامع المكرّم اربع مائة الف قرمودة وسبعة وستّون الف قرمودة وثلاث مائة قرمود، وعدد ابوابه خمسة عشر بابا كبيرة لدخول الرجال وبابان صغيران للنساء لا يدخل عليها رجل الابواب القديمة منها ابواب الشرق وابواب الغربي وابواب القبلة والجوف محدثة وءاخر ما احدث بها الباب الكبير المدرج الذي يلى القبلة احدثه وبناه الفقيه ابو الحسن علىّ بن محمّد بن عبد الكريم الجدوديّ ايام ولايته على فاس وصنعها باب جفات مضيفة بها ومقابلا بباب الجفات التي بجامع الاندلس وجلب اليها الماء من عيون ابن الصادى المعروفة الان بعيون الكوازين فاتى بالماء حتى وصل به الى رحبة الزبيب فصنع هنالك سقاية واجرى بها من ذلك الماء ثم سار به حتى وصل به الى الباب المذكور وكان فتح هذا الباب وبناه وجلب مادة في سنة تسع وثمانين وستّ مائة وكان فتح هذا المذكور من غير استيذان ولا موامرة لامير المسلمين ابى يعقوب بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضى عنهم فلما عرف امير المسلمين بفتحه الباب قبلة الجامع المذكور انكر ذلك عليه وقبح فعله ونكبه بسببه اذا احدث بالجامع المذكور ما لم تدع اليه ضرورة ولم يستاذنه فيه فامر في الباب فسُدّ، واما الثرية الكبرى فصنعت في ايام الصالح الخطيب الوارع ابى محمّد عبد الله بن موسى المعلّم وهو الذي اجتهد في عملها وكان قبلها في موضعها ثرية مثلها في الجرم ولاكنها تخلقت بطول الدهر فتكسّرت فهبطت ونقضت وسبكت وزيد عليها نحاس مثلها واستاجر الصنّاع على عملها فقامت بسبع مائة دينار وسبعة عشر دنانيرا ودرهمَيْن ونصف درهم، وعدد قناديلها خمس مائة قنديل وتسعة قناديل وزنتها سبعة عشر قنطار ونصف قنطار وثلاثة عشر رطلا من نحاس والذي يحمل قناديلها من الزيت قنطارا واحدا وسبع قلال، وعدد قناديل الجامع كلّها اذا وقدت الف قنديل واحد وسبعمائة قنديل يسرج فيها من الزيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان ثلاثة قناطير ونصف قنطار ولم تزل هذه الثرية الكبرى تسرج في ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصّة الى ان ولى قضاء المدينة الفقيه ابو يعقوب يوسف ابن عمران فامر باسراجها في اوّل

ليلة

لیلة من شهر رمضان الی ءاخر الشهر فلم یزل الامر علی ذلك الی ان توفّی القاضی المذكور یوم عرفة سنة سبع عشرة وستّ مائة، وفی ایامه فتح الباب بالورّاقین وعملت علیه القبّة العظیمة المقربسة بالجصّ وذلك فی سنة سبع عشرة وستّ مائة المذكورة فاقامت الثریّة الكبری تسرج بعده سنة واحدة واختلفت الاحوال وجاءت ایام المجاعة والفتن فقلّت الجبایات بالمدینة ومات اكثر الناس جوعا واقلّ الانفاق علی الجامع وعدم الزیت وكانت تُشْعَلُ فی لیلة سبع وعشرین خاصّة الی ان ولی القضی الحبوتی فامر الا یشعل منها كاسا واحدا لا فی لیلة سبع وعشرین ولا فی غیرها وقال انا لا نعبد النار وانما نعبد الله فلم یزل الامر علی ذلك الی ان ولی الفقیه الخطیب ابو عبد الله بن ابی الصبر قضاء المدینة فی سنة سبع وثمانین وستّ مائة فاستشار فی اسراجها امیر المسلمین ابا یعقوب بن امیر المسلمین ابی یوسف بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضی عنهم فنفذ امره بوقدها فی لیلة سبع وعشرین من رمضان خاصّة فدام العمل علی ذلك الی الان، واما الدّفُّ الحمرُ الذی علی ابواب القبلة حیث یخرج الی باب الجنائز فكانت لابی القاسم ابن الملجوم المعروف بابن رقیة صنعها للعُلیّة التی كانت بداره من حارّة لواتة واقامت علیه العُلیّة والابواب بمال جلیل فحسن فی بنائها فرفع عنه الی امیر المسلمین یعقوب بن یوسف بن عبد الحقّ من انه یكشف من تلك العلیة علی الدیار وعلی مسلخ حمام بنت الباز المجاور لها فینظر منها الی النسوة اذا تجردن فی مسلخ الحمام المذكور وشُهِدَ بذلك علیه عند الخلیفة فنفذ امره الی قاضی المدینة ابی محمّد التادلی بهدم العلیة وتعفیة اثرها فهدمت یوم الاربعاء ثلث یوم رجب سنة ثمان وثمانین وخمس مائة فبقیت الدفف عند ورثته فلم یرو لها احسن من تصریفها الا فی الجامع المكرّم فوهبوها لها طیبة نفوسهم بذلك وفی الدفف صنیعة مكتوبة فیها اسمه واسم الصانع الذی عملها وفی ءاخرها وكان عملها فی شهر رجب عام ثمانیة وسبعین وخمس مائة ورُكِبَتْ هذه الدفف فی القرویین فی سنة سبع عشرة وستّ مائة، واما المستودع فصنع فی ایام الفقیه الصالح ابی محمّد یشكر فحفر ارضه وركّز بالتراب والجیارات وجعل ساقة من حجارة الرخام وطبقت من الرمل والجیر وكان المتولی لبنائه الفقیه ابو القاسم بن حمید حتی تمّ وجعل له مفاتیح ثلاثة فی اوّل دفّة وثلاثة فی الباب الثانی وجعل فیه صنادیق كثیرة علیها ابلاج وثیقة ولكنه احتیل علیه ودخل جمیع ما فیه من اموال الاحباس وربعات الجامع وكتب وامانات الناس وذلك فی ایام الفقیه القاضی ابی عمران ولم یعلم من فعل ذلك، واما الحائط الشرقی منها مع ما قرب منه من المشرقة فانه عمل

من القدم واعشرف على السقوط والانكباء وذلك فى ايام المجاعة والفتن واخراب المدينة ولم يكن فى ذلك الوقت لاحد قدرة على بنايه فوهى وترك على حاله فبقى كذلك الى سنة اثنين وثمانين وستّ مائة فاستشار والى المدينة ابو عبد الله المحدودى امير المسلمين القايم بالحقّ ابا يوسف يعقوب بن عبد الحقّ فى نقضه واصلاحه فنفذ امرهم الكريم رضى الله عنهم ببنايه وبصلاح ما يحتاج اليه الجامع المكرّم وان يكون الانفاق فى ذلك من مال الجزية والاعشار اذ نفد مال الاحباس فبُنِىَ الحايط الشرقى وما ولاه من المسقفة وانفق فى ذلك مالا كثيرا، واما الحايط الجوفى فانه تخلخل ايضا بمرّ السنين عليه واشرف على السقوط فاستاذن الفقيه القاضى ابو غالب المغلى الى امير المسلمين ابى يعقوب فى بنايه فنفذ امرهم رضى الله عنهم ببنايه واصلاحه واعطاه خلخالى الذهب زنتها خمس مائة دينار ذهبا وقال له صرفه فى بناء الحايط المذكور فانهما حلال محض كان صنعهما والدى امير المسلمين لوالدتى مما افاء الله تعالى عليه من اخماس غنايم الروم ببلاد الاندلس فورثتهما عنها فلم ار لتصرفهما موضعا اوجب من هذا فعسى الله تعالى ان ينفع به الجميع فنقض الحايط من باب الجفات الى اخر بيت النساء وبقى من المال المذكور وذلك فى سنة تسع وتسعين وستّ مائة، واما السقاية الكبرى فصُنِعَت فى ايام الفقيه الامام الفاضل الزاهد الورع المبارك ابى محمّد يشكر نفعنا الله به وكان المنفق فيها الشيخ الموفّق ابو عمران موسى بن عبد الله بن سداف اتى من جبال بنى براغة بمال كثير فاستوطن مدينة فاس وكان يتبع الشيخ الفقيه ابا محمّد يشكر المذكور فذكر له يومًا انه جاء بمال طيب ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه الجامع وان المال حلال ورثه عن ابيه عن جدّه لم يتغيّر ببيع ولا بشراءٍ واصله من الحرث والماشية فامتنع الفقيه ابو محمّد يشكر ان يقبل منه شيا ويصرف منه درهما فى الجامع المذكور فالحّ عليه فى ان يعمل سقاية ودار وضوء بازاء الجامع تكون عونا للمصلّين فلم يتركه ولم يقبل منه حتى اخذ بيده وحمله الى محراب الجامع المذكور واعطى ختمة من الكتاب فاستحلفه فيها فى وسط المحراب ان ذلك المال حلال طيب من تركة والده وجدّه لم يتغيّر ببيع ولا شراء فلما حلف قال له اشرع الان فيما اردتَ من عمل الميضات والسقاية والله تعالى ينفعك بقصدك، فاشترى فندقا كان هنالك فى موضع دار الوضوء مقابلا بباب الجفات وشرع فى نقضه وبناء الميضات والسقاية فى مكانه وذلك فى غرّة صفر من سنة ستّ وسبعين وخمس مائة وكتب الشيخ الفقيه ابو محمّد يشكر الى امير المسلمين يعلمه بالامر ويستاذنه فى

جلب

جلب الماء فاذن له بظهيره وان يشقّ به حيث شاء من شوارع المدينة وطرقها فاجمع العرفاء والبنائين واهل الهندسة وامرهم ان ينظروا فى المواضع التى يمكن انبيان الماء منها فلم يجدوا اوفق من عيون دار الدبّاغين فلم يستحسنها الفقيه ابو محمّد يشكر بسبب اوساخ الدبّاغين المجاورين لها وكون الموضع كثير الازبال والشعر فتركوه ووجدوا بالغرب من ديار الدبّاغين المذكورين دار صبّاغ وبها عين عظيمة تعرف بعين حومال. فاشتراها ابو عمران موسى بن سداف المذكور فاكثر فى قيمتها اضعافا بسبب العين التى بها وهذه العين تخرج من بيت مغبو تحت الارض شبه بيت لحمام والماء يفور فيه من موضعين من كلّ موضع فوارة وخرج من حجر صلد وهى فى غاية العذوبة والطيب الا ان فيه ثقل فاحصر الماء الى قادوس يخرج منه الى صهريج ملبس بالرصاص مربع كلّ وجه منه عشرة اشبار والصهريج الى جانب البيت ثم اخرج الماء من الصهريج فى قواديس الرصاص التنورية فشقّ به فى وسط عقبة سوق الدُخان الى القرسطون فى قبلة جامع الشرفاء ثم فى سماط سوق القيسارية ثم فى سوق لخرّازين ثم فى تربيعة الغزّازين الى ان وصل المعدة التى بالموثقين وهى معدة من الرصاص فى اخر حانوت من سماط الموثقين الملتصق بالجامع وينصبّ الماء من المعدة المذكورة الى صهريج مربع من رصاص ومنه يفترق الماء الى جميع السقايات ولخصة والبيلة وباب لجفات ودار الوضوء وبيوتها وسقاية الشباك فيصبير الى كلّ موضع القدر الذى يصلح له لا يزيد ولا ينقص وفرشت بيوت دار الوضوء بالرخام وهى خمسة عشر بيتا فدخل الماء الى كلّ بيت منها على حدّة وجعل فى وسط الميضات بيلة متّسعة تشبه الصهريج وفى وسط البيلة جعبة من نحاس مموهة بالذهب فيها انابيب ينصبّ منه الماء الى الصهريج فى غاية لحسن وجعل سمك هذه الميضات قبّة كبيرة عظيمة مقربسة بالجصّ منقوشة بالازورد واصناف الاصبغة ويقابل هذه الميضات باب لجفات من لجامع المكرّم وهو باب كبير يدخل منه الى الصحن واتّساع هذا الباب اكثر من ارتفاعه فيه بيلة من رصاص بطوله تندفق فيها المياه المعينة وينصبّ منها على رخام ازرق واخضر واحمر يغسل عليها لحفات ارجلهم وساير الباب مفروش كلّه بالرخام حتى الى الصحن فرشه لخطيب ابو عبد الله محمّد بن ابى الصبر ايام ولايته القضاء بالمدينة المذكورة وكان قبل ذلك مفروشا بالاجر من جنس الصحن وبجانب باب لجفات السقاية القديمة المستطيلة التى بناها عبد الملك المظفر يتوضا منها الناس للصلاة ويسقا منها السقاون بالزقاق ويخرج بيضها الى ميزاب بخارج السقاية فيسقا منها لخدم والصبيان ✿

الخبر عن خطباء القرويين فى الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية اطالها الله وخلدها

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه كان اوّل خطيب خطب على منبر القرويين الذى صنعه القاضى ابو محمّد عبد الحقّ بن معيشة الفقيه الخطيب الصالح الورع ابو محمّد مهدى بن عيسى وكان من احسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا وافصحهم لسانا واكثرهم بيانا وكانت موعظته تؤثر فى القلوب لصدقه واخلاصه وكان يخطب فى كلّ جمعه خطبة لا تشبه الاخرى فاقام يخطب عليه مدّة من خمسة اشهر ودخل الموحدون المدينة فعزلوا ابا محمّد مهدى وقدّموا مكانه الفقيهَ الصالح المبارك ابا الحسن بن عطية لاجل حفظه اللسان البربرىّ فتقدّم ابو الحسن بن عطية لانهم كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربرىّ فتقدّم فى اوّل جمعة من شهر جمادى الاولى سنة اربعين وخمس مائة فكان يخطب بها الى ان توفّى رحمه الله فى يوم السبت الثامن من ذى قعدة سنة ثمان وخمسين وخمس مائة، ثم ولى بعده الفقيه الصالح الورع ابو محمّد يشكر بن موسى الجوراوى وهو احد اشياخ المغرب فى الدين والفضل والوَرع والزهد والمجاهدة والتقشّف والايثار والصدقات فانه كان موسرا له غنم وماشية كثيرة ببلده ورثها عن ابائه وكان يؤُمّ ولا يخطب لانه اعجمى اللسان شديد العجمة فقدّم من ينوب عنه فى الخطابة وهو الفقيه الزاهد ابو عبد الله محمّد بن حسن بن زيادة الله المزنى فلم يزل يخطب الى ان توفّى رحمه الله يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، فخطب بعده الفقيه ابو القاسم عبد الرحمان بن حُمَيْد باستخلاف الفقيه ابى محمّد يشكر له فى ذلك فاقام الفقيه ابو محمّد يشكر اماما بالقرويين اربعين سنة لم يسهُ فيها يوما واحدا فى صلاته لشدّة حضوره وتوفّى الفقيه ابو القاسم عبد الرحمان بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة احدى وثمانين وخمس مائة، فاستخلف مكانه للخطبة الفقيه الصالح الورع ابو عمران موسى المعلّم كان يقرئ الصبيان بقنطرة ابى رؤس وكان له صوت شجن حسن يبكى كلّ من يسمعه يقراء القراءن فلما وصلوه الامر بالخطبة داخلته دهشة واطلق صبيانه ثم اخذ فى البكاء ويدعوا ويقول اللاهمّ لا تفضحنى بين عبادك يا ارحم الراحمين فلما كان بكرة يوم الخميس خرج الى الرابطة التى بخارج باب ايصلين وجعل يتمشّى بين مقابر الصالحين

الصالحين ويدعوا ويبكى حتى جاء الّيل فدخل الرابطة وبات بها مع جماعة من الناس فاقام الّيل كلّه يصلّى ويتلوا القراءن ويدعوا ويبكى والناس يبكون لبكائه وخشوعه حتى اصبح فصلّى بهم صلاة الصبح ثم اخذ فى البكاء والدعآء حتى اقام الموذنون بالاذان الاول من يوم الجمعة فلبس احسن ثيابه وسار الى الجامع المكرّم والموذنون حوله فقعد فى حجرة الجامع حتى قرب الاذان فصعد المنبر والناس ينظرون اليه وهو يبكى ويرعد . حتى فرغ الموذنون من الاذان فقام فخطب ولم يتوقّف ولم يتلجلج ثم ادخل المحراب فاتى بالحكمة وفصل الخطاب وبكى وابكى من سمعه ومن كان خلفه فلما تمّت الصلاة اقبل الناس اليه يُقبّلون يده ويتبرّكون به ولم يزل خطيبا الى ان وصل الفقيه القاضى ابو عبد الله محمّد بن ميمون الهوارى فكان اوّل سواله لاهل المدينة عن خطيب القرويين فذكر له فيه خير واثنى عليه كثيرا فلما جاءت الجمعة راءه فلم تعجبه صورته واستبشعه وقال فيه قولا فقال له بعض الناس من حضر لو سمعتَ خطبته لاتجبك فلما سمع خطبته بكى وطلب منه المغفرة والدعآء وكان الفقيه ابو عمران موسى المعلّم سريع الدمعة كثير الخُشُوع الغالب على احواله الخوف فمات ابو محمّد يشكر فى اليوم الحادى والعشرين من ذى قعدة سنة ثمان وتسعين وخمس مائة فاستبدّ الفقيه ابو عمران المعلّم بالخطبة والامامة فلم يزل عليها الى ان مات فى الموفى عشرين لشهر صفر عام تسعة وتسعين وخمس مائة فكان بين وفاتيهما ثلاثة اشهر نفعنا الله بهماء فولى بعده ولده الفقيه ابو محمّد عبد الله بن موسى المعلّم وسنه يوم ولى المحراب ثمانى عشرة سنة وكان له حظّ وافر من الحسن والجمال والعلم والدين المتين والفضل والورع العظيم والصوت الحسن ولم تكن له صبوة فى شبابه ولم يزل من صغره مشتغلا بالعلم وطلبة منقطعة للعبادة ولم يدخل محراب القرويين من يوم بنى الى يومنا هذا امام شاب دون اللحية سِواه وذلك لاجتماع خلال الخير والفضل فيه واجماع الناس على فضله ودينه وورعه وكان له من حسن الخُلُق ما يطابق صورته الحسنة ولما مرض والده ابو عمران قيل له استخلف ولدك للمحراب فانه اهل له فقال لهم ان عَلِمَ الله فيه خيرا فهو يستخلفه الى خدمة بيته فلما توفّى ابو عمران وحمل الى قبره ووضع على شفيره ضجّ الناس بالبكاء وذكروا من يصلّى عليه بالناس فقال القاضى لولده تقدم فصل على ابيك فقام وكبّر وصلّى على ابيه وانصرف الناس فقدم فى موضع ابيه للامامة فكان يصلّى بالناس فلما جاءت الجمعة لبس ثياب ابيه التى كان يخطب بها واعطاه ابو مروان بن حيون بُرنُسا ابيض فطلع به المنبر فاتى بالحكمة فى خطبته وقراءته واستحسنه الناس

وكان صيتا كثير الخشوع والبكاء ولما اتى امير المومنين ابو عبد الله الناصر الى مدينة فاس بعث اليه ان يَصِلَهُ ليراه فطلع اليه فى ضحى يوم الاثنين فدخل عنده الى قصره الذى على وادى فاس فاجتمع به وسلّم عليه وبقى يحادثه ويستحسن كلامه والفاظه الى ان حان وقت صلاة الظهر فقال له قُمْ فصل بنا ففعل فقال مَنْ تركتَ فى موضعك فقال تركت فيه من هو خير منّى وهو معلّمى الذى قراتُ عليه كتاب الله العزيز لما وصلنى رسولك تحيرتُ فى امر لخراب والصلاة بالناس وقلت لا اعلم متى يكون رجوعى فمررت بمعلّمى الذى هو سيدى مولاى لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من علّمك اية من كتاب الله تعالى فاعلمته القضية واستخلفته فى مكانى فقال له الناصر جزاك الله خيرا ثم امره بالانصراف واتبعه مملوكا بسبعة ثياب وخريطة فيها الف دينار فرجع الى امير المومنين فشكره ودعا له وقال له يا امير المومنين اما الثياب فقبلتُها واما الدراهم فلا حاجة لى بها فانى رجل نسّاج انعيّش من نسج يدى فقال له تستعين بها وتصرّفها فيما يصلح لك فقال له يا امير المومنين لا تفتح على هذا البيت واعفنى مِنْ اخذها فانت احقّ بها منّى تفرّقها فى الاجناد والغزات وتصرّفها فى مصالح المسلمين وسدّ ثغورهم فانصرف ولم ياخذ منها شيا؛ ولم يزل اماما وخطيبا الى ان توفّى رحمه الله يوم الاحد لحادى عشر من رجب الفرد عام احد عشر وستّ مائة وكان قد استخلف فى موضعه الفقيه ابا محمّد قاسم القصاعىّ معلّمه الكتاب الله العزيز فلما توفّى اقام ابو محمّد القصاعىّ يؤمّ ويخطب عوضا منه فانتقد عليه وطعن فيه بعض الفقهاء والاشياخ وقالوا انه يبعث الصبيان الى النفايس فكتب الفقيه ابو محمّد بن نميرىّ الى امير المومنين بخبره فقال لهم ان الذى قدّمه الى الصلاة اقرّ بين يدى انه خير منه فاتركوه على حاله فحينئذ ترك الفقيه ابو محمّد قاسم القصاعىّ المكتب واعتكف فى الجامع وسكن الدار لمحبسة على الايمة الى ان توفّى رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة خمس عشرة وستّ مائة؛ فخطب بعده الفقيه الصالح ابو عبد الله محمّد بن عبد الرحمان السقفىّ وكان من اهل العلم والدين والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة بالاوقات والنجوم وفى مدّة امامته جاء الفقيه المؤذن ابو الحجّاج يوسف بن محمّد بن علىّ السَقَطىّ من قصر كتامة وكان له صوت حسن فى الاذان والقراءة ومعرفة بالاوقات فامر الفقيه القاضى ابو يعقوب يوسف بن عمران للخطيب ابا عبد الله الشِلْبىّ ان يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهد بذلك ويترتسم فى زمام الخطباء فتمارض الشِلْبىّ وخطب فى موضعه وكان يخطب بجامع القصبة اذا مرض خطيبه وتوفّى الفقيه ابو عبد

الله

الله الشِلْبيّ فى سنة تسع وعشرين وستّ مائة، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع المبارك المجاب الدعوة الحاجّ الخطيب الى ان توفّى فى سنة خمس وثلاثين وستّ مائة، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع ابو محمّد عبد الغفّار نحو ستّة اشهر وتاخر، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المبارك ابو الحسن علىّ بن الحاجّ الى ان توفّى فى سنة ثلاث وخمسين وستّ مائة فولى بعده الشيخ الامام العالم المجتهد المشاور الصالح الورع ابو عبد الله محمّد بن الشيخ الحاجّ الصالح المبارك المبرور ابى الحجّاج يوسف بن المزدغىّ نفعنا الله به فقدّم ولده الفقيه الصالح الزاهد الورع المبارك ابا القاسم للخطابة وبقى هو للامامة، ولما دعى للامامة استرجع ثلاث مرّات فقيل له فى ذلك فقال اخبرنى الشيخ الحافظ الصالح المحدّث ابو ذر الخُشَنىّ وانا اروى عليه كتاب الاحكام يوم توفّى الامام ابو محمّد بن موسى المعلّم وولى القضاعىّ نظر الىّ مليًّا ثم قال لى يا محمّد انك تلى امر الصلاة بالناس فى جامع القرويين وذلك فى ءاخر عُمرك فلما دُعيتُ للامامة تذكرتُ مقالة الشيخ وعلمتُ ان اجلى قد قرب فاسترجعت فقام الفقيه ابو عبد الله المزدغىّ اماما وولده ابو القاسم خطيبا الى ان توفّى الامام ابو عبد الله المذكور فولى الامامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع ابو الحسن علىّ بن تميد ثم توفّى الفقيه الخطيب ابو القاسم المزدغىّ المذكور فولى الخطابة مكانه الفقيه ابو عبد الله محمّد بن زيادة الله المزنىّ الى ان توفّى وتوفّى الامام ابو الحسن بن تميد المذكور فقدّم الفقهاء المدينة واشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك قارى الكتاب بالجامع المذكور ابا العبّاس احمد بن ابى زرع اماما والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل ابا القاسم بن مَشُونةَ خطيبا مدّة من سبعين يوما فوصل ظهير كريم من قبل امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور ابى عبد الله محمّد بن ابى الصبر ايّوب اماما وخطيبا فلم يزل كذلك الى ان توفّى رحمه الله فى سنة اربع وتسعين وستّ مائة فقدّم امير المسلمين ابو يوسف بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضى عنهم بعده للامامة الشيخ الفقيه المحدّث الورع ابا العبّاس بن الفقيه العالم المرحوم ابى عبد الله بن راشد امام عصره فى علوم الاصول والاعتقادات وقدّم ايضا للخطبة الفقيه المحدّث الصالح الفاضل المبارك ابا الحسن بن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم ابى القاسم المزدغىّ فبقى ابو العبّاس ابن راشد اماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة اعوام ثم أخر واستبدّ الفقيه ابو الحسن المزدغىّ بالامامة والخطبة الى ان كبرتْ سنّه وضعف عن الخطابة

فقدّم للخطابة ولده الفقيه الفاضل الصالح المبارك ابا الفضل ابقى الله بركتهم بمنّه وفضله انه كريم مجيب ۞

واما جامع عدوة الاندلس فلم يزل على ما بُنِيَ عليه اوّلا لم يزد فيه احد زيادة الى سنة ستّ مائة فامر امير المومنين ابو عبد الله الناصر ببنائه واصلاحه وتجديد ما تهدم منه وامر بفتح الباب الكبير الجوفىّ المدرج الذى بصحنه وجعل باسفله ببيلة من رخام احمر وامر بعمل السقاية والميضات وجلب الماء الى ذلك كلّه من خارج باب الحديد من ابواب المدينة المذكورة، واما الخصة والبيلة التى بالصحن فامر بعملها السيد ابو زكرياء يحيى بجل الخلفاء وانفق فيها من ماله على يد صانعها الى شامة الجيّاس فلم يزل الجامع على ذلك الى سنة خمس وتسعين وستّ مائة فاعتلّ كثير منه فعرف خطيبه وامامه الشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل المبارك ابو عبد الله بن منشونة الى امير المسلمين ابى يعقوب بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ رحمهم الله ورضى عنهم فنفذ امره باصلاحه فأُصْلِحَ وجدد فيه كثير منه من مال الاحباس ولم تزل الخصة والبيلة والسقاية والميضات بماء العين المجلوب من خارج باب الحديد الى ان خرب ذلك فى سنى المجاعة ودُرِسَتْ اثاره فجلب البيا عوضا منه ماء نهر مصمودة فلم يزل ماء النهر المذكور الى ان ولى امير المسلمين ابو ثابت عامر بن الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ رحمه الله فردّ ماء العين الذى كان جلبه الناصر الموحّد الى الجامع فدثر فجدّدَ واتبع اثره فجلب حتى وصل الى الجامع وجرى فى الخصة والبيلة والسقايات كما كان وكان المتولىّ لبنائه والنظر فيه العريف ابو العبّاس احمد الجيانىّ والانفاق فى ذلك من بيت المال وذلك فى سنة سبع وسبع مائة ۞

رجع الخبر الى ايام الادارسة، ولما توفّى الامير يحيى بن محمّد بن ادريس الذى بنى القرويين فى ايامه ولى بعده ولده يحيى بن يحيى بن محمّد بن ادريس فاساء السيرة ودخل على جارية من بنات يهود فى الحمام اسمها حنّة وكانت من اجمل نساء عصرها فراودها على نفسها فاستغاثت فبادر اليه الناس منكرين لفعله وتغيّروا عليه اهل المدينة فبادر اليه عبد الرحمان بن ابى سهل الجذامىّ فلما رات زوجة يحيى الحسنىّ وهى عاتكة بنت علىّ بن عمر بن ادريس ان زوجها يحيى بادر اليه العامّة مع عبد الرحمان بن ابى سهل ليقتلوه امرته بالفرار ففرّ امامهم من عدوة القرويين الى عدوة الاندلس فات بها

من

من ليلته فَعَقَةً وندامةً لِمَا صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة فقام بامر المدينة بعده عبد الرحمان بن ابى سهل فلما علمت عاتكة ان زوجها قد مات وران عبد الرحمان بن ابى سهل قد ثار بالمدينة فكتبت الى ابيها علىّ بن عمر بن ادريس تُعْلِمُهُ بصنع زوجها يحيى وموته وثورة عبد الرحمان بن ابى سهل بالمدينة بعده وكان والدها علىّ بن عمر بن ادريس صاحب بلاد صنهاجه وغمارة فلما وصله الكتاب. جمع جيوشه وحَشَمَه وقصد الى مدينة فاس فدخل عدوة القرويين على عبد الرحمان بن ابى سهل الثائر بها فبايعه اهل المدينتين القرويين والاندلس وخطب له على جميع منابر اعمال المغرب وانتقل الامر من بنى محمّد الى بنى عمّهم عمر بن ادريس الحسنىّ ﴿

الخبر عن دولة الامير على بن عمر بن ادريس الحسنى بمدينة فاس واعمال المغرب

هو الامير علىّ بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم بويع له بمدينة فاس وساير اعمال المغرب بعد وفاة ابن عمّه يحيى بن يحيى بن محمّد بن ادريس الحسنىّ واستقام له الامر الى ان خرج عليه عبد الرزّاق الفهرىّ الخارجىّ وكان من اهل رشقة من بلاد الاندلس قام بجبال وبلان من اعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها فاتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيانة وغيرهم فبنا قلعة منيعة بجبل سلا باحواز بلاد مديونة وسمّاها رشقة باسم بلده وهى باقية فى تلك الناحية حتى الان ثم قصد الى قرية صفروا فدخلها وبايعه كافّة البربر الصفرية فرجع بهم الى مدينة فاس فخرج اليه الامير علىّ بن عمر بن ادريس فى عسكر عظيم فكانت بينهم حرب عظيمة كان الظفر فيها لعبد الرزّاق الخارجىّ فهزم علىّ بن عمر وقُتِل خلق كثير من جنده وفرّ علىّ بنفسه الى بلاد اوربة ودخل عبد الرزّاق مدينة فاس فملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع منه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالمِقْدَام فوصل اليهم فبايعوه وولّوه على انفسهم وقاتل عبد الرزّاق الخارجىّ حتى هزمه واخرجه عن عدوة الاندلس فدخلها وبايعه اهلها وجميع من بها من الاندلس الذين نزلوا بها من الربضيين فاستعمل الاميرُ يحيى بن القاسم على عدوة الاندلس ثعلبةَ بن محارب بن عبد الله من اهل

الرفض من شدونة فلم يزل واليا عليها الى ان توفّى فقدّم الامير يحيى مكانه ولده عبد الله المعروف بعبّود ثم توفّى فولى بعده ولده محارب بن عبّود بن ثعلبة وهو من الازد من ولد المهلب بن ابى صفرة ۞

الخبر عن دولة الامير يحيى بن القاسم بن ادريس الحسنى المعروف بالمقدام

بويع له بمدينة فاس بعد هروب ابن عمّه علىّ بن عمر عنها وقتل عبد الرزّاق الخارجىّ حتى اخرجه عن عدوة الاندلس واستعمل عليها عامله ثعلبة بن محارب وخرج الى قتال الصفرية فكانت له معهم حرب عظيمة ووقايعُ كثيرة ولم يزل يحيى بن القاسم ملكا على فاس واعمالها الى ان جاء لقتله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين فولى مكانه حفيد عمّه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس۞

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسنى

قام يحيى هذا بعد قتل ابن عمّه المقْدام يحيى بن القاسم بن ادريس فبايعه اهل مدينتَىْ فاس القرويين والاندلس وخطب له بهما وعاد الامرُ الى بنى عمر بن ادريس فملك الامير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس جميع اعمال المغرب وخطب له على ساير منابره وكان يحيى هذا اعلى بنى ادريس قدرا وصيتا واطيبهم ذكرا وافواهم سلطانا واوسعهم ملكا واكثرهم عدلا واغزرهم كرما وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحةٍ وبيانٍ ولسانٍ ومع ذلك بطلا شجاعا حازما ذا صلاحٍ ودينٍ وورعٍ لم يبلغ احد من الادارسة مبلغَه ولم يزل على مملكة المغرب الى ان قدم اليه مصالة بن حبوس المكناسىّ قايد عبيد الله الشيعىّ القايم بافريقيّة وذلك فى سنة خمس وثلاث مائة فخرج يحيى بن ادريس مدافعا لمصالة المذكور فهزمه مصالة ودخل يحيى مدينة فاس مهزوما فتحصّن بها منه فحاصره مصالة مدّة الى ان صالحه يحيى بمال وكتب بالبيعة لعبيد الله الشيعىّ صاحب افريقيّة وارتحل مصالة راجعا الى القيروان وكان موسىَ بن ابى العافية صاحب تسول وبلاد تازا قد خَدَمَ القايد مصالة وهاداه وتقرّب اليه بالاحسان وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب فلما انصرفُ مصالة الى القيروان قدّمه على المغرب واختصّه من بين ساير امرآئه فكان موسى بن ابى العافية كلّما اراد

الظهور

الظهور بالمغرب والاستبداد فيه عمه يحيى بن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله وقطع به على كلّ ما يريد فكان على قلبه منه حِمْلًا ثقيلًا فلمّا قدم مصالة المغرب فى كرّته الثانية وذلك فى سنة تسع وثلاث مائة سعى موسى بن ابى العافية بيحيى ابن ادريس عنده حتى وغر صدره عليه فعزم مصالة على القبض عليه فلمّا قرب من مدينة فاس خرج اليه الامير يحيى بن ادريس ليسلّم عليه فى قوم من وجوه عسكره فقبض عليهم مصالة وقيّد يحيى بالحديد ودخل مصالة مدينة فاس ويحيى ابن ادريس بين يديه مقيّدا على جمل فعذّبه بانواع من العذاب حتى اخرج اليه جميع امواله وذخائره فلما قبض مصالة الاموال اطلقه ونفاه الى ناحية مدينة اصيلا وقد اساءت حاله وانفضّ جَمْعُه فاقام بمدينة اصيلا مع بنى عمّه مدّة فاعطوه مالاً ووصلوه وعملوا له ما يقوم به فلم يرضَ بذلك فارتحل عنهما يريد افريقيّة فقبض عليه فى طريقه موسى بن ابى العافية المكناسىّ فسجنه سجنا طويلا بمدينة مكناسة ثم اطلقه وكان ابوه ادريس بن عمر بن ادريس دعا عليه ان يُميته الله جوعًا فى ارض غربة فخرج يحيى من سجن ابن ابى العافية الى افريقيّة وهو فى ذلّة وفقر وضيقة فانه قام فى سجن ابن ابى العافية نحو من العشرين سنة فوصل المهدية وهو على تلك الحال فوافق فيها فتنة ابى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الشيعىّ وحصاره للمهدية فمات بها جوعًا فى غربة وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة ولمّا قبض مصالة على يحيى بن ادريس وثقفه قدّم على مدينة فاس ريحان المكناسىّ ورجع الى افريقيّة فاقام ريحان المكناسىّ عاملا على مدينة فاس واحوازها مدّة من ثلاثة اعوام الى ان قام عليه بها الحسن بن محمّد بن القاسم بن ادريس الحسنىّ فاخرجه عنها ۞

الخبر عن دولة الامير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى المعروف بالحجّام

هو الامير الحسن بن محمّد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ رضى الله عنهم ويلقّب بالحجّام وعرف بذلك لانه كانت بينه وبين عمّه احمد بن القاسم حرب شديدة حمل فيها الحسن على فارس من جند عمّه فطعنه بالمحاجم ثم فعل ذلك بثانٍ وبثالث كلّ ذلك لا يطعنهم الّا فى موضع المحاجم فقال عمّه احمد انّما ابن اخى حجّام فلزمه ذلك الاسم فعرف به وفى ذلك يقول بعضهم

وسُمِّيتَ حجّامًا ولستَ بحاجمٍ ... ولكنْ للنّعْن في مكانٍ لحاجمِ

دخل مدينة فاس في خفية مع بعض رجال فقام بها وذلك في سنة عشرة وثلاث مائة فبايعه اهلها وخفي عنها عاملها ريحان المكناسيّ وبايعه اكثر قبايل البربر وملك مدينة لواتة وصفروا ومدينة مديونة ومدايين مكناسة ومدينة البصرة واستقام امره بالمغرب وفي سنة احدى عشرة وثلاث مائة خرج الامير الحسن المعروف بالحجّام الى قتل موسى بن ابى العافية فالتقى معه بفحص الزاد على مغربة من وادى المطاحن فاوقع فيه الحسن الحجّام وقعة عظيمة لم يقع في دولة الادارسة مثلها قتل بها من عسكر ابى العافية الفين وثلاث مائة رجل منهم ولده سهل بن موسى ومات من عسكر الحسن بن محمّد نحو الستّ مائة رجل فرجع الحسن الى مدينة فاس فترك عسكره بخارج المدينة ودخل وحده منفردًا دون جيش فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان الهمدانيّ الاوربيّ من قرى افريقيّة دخل عليه ليلا في داره فقيّده وحبسه عنده وغلق ابواب المدينة في وجه العسكر ثم ارسل الى موسى بن ابى العافية يخبره بصنيعه ويامره بالقدوم عليه ليمكنه من المدينة فسارع نحوه فادخله عدوة القرويّين ثم قتل عدوة الاندلس حتى غلب عليها فلمّا ملك مدينة فاس قال لحامد بن حمدان مكّني من الحسن الحجّام اقتله بولدى [منها] فدافعه حامد في ذلك وسوّفه وكره المجاهرة في سفك دماء اهل البيت فلمّا جنّ الليل سار حامد بن حمدان الى الحسن الحجّام فازال عنه قيْده وادلاه من صور المدينة دون حبل فسقط وانكسرت ساقه فجاز الى عدوة الاندلس فمات بها مستخفيا الى ثلاثة ايام من تلك الليلة فاراد ابن العافية قتل حامد ابن حمدان الذى مكّنه من البلد حين اطلق الحسن الحجّام ففرّ حامد منه الى المهديّة فكانت دولة الحسن الحجّام بفاس نحو عامَيْن ۞

الخبر عن دولة موسى بن ابى العافية بفاس وكثير من اعمال المغرب

هو الامير موسى بن ابى العافية بن ابى باسل بن ابى الضحّاك بن مجزول بن تامريس بن فراديس بن ونيف بن مكناس بن ورسطيف المكناسيّ امير مكناسة كلّها ملك مدينتى فاس في سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة وملك بلاد تازا وتسول ونُكّاتى ومدينة طنجة والبصرة وكثيرا من اعمال المغرب فلمّا ملك فاس وبايعه اهلها واستقام امره بها التجّ على

حامد

حامد بن حمدان فى قتل الحسن الحجّام فكره ذلك حامد وندم على ما كان منه من الغدر وجعل يسوّفه الى ان اكثر عليه فى الطلب ففعل بالحسن ما ذكرناه اوّلا واستولى ابن ابى العافية على جميع بلاد المغرب وبايعه القبايل والاشياخ فاجلا جميع الادارسة عن بلادهم واخرجهم عن ديارهم وملك مدينة اصيلا ومدينة شالة وغيرها من بلادهم وساروا باجمعهم الى قلعة حجر النسر مقهورين مغلوبين فانحصروا بها وهى حصن منيع بناه محمّد بن ابراهيم بن القسم بن ادريس طلع فى عنان السحاب فنزل عليهم ابن ابى العافية واشتدّ عليهم الحصارُ واراد استيصالهم وقطْعَ دابرهم فعذله على ذلك رؤساء المغرب واكابرُ اهل دولته وقالوا له اتريد ان تقطع دابرَ اهل البيت من المغرب وتقتلهم اجمعين هذا شى لا نوافقك عليه ولا نتركك له فاستحيا لذلك وارتحل عنهم الى مدينة فاس وخلّف عليهم قائده ابا الفتح التسولىّ فى الف فارس يمنعهم من التصرّف وذلك فى سنة سبع عشرة وثلاث مائة فاقام موسى بن ابى العافيه بمدينة فاس الى ان قدم المغرب حميد بن سُبَيْل قائد عبيد الله الشيعىّ من المهدية فى جيش عظيم ومعه حامد بن حمدان الهمدانىّ وذلك فى سنة عشرين وثلاث مائة وسبب قدومه انّ ابن ابى العافيه لمّا ارتحل عن قلعة النسر سار الى مدينة فاس فاقام بها ايامًا وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبّود وولّى مكانه اخاه محمّد بن ثعلبة ثم عزله وولّى مدينة شوال بن ابى يزيد فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن ابى العافية واستعمل على عدوة القرويّين ولده مدين وارتحل الى مدينة تلمسان وملكها وتغلّب على احوازها وكان ذلك بيد الحسن بن ابى العيش بن ادريس الحسنىّ فاخرجه عن تلك البلاد باسرها وملكها وذلك فى سنة تسع عشرة وثلاث مائة وهرب الحسن بن ابى العيش الى مدينة مليلة من جزاير ملوية فتمنّع بها وزحف ابن ابى العافية بعد ملكه تلمسان الى مدينة تكرور فملكها وجميع احوازها وذلك فى شهر شعبان من سنة عشرين وثلاث مائة فلمّا ملك ابن ابى العافية تلمسان وتكرور وفاس بايع عبدَ الرحمان النّاصر لدين الله ملك الاندلس وقام بدعوته وخطب له على جميع منابر عمله فاتّصل الخبر بعبيد الله الشيعىّ بالمهدية فبعث اليه قائده حميد بن سبيل الكتامىّ فى عشرة الاف فارس فالتقى بموسى بن ابى العافية بفحص مسون فكانت بينهم حرب عظيمة وسجال ثم ان حميد بن سبيل الكتامىّ بيّته ليلة فضرب فى عسكر موسى بن ابى العافية فانهزم موسى بن ابى العافية واصحابه وفرّ الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصّن بها وارتحل حميد بن سبيل الى مدينة فاس

فلمّا قرب منها هرب عنها مدين بن موسى فدخلها حميد فولّى عليها حامد بن حمدان الهمدانيّ وانصرف الى افريقيّة وتشاغر بنو ادريس الذين بحجر النسر على ابى الفتح قايد ابن ابى العافية فهزموه ونهبوا عسكره وذلك حين بلغهم هزيمة ابن ابى العافية وهروب مدين ابنه عن مدينة فاس وتملّك حامد عليها فى سنة احدى وعشرين وثلاث مائة واقام حامد بن حمدان الهمدانيّ عاملا على فاس الى ان ثار عليه احمد بن ابى بكر بن عبد الرحمان بن سهل فقتل حامدا وبعث براسه وبولده الى موسى بن ابى العافية فبعث بهم موسى الى امير المومنين الناصر لدين الله بقرطبة اقام احمد بن ابى بكر عاملا على فاس لموسى بن ابى العافية الى ان قدم ميسور الفتىّ قايد ابى القاسم الشيعىّ وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة بعثه الى المغرب على اثر والده عبيد الله الشيعىّ فحاصر ميسور مدينة فاس اياما الى ان خرج اليه احمد بن ابى بكر مبايعًا واخرج له هدية عظيمة ومالا جسيما فقبض منه المال والهدية وثقفه فى القيود وبعث به الى المهدية فسدّ اهل مدينة فاس مدينتهم فى وجه ميسور الفتىّ ولم يمكّنوه من دخولها وقدّموا على انفسهم حسن بن قسم اللواتىّ فحاربهم ميسور مدّة من سبعة اشهر فلم يقدر عليهم بشى فصالحهم ميسور على ان اعطوه ستّة الاف دينار واقشاع ولبود وقرب للماء وادات وكتبوا ببيعتهم الى امير المومنين ابى القاسم الشيعىّ وكتبوا اسمه فى سكّتهم وخطبوا له على منابرهم فقبل ميسور ذلك منهم وارتحل عنهم نحو موسى بن ابى العافية حتّى لحق به فكانت بينهما حروب عظيمة ولى معظم تلك الحروب بنو ادريس قاتلوه حتّى هرب الى الصحراء امامهم وتملّك الادارسة اكثر ما كان بيد موسى بن ابى العافية قايمين بدعوة ابى القاسم الشيعىّ فلم يزل ابن ابى العافية شريدًا فى الصحراء واطراف البلاد التى بقت بيده وذلك من مدينة اجرسيف الى مدينة تكرور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية وذلك فى سنة احدى واربعين مائة وقيل فى سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة قاله البرنوسى فولى بعده ابراهيم ولده الى ان توفّى فى سنة خمسين وثلاث مائة فولى بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن ابى العافية الى ان توفّى فى سنة ستّين وثلاث مائة فولى عمله بعده ولده محمّد وعليه انقرضت ايام بنى ابى العافية المكناسيّين سنة ثلاث وستّين وثلاث مائة، وذكر بعض المورّخين لايامهم انه لمّا توفّى محمّد بن عبد بن الله بن ابراهيم بن موسى ابن ابى العافية ولى بعده ولده القاسم بن محمّد لمحارب للمنتونة فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة الى ان غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستاصل بلاده حتّى قطع مسافة

درية

ذرية موسى بن ابى العافية من المغرب وكانت ايامهم فيه من سنة خمس وثلاث مائة الى سنة خمس واربعين واربع مائة وذلك مائة واربعون سنة من اوّل دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله الى قيام لمتونة، واما القايد ميسور فانه لمّا صالح اهل مدينة فاس واخذ بيعتهم لابى القاسم الشيعىّ صاحب افريقيّة اقرّ حسنَ بن ابى القاسم اللواتىّ على عمالتها فلم يزل عاملا عليها الى ان قدم احمد بن ابى بكر من المهدية مسلّقا مدّرما فتخلّى له على ما كان بيده وذلك فى سنة احدى واربعين وثلاث مائة وكانت مدّة ولاية حسن بن قاسم على مدينة فاس ثمانى عشرة سنة من سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة الى سنة احدى واربعين المذكورة قال ابن البنان فى تاريخه المسمّى بجلاء الاذهان لمّا فرّ موسى بن ابى العافية امامَ ميسور القايد صارت الرياسة بالمغرب بعد فراره عنه لبنى محمّد بن القاسم بن ادريس الحسنىّ وكانوا اخوين شقيقين كنّون وابراهيم ابنى محمّد بن القاسم بن ادريس فتقدّم منهم للرياسة والامارة كنّون ☆

الخبر عن دولة الامير القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى الملقب بكنون

هو الامير القاسم كنّون بن محمّد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم قدّموه بنو ادريس على جميعهم بعد فرار موسى بن ابى العافية عنهم فملك اكثر بلاد المغرب الا مدينة فاس فانه لم يملكها وكان سكناه قلعة حجر النسر فاقام على امارته الى ان توفّى فى سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة فولى بعده ولده ابو العيش احمد بن كنّون ☆

الخبر عن دولة الامير ابى العيش احمد بن القاسم كنون الحسنى

هو الامير ابو العيش احمد بن القاسم كنّون بن محمّد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علىّ رضى الله عنهم وكان ابو العيش هذا عالما فقيها ديّنا ورعا وحافظا بالسير عالما بتواريخ الملوك وايام الناس وانساب قبايل العرب والبربر عاقلا حليما شجاعا كريما كان يعرف فى بنى ادريس باحمد الفاضل وكان مايلا الى بنى مروان متشيّعا فيهم لمّا ولى بعد ابيه قطع الدعوة فى جميع بلاده عن

العبيديّين وبايع لعبد الرحمان الناصر لدين الله صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله فلم يقبل ذلك منه الناصر وقال له لا اقبل لك دعوة بيعة الّا ان تمكّنني من مدينة طنجة وسبتة فامتنع ابو العيش من ذلك فبعث اليه الناصر بالعساكر وجيوش الى قتاله وضيق عليه فصالحه على ما طلب منه فاعطاه سبتة وطنجة وبقا ابو العيش واخوته وبنو عمّه من الادارسة بمدينة البصرة واصيلا تحت بيعة الناصر وفى طاعته منتقضين بدعوته وجاز قواد الناصر وجيوشه من الاندلس الى العدوة يقاتلون من خالفهم من البربر ويستالفونهم ويحملون الطاعة على المخالف والناصر مُدًّا لمن عجز برجاله مقويا لمن ضعف بماله حتّى ملك اكثر بلاد المغرب وبايعه اكثر قبايله من زناتة وغيرهم من البربر وخطب له على منابره من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ما عدا سجلماسة فانه قام بها فى ذلك الوقت مندر البربريّ وبايعته مدينة فاس فيمن بايعه من بلاد عدوة فولّى عليها محمّد بن الخير بن محمّد اليفرنيّ ثم الزناتيّ وكان من ابسط ملوك زناتة يدا واعظمهم شانا واحسنهم الى ملوك بنى امية احياشا واخلص لهم طوية وذلك بولاية عثمان بن عفّان رضى الله عنه بجدّهم حرب بن حفص بن صولات بن وزمار اليفرنيّ واسلامه على يديه وتقديمه اياه على قومه من زناتة فصارت المحبّة لبنى امية وارثة فى بنيه من بعده فقام محمّد بن الخير اميرا على مدينة فاس نحو سنة وارتحل عنها الى الاندلس برسم جهاد الروم واستخلف عليها ابن عمّه احمد بن ابى بكر بن احمد بن عثمان بن سعيد الزناتيّ وهو الذى بنى الصومعة المباركة بجامع القرويّين سنة اربع واربعين وثلاث مائة وفى سنة سبع واربعين وثلاث مائة ولّى الناصر بمدينة طنجة واحوازها يعلىَ بن محمّد اليفرنيّ امير بنى يفرن فرتّبه فى قبايل بنى يفرن، فلمّا رءا ابو العيش غلبة الناصر على بلاد العدوة كتب اليه الى قرطبة يستاذنه فى الجهاد فاذن له وامر ان يبنى له فى كلّ منزل ينزله قصرًا من الجزيرة الخضراء الى الثغر وان يجرى له فيه الف دينار فى كلّ يوم ضيافة ومن الفرش والآلات والطعام والشراب ما يقوم بالقصر فلم يزل فى ذلك حتّى وصل الى الثغر فكانت منازله فى رحلته من الجزيرة ثلاثين منزلا فلمّا خرج ابو العيش الى الاندلس برسم الجهاد استخلف على عمله اخاه الحسن بن كنّون فمات ابو العيش فى جهاد الروم سنة ثلاث واربعين وثلاث مائة رحمه الله

الخبر

الخبر عن دولة الامير الحسن بن كنون

هو الحسن بن القاسم كنّون بن محمّد بن القاسم بن ادريس الحسنيّ ولي بعد انصراف اخيه الى الغزو الذى مات فيه وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب ولم يزل متابعا للمروانيّين متمسّكا بدعوتهم الى ان اتّصل الخبر بالشيعيّ صاحب افريقيّة بغلبة الناصر الامويّ على بلاد العدوة وان جميع مَنْ بها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوته ودخلوا فى بيعة بنى امية فعظم الامرُ على معدّ بن اسمعيل وبعث قائده جوهرا الروميّ فى جيش عظيم من عشرين الف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم وامره ان يطأ بلاد المغرب ويذلّلها ويستنزل مَنْ بها من الثوار وتشتدّ وطأته عليهم فخرج جوهر من القيروان يريد المغرب وذلك فى سنة سبع واربعين وثلاث مائة فاتّصل خبر قدومه بيعلى بن محمّد اليفرنيّ امير بنى يفرن وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدوة فحشد بنى يفرن وجميع قبائل زناتة وتلقاه فى جيوش عظيمة على مقربة من مدينة تاهرت فاستحكم الحرب بين الفريقين فاخرج القائد جوهر الاموال وبذلها لقواد كتامة فضمنوا له قتل امير زناتة يعلى بن محمّد اليفرنيّ فلمّا اشتدّ القتال صممت عصابة من اجناد قواد كتامة وانجادها وقصدوا الى يعلى ابن محمّد امير بنى يفرن فقتلوه واحتزّوا راسه واتوا به الى جوهر فاعطاهم اموالا جليلة بشرة عليه وبعث بالراس الى مولاه معدّ بن اسمعيل صاحب القيروان وانهزم بنوا يفرن وتفرّق جمعهم بعد قتل اميرهم بعد مدّة التأم مُلْكُهم واجتمع فلّهم على ولده بدو ابن يعلى بن محمّد اليفرنيّ وانصرف جوهر بعد قتل يعلى الى سجلماسة وكان قد قام بها محمّد بن الفتح الخارجيّ المعروف بواسول بن ميمون بن مدرار الصفريّ وادّعا الخلافة وتسمّى باميرِ المومنين وتلقب بالشاكر لله وضرب بها السكّة وكتب عليها اسمه وسكّته معروفة بالشاكريّة وكانت فى غاية الطيب وكان محمّد ابن الفتح على غاية فى اظهار العدل واقامة السنّة وكان مالكيّ المذهب فنزل عليه جوهر وحاصره بها وضيّق عليه حتّى دخلها عنوة بالسيف فقبض على الشاكر وتفرّقت عنه جموعه وقتل رجاله وحماته من الصفرية واوثقه فى الحديد واتى به اسيرا بين يديه حتى نزل على مدينة فاس وذلك فى سنة تسع واربعين وثلاث مائة فحاصرها وادار بها القتال من كلّ ناحية مدّة من ثلاثة عشر يوما حتّى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها خلقا كثيرا وقبض على اميرها احمد بن ابى بكر

الزناتى الذى ولّاه الناصر الاموى عليها حين بايعه اهلها وقتل حماتها واشياخها ونهب المدينة وسبا اهلها وهدم اسوارها وكان الحادث بها عظيما وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموفى عشرين لشهر رمضان المعظم سنة تسع واربعين وثلاث مائة ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل اولياء المروانيّين ويفتح البلاد والمعاقل وفرّت امامه القبائل من زناتة وغيرهم فنفذ الامر فى المغرب ثلاثين شهرا ثم انصرف الى مولاه معدّ بن اسمعيل العبيدىّ بعد ان دوّخ بلاد المغرب واثخن فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة به للمروانيّين وردّها للعبيديّين فخطب لهم على جميع منابر المغرب فوصل القائد جوهر الى المهدية وحمل معه احمد بن ابى بكر اليفرنىّ امير فاس وخمسة عشر رجلا من اشياخها ومحمّد بن الفتح امير سجلماسة أُسرا بين يديه فى اقفاص من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤسهم قلانس من لبد مستطيلة مثبتة بالقرون فطوّف بهم فى اسواق القيروان ثم حملهم الى المهدية فدخلهم المدينة بين يديه ثم حبسهم بها حتى ماتوا فى سجنها، وكان الامير الحسن بن كنّون قد بايع العبيديّين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب فلمّا انصرف جوهر الى افريقيّة فى اخر سنة تسع واربعين وثلاث مائة نكث الحسن بن كنّون بيعة العبيديّين وعاد الى بيعة المروانيّين وتمسّك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفا منهم لا محبّة فيهم لقرب بلاده منهم فلم يزل فى طاعتهم قيمًا بدعوتهم الى ان قدم بُلُقّين بن زيرى بن مناد الصنهاجىّ من افريقيّة قاصدًا الى المغرب لاخذ ثار ابيه فقتل زناتة واستاصلهم وملك المغرب باسره وقطع ايضا منه دعوة الامويّين وقتل اولياءهم واخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لمعدّ بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله، فكان اوّل من سارع الى بيعته ونصرته وقتل اولياء المروانيّين وقطع دعوتهم من امراء المغرب الحسن بن كنّون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه فى ذلك وعمل فيه جُهْدَه فاتّصل خبره بالحاكم المستنصر فحقد له ذلك فلمّا انصرف بُلُقّين بن زيرى الى افريقيّة بعث الحاكم قائده محمّد بن القاسم فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنّون فجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى خلق عظيم وعَدَد كثير وقوّة وعُدّة كاملة وذلك فى شهر ربيع الاوّل من سنة اثنتين وستّين وثلاث مئة فزحف الى قتاله الحسن بن كنّون فى قبائل البربر والتقى الجمعان باحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ فكانت بينهما حروب عظيمة قُتل فيها محمّد بن القاسم قايد الحاكم المستنصر وقُتل معه خلق كثير من اصحابه وفرّ الباقون فدخلوا سبتة فتحصّنوا بها وكتبوا الى الحاكم يستغيثون

به

به فبعث اليهم قايد عتيير وصاحب حروبه غالبا مولاه وكان غالب على غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والاقدام فاعطاه الحاكم اموالا جليلة وعددا كثيرة وجيوشا وافرة وامر بقتال العلويّين واستنزالهم من معاقلهم وقال له عند وداعه يا غالب سرْ مسيرَ مَنْ لا أُذِن له بالرجوع حيا الا منصورا او ميتا معذورا ولا تشحّ بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس، فخرج غالب بالعساكر والجيوش والعدد والاموال من قرطبة في آخر شوّال من سنة اثنتين وستّين وثلاث مائة فاتّصل خبر قدومه بالحسن بن كنّون فخاف منه واخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمَهُ وجميع امواله وذخايره الى حصن حجر النسر القريب من سبتة واتّخذه معقلا ليتحصّن فيه لمنعته فجاز غالب البحر من الخضرا الى قصر مصمودة فتلقاه الحسن بن كنّون هنالك بجيوشه فقاتله ايّاما واخرج غالب الاموال فبعث بها الى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنّون ووعدهم وامنهم ففرّوا عن الحسن واسلموه حتّى لم يبق معه الّا خاصّته ورجاله فلمّا راء ذلك سار الى حصن حجر النسر فاتحصّن فيه واتبعه غالب فحاصره به ونزل بجميع جيوشه عليه وقطع عنه المواد وامدّه الحاكم بالعرب الذين ببلاد الاندلس كافّة ورجال الثغور فوصل المدد الى غالب في غرّة محرّم سنة ثلاث وستّين وثلاث مائة فاشتدّ الحصار على الحسن بن كنّون فطلب من غالب الامان على نفسه واهله وماله ورجاله وينزل اليه فيسير معه الى قرطبة فيكون بها فاجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه فنزل الحسن باهله وماله ورجاله واسلم الحصن الى غالب ملكه واستنزل غالب جميع العلويّين الذين بارض العدوة من معاقلهم واخرجهم عن اوطانهم ولم يترك في العدوة رئيسا منهم وسار الى مدينة فاس فملكها واستعمل عليها محمّد بن علىّ بن قشوش في عدوة القرويّين وعبد الكريم بن ثعلبة على عدوة الاندلس فلم تزل بايدى عمال بنى امية الى ان غلب عليها زيرى بن عطية الزناتيّ المغراويّ وانصرف غالب الى الاندلس وحمل معه الحسن بن كنّون وجميع ملوك الادارسة وفد وطا جميع بلاد المغرب وفرّق العمال في جميع النواحى وقطع دعوة بنى عبيد من جميع افاقه وردّ الدعوة الى الاموية الحاكمية فخرج بهم غالب من مدينة فاس في آخر شهر رمضان سنة ثلاث وستّين وثلاث مائة فوصل الى سبتة فركب البحر منها واستقرّ بالخضراء وكتب الى الحاكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن قدم به من العلويّين فلمّا وصل كتابه الى الحاكم امر الناس بالخروج الى لقايهم وركب هو في جمع عظيم من وجوه اهل دولته فتلقاهم فكان يوم دخوله قرطبة يوما عظيما مشهورا وكان دخولهم قرطبة اوّل يوم من شهر المحرّم سنة اربع وستّين وثلاث مائة وسلّم الحسن

بن كنّون على الحاكم فاقبل عليه وعفى عنه ووفى بعهده واوسع له ورجاله فى العطاء واجرا عليهم الجرايات الكثيرة والخلع الرفيعة واثبت جميع اهله ورجاله فى ديوان العطاء وكانوا سبع مائة رجل انجاد يعدون بسبعة ءالاف من غيرهم واسكنهم قرطبة ، فبقى الحسن بن كنّون بقرطبة الى سنة خمس وستين وثلاث مائة وكان له قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ظفر بها فى بعض سواحله من بلاد العدوة ايام مُلكه بها فسواها منشورة يتوسّد بها فبلغ امير المومنين الحاكم خبرها فساله حملها اليه وضمّنها الى ذخايره على ان يرضيه عنها بحكمه فامتنع من ذلك وابى ان يسلمها اليه فنكبه عليها واخذ امواله وسلبه من جميعها واخذ القطعة فبقيت فى خزائنه الى ان ظهر علىّ بن حمود الحسنىّ على ملك الاندلس ودخل قرطبة وسكن القصر وظفر ببنى امية فاصاب تلك العنبرة متاع ابن عمّه الحسن فى الخزانة قد اعفنتها الايام حتى صارت الى ايدى العلويّة اربابها ولمّا نكب الحاكم الحسن بن كنّون واخذ امواله امر به وبالعلوية فاخرجوهم عن قرطبة واجلاهم الى المشرق فجوزوا من المرية الى تونس ليستريح من نفقتهم وذلك فى سنة خمس وستين وثلاث مائة فسار الحسن وبنو عمّه الى مصر فنزلوا بها على نزار بن معدّ فاقبل عليهم نزار وبالغ فى اكرامهم ووعد للحسن النصرة والاخذ بثاره فاقام عنده مدّة طويلة الى ان دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة فى ايام هشام المؤيّد فكتب له نزار بن معدّ بعهده على المغرب وامر عامله بافريقيّة بُلقّين بن زيرى بن مناد ان يقويه بالجيوش فسار الحسن الى بلقين فاعطاه جيشا من ثلاثة الاف فارس فافتتح بهم بلاد المغرب فسارعت اليه قبايل البربر بالطاعة فشرع فى اظهار دعوته ، فاتّصل خبر بالمنصور بن ابى عامر حاجب هشام المؤيّد واستقيم بملكه فبعث اليه ابن عمّه الوزير ابا الحاكم عمرو بن عبد الله بن ابى عامر فى جيش كثيف وقلده امر المغرب وساير اعماله وامره بحرب الحسن بن كنّون فنفذ لوجهه وجاز البحر الى سبتة وخرج الى حرب الحسن فاحاط به وحصره اياما ثم جوّز المنصور بن ابى عامر ولده عبد الملك فى اثار الوزير ابى الحاكم فى جيوش كثيرة مدًّا له فلمّا رءا ذلك الحسن بن كنّون سقط فى يده ولم يجد حيلة فطلب الامان على نفسه على ان يسير الى الاندلس كمثل حاله الاوّل فاعطاه الوزير ابو الحاكم من ذلك ما وثق به وكتب الى ابن عمّه المنصور بخبره فامره بتعجيله الى قرطبة موكلا به فبعثه ووصل الخبر الى المنصور بقدومه وجوازه فلم يمضِ امان ابن عمّه وانفذ اليه من يقتله فى طريقه فقُتِل وقطع راسه ودفن جسده وحمل الراس الى المنصور وذلك فى جمادى الاولى سنة

خمس

خمس وسبعين وثلاث مائة فكانت دولة الحسن بن كنّون الاولى بالمغرب ستّ عشرة سنة من سنة سبع واربعين الى سنة اربع وستّين وثلاث مائة ومدّة اقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة اشهر وكسرت ريح العلوية بالمغرب وتفرّق جمعهم وبقى منهم جماعة بقرطبة فكانوا فى ديوان السلطان فى جماعة المغاربة الى ان ملك علىّ بن حمود الاندلس فيما ذكرهم، ولمّا قتل الحسن بن كنّون هبت ريح عاصف فى الوقت فاحتملت رداء الحسن فلم يوجد بعد، وكان الحسن بن كنّون على ما ذكره ابن الفياض فظّا غليظا شديد الجرأة قاسى القلب قليل الشفقة كان اذا ظفر باحد من اعدائه او سارق او قاطع طريق امر به فطرح من ذروة قلعته المسمّاة بحجر النسر وهو هواء الى الارض مدّ البصر يرفع الرجل بخشبة تمدّ اليه فلا يصل الى الارض الا وقد تقطّع، قال المؤلف للكتاب فانقرضت ايام الادارسة بالمغرب بموت الحسن بن كنّون آخر ملوكهم، وكانت مدّة ملكهم به من يوم بويع ادريس بن عبد الله بن حسن بمدينة وليلى وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كنّون فى شهر جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاث مائة وذلك مائتى سنة وسنتين وخمسة اشهر وكان عملهم بالمغرب من السوس الاقصى الى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة وكانوا يتداولون مملكتين عظيمتين وعملين كبيرين دولة العبيديّين بمصر وافريقيّة ودولة بنى اميّة بالاندلس وكانوا ينازعون الخلفاء التى درك الخلافة ويقعد بهم ضعف سلطانهم وقلّة مالهم فكان سلطانهم اذا امتدّ وقوى الى مدينة تلمسان واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز سلطانهم البصرة واصيلا وحجر النسر الى ان اعتراهم الادبار والفرقة وانقضت ايامهم وانقطعت مدّتهم والبقاء لله وحده لا ربّ غيره ولا معبود سواه ٭

الخبر عن الاحداث التى كانت فى ايامهم بالمغرب الى انقضائها

كان الرخاء العظيم بالمغرب متواليا من سنة ثمان ومائتين الى سنة سبع واربعين ومائتين بيع القمح بها بمدينة فاس فى اكثر سنين هذه المدّة ثلاثة دراهم للوسق واقلّ واكثر، وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قحطت بلاد الاندلس حتّى هلكت المواشى واحترقت الكروم والشجر وكثرت الجراد وقلّت الاسعار فى جميع بلاد الاندلس فكانوا يمتارون من بلاد العدوة، وفيها توفّى الامام عبد الرحمان بن الحكم، وفى سنة سبع وثلاثين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدّعى النبوة وتاوّل القرآن على غير وجهه وتاويله

فاتبعه خلق كثير من الغوغاء وكان من بعض شرايعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار ونتف الأبطين والاستحداد واخذ الزينة ويقول لا تغيير لخلق الله فامر امير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين الى الاندلس فاشاع بها خبره وامره فتبعه من سفهاء الناس امة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه وهو يقول عند قتله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله، وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين كانت ببلاد العدوة والاندلس قحوط كثيرة عظيمة فنضبت المياه ولم يزل القحط يتوالى من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين، وفي سنة اربع وخمسين كسف بالقمر كله من اول الليل حتى اصبح ولم ينجل، وفي سنة ستين ومائتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والاندلس وافريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها حتى رحل الناس من مكة الى الشام وبقيت مكة خالية ليس بها الا نفر يسير وسدنة الكعبة فبقيت كذلك مدة وكان فيها ببلاد المغرب والاندلس وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الاقوات فمات فيها خلق كثير، وفي سنة ست وخمسين ومائتين كانت بالسماء حمرة عظيمة من اول الليل الى آخره ولم يعهد قبل ذلك مثلها وذلك في ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة، وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة ما سمع الناس مثلها قبلها تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور والجبال وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الارض وتساقط السقوف والحيطان والدور وفرت الطيور عن اوكارها وفراخها وماجت في الهوى زمانا حتى سكنت الزلزلة وعمت هذه الرجفة بلاد العدوة من تلمسان الى طنجة وجميع بلاد الاندلس سهلها وجبالها من البحر الشامي الى اقصى المغرب الا انها لم يمت فيها احد لطفا من الله تعالى بخلقه، وفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين توفي الامام محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم ملك الاندلس وولي ولده المنذر، وفي سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الاندلس والمغرب وافريقية، وفي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الاندلس وبلاد العدوة حتى اكل الناس بعضهم بعضا ثم اعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيها من الناس ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد اعداد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة، وفي سنة تسع وتسعين ومائتين كان الكسوف العظيم للشمس كسفت الشمس كلها وذلك في يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال

من السنة المذكورة وكان بعد صلاة العصر فبدر كثير من الناس بالاذان في المساجد للمغرب فغاب القرص كلّه وظهرت النجوم ثمّ انجلت بعد ذلك وعادت مضيئة قدر ثلث نصف ساعة ثمّ غربت واعاد الناس الاذان والصلاة ، وفي سنة ستّ وتسعين ومائتين تغلّب الشيعيّ على افريقيّة واخرج عنها بني الاغلب وقطع مُلكهم، وفي سنة سبع وتسعين ومائتين قطع الشيعيّ دولة بني العبّاس من افريقيّة واظهر مذهبه وتسمّى بامير المومنين وتلقّب بالمهدي وهو اوّل من نقش الدراهم وتسمّى بامير المومنين في ايامهم، وفي سنة ثلاث وثلاث مائة كانت بالاندلس وبلاد العدوة وافريقيّة فتن كثيرة ومجاعة عظيمة شبهت بمجاعة عام ستّين ومائتين بلغت فيها الحاجة مبلغها لا عهد لهم بمثله وصل مدّ من القمح ثلاثة دنانير ووقع الموت في الناس حتّى عجز الناس من دفن موتاهم، وفي سنة خمس وثلاث مائة حرقت النار اسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة واحرقت اسواق مدينة فاس واحرقت ارباض مدينة مِكْناسة من بلاد جوف الاندلس واحرقت اسواق قرطبة وذلك كلّه في شهر شوّال من سنة خمس وثلاث مائة المذكورة فسمّيت سنة النار، وفي سنة سبع وثلاث مائة بالمغرب وبالاندلس وبافريقيّة رخاء مفرط ووباء كثير وطاعون وفيه كانت بالمغرب الريح الشديدة السوداء التي قلعت الاشجار وهدّمت الديار بمدينة فاس فتاب الناس وخافوا ولزموا المساجد وارتدّوا عن كثير من الفواحش والفساد، وفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة ملك الامير موسى بن ابي العافية مدينة فاس واستولى على جميع اعمال المغرب، وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة دخل القائد ميسور الشيعيّ مدينة فاس بالسيف فقتل فيها ثلاثة الاف رجل وفيها دخل ايضاً مدينة وارزيغة ومدينة عوجة من مداين مكناسة دخلهما بالسيف فقتل بهما ما يزيد على سبعة الاف رجل، وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مائة كانت سنة الغمام اقام الغمام بالمغرب خمسة ايام لا يرى الناس فيها الشمس ولا يرى احد من الارض الا موضع وقوفه فخاف الناس لذلك واخرجوا الصدقات وتابوا فكشف عنهم ذلك الغمام، وفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة توفّي موسى بن ابي العافية امير مكناسة كلّها، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة دخل ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنيّ مدينة القيروان وغلب على جميع افريقيّة، وفي سنة تسع واربعين وثلاث مائة دخل جوهر قائد الشيعيّ مدينة فاس بالسيف وقتل فيها خلقا كثيرا وحمل اشياخها اسارى الى افريقيّة وفتح سجلماسة وقطع دولة بني مدرار عنها وفيها ملك عبد الرحمان الناصر مدينة سبتة وطنجة من بلاد العدوة وبناهما واصلح اسوارهما وقيل بل ملكهما

فى سنة تسع عشرة وثلاث مائة، وفى سنة خمس وعشرين وثلاث مائة ادّعى النبوة رجل يسمّى حاميم فى حبال غمارة ودخل فى دينه خلق كثير من غمارة والديانة التى شرع لهم صلاتان بالنهار الواحدة عند طلوع الشمس والاخرى عند غروبها ثلاث ركعات فى كلّ صلاة ويسجدون ويطون ايديهم تحت وجوههم وجعل لهم قرآنا يقرؤنه بلسانهم بعد تهليل يهلّلون به وهو خلنى من الذنوب يا مَنْ خلا المنظر ينظر فى الدنيا اخرجنى من الذنوب يا مَنْ اخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر ثمّ يقول فى ركوعه ءامنتُ بحاميم وبابى بخلف صاحبه وامنتُ بتالية عمّة حمّ ثم يسجد وكانت تالية هذه امراة كاهنة ساحرة وفرض عليهم صوم يوم الاثنين وصوم يوم الخميس الى الظهر وصوم يوم الجمعة وصوم عشرة ايام من شهر رمضان ويومَين من شوّال ومَنْ افطر فى يوم الخميس عمدا فكفارته ان يتصدّق بثلاثة احوار ومَنْ افطر فى يوم الاثنين فكفارته ثوران وفرض عليهم الزكوة العشر من كلّ شئ واسقط عنهم الحجّ والوضوء والطهر من الجنابة وحلّ لهم أكل انثى الخنزير وقال انّما حرم قرآن محمّد الخنزير الذكر منه وجعل الحوت لا يوكل الا بذكاة وحرّم عليهم أكل البيض وأكل راس كلّ حيوان فبعث اليه الناصر ملك الاندلس فقبض عليه فقتله وصلبه بقصر مصمودة وبُعث براسه الى قرطبة ورجع اتباعه الى الاسلام، وفى سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة نزل برد عظيم كبير الحاجر وزنة الحجر منه رطل وازيد قتل الطيور والوحوش والبهائم وشوايف من الناس وكسر الثمار والشجر وكان ذلك بأثر قحط شديد وغلاء عامّ، وفى سنة اثنتين واربعين وثلاث مائة نزل ايضا برد عظيم لم يعهد مثله قتل المواشى والثمار واستسقى الناس فى هذه السنة واستصحوا وجاءت السيول العظيمة بجميع المغرب وكان بها الرعود القاصفة والبروق الشديدة دام ذلك اياما كثيرة وفيها كانت الريح الشديدة التى هدمت المبانى، وفى سنة اربع واربعين وثلاث مائة كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس هلك فيه اكثر الخلق وفيها ملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من ارض العدوة، وفى سنة خمسين وثلاث مائة توفّى عبد الرحمان الناصر لدين الله، وفى سنة خمس وخمسين وثلاث مائة كانت ريح شديدة قلعت الثمار وهدمت الديار وقتلت الرجال وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب الفرد منها ظهر فى البحر شهاب ثاقب مايل كالعمود العظيم اضاءت الليل بسُطُوع نوره وشبهت بليلة القدر وقارب ضوؤها ضوء النهار وفى هذا الشهر كسف بالشمس والقمر كسف القمر ليلة اربع عشرة منه وطلعت الشمس مكسوفة فى اليوم الثامن والعشرين منه، وفى

سنة

سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة ملك الشيعيّ مصر، وفى سنة احدى وستّين كانت الجراد بالمغرب، وفى سنة اثنتين وستّين دخلوا زناتة المغراويّين المغرب وتملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراويّ وفيها توفّى الشيخ الصالح الفقيه الفاضل ابو ميمونة درّاس بن اسمعيل، وفى سنة ثلاث وستّين وثلاث مائة توفّى معدّ بن اسمعيل الشيعيّ ملك مصر وافريقيّة، وفى سنة ستّ وستّين توفّى الحاكم المستنصر ملك الاندلس وولى ولده هشام المؤيّد وهو ابن عشرة اعوام وفيها دخل يعلى بن يدوا الكزنانى مدينة مكناسة الزيتونة بالسيف، وفى سنة ثمان وستّين غلب يعلى بن يدوا اليفرنى على مدينة لواتة، وفى سنة تسع وستّين وثلاث مائة دخل بُلقّين بن زيرى بن مناد المغرب ونزل على مدينتَىْ فاس فقتل سلاطينهما محمّد بن ابى علىّ بن قشوش صاحب القرويّين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس وسار الى سبتة ثم رجع الى افريقيّة، وفى سنة ثمان وستّين وثلاث مائة ملك زيرى بن عطية على قبائل زناتة، وفى سنة خمس وسبعين زحف عسقلاجة الى مدينة فاس الاندلس فدخلها بالسيف وملكها وخطب بها لبنى اميّة وبقى محمّد بن عامر المكناسى عامل العبيديّين بعدوة القرويّين الى سنة ستّ وسبعين وثلاث مائة وهو عام ابى بياش فاتى ابو بياش واسمه يذلوت بن بُلقّين المغراويّ فدخل عدوة القرويّين بالسيف فقبضها وقتل عاملها محمّد بن عامر المكناسيّ وخطب بها ايضا لبنى اميّة، وفى سبع وسبعين عمّ الجراد الكثير جميع بلاد المغرب وسمح بها، وفى سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة كان بلغ الفيض الذى فاضت فيه اودية المغرب، وفى سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقيّة بالمغرب دامت الى سنة اشهر فاعقب الوباء العظيم والامراض الكثيرة، وفى سنة ثمانين وثلاث مائة كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرته وكان الحراثون يتركونه فى فدادينهم ولا يحصدونه لرخصه ۞

الخبر عن دولة زناتة المغراويين واليفرنيين بالمغرب وقيام ملكهم به

قال اوّل ملك مَلَكَ منهم بالمغرب زيرى بن عطيّة بن عبد الله بن تبادلت بن محمّد بن خزر الزناتىّ المغراوىّ الخزرىّ ملك على زناتة فى سنة ثمان وستّين وثلاث مائة فقام بالمغرب بدعوة هشام المؤيّد وحاجبه المنصور بن ابى عامر وذلك بعد انقطاع ايام الادارسة منه وبنى ابى العافية المكناسيّين فغلب زيرى على جميع بوادى المغرب وملك مدينتَىْ فاس دخلها قواده عسقلاجة وابو بياش ثم اتاها هو بعدهم فدخلها

واستوطنها وصيّرها دار مُلكه فى سنة سبع وسبعين وثلاث مائة المذكورة فلمّا ملك مدينة فاس استقام له امر المغرب فعلى قدرُه وقوى سلطانه وارتفع شانه وخالف ابو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجىّ على ابن اخيه منصور بن بلقين امير افريقيّة وظهير الدولة العبديّة وخلع دعوة العبيديّين ومال الى دعوة المروانيّين وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تونس ومدينة وَهْرَان وشلف وشلشل وجبال وانشريس والمهديّة وكثير من بلاد الزاب وخطب للمؤيّد وحاجبه المنصور بن ابى عامر وبعث ببيعته اليهم وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاث مائة فلمّا وصلت بيعته المنصور بن ابى عامر بعث اليه بعهده على ما بيده من البلاد وبهدية وخلع واربعين الف دينار فلمّا قبض المال والهدية اقام على بيعتهم نحو الشهرين ثمّ خلعهم وعاد الى العبيديّين فبلغ ذلك المنصور فغاظه ذلك وكتب الى زيرى بن عطية بعهده على بلاد ابى البهار وامره بقتاله عليها فسار اليه زيرى بن عطيه من مدينة فاس فى جيوش لا تحصى من قبايل زناتة وغيرهم ففرّ ابو البهار بنفسه امامه ولحق بابن اخيه منصور بن بُلَقِّين وترك له البلاد فملك زيرى بن عطية مدينة تلمسان وساير اعمال ابى البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الاقصى الى الزاب وكتب بالفتح الى المنصور بن ابى عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها مائتى فرس من عِتَاق الخيل وخمسين جملا مَهْرِيّة سوابق والف دَرَقة من اللمط واحمال كثيرة من قسى الزان وقشوط الزبدة والزرافة واصناف من الوحوش الصحراوية اللمط وغيره والف حمل من التمر فى جنسه واحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة فسرّ بها المنصور وكافاه عليها وكتب له بتجديد عهده على المغرب وذلك فى سنة احدى وثمانين وثلاث مائة فاقام زيرى بن عطية بمدينة فاس واسكن قبيله فى احايها وبالقرب منها فى قياطينهم الى سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة فاستدعاه المنصور ان يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المعزّ وامره بسكنى تلمسان واستخلف على عدوة الاندلس من مدينة فاس عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويّين علىّ بن محمّد بن ابى علىّ بن قشّوش وولى قضاة المدينتين الفقيه الفاضل ابو محمّد قاسم بن عامر الازدىّ وسار الى الاندلس وحمل بين يديه هدية عظيمة من جملتها طاير فصيح يتكلّم بالعربيّة وبالبربريّة ودابّة من دواب المسك ومهات وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة واسدان عظيمان فى قفصين من حديد وتمر كثيرة فى غاية الفخر التمرة منه تشبه الخيارة من عظمها وحمل معه من قومه وعبيده ثلاث مايه فارس وثلاث مايه راجل فصنع له المنصور بروزا عظيما وانزله بقصر

جعفر

جعفر الحاجب وتوسع له فى الجزايات والاكرام ولقبه باسم الوزراء واعطاه اموالا جسيمة وخلع نفيسة وصرفه الى عمله وجدّد له عيده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه فجاز البحر وحصل بمدينة طنجة فلمّا استقرّ بساحلها وضع يده على راسه وقال الان علمت انك لى فاستقلّ مما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذى سمّاه بها ولقد خاطبه بها بعض رجاله فنهاه عن ذلك وقال ويحك وزير والله امير ابن امير واعجب من ابى عامر ومخرقته لان تسمع بالمعيدى خيرا من ان تراه ولو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله، وكان الامير يدوا بن يعلى اليفرنىّ قد انتهز الفرصة فى غيبة زيرى بن عطية بالاندلس فزحف الى مدينة فاس فدخل منها عدوة الاندلس بالسيف وملكها وذلك فى شهر ذى قعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة فلمّا جاز زيرى بن عطية الى طنجة اتّصل به خبر يدوا بن يعلى وغلبه على فاس فاسرع السير نحوه فكانت بينهما حروب عظيمة وكان الامير يدوا بن يعلى اليفرنىّ مصاحبا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال امير بنى يفرن كلّها ويفرن ومغراو اخوان شقيقان ابنا يصلين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيج بن جانا بن زانات وكان يدوا بن يعلى قد قام بامر بنى يفرن بعد قتل ابيه يعلى ابن محمّد حين قتله جوهر بامر الشيعىّ سنة سبع واربعين وثلاث مائة فملك كثير من بوادى المغرب فكانت بينه وبين زيرى بن عطية المغراوىّ حروب كثيرة ومنازعات على الامارة والرياسة كان الامير يدوا بن يعلى اذا غلب دخل مدينة فاس واذا هزم وغلب زيرى بن عطية اخرجه عنها وملكها وكانت بينهما سجال فلمّا دخلها فى غيبة زيرى قتل بها خلقا كثيرا من مغراوة فاتاه زيرى حتّى نزل قريبا من المدينة فكانت بينهما حروب كثيرة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن الى ان هزمه زيرى ودخل عليه فاسا عنوة فقتله ومثل به وذلك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة وبعث براسه الى المنصور بن ابى عامر بقرطبة وقوى امر زيرى بن عطية بالمغرب ولم يبق له به منازع وهابته الملوك وبقى الامر مستقيما بينه وبين المنصور فبنا مدينة وجدة وشيّد سورها وقصبتها وركب ابوابها وسكّنها باهله وحشمه ونقل اليها امواله وذخايره وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده وكان اختطاط زيرى بن عطية لمدينة وجدة فى شهر رجب الفرد سنة اربع وثمانين وثلاث مائة ولم يزل زيرى بن عطية فى عُلو سلطان وارتفاع شان الى سنة ستّ وثمانين وثلاث مائة فانفسد ما بينه وبين المنصور واتّصل بالمنصور ان زيرى ينتقصه ويعرض فى شانه ويتكلّم فيه بالقبيح فقطع المنصور عنه ما كان يجريه

له فى كلّ سنة فعزم زيرى على خلافه وقتاله فقطع ذكره من الخطبة وترك الدعاء له واقتصر على ذكر هشام المؤيّد خاصّة فلمّا وصل المنصورَ ان زيرى خلع طاعته وطرّد عماله من المغرب والجأهم الى سبتة واقتصر على الدعاء للمؤيّد خاصّة انفذ اليه مولاه واضح الفتىّ فى جيوش عظيمة لمحاربته فجاز واضح البحر واستقرّ بمدينة طنجة فاتاه بعض قبايل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهم فبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبايل زناتة واعطاهم الخلع والاموال وبعث له المنصور من كان عنده بالاندلس من اجناد البربر فتكاملت جيوشه فخرج بهم واضح نحو زيرى بن عطية من طنجة فاتّصل خبر قدومه بزيرى فخرج اليه من مدينة فاس فى عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادى زادت فكانت بينهما حروب شديدة من ثلاثة اشهر الى ان هزم واضح الفتىّ وقتل اكثر جيوشه وفرّ واضح الى طنجة فدخلها مهزوما وكتب الى المنصور بخبره بحاله وهزيمته ويطلب منه ان يمدّه بالخيل والرجال والاموال فخرج المنصور من قرطبة فوصل الجزيرة الخضرا فجوّز ابنه عبد الملك المظفر بجميع عساكر الاندلس وجيوشها وقوادها وبقى المنصور وحده وامر بحربه زيرى بن عطية فركب عبد الملك المظفر البحر من الجزيرة الى سبتة فبلغ زيرى جواز عبد الملك بن المنصور لحربه فخافه واخذ فى الاستعداد لملاقاته وكتب الى جميع قبايل زناتة فيستصرخهم فاتته الوفود من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وساير بوادى زناتة فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر وخرج عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتىّ فى جيوش لا تحصى فالتقى الجمعان بوادى منا من احواز طنجة فكانت بينهم حرب لم يسمع قطّ بمثلها يوما كاملا من طلوع الشمس الى غروبها فاتى غلام اسود اسمه سلام كان زيرى قتل اخاه فوجد الفرصة فيه فاخذ ثاره منه فضربه بسكين فى لَبّته يريد نحره فجرحه ثلاث جراحات ولم يقضِ عليه فسار الاسود الى عبد الملك المظفر فاعلمه بضربه لزيرى فامكنت عبد الملك الفرصة فشدّ بجميع جيشه على زناتة وهو فى حال دهشة من جرح اميرهم فهزمهم واستمرّت الهزيمة على زيرى واصحابه وكُثر القتل فيهم واتبعهم عبد الملك بالقتل والسبى وملك محلّة زيرى باسرها واحتوى على جميع ما فيها من المال والسلاح والابل والدراع والعدّة فاخذ من ذلك ما لا يوصف ولا يحاط بعدّه وسار زيرى حتّى وصل الى موضع يعرف بمضيق الحيّة بالقرب من مداين مكناسة فاقام به واجتمع اليه الفلّ من قومه فعزم على الرجوع لمناهضة عبد الملك المظفر فاتّصل خبره بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة الاف فارس وقدّم عليهم واضح الفتىّ فالتقى بهم

وضرب

وضرب على محلّة زيرى وهو بمضيق الجبّة ليلا وهم فى غفلتهم آمنين وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين وثلاث مائة فاوقع بهم وقعة عظيمة وأسر من اشراف مغراوة نحو الفى رجل فامتنّ عليهم عبد الملك المظفر وركّبهم فكانوا من جنده وفرّ زيرى الى مدينة فاس فى شرذمة من اصحابه وبنى عمّه فغلق اهلها الابواب فى وجهه فسالهم ان يخرجوا اليه عياله واولاده فاخرجوهم اليه واعطوه الزاد والدوابّ . فاخذهم وانصرف الى الصحراء هاربا امام المظفّر فنزل بلاد صنهاجة وسار المظفّر الى المدينة فدخلها واستقبله اهلها مستبشرين به فاحسن لقاءهم وكان دخوله مدينة فاس يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين المذكورة وكتب الى ابيه بالفتح فقرا الكتاب على منبر جامع الزَهْرَاء من قرطبة وعلى منابر قواعد الاندلس كلّها شرقا ومغربا واعتق المنصور الف مملوك وخمس مائة مملوك وثلاث مائة مملوكة شكرا لله تعالى وفرّق اموالا كثيرة لاهل الستر وذوى الحاجات وكتب الى ولده المظفّر بعهده على المغرب واوصاه بحسن السيرة والعدل فقرا كتابه على منبر جامع القرويّين وذلك فى يوم الجمعة آخر ذى قعدة من السنة المذكورة وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبد الملك بمدينة فاس وعدل فى اهلها عدلا لم يَرَوْه من احد قبله فاقام بها ستّة اشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبعث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فاقام واليا عليها الى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وثلاث مائة فعزله المنصور عنها وعن ما كان ولّاه من بلاد العدوة وولّى على ذلك واضح الفتى وانصرف عنها عيسى بن سعيد الى الاندلس وذلك من سنة تسع وثمانين المذكورة ووصل زيرى بن عطية الى بلاد صنهاجة فنزل بها فوجدهم قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بُلُقّين بعد وفات ابيه منصور فبعث زيرى الى قبايل زناتة فاتاه منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم فاغتنم زيرى تلك الفرصة وزحف بهم الى صنهاجة فاوغل فى بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب فملك ذلك مع تلمسان وشلف والمسيلة واقام بها الدعوة للمؤيّد وحاصر مدينة اشير قاعدة بلاد صنهاجة وبقى عليها يقاتلها بالغدو والرواح الى ان انتقضت عليه جراحاته التى كان جرحه الاسود فمات فى سنة احدى وتسعين وثلاث مائة فولى بعده ولده المعزّ فبايعته قبايل زناتة وضبط امرهم وقام بملكه ابيه وصالح المظفّر بن المنصور بن ابى عامر فقلده امر المغرب فكانت مدّة ملكه بالمغرب نحو عشرين سنة ۞

الخبر عن دولة الامير المعز بن زيرى بن عطية المغراوى بفاس وبلاد المغرب

وهو المعزّ بن زيرى بن عطية الزناتىّ المغراوىّ امّه حرّة اسمها تكاتيور بنت مناد بن تبادلت المغراوىّ ولى ملك المغرب بعد وفات ابيه وبايعته قبايل زناتة فضبط ملكه وقام به اتمّ قيام وصالح المنصور بن ابى عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته فلم يزل على ذلك الى ان توفّى المنصور وولى بعده ولده عبد الملك المظفّر فبايعه ايضا ودعا له على منابره فعزل المظفّر واضحا عن فاس وساير بلاد المغرب وصرّفه الى الاندلس وكتب الى المعزّ بن زيرى بعهده على مدينة فاس وساير اعمال المغرب مدنه وبداويه وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة وشرط له المعزّ ان يعطيه فى كلّ سنة خيلا ودرقا ومالا معلوما يوصل ذلك له الى قرطبة واعطاه المعزّ مع ذلك ولده معنصر رهينة فاقام معنصر بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقضت الدولة العامرية والبقاء لله وحده ولا معبود سواه فانصرف معنصر الى ابيه المعزّ ولم تزل بلاد المغرب ايام المعزّ فى غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن الى ان توفّى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين واربع مائة فكانت ايامه بالمغرب ثلاث وثلاثين سنة فولى بعده ابن عمّه حمامة بن المعزّ بن عطية الزناتىّ المغراوىّ وقال بعض المؤرّخين ولى بعده ولده حمامة بن المعزّ بن زيرى بن عطية وليس بصحيح وانّما ذلك غلط ووهم منهم اذا اتّفقت اسماؤهما واسماء ابائهما وانّما الوالى بعده ابن عمّه لحّا حمامة بن المعزّ بن عطية المذكور وقيل انه لم يكن للمعزّ بن زيرى بن عطية ولد الّا معنصر خاصّة ۞

الخبر عن دولة الامير حمامة بن المعز بن عطية الزناتى المغراوى

هو الامير حمامة بن المعزّ بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمّد بن خزر الزناتىّ المغراوىّ الخزرىّ ولى ملك المغرب بعد وفات ابن عمّه المعزّ بن زيرى بن عطية المذكور فقام بامر زناتة واستوطن مدينة فاس فقام عليهم بمدينة سلا الامير تميم بن زمور بن يعلى بن محمّد بن صالح اليفرنىّ وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبايل بنى يفرن فخرج اليه حمامة بن المعزّ من مدينة فاس فى قبايل مغراوة فالتقى

الجمعان

الجعان فكان بينهما قتال عظيم مات فيه خلق كثير من مغراوة وانهزم تمامة بن المعزّ امام تميم اليفرنيّ وفرّ الى مدينة وجدة من احواز تلمسان ودخل الامير تميم مدينة فاس ✿

الخبر عن دولة الامير تميم اليفرني بمدينة فاس واعمالها وهي الدولة الاولى بها

هو الامير ابو الكامل تميم بن زمور بن يعلى الزناتيّ ثم اليفرنيّ امير بنى يفرن ملّكها في وقته ملك مدينة فاس بعد هروب تمامة عنها وهزيمته وذلك في شهر جمادى الاخرة سنة اربع وعشرين واربع مائة فاوقع فيها باليهود فقتل منهم خلقا كثيرا يزيدون على استّة الاف يهودى واخذ اموالهم وسبى نساءهم وكان تميم اليفرنيّ رجلا متسمّا في دينه الغالب عليه الجهل وكان مُولَعًا بجهاد برغواطة كان يغزوهم في كلّ سنة مرّتين فيقتل منهم ويسبى فلم يزل على ذلك الى ان مات في سنة ثمان واربعين واربع مائة فلمّا كان في سنة اثنتين وستّين واربع مائة وقتل ولده محمّد في حرب تمتونة اتوا به ليدفنوه الى جنب قبر ابيه تميم، فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا فنبشوا القبر فوجدوه لم يتغيّر منه شئ فرءاه بعض قرابته في النوم في تلك الليلة وقال له ما ذلك التكبير والتسبيح والتشهد الذى سمعنا من قبرك قال ملايكة وكّلهم الله تعالى بقبرى يكبّرون ويهلّلون ويسبّحون ويكون اجر ذلك لى فلا يقطع لى عمل الى يوم القيامة قال له وبِمَ نِلْتَ ذلك وبلغت من الله تعالى هذه المنزلة حتّى اكرمك بهذه الكرامة قال بجهاد في الكفرة برغواطة وفعلى فيهم في كلّ سنة، فاقام الامير بمدينة فاس مدّة من سبعة اعوام ووصل تمامة بن المعزّ الى وجدة فاقام بها سنة وقد تفرّقت عنه جيوشه وتمزّقت جموعه فلمّا رءا ذلك خرج من مدينة وجدة الى مدينة تونس وكتب الى قبايل مغراوة فاجتمعوا اليه بها واقام حركة وزحف بجيوش مغراوة الى مدينة فاس فملكها وفرّ عنها تميم بن زيرى اليفرنيّ الى مدينة شالة وذلك في سنة احدى وثلثين واربع مائة وقيل كان دخوله فاس في دولته الثانية في ذى الحجّة سنة تسع وعشرين واربع مائة واقام تمامة بن المعزّ على ملك مدينة فاس وكثير من اعمال المغرب ومدنه الى ان توفّى في سنة اربعين واربع مائة فكانت ايامه بالمغرب ثمان عشرة سنة غلب

عليه فيها تميم اليفرنيّ بمدينة فاس نحو خمسة اعوام او سبعة على اختلاف الروايات
وولى بعد حمامة ولده دُوناس ☆

الخبر عن دولة الامير دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوى

ولى الامير دوناس بن حمامة مدينة فاس واحوازها وجميع ما كان بيد ابيه من اعمال المغرب ومدنه وكانت ايامه ايام هدنة ودَعَة ورخاء كثير وفى ايامه عظمت فاس وعمرت وكثرت ارباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحى والبلاد فادار دوناس من السور على الارباض وبنا المساجد والحمامات والفنادق فصارت حاضرة المغرب ولم يشتغل دوناس من يوم ولى الى ان توفّى الّا بالبنا والتشييد وتوفّى دوناس بمدينة فاس فى شهر شوّال من سنة اثنتين وخمسين واربع مائة فولى بعده اولاده الفُتُوح وعجيسة فكان الفتوح على عدوة الاندلس وعجيسة على عدوة القرويّين وكانت ايام ملك دوناس اثنتى عشرة سنة تنقص قليلا ☆

الخبر عن دولة الاميرين الاخوين الفتوح وعجيسة ابنى دوناس بنّ حمامة

لمّا توفّى الامير دوناس ولى بعده ولده الفتوح وهو الاكبر فاستوطن عدوة الاندلس من مدينة فاس وولى اخاه عجيسة على عدوة القرويين وكان اصغر منه سنّا الّا انه كان شهما فقام عليه بعدوة القرويين فكان بينهما الحرب على الدوام وبنا الفتوح بعدوة الاندلس قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكدّان وبنا ايضا اخوه عجيسة قصبة مثلها براس عقبة السعتر من عدوة القرويين وكثرت العداوة بينهما فكانوا لا يزالان يقاتلان ليلًا ونهارا وكثر الخوف فى ايامهما بالمغرب وغلت الاسعار واشتدّت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن فى جميع نواحى المغرب وظهرت لمتونة على اشراف البلاد فلكتها والحرب بين الاخوين الفتوح وعجيسة على الدوام والاستمرار ليس لاهل المدينة شغل الّا القتال اناء الليل واشراف النهار الى ان ظفر الفتوح باخيه عجيسة فقتله والفتوح بن دونس هو الذى بنا باب الفتوح من مدينة فاس الذى بسورها القبلى وبه عرف الى الان واخوه عجيسة هو الذى بنا باب عجيسة من باب القرويّين براس عقبة السعتر من ناحية الجوف وسمّاها باسمه فلمّا ظفر الفتوح باخيه عجيسة وقتله

امر

امر الناس بتغيير اسم الباب الذى بناه اخوه وترك اضافتها اليه فاسقط الناس العين من عجيسة وادخلوا عوضا منها الالف واللام فقالوا باب الجيسة فبقى ذلك الى الان وكانت مدّة اقامة الفتوح يحارب اخاه عجيسة ثلاث سنين متوالية الى ان دخل عليه عدوة القرويّين ليلًا بالغدر فقتله وملك العدوتَيْن ولم يزل الفتوح على ملك مدينة فاس الى ان اتاه لمتونة فنزلوا عليه وضيقوا عليه بالحصار والغارات فتخلّى عنها. ووليها ابن عمّه معنصر بن المعزّ بن زيرى بن عطية وذلك فى سنة سبع وخمسين واربع مائة فكانت ايام الفتوح بها خمسة اعوام وسبعة اشهر وكلّها فى شدّة وخوف ومجاعة وحرب وغلاء مفرط ۞

الخبر عن دولة الامير معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية المغراوى بمدينة فاس

لما تخلّى الفتوح بن دوناس عن ملك مدينة فاس ولى ابن عمّ ابيه معنصر بن المعزّ بن زيرى بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بها وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وخمسين واربع مائة وكان معنصر ذا حزم وراى وتدبير واقدام وشجاعة ونجدة فبقى اميرا على مدينتَىْ فاس يحارب لمتونة الى ان اشتدّ عليه الامر وعظمت الحرب فى بعض الوقايع ففقد فلا يُدْرا ما فعل الله به وذلك فى سنة ستّين واربع مائة ودخل الملثّمون مدينة فاس بعد فقد معنصر بن المعزّ بخمسة ايام مع اميرهم يوسف بن تاشفين الصنهاجىّ اللمتونىّ وهى الدخلة الاولى لهم بها دخلوها صلحًا بالامان فاقام الامير يوسف بن تاشفين بها اياما ثم ارتحل عنها الى جبال غمارة وترك بها عامله فى مائة فارس من لمتونة فاتى تميم بن معنصر فى جمع عظيم من زناتة فدخلها على مَنْ بقى بها من لمتونة وقتلهم ومثّل بهم بالحرق والصلب وقام بها وملكها وضبطها ولم يزل يقاتل بها لمتونة الى ان اشتدّ عليه الحصار فدخلها عليه الامير يوسف عنوة بالسيف بعد حروب كثيرة وهى الدخلة الثانية الكبرى قتل بها من مغراوة وبنى يفرن فى جوامعها وازقتها ما يزيد على العشرين الف رجل وذلك فى سنة اثنتين وستّين واربع مائة، فكانت ايامه بها نحو السنتين وكانت ايام مغراوة وبنى يفرن بالمغرب نحو المائة سنة وذلك من سنة اثنتين وستّين وثلاث مائة الى اثنتين وستّين واربع مائة وفى ايامهم تمهدت فاس وعظم شانها وبنيت الاسوار على ارباضها وحصنت ابوابها

وزيد فى جوامعها القرويين والاندلس زيادات كثيرة واتّسع الناس فى ايامهم فى البناء فكثرت المدينة وكثرت الخيرات بها واتّصل الامن والرخاء بطول ايامهم الى ان ظهر المرابطون بالمغرب وقد ضعفت احوال مغراوة ونقص ملكهم وجاروا على رعيتهم فاخذ اموالهم وسفك دمآئهم والتعرّض لحرمهم فانقطعت عنهم الموادّ وكثر الخوف فى البلاد وغلت الاسعار وتبدّل الرخاء بالشدّة والامان بالخوف والعدل بالجور فكانت آخر ايامهم ايام جور وظلم وعُدوان على رعيتهم وغلاء مفرط لم يسمع بمثله وفتن شديدة فاتّصل الجوع والغلاء وعدم الاقوات بمدينة فاس واعمالها ايام الفتوح بن دوناس وايام بن عمّه معنصر وايام ولده تميم بن معنصر الى ان بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب الغربيّة منها اوقية درهم وعدمت الاقوات فيها بالكلّية فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فياخذون ما يجدون فيها من الطعام ويتعرّضون لنسائهم وصبيانهم وياخذون اموال التجار فلا يقدر احد ان يصدّهم عن ذلك ولا يتجرا يكلّمهم فيه ومَنْ لم يوافقهم فى شئ من ذلك او صدّهم عنه قتلوه وكان سفهاءوهم وعبيدهم يصعدون على قُنّة جبل العرض فينظرون الى الديار التى بالمدينة فايّ دار راوا فيها دخانا قصدوا اليها فدخلوها واخذوا ما يجدون بها من الطعام فلمّا فعلوا ذلك سلبهم الله ملكهم وغيّر نعمه لديهم فان الله لا يغير نعمة بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فسلّط الله عليهم المرابطين فازالوا ملكهم وشتّتوا جمعهم وقتلوهم واخرجوهم عن بلاد المغرب باسره وفى ايام جورهم اشتدّ الجوع بالمغرب فاتخذ اهل مدينة فاس المطامير فى ديارهم وبيوتهم للخزن والطحن والطبيخ ليلا يسمع دوى الرحا وفيها ايضا اتخذوا غُرَفا لا ادراج لها اذا كان عشى النهار طلع رجل فيها بسلم هو وعياله واولاده ثم يرفع السلم معه ليلا يدخل عليه فجاة ✿

الخبر عن الاحداث التى كانت فى ايام زناتة بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وذلك من سنة ثمانين وثلاث مائة الى سنة اثنتين وستين واربع مائة

سنة احدى وثمانين وثلاث مائة كان محلّ شديد بالمغرب والاندلس وافريقية جفت من اجله المياه جفوفا كثيرا وجاء فى هذه السنة بوادى سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله ولم ير بتلك الارض كلّها فى تلك السنة مطر فعجب الناس من ذلك

وفيها

وفيها كانت المجاعة الشديدة بافريقيّة والمغرب والاندلس دامت هذه المجاعة ثلاث سنين من سنة تسع وسبعين الى اخر سنة احدى وثمانين وفيها ظهر نجم فى السماء وذلك فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر رجب من العام المذكور كان هذا النجم فى راى العين كالصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق وتهافت جريا من بين المغرب والجوف وتطاير منه شرر عظيم فراع الناس منه ودعوا الله تعالى فى صرف مكروهه عنهم وكسف بالشمس فى ءاخر هذا الشهر قاله ابن الفياض فى كتاب النير وقال ابن مزين كان ذلك فى سنة ثمانين وثلاث مائة، وفى أخر سنة احدى وثمانين اغاث الله تعالى الامّة وتداركهم بالرحمة ومَطَرَ الناسَ مطرا عظيما عامّا واكلأت الارض وحطّت الاسعار وحيى الناس وانتعشت البهايم والدوابّ وفيها اتى جراد كثيرة فوق النهاية عمّ جميع بلاد الاندلس فسمج بها وكان جُلُّهُ واكثره بقرطبة حتّى كثر به الاذى وعظم به البلاء فابرز المنصور الاموال للناس وأمرهم بجمعه وعقره وجعل جمعه وطبقة كلّ واحد بقدر طاقته وافرد له سوقا لبيعه بجانب السوق وتمادا امر هذه لجراد ثلاث سنين من سنة احدى وثمانين وثلاث مائة الى اخر سنة ثلاث وثمانين، وفى سنة احدى وثمانين المذكورة نبذ يدوا بن يعلى طاعة المنصور ابن ابى عامر وفيها ولى ابن ثعلبة مدينة عدوة الاندلس من فاس وولى ابن قشوش عدوة القرويين وفيها ولى الفقيه عامر بن قاسم قضاء المدينتين الاندلس والقرويّين، وفى سنة اثنتين وثمانين فيها دخل يدوا بن يعلى اليفرنىّ عدوة الاندلس من فاس بالسيف، وفيها جاء السيل الثاير بالقرطبة فاذهب اسواقها وعلا على الزاهرة، وفيها كانت الريح الشديدة بالمغرب وهدمت الديار وافسدت الثمار وفيها الكسوف الذى اذهب القرص كلّها، وفيها قطع المنصور ابن ابى عامر من الكتب خاتم المؤيّد واختصّ على خاتمه فسمّى المؤيّد من تلك السنة، وفيها ولد الفقيه الظاهرى ابو محمّد علىّ بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب مولى يزيد بن ابى سُفْيَان وله تواليف جُمّة فى انواع العلوم وتوفّى بعد الخميس واربع مائة، وفى سنة خمس وثمانين كانت الريح الهايلة ونظر الناس الى البهايم تمرّ بين السماء والارض نعوذ بالله من سخطه، وفى سنة احدى وتسعين وثلاث مائة توفّى الامير زيرى بن عطية وولى ولده المعز، وفى سنة اثنتين وتسعين توفّى المنصور بن ابى عامر ملك الاندلس فى شهر رمضان فدفن فى مدينة سالم ولحد فى الغبار الذى كان يعلوه فى غزواته وكان سنّه يوم توفّى خمس وستّين سنة، وفى سنة تسع وتسعين وثلاث مائة توفّى ولده عبد الملك الوالى بعده مسموما وولى بعده اخوه

عبد الرحمان فبعث اليه المعزّ بن زيرى بهدية عظيمة فيها مائة وخمسون فرسا وكان ولده معنصر مرتهنا عنده بقرطبة فاحضر الحاجبُ عبدُ الرحمان بن المنصور معنصرَ بن المعزّ حين وصلته الهدية فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعثه الى ابيه مكرّما فجمع المعزّ كلّ فرس كان عنده وبعث بها الى قرطبة وكان مبلغها تسع مئة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية اعظم منها، وفى سنة احدى واربع مائة توفّى الفقيه القاضى ابو محمّد عبد الله بن محمّد رحمه الله، وفى سنة سبع واربع مائة غلب الامير المعزّ بن زيرى بن عطية على مدينة سجلماسة، وفى سنة اربع وتسعين وثلاث مائة طلع الكوكب الوقاد فى السماء وكان نجما عظيم الجرم كثير الضياء، وفى سنة ستّ وتسعين وثلاث مائة طلع نجم عظيم من ذوات الذوايب شديد الارتعاد وهو احد النيازك الاثنى التى ذكرها الاوايل ورصدها علماؤهم فى المدّة الطويلة وزعموا انه لا يظهر منها كوكب الا لقضية يحدثها الله تعالى فى العالم والله اعلم بغيبه، وفى سنة سبع واربع مائة انقرضت الدولة الاموية بالاندلس وقامت بها الدولة الحمودية وكان مبلغ مدّتهم بها مائتى سنة وستّين سنة وثلاثة واربعين يوما، وفى سنة احدى عشرة واربع مائة اشتدّ القحط ببلاد المغرب كلّها من تاهرت الى سجلماسة وكثر الفناء بالناس وفيها ظهرت الثوار على بلاد الاندلس وبدت بها ملوك الطوايف واستبدّ كلّ واحد منهم بجهة، وفى سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الاندلس هُدّت الجبال واضطربت الارض، وفى سنة ستّ عشرة توفّى الامير المعزّ بن زيرى بن عطية بفاس، وفى سنة سبع عشرة توفّى الفقيه ابن العجوز بفاس، وفى سنة ثلاثين واربع مائة فيها توفّى الفقيه ابو عمران الفاسىّ رحمه الله فى مدينة القَيْرَوَان، وفى سنة احدى وثلاثين فيها توفّى القاضى اسمعيل بن عبّاد القايم باشبيلية، وفى سنة ثمان واربعين فيها دخل الامير ابو بكر بن عامر المغرب، وفى سنة خمسين واربع مائة قُتِل الفقيه ابو محمّد عبد الله بن ياسين الجزولىّ مهدى لمتونة قتله مجوس بن غواطة فمات شهيدا، وفى سنة اثنتين وخمسين دخل المهدى ابن نوالا مدينة مكناسة

الخبر عن ظهور الدولة المرابطة اللمتونية وقيامها بالقبلة والمغرب وبلاد الاندلس وذكر ملوكهم ومدة ايامهم الى انقضايها وذهابها

ذكر محمّد بن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانىّ صاحب كتاب الاكليل فى الدولة الحميريّة ان لمتونة فخذ من صنهاجة وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حِمْيَر وان الملك افريقش بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب وارض افريقيّة فلما توغل بالمغرب بنا مدينة افريقيّة وهى مشتقّة من اسمه وخلف بها من قبايل حمير وزعمايها صنهاجة ليردّوا البربر عن شاكلتهم ويأخذوا خراجهم ويدبّروا امرهم، وروى ابو عبيدة عن ابن الكلبى ان افريقش لما نقل البربر عن الشام ومصر الى المغرب وبنا مدينة افريقيّة وانزل البربر منازلهم من المغرب ترك فيهم قبيلتين من دهاته وهما صنهاجة وكتامة فهما فى البربر الى اليوم، وقال الزبير بن بكار انّ صنهاج ابو صنهاجة هو صنهاج بن حمير بن سبا ولد حمير من سبا لصلبه، وقال ابو فارس عبد العزيز الملزوزى الشاعر فى ارجوزته فى التاريخ المسمّى بنظم السلوك فى الانبياء والخلفاء والملوك

مرابطون اصلهم من حمير	قد بعدتْ انسابهم عن مُضَر
وانّ صنهاجَ ابوه حمير	وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكْرِمْ به من نسب صريح	فقلته لا تخفه بالتصريح
وعدلهم وفضلهم مشهور	ومجدهم وسعدهم مذكور

وقيل صنهاجة فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حمير يمانيون من ولد الحصورى بن وائل بن حمير وانما سمّوا هوارة لان اباهم المشهور لمّا اجال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد افريقيّة قال لقد تهوّرنا فى البلاد فسمّوا هوارة بذلك والله اعلم، وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة منهم لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة ومسراتة وتلكاتة ومداسة وبنو وارث وبنو مشلير وبنو دخير وبنو زياد وبنو موسى وبنو لماس وبنو فشتال وفى كلّ فرقة وقبيلة بطون وافخاذ وقبايل اكثر من ان تحصى وهذه القبايل كلها صحراويون بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة اشهر طولا ومسيرة

اربعة اشهر عرضا من نول لمطة الى قبلة افريقية وقبلة القيروان من بلاد افريقية وهى ما بين بلاد البربر وبلاد السودان وهو قوم لا يعرفون حرثا ولا ثمارا وانّما اموالهم الانعام وعيشهم من اللحم واللبن يقوم احدهم عمره فلا ياكل خبزا الا ان يمرّ ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق واكثرهم على السنّة والجماعة يجاهدون السودان، وكان اوّل ملك منهم بالصحراء تيولوتان بن تيكلان الصنهاجى اللمتونى ملك بلاد الصحراء باسرها ودان له بها ازيد من ملوك السودان كلّهم يودون اليه الجزية وكان عمله مسيرة ثلاثة اشهر فى مثلها كلّها عامرة وكان يركب فى مائة الف نجيب وكان فى ايام الامام عبد الرحمان القايم بالاندلس ودامت ايامه وطال عمره نحوا من ثمانين سنة الى ان توفّى فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين فولى بعده حفيده الاثر بن بطين بن تيبولوتان المذكور فقام بامر صنهاجة الى ان توفّى سنة سبع وثلاثين ومائتين تكانت ايامه خمسا وستّين سنة؛ فولى بعده ولده تميم بن الاثر فاقام ملكا على قبايل صنهاجة الى سنة ستّ وثلاث مائة فقامت عليه اشياخ قبايل صنهاجة فقتلوه فافترق امرهم فلم يجتمعوا على احد بعده فاختلفت كلمتهم وتفرّقت اهواؤهم مدّة من مائة وعشرين سنة الى ان قام فيهم الامير ابو عبد الله محمّد بن تيفات المعروف بتارسنا اللمتونى فاجتمعوا عليه وقدّموه على انفسهم وكان من اهل الدين والفضل والصلاح والحجّ والجهاد فاقام اميرا على صنهاجة مدّة من ثلاثة اعوام الى ان استشهد فى غزوة له بموضع يقال له بقارة وهم قبايل من السودان يسكنون مقربة من مدينة تانكلاسين غربا منها كانوا على دين اليهوديّة ومدينة تانكلاسين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببنى وارث وهم قوم صالحون على السنّة والجماعة اسلموا على يد عقبة بن نافع الفهرىّ ايام فتح المغرب وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الاسلام فلمّا توفّى الامير ابو عبد الله بن تيفات اللمتونىّ ولى امر صنهاجة بعده صهره يحيى بن ابراهيم الجدالى ☆

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ابراهيم الجدالى وقيامة بامر صنهاجة

ولى الامير يحيى بن ابراهيم الجدالى بعد وفات محمد بن ترسنا اللمتونى وجداله ولمتونة اخوة يجتمعون فى اب واحد وهم يسكنون آخر بلاد الاسلام ويحاربون السودان

السودانَ ويليهم من جهة المغرب البحرُ المحيطُ فاقام الامير يحيى بن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحروبهم مع اعدائهم الى سنة سبع وعشرين واربع مائة فاستخلف ولده ابراهيم بن يحيى على رياسة صنهاجة وحروبهم مع اعدائهم وارتحل الى المشرق برسم حجّ بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه السلام فوصل فقضى حجّه وزيارته وقفل الى بلاده فمرّ فى طريقه بمدينة القيروان فلقى بها الفقيه الصالح ابا عمران موسى ابن ابى حاجّ الفاسىّ كان قد رحل من مدينة فاس فاستوطن القيروان ياخذ عن ابى الحسن القابسىّ ثمّ رحل الى بغداد فحضر بها مجلس الفقيه القاضى ابى بكر الطيب فاخذ عنه علما كثيرا ثمّ عاد الى القيروان فلم يزل بها حتّى توفّى رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين واربع مائة، فلما وصل يحيى بن ابراهيم الجدالى الى القيروان الفى بها ابا عمران الفاسى يدرس العلم فجلس اليه وسمع منه قرءاه ابو عمران محبّا فى الخير فاعجبه حاله فسأله عن اسمه ونسبه وبلده واخبره بذلك واعلمه بسعة بلاده وما فيه من الخلق فقال له وبن ينتحلون من المذاهب فقال له انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم فاختبره الفقيه وسأله عن موجوبات دينه ولم يجده يعرف من دينه شيًا ولا يحفظه لا من الكتاب ولا من السنّة الّا انه حريص على التعلّم صحيح النيّة والعقيدة واليقين جاهل بما يصلح دينه فقال له ما يمنعك من تعليم العلم فقال له يا سيدى انّ اهل بلادنا قوم عمّهم الجهلُ ليس فيهم من يقرأ القرآن وهم مع ذلك يحبّون الخير ويرغبون فيه ويسارعون اليه لم يجدوا من يقرئهم القرآن ويدرسهم العلم ويفقههم فى دينهم ويدعوهم الى العلم بالكتاب والسنّة ويعلّمهم شرائع الاسلام ويبيّن سنن النبى عليه السلام فلو ابغيتَ الثواب من الله تعالى فى تعليمهم الخير لبعثتَ معى الى بلدنا بعضَ طلبتك وتلاميذك فيقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك فى ذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم عند الله تعالى اذ تكون سببا لهدايتهم، فندب الشيخ الفقيه ابو عمران تلاميذه الى ذلك فامتنعوا منه واشفقوا من دخول الصحراء ولم يجبه منهم احد ممن يرضاه الشيخ فلما يئس منهم قال له انى اعرف ببلاد نفيس من ارض المصامدة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقينى هنا واخذ عنى علما كثيرا وعرفت ذلك منه اسمه وجاج بن زلوا اللمطىّ من اهل السوس الاقصى وهو الان يتعبّد ويدرس العلم ويدعوا الناس الى الخير فى رباطه هنالك وله تلاميذ جملة يقرؤن عليه العلم اكتب له كتابا لينظر فى تلاميذه من يبعثه معك فسر اليه فعنده تجد

ما تريد، فكتب اليه الفقيه ابو عمران كتابا فيه سلام عليك ورحمة الله تعالى اما بعد اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي فابعث معه الى بلده مَنْ تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسة ليعلمهم القرآن وشرايع الاسلام ويفقههم في دينهم ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم والله لا يضيع اجر مَنْ احسن عملا والسلام، فسار يحيى بن ابراهيم الجدالي بكتاب ابي عمران حتى وصل الفقيه وجاج بمدينة نفيس فسلّم عليه ودفع اليه الكتاب وذلك في شهر رجب الفرد سنة ثلاثين واربع مائة فقرأ الفقيه وجاج الكتاب ثم جمع تلاميذه فقرأه عليهم وندبهم لِمَا امر به الشيخ ابو عمران الفاسي فانتدب لذلك رجل منهم جزولي النسبَ يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة الاذكياء النبهاء النبلاء من اهل الدين والفضل والتقى والفقه والادب والسياسة مشارك في العلوم فخرج مع يحيى بن ابراهيم حتى وصل الى بلاد جدالة فتلقاه قبايل جدالة ولمتونة بالسرور وفرحوا به غاية وبالغوا في اكرامه وبرّه ✿

الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي ببلاد صنهاجة وقيامه بها مع لمتونة والمرابطين من قبايل صنهاجة

هو عبد الله بن ياسين ابن مكوك بن سير عليّ بن ياسين الجزولي لما وصل مع يحيى بن ابراهيم الى بلاد صنهاجة ونزل بساحتهم ورأ المنكرات ظاهرة فيهم شايعة عندهم ووجد الرجل منهم تتزوّج ستّ نسوة وسبع نسوة وعشرة وما شاء فانكر ذلك عليهم ونهاهم عنه وقال لهم ليس هذا من السنّة وانما سنّة الاسلام ان يجمع الرجل بين اربع نسوة حراير فقط وله سعة فيما شاء من ملك اليمين فجعل يعلمهم الدين ويبيّن لهم الشرايع والسنّة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فلما راوه شدّد في ترك ما هم عليه من المنكرات تبرؤا منه وهجروه ونفروه وثقُلَ ذلك عليهم ومع ذلك فانه وجد اكثرهم لا يصلّون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادتيْن وقد غلب عليهم الجهل، فلما رءا عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم اهواءهم اراد الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في الاسلام اذ كان الاسلام بها قد ظهر فلم يتركه يحيى بن ابراهيم الجدالي وقال له اني لا اتركك تنصرف وانما اتيتُ بك لانتفع بعلمك في خاصّة نفسي

ودينى

ودينى وما علىّ ممن ضلّ من قومى ولاكن يا سيدى هل لك فى راى اشير به عليك ان كنتَ تريد الاخرة، قال وما هو قال ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر اذا حسر البحر دخلنا اليها على اقدامنا واذا ملا دخلنا فى الزوارق وفيها الحلال المحض الذى لا تشكّ فيه من الشجر البرية وصيد البرّ والبحر من اصناف الطير والوحش والحوت فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله حتّى نموت فقال له عبد الله بن ياسين هذا احسن فهلمّ بنا ندخلها على اسم الله تعالى فدخلاها ودخل معهما سبعة نفر من جدالة فابتنا بها رابطة واقام بها مع اصحابه يعبدون الله تعالى مدّة من ثلاثة اشهر فتسامع الناس بخبرهم وانهم يطلبون الجنّة والنجاة من النار فكثر الوراد عليهم والتوابون فاخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرءان ويستميلهم الى الخير ويرغّبهم فى ثواب الله تعالى ويحذّرهم اليم عذابه حتّى تمكّن حبّه فى قلوبهم فلم تمرّ عليه حتى اجتمع عليه من تلاميذه نحو الف رجل من اشراف صنهاجة فسمّاهم المرابطين للزومهم رابطته واخذ يعلمهم الكتاب والسنّة والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك فلمّا تفقهوا فى ذلك وكثروا اقام فيهم خطيبا فوعظهم وشوّقهم الى الجنّة وخوّفهم النار وامرهم بتقوى الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واخبرهم بما فى ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم الاجر ثم دعاهم الى جهاد مَنْ خالفهم من قبايل صنهاجة وقال لهم معشر المرابطين انكم جمع كثير وانتم وجوه قبايلكم ورؤساء عشايركم وقد اصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم وتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون فى سبيل الله حقّ جهاده فقالوا له ايها الشيخ المبارك مُرْنا بما شيتَ تجدنا سامعين لك مطيعين ولو امرتنا بقتل ابايئنا لفعلنا فقال لهم آخرجوا على بركة الله تعالى وانذروا قومكم وخوّفوهم عقاب الله وابلغوهم حجّته فان تابوا وانابوا ورجعوا الى الحقّ واقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم وان ابوا عن ذلك وتمادوا فى غيّهم ولجّوا فى طغيانهم استعنّا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته فوعظهم وانذرهم ودعاهم الى الاقلاع عمّا هم بسبيله فلم يكن منهم من يقبل ولا يرجع فخرج اليهم عبد الله بن ياسين فجمع اشياخ القبايل ورؤساهم وقرأ عليهم حجّة الله ودعاهم الى التوبة وخوّفهم عقاب الله فاقام ينذرهم سبعة ايام وهو فى كل ذلك لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الاّ فسادا، فلمّا يئس منهم قال لاصحابه قد ابلغنا الحجّة وانذرنا وقد وجب علينا الان جهادهم فاغزوهم على بركة الله تعالى فبدا اوّلا بقبايل جُدالة فغزاهم فى ثلاثة

ءالاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه فقتل منهم خلقا كثيرا واسلم الباقون اسلاما جديدا وحسنت حالتهم وادوا ما يلزمهم من جميع ما فُرِضَ عليهم وذلك في شهر صفر سنة اربع وثلاثين واربع مائة، ثم سار الى قبآئل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم واذعنوا الى الطاعة وتابوا وبايعوه على اقامة الكتاب والسنّة، ثم سار الى قبآئل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا له وبايعوه على بايعته قبآئل لمتونة وجدالة، فلمّا راء ذلك قبآئل صنهاجة فتسارعوا الى التوبة والى مبايعته واقرّوا له بالسمع والطاعة فكان كل مَنْ اقبل اليه تايبا منهم طهّره بان يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرءان وشرآئع الاسلام ويامرهم بالصلاة والزكاة واخراج العشر وجعل لذلك بيت مال يجمعها فيه واخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبآئل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولى على قبآئلها وجمع اسلاب المقتولين في تلك الغزوات وجعلها فيا للمرابطين وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والاعشار والاخماس الى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها فاشتهر امرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وساير المغرب وانه قام رجل بجدالة يدعوا الى الله والى الطريق المستقيم ويحكم بما انزل الله وانه متواضع زاهد في الدنيا وانتشر ذلك عنه في بلاد السودان وتوفّي يحيى بن ابراهيم الجدالي فاراد عبد الله بن ياسين ان يقدم غيره في موضعه ليقوم بحروبهم وكان اكثر قبآئل صنهاجة طايعة لله تعالى ودينا وصلاحا لمتونة فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم على قبآئل صنهاجة وذلك لما اراد الله تعالى من ظهور امرهم وتملكهم على المغرب والاندلس فجمع عبد الله بن ياسين برؤساء القبآئل من صنهاجة فقدّم عليهم يحيى بن عمر اللمتوني وامّره على سايرهم وعبد الله بن ياسين هو الامير على الحقيقة لانه هو الذى يامر وينهى ويعطى وياخذ فكان الامير يتولى النظر في امور حروبهم وعبد الله بن ياسين ينظر في ديانتهم واحكامهم وياخذ زكاتهم واعشارهم ✿

الخبر عن الامير يحيى بن عمر بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني

لما قدّم عبد الله بن ياسين يحيىَ بن عمر اللمتوني المرابط وكان من اهل الدين المتين والفضل والورع والزهد في الدنيا والصلاح لامره بالجهاد وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين كثير الطاعة له فيما يامره به وينهاه عنه فمِنْ حسن طاعته له انه لما قال له يوما وجب عليك ادبٌ قال فبماذا يا سيدى قال له لا اعرفك

به حتى اخذه منك فكشف من بشرته فضربه عشرين سوطا ثم قال له انما ضربتك لانك باشرت القتال وامضيت للحرب بنفسك وذلك خطاء منك فانّ الامير لا يقاتل وانما يقف يحرض الناس ويقوى نفوسهم فانّ حياة الامير حياة عسكره وموته فناء جيوشه فاستولى الامير يحيى على جميع بلاد الصحراء وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها فلما كان فى سنة سبع واربعين واربع مائة جمعوا فقهاء سجلماسة وفقهاء درعة وصلحاؤهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الامير يحيى بن عمر واشياخ المرابطين كتابا يرغبون منهم الوصول الى بلادهم ليطهّروها مما هى فيه من المنكرات وشدّة العسف والجور وعرّفوهم بما هم فيه بها اهل العلم والدين وساير المسلمين من الذلّ والصغار والجور مع اميرهم مسعود بن وانودين الزناتى المغراوى، فلما وصل الكتاب لعبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم الكتاب وشاورهم فى الامر فقالوا له ايها الشيخ الفقيه هذا مما يلزمنا ويلزمك فسر بنا على بركة الله تعالى فامرهم بالجهاد وخرج بهم فى الموفى عشرين لصفر سنة سبع واربعين واربع مائة فى جيش عظيم من المرابطين فسار حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل امير سجلماسة فاخرجه عنها ووجد بها خمسين الف ناقة كانت فى مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوى فعلم الامير مسعود بذلك فجمع جيوشه وخرج نحوهم فالتقى الجمعان. فكانت بينهم حروب عظيمة ثم منح الله تعالى المرابطين فيها النصرَ على مغراوة فقُتل مسعود بن وانودين المغراوى واكثر جيوشه وفرّ الباقون فاخذ عبد الله بن ياسين اموالهم ودوابّهم واسلحتهم مع الابل الذى اخذ فى درعة فاخرج منه خمس جميعه ففرّقه لفقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسّم الباقى على المرابطين وارتحل من فوره حتى دخل مدينة سجلماسة فقتل بها من وجد فيها من مغراوة واقام بها حتى هذّبها واصلح احوالها وغيّر ما وجد فيها المنكرات وقطع المزامير واحرق الديار التى كانت بها بيع الخمر وازال المكوس واسقط المغارم المخزنية وترك ما اوجب تركه الكتاب والسنّة فقدّم عليها عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء وتوفّى الامير ابو زكرياء يحيى بن عمر فى جهاد كان له هنالك ببلاد السودان فقدّم الفقيهُ عبد الله بن ياسين فى مكانه اخاه ابا بكر بن عمرْ اللمتونى وذلك فى شهر محرم سنة ثمان واربعين واربع مائة ۞

الخبر عن دولة الامير ابى بكر بن عمر اللمتونى المرابط

لما توفّى يحيى بن عمر قدّم عبد الله بن ياسين عوضا منه اخاه ابا بكر بن عمر وقلّده

امر الحرب فندب المرابطين الى غزو بلاد المصامدة وبلاد السوس فخرج اليها فى جيوش عظيمة وذلك فى شهر ربيع الثانى من سنة ثمان واربعين واربع مائة وكان الامير ابو بكر رجلا صالحا متورّعا فجعل على مقدمته ابن عمّه يوسف بن تاشفين اللمتونى ثم سار حتّى وصل بلاد السوس فغزا بلاد جزولة وفتح مدينة ماسّة ومدينة تارودانت وجميع بلاد السوس وكانت بتارودانت قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين الى علىّ بن عبد الله البجلىّ الرافضى كان قدم الى السوس فى حين قام عبيد الله الشيعى بافريقية فاشاع هنالك مذهبه فتوارثوه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لا يرون الحقّ الا ما فى ايديهم فقاتلهم الامير ابو بكر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة وقتل بها من الروافض خلق كثير فرجع مَنْ بقى منهم الى السنّة واخذ اموال مَنْ قتل منهم فجعلها فيئا للمرابطين واظهر الله المرابطين وعلا كلمتهم ففتح معاقل بلاد السوس واطاعتهم جميع قبايلها فاخرج عبد الله بن ياسين عمالَه على نواحيها وامرهم باقامة العدل واظهار السنّة فيها واخذ الزكاة والعشر واسقط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة وارتحل الى بلاد المصامدة ففتح جبال دَرْن وفتح ايضا بلاد رودة وفتح مدينة شفشاوة بالسيف ثم فتح نفيس وساير بلاد جدميوة واتته قبايل رجراجة وحاحة فبايعوه وارتحل الى مدينة اغمات وبها يومئذ اميرها لقوط بن يوسف بن علىّ المغراوىّ فنزل عليها وضيّق عليه بالحصار وقتله اشدّ القتال فلما راى لقوط ما لا طاقة له به اسلمها له وفرّ عنها ليلا هو وجميع حشمه الى ناحية تادلا فنزل فى حماء بنى يفرون اربابها ودخل المرابطون مدينة اغمات فى سنة تسع واربعين واربع مائة فقام عبد الله بن ياسين بمدينة اغمات نحو الشهرَيْن حتى استراح المرابطون ثم خرج بهم الى غزو تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرون من ملوكها وظفر بلقوط المغراوى فقتله ثم سار الى بلد تامسنا ففتحها فاخبر ان بساحلها قبايل برغواطة فى عدد عظيم وانهم مجوس كفّار ٭

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخبيثة

لمّا وصل عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا أُخبِرَ ان بساحلها قبآئل بَرْغُواطة فى امم لا تحصى وانهم مجوس اهل ضلال وكفر واخبر بديانتهم الخبيثة التى تمسّكوا بها

وقبيل

وقيل له انّ برغواطة قبايل كثيرة وليس لهم اب واحد ولا امّ واحدة وانما هم اخلاط
من قبايل شتّى من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القايم بتامسنا حين ادعا النبوّة
فى ايام هشام بن عبد الملك بن مروان وكان اصله لعنه الله من بَرْباط حصن من
عمل شذونة من بلاد الاندلس فكان يقال مَنْ تبعه ودخل فى ديانته برباطى فعربته
العرب وقالوا برغوطى فسموا برغواطة، وكان صالح بن طريف الذى ادعا فيهم
النبوّة رجلا خبيثا يهوديّ الاصل من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام نشا
ببرباط من بلاد الاندلس ثم رحل الى المشرق فقرا على عبيد الله المعتزلى القدرى
واشتغل بالسحر فجمع منه فنونا كثيرة وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا فوجد بها
قبايل من البربر جهالا فاظهر لهم الاسلام والزهد والورع فاخذ بعقولهم واستمالهم
بسحره ولسنه واراهم من نوارجه وتمويهاته فاستهواهم بذلك واقرّوا بفضله واعترفوا بولايته
فقدّموه على انفسهم وصدروا عن رايه فى جميع امورهم ووقفوا عند امره ونهيه فادعا
النبوّة وتسمّى بصالح المومنين وقال لهم انا صالح المومنين الذى ذكره الله فى كتابه
العزيز الذى انزله على محمّد صلّى الله عليه وسلّم وشرع لهم الديانة التى اخذوها عنه
وذلك فى سنة خمس وعشرين ومائة، وكان الضلال الذى شرع لهم يُقرّون بنبوّته
وانهم يصومون شهر رجب وياكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات خمسا
بالليل وخمسا بالنهار وان الاضحية واجبة على كلّ مسلم فى الحادى والعشرين من المحرّم
وشرع لهم فى الوضوْ غسل السرّة والخاصرتين وصلاتهم ايماء لا سجود فيها ويسجدون
فى اخر ركعة خمس سجدات ويقولون عند الطعام والشراب باسم ياكس وزعم ان
تفسيره بسم الله وامرهم ان يخرجوا العشر من جميع الثمار واباح لهم ان يتزوّج الرجل
من النساء ما شاء ولا يتزوّج من بنات عمّه ويطلقون ويرجعون الف مرّة فى اليوم
فلا تحرم عليهم المراة بشىءٍ من ذلك وامرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا
يطهّره من ذنبه الا السيفُ وامرهم بالدية من البقر وحرّم عليهم راس كلّ حيوان
والدجاجة مكروه اكله وقد وقتهم فى الاوقات الديكة وحرّم عليهم ذبحها واكلها
ومن ذبح ديكا واكله اعتق رقبة وامرهم ان يلحسوا بُزاق ولانهم تبرّكا فكان
يبصق فى اكفهم فيلحسونه تبرّكا به ويحملونه الى مرضاهم فيستشفون به ووضع
لهم قرْانا يقرونه فى صلواتهم ويتلونه فى مساجدهم وزعم انه انزل عليه وانه وحى من
الله تعالى اليه ومَنْ شكّ فى شىءٍ من ذلك منهم فهو كافر والقرأن الذى شرع لهم ثمانين
سورة سمّاها لهم باسماء النبيين منها سورة ادَمَ وسورة نوح وسورة ايوب وسور موسى

وسورة هارون وسورة الاسباط وسورة فرعون وسورة بنى اسرايل وسورة الديك وسورة الحجر وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة هاروت وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم عندهم وامرهم ألاّ غسل من جنابة الاّ من الحرام، وقد ذكرنا اخبار برغواطة وملوكهم مستوفيّة فى كتابنا الكبير المسمّى بزهرة البستان فى اخبار الزمان وذكر الموجود مما وقع فى الوجود، قال المؤلف عفا الله عنه فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الضلالة رءا ان الواجب تقديم جهادهم على غيرهم فسار الى غزوهم فى جيوش المرابطين والامير على برغواطة يومئذ ابو حفص بن عبد الله بن ابى عبيد محمّد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطى المتنبى فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير فاستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدى المرابطين ورئيسهم ثقل بالجراح فى الحرب وحمل الى معسكره وبه رمق فجمع اشياخ المرابطين ورؤسائهم فقال لهم يا معشر المرابطين انكم فى بلاد اعدايكم وانى ميت فى يومى هذا لا محالة فاياكم ان تجبنوا فتفشلوا فتذهب ريحكم وكونوا الفة واعوانا على الحق واخوانا فى ذات الله تعالى واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة فان الله يوتى ملكه من يشاء ويستخلف فى ارضه من احبّ من عباده وانى قد ذهبت عنكم فانظروا مَنْ تقدّموه منكم يقوم بامركم ويقود جيوشكم ويغزوا عدوكم ويقسم بينكم فيئكم وياخذ زكاتكم واعشاركم فاتّفقوا رايهم على تقديم امير الحرب ابى بكر بن عمر اللمتونى فقدّمه عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع اشياخ صنهاجة واجتماع منهم على ذلك وتوفّى عبد الله بن ياسين فى عشى يومه ذلك وذلك يوم الاحد الرابع والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وخمسين واربع مائة ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتمسنا وبنا على قبره مسجدا، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع فى المطعم والمشرب فكان بطول اقامته فيهم لم ياكل شيأ من لحمانهم ولا شرب من البانهم فان اموالهم كانت غير مطيبة لشدّة جهلهم فكان يتعيّش من لحوم الصيد وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوّج فى كلّ شهر عددا من النساء ويطلّقهن ولا يسمع بامراة جميلة الا خطبها ولا يجاوز فى مهرها اربعة مثاقيل وكان ياخذ الثلث من الاموال المختلطة ويرى ان ذلك يحلل باقيها وذلك شذوذ من الفعل ومما يذكر من فضله وصلاحه ومن بركاته التى شاهدها الناس انّ المرابطين خرجوا معه فى بعض غزواته للسودان فنفدوا الماء حتى اشرفوا على التلف فقام عبد الله بن ياسين

وتيمّم

وتيمّم فصلّا ركعتين ودعا الله تعالى وامّن المرابطون على دعائه فلمّا فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاى هذا فحفروا فوجدوا الماء على مقدار شبر من الارض فشربوا منه واستقوا وملؤا اوعيتهم بماء عذب بارد ومن بركاته انه نزل منزلا بركة كثيرة الضفادع لا يقدر احد ان يستقرّ حوله لكثرة نقيقها وصياحها فوقف عليه عبد الله بن ياسين حداها فسكنت الضفادع ولم يسمع لها نقيق فلما تباعد عنها عادت ولم يزل صايما من يوم دخل بلادهم الى ان توفّى رحمه الله ومن حسن سياسة فيهم انه اقام فيهم السنّة والجماعة فى المدّة القليلة وحكم عليهم ان مَنْ فاتته الصلاة فى الجماعة ضربه عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضربه خمسة اسواط ☆

الخبر عن دولة الامير ابى بكر بن عمر الصنهاجى اللمتونى

هو الامير ابو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن وايافطين اللمتونى المحمدى امّه حرّة جدالية اسمها صفيّة لما قدّمه عبد الله بن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم فتمّت له البيعة كان اوّل فعله ان اخذ فى دفن عبد الله بن ياسين فلما فرغ من دفنه عبّاء جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمّما فى حربه متوكّلا على الله تعالى فى جميع اموره فاستاصل برغواطة حتى فرّوا بين يديه وهو فى اثرهم يقتل ويسبى حتى اثخن فيهم وتفرّقت برغواطة فى الشعارى وادعنوا له بالطاعة واسلموا اسلاما جديدا ولم يبق لديانتهم الخبيثة اثر الى اليوم وجمع اموالهم وغنايمهم وقسّمها بين المرابطين ورجع الى مدينة اغمات فاقام بها الى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين واربع مائة فخرج بجيوشه الى بلاد المغرب فى امم لا تحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فازاز وجبالها وساير بلاد زناتة وفتح مدائن مكناسة وارتحل عنها الى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بنى يفرون وكان دخوله اياها وتخريبها فى اخر يوم شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وخمسين واربع مائة فلم تعمر بعدها الى اليوم فلما فرغ من فتح لواتة ارتحل الى مدينة اغمات وكان قد تزوّج بها امراة اسمها زينب بنت اسحاق الهوارى رجل من التجار اصله من القيروان وكانت امراة حازمة لبيبة ذات راى وعقل وجزالة ومعرفة بالامور حتى كان يقال لها ساحرة فاقام الامير ابو بكر معها باغمات من ثلاثة اشهر الى ان قدم عليه رسول من بلاد القبلة فاخبره باختلال الصحراء وكان الامير ابو بكر رجلا صالحا كثير الورع فلم يستحلّ

قتال المسلمين وسفك دماءهم فعزم على السير الى الصحراء ليصلح احوالها ويقيم فيها يجاهد الكفار من السودان فلما عزم الى الخروج للصحراء طلّق زوجته زينب وقال لها عند فراقه لها يا زينب انك ذات حسن وجمال فايق وانى ساير الى الصحراء برسم الجهاد لعلّ ارزق الشهادة والفوز بالاجر الوافر وانت امراة غليظة لا طاقة لك على بلاد الصحراء وانا مطلّقك فاذا تمّت عدّتك فزوجى ابن عمّى يوسف بن تاشفين فهو خليفتى على بلاد المغرب فطلّقها ثم ارتحل عن اغمات واخذ على بلاد تدلا حتى خرج الى سجلماسة فدخلها واقام بها اياما حتى اصلح احوالها فلما اراد السفر منها دعا ابن عمّه يوسف بن تاشفين فعقده على المغرب وفوّض اليه امره وامره بالرجوع الى قتال مَنْ به من مغراوة وبنى يفرون وقبايل البربر وزناتة واتّفق على تقديمه اشياخ المرابطين لمّا يعلموا من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رايه ويمن نقيبته فرجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بنصف جيش المرابطين وارتحل الامير ابو بكر بن عمر بالنصف الثانى الى الصحراء وذلك فى شهر ذى قعدة من سنة ثلاث وخمسين واربع مائة فتزوّج يوسف بن تاشفين زينب المذكورة فكانت القايمة بملكه والمدبرة لامره والفاتحة بحسن سياستها اكثر بلاد المغرب الى ان توفيت فى سنة اربع ستّين واربع مائة، وسار الامير ابو بكر الى الصحراء فهدّنها وسكّن احوالها وجمع جيوشا كثيرة وخرج الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح بلادهم مسيرة ثلاثة اشهر وغلب ايضا يوسف بن تاشفين على اكثر بلاد المغرب واستوثق امره به فلما سمع الامير ابو بكر بضخامة ملك يوسف بن تاشفين وما فتح الله عليه من بلاد المغرب اقبل اليه من الصحراء ليعزله ويولى غيره فاحسّ يوسف بن تاشفين بذلك فشاور زوجته فى ذلك الامر فقالت له يا يوسف ان ابن عمّك رجل متورّع فى سفك الدماء فاذا لقيته فقصر عمّا كان يعهده منك من الادب والتواضع واظهر له غلظة حتى كانك مساويا له ومقاوم ولاطفه مع ذلك بالهدية والاموال والخلع والثياب والطعام والطرف واستكثر من ذلك فانه ببلاد الصحراء وكلّ شى عندهم من هنا مستطرف فلما قربُ الامير ابو بكر بن عمر من عمل يوسف خرج اليه فتلقاه فى الطريق فسلّم عليه وهو راكب سلاما مختصرا ولم ينزل له فنظر الامير ابو بكر كثرة جيوشه فقال له يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش كلها قال له استعين بها على مَنْ خالفنى فارتاب ابو بكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه ونظر الى الف بعير موقرة قد اقبلت قال ما هذا الابل الموقرة قال ايها الامير انى جيتك بكل ما معى من مال وثياب وشىٌ من الطعام والادام لتستعين به على

الصحراء

الصحراء فازداد تعرّفا من حاله وعلم انه لا يتخلّا له عن الامر فقال له يا ابن عمّى انزل اوصيك فنزل يوسف ونزل الامير ابو بكر ففرش لهما فرش فقعدا عليه فقال له يا يوسف انى قد وليتك هذا الامر وانى مسؤل عنها فاتّق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك ولا يضيع من امور رعيتك شيا فانك مسؤل عنهم والله تعالى يصلحك ويمدّك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك وهو خليفتى عليك وعليهم ثم ودعه وانصرف الى الصحراء فاقام بها مدّة يجاهد الكفرة من السودان الى ان استشهد رحمه الله فى بعض غزواته رمى بسهم مسموم فمات رحمه الله وذلك فى شهر شعبان المكرّم سنة ثمانين واربع مائة بعد ان استقام له امر بلاد الصحراء الى جبال الذهب من بلاد السودان وخلص الامر ليوسف بن تاشفين من بعده ☆

الخبر عن دولة امير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى وسيره وغزواته

هو امير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن امية بن وتلمى بن تلميت الحِمْيَرىّ الصنهاجىّ اللمتونىّ من ولد عبد شمس بن واثل بن حمير، امّه حرّة لمتونيّة بنت عمّ ابيه اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارتقطين المذكور صفته اسمر اللون نقية معتدل القامة نحيف الجسم خفيف العارضين رقيق الصوت اكحل العينين اقنا الانف له وفرة تبلغ شحمة اذنيه مقرون الحاجبين اجعد الشعر وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا لملكه متفقدا لموالى من رعيته وبلاده من ثغوره ومواظبا على الجهاد مويدا منصورا جوادا كريما شيخا زاهدا فى زينة الدنيا متورّعا عادلا صالحا متقشّفا على ما فتح الله عليه من الدنيا لباسه الصوف ولم يلبس قطّ غيره واكله الشعير ولحوم الابل والبانها مقتصرا على ذلك لم ينتقل عنه مدّة عمره الى ان توفّى رحمه الله على ما منحه الله من سعة الملك فى الدنيا وخوّله منها فانه خطب له بالاندلس والمغرب على الف منبر وتسع مائة منبر وكان ملكه من مدينة افراغ اوّل بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الاندلس الى اخر عمل منشرين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الاندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا وفى العرض ما يقرب من ذلك وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزاير بنى مزغنة الى طنجة الى اخر السوس الاقصى الى جبل الذهب

من بلاد السودان ولم يجد فى بلد من بلاده ولا فى عمل من اعماله على طول ايامه رسم مكس ولا معونه ولا خراج لا فى حاضرة ولا فى بادية الا ما امر الله تعالى به واوجبه حُكْم الكتاب والسنّة من الزكاة والعشر وجزيات اهل الذمّة واخماس غنايم المشركين وجبا فى ذلك من الاموال على وجهها ما لم يجبه احد قبله فيقال انه وُجد فى بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر الف رُبع من الورق وخمسة الاف واربعين رُبعا من دنانير الذهب المطبوعة، وردّ احكام البلاد الى القضاة واسقط ما دون الاحكام الشريعة وكان يسير فى اعماله فيتفقّد احوال رعيته فى كلّ سنة وكان محبّا فى الفقهآء والعلمآء والصلحآء مقرّبا لهم صادرا عن رايهم مكرّما لهم اجرا عليهم الارزاق من بيت المال طول ايامه وكان مع ذلك حسن الاخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخلال الفضل فكان كما قال الفقيه الكاتب ابو محمّد بن حامد فيه وفى بنيه

ملك له شرف العلى من حمير　　وان انتهموا صنهاجة فهم هم

لما حووا احواز كلّ فضيلة　　غلب عليهم الحياء فتلثّم

مولده فى سنة اربع مائة ببلاد الصحراء ووفاته فى سنة خمس مائة فكان جميع عمره مائة سنة ايامه منها بالمغرب منذ استخلفه الامير ابو بكر عمر على ان توفّى رحمه الله سبع واربعين سنة وذلك من سنة ثلاث وخمسين واربع مائة الى سنة خمس مائة، كنيته ابو يعقوب وكان يدعا بالامير فلما فتح الاندلس وصنع غزاة الزلاقة واذلّ الله تعالى بها ملوك الروم وبايعه فى ذلك اليوم ملوك الاندلس وامراوها الذين شهدوا معه تلك الغزاة وكانوا ثلاثة عشر ملكا فبايعوه وسلّموا عليه بامير المسلمين وهو اوّل مَنْ تسمّى بامير المسلمين من ملوك المغرب فخرجت كتبه مصدرة عنه بذلك الى بلاد العدوة وبلاد الاندلس فى ذلك اليوم فقرأت على المنابر يخبرهم فيها بغزاة الزلاقة وما منّ الله تعالى فيها من النصر والظفر والفتح العظيم وضرب السكّة من يومئذ وجددها ونقش فى ديناره لا اله الا الله محمّد رسول الله وتحت ذلك امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب فى الدائرة وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ وكتب فى الصحفة الاخرى الامير عبد الله امير المومنين العباسيّ وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكّته، بنوه علىّ الخليفة بعده وتميم وابو بكر والمعزّ وابراهيم وكونة ورقية، لما قدّمه ابو بكر بن عمر على المغرب وفوّض اليه امره وذلك فى سنة ثلاث وخمسين واربع مائة وانصرف عنه من مدينة سجلماسة فوصل الى وادى ملوية فميّز جيوشه فوجدهم اربعين الفا من المرابطين فاختار منهم اربعة من القواد وهم محمّد بن

تميم

تميم الجدالي وعمران بن سليمان المسوفي ومدرك التلكاني وسير بن ابي بكر اللمتوني وعقد لكلّ قائد منهم على خمسة ءالاف من قبيلته وقدّمهم بين يديه الى قتال مَنْ بالمغرب من مغراوة وبني يفرون وغيرهم من قبائل البربر القاطنين به وسار هو في اثرهم فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة وبلدا بعد بلد فقوم يفرّون بين يديه وقوم يقاتلونه وقوم يدخلون في طاعته حتّى اثخن في بلاد المغرب وسار حتّى دخل مدينة اغمات فتزوّج زينب التى فارقها ابن عمّه ابو بكر بن عمر فكانت عنوان سعده، ودخلت سنة اربع وخمسين واربع مائة فيها تقوّى امر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكثر صيته وفيها اشترى موضع مدينة مرّاكش ممّن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام الشعر وبنا به مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان امواله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورّعا غفر الله له ونفعه بقصده والذى بناه يوسف من تلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها ولم يكن بها ماء فحفر الناس فيها ابارا فخرج لهم الماء على قرب فاستوطنها الناس ولم يزل كذلك لا سور لهم، فلما ولى ولده على بعده بنا سورها في ثمانية اشهر وذلك في سنة ستّ وعشرين وخمس مائة ثم احتفل في بنائها ومصانعها امير المومنين ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علىّ الكومى المُوحّدى ايام ملكه بالمغرب ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم المُوحّدين من بعدهم من يوم اسّست الى انقراض الدولة المُوحّدة فانتقل الملك منها الى مدينة فاس وفي سنة اربع وخمسين المذكورة جنّد يوسف الاجناد واستكثر القواد وفتح كثيرا من البلاد واتخذ الطبول والبنود واخرج العمال وكتب العهود وجعل في جيشه الاغزاز والرمات كلّ ذلك ارهابا لقبائل المغرب فكمل له من الجيوش في تلك السنة ازيد من مائة الف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والاغزاز والرمات فخرج بهم من حضرة مرّاكش قاصدًا نحو مدينة فاس فتلقاه قبائلها من زواغة ولماية وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم في خلق عظيم وعدد كثير فقاتلوه فكانت بينه وبينهم حروب شديدة انهزموا فيها بين يديه واتحصروا له بمدينة مدينة فدخلها عليهم بالسيف فهدم اسوارها وخربها وقتل بها ما يزيد على اربعة الاف رجل وارتحل الى مدينة فاس فنزلها بعد ان فتح جميع احوازها وذلك في ءاخر سنة اربع وخمسين واربع مائة فاقام عليها اياما

فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صفروا فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل اربابها اولاد مسعود المغراوى المالكين لها والقائمين بامورها ثم رجع الى فاس فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاوّل وذلك فى سنة خمس وخمسين واربع مائة فاقام بها اياما ثم استخلف عليها عاملا من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة فلما بَعُدَ يوسف عن فاس وتوغّل فى بلاد غمارة خالفه اليها بنوا معنصر بن حماد فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذى كان بها وفى هذه السنة بايع المهدى بن يوسف الكزنائى صاحب بلاد مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة المرابطين فاقرّه يوسف على عمله وامره ان يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب وقبائله فتجهّز المهدى وخرج فى جيشه من مدينة عوسجة يريد يوسف بن تاشفين فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوى القايم بمدينة فاس فخاف على نفسه منه ان يتقوّى عليه بالمرابطين فعاجله وخرج اليه من فاس فى اجناد مغراوة وقبائل زناتة فلحق به فى بعض الطريق فكان بينهما قتال شديد قتل فيه المهدى بن يوسف وافترق جمعُه وبعث تميم بن معنصر براسه الى صاحب سبتة وهو سقوت البرغواطى فلما قتل المهدى بن يوسف بعث اهل مدائن مكناسة الى يوسف بن تاشفين فاخبروه بموت اميرهم واعطوه البلاد فملكها يوسف وتوالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس بالغارات فلما رءا انّ الامرَ قد اشتدّ عليه ونشأت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد وعدمت الاقوات بفاس جمع جيشا من مغراوة وبنى يفرن وخرج بهم الى عسكر المرابطين فوقعت الهزيمة عليه وقتل تميم بن معنصر وقتل معه خلق كثير من حشمه فتقدّم مكانه بفاس القاسم بن محمّد بن عبد الرحمان بن ابراهيم بن موسى ابن ابى العافية الزناتىّ المكناسىّ فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى لقاء جيش المرابطين فالتقى معهم بوادى صَبْغِير فكانت بينهما حرب شديد فهزم فيها المرابطون وقتل منهم جماعة من فرسانها فاتّصل خبر هزيمتهم بيوسف بن تاشفين وهو ببلاد فازان محاصرا لقلعة مهدى فارتحل عنها وترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها فقاموا عليها تسعة اعوام فدخلوها صلحا فى سنة خمس وستّين واربع مائة ولما رحل يوسف عن قلعة وذلك فى سنة ستّ وخمسين سار الى بنى مراسن واميرهم يومئذ يعلى بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح بلادهم وسار الى بلاد فنذلاوة فغزاها وفتح جميع ذلك الجهات وسار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك فى سنة ثمان وخمسين، وفى سنة ستّين واربع مائة فتح يوسف جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة، وفى

سنة

سنة اثنتين وستّين اقبل الى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدّد عليها في الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل مَنْ بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وقبائل زناتة خلقا كثيرا حتى امتلات اسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويّين وجامع الاندلس ما يزيد على ثلاثة الاف رجل وفرّ مَنْ بقى منهم الى احواز تلمسان وهو الفتح الثانى وكان دخول يوسف اياها يوم الخميس الثانى من جمادى الاخرة سنة اثنتين وستّين واربع مائة فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصّنها واتقنها وامر بهدم الاسوار التى كانت بها فاصلة بين المدينتين عدوة القرويّين وعدوة الاندلس وردّهما مصرا واحدا وامر ببنيان المساجد في احوازها وازقّتها وشوارعها واى زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب اهله وجبّرهم على بناء مسجد فيه وبنا الحمامات والفنادق والارحا واصلح اسواقها وهذّب بناءها واقام بها الى شهر صفر سنة ثلاث وستّين واربع مائة فخرج منها الى بلاد ملوية فـفـتح حصون فنداط، وفي سنة اربع وستّين واربع مائة وجّه يوسف الى امراء المغرب واشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسدر قبائل البربر فقدموا عليه فبايعوه فكسا جميعهم ووصلهم بالاموال ثم خرج معهم فيشرف على جميع اعمال المغرب يتفقد احوال الرعية وينظر الى سير ولاتهم وعمالهم فيه فصلح جميع ما بين يديه بذلك كثيرا من امور الناس، وفي سنة خمس وستّين غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان، وفي سنة سبع وستّين فتح جبال غياثة وبني مكود وبني رهينة وقتل منهم خلقا وفيها فرّق عماله على بلاد المغرب فولى سيرَ بن ابى بكر مدائن مكناسة وبلاد ملالة وبلاد فازاز وولّى عمرَ بن سليمان مدينة فاس واحوازها وولى داوود بن عائشة سجلماسة ودرعة وولّى ولده تميم مدينة اغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تدلا وبلاد تامسنا وفيها بعث المعتمد بن عبّاد صاحب اشبيليّة الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فقال له لا يمكنني ذلك الا ان ملكتُ طنجة وسبتة فراجعه ابن عباد فيشير عليه ان يسير اليها بعساكره في البرّ فينزلها ويبعث ابن عباد قطائعه فينزلونها في البحر حتى يتملكها فاخذ يوسف في مُحاولة ذلك، وفي سنة سبعين واربع مائة نظر يوسف في حرب طنجة وسبتة فبعث لهما قائده صالح بن عمران في اثنى عشر الف فارس من المرابطين وعشرين الفا من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم فلما قربوا من احواز طنجة خرج اليهم الحاجب سقوت البرغواطى بجموعه وهو شيخ كبير سنّه ستّ وثمانين سنة فقال

والله لا يسمع اهل سبتة طبول المسلمين وانا حيّ ابدا فالتقى الجمعان بوادى منا من احواز طنجة فالتحم القتال بينهم فقتل سقوت وهزم جيشه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها وبقى بسبتة الحاجب ضياء الدولة يحيى بن سقوت فكتب القايد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف، وفى سنة اثنتين وسبعين بعث يوسف بن تاشفين قايده مزدلى لغزو مدينة تلمسان فسار اليها فى عشرين الفا من المرابطين فهتكها ودخلها وظفر بولد اميرها معلى بن يعلى المغراوى فقتله ثم رجع الى يوسف فالفاه بمدينة مراكش ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين فيها بدل يوسف بن تاشفين السكّة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه وفيها فتح مدينة اجرسيف ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتح مدينة تكرر وخربها فلم تعمر بعد ثم دخلت سنة اربع وسبعين فيها طلع يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بنى يزناسن وما والاها ثم سار الى مدينة تلمسان ففتحها وفتح مدينة تونس ومدينة وهران وجبل ونشريش وجميع اعمال شلف الى الجزائر ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وسبعين واربع مائة فورد عليه بها كتاب المعتمد بن عبّاد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه امرها من تغلّب العدوّ على اكثر ثغورها وبلادها ويسأله نصرها واعانتها فاجابه يوسف اذا فتح الله لى سبتة اتّصلتُ بكم فابذلتُ فى جهاد العدو المجهود وفى هذه السنة تحرّك الفنش لعنه الله فى جيوش لا تحصى من الروم من الافرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشقّ بلاد الاندلس شقّا يقف على كلّ مدينة منها فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ونزل على اشبيلية فقام عليها ثلاثة ايام فافسد احوازها وهتكها وخرب بالشرق قرى كثيرة وكذلك فعل فى شذونة واحوازها ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه فى البحر وقال هذا آخر بلاد الاندلس قد وطيته ثم رجع الى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها وحلف الّا يرتحل عنها حتى يدخلها او يحول الموت بينه وبين ما يريد واراد ان يقدمها بالفتح على غيرها من بلاد الاندلس فبذل اليه اميرها المستعين بن هود بمال عظيم فبذله به فلم يقبله منه فقال البلاد والمال لى وبعث الى كلّ قاعدة من قواعد بلاد الاندلس جيشا للتضييق عليهم وللحصار فملك مدينة طليطلة وذلك فى سنة سبع وسبعين واربع مائة فلما راوا ذلك امراء الاندلس ورؤساءها اتّفق رايهم على جواز يوسف بن تاشفين فكتبوا اليه جميعهم يستنصرونه ويستصرخون به وتنفى العدو عن مخنق بلادهم ويكونون معه يدا واحدا فى جهاد العدوّ فلما تواترت الكتب على

يوسف

يوسف بالاستصراخ لنصرة المسلمين وتنفى العدوّ عن مختنق بلادهم بعث ولده المعزّ فى جيش عظيم الى سبتة فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها وذلك فى شهر ربيع الاوّل من سنة سبع وسبعين واربع مائة وكتب اليه بالفتح فوصله الكتاب وهو بمدينة فاس ينظر فى امر الجهاد ويستنفر له قبائل المغرب ففرح بفتح سبتة فخرج من حينه نحوها ليجوز منها الى الاندلس فلما رءا المعتمد بن عبّاد انّ الفنش قد ملك طليطلة واحوازها وشدّ الحصار على سرقسطة وسمع انّ يوسف فتح سبتة ركب البحر وجاز الى عدوة الاندلس لاستجلاب يوسف بن تاشفين فلقيه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاثة مراحل من سبتة فاخبره بحال الاندلس وما هى عليه من شدّة الخوف والضعف والاضطراب وما يلقاه المسلمون بها من القتل والاسر والحصار من الفنش وجنوده وانه قد عزم على دخول سرقسطة فقال له يوسف ارجع الى بلدك وخذ فى امرك فانى قادم عليك فى اثرك ان شاء الله فرجع ابن عباد الى الاندلس ودخل يوسف سبتة فهدنها واصلح احوالها وسُقُنها ولحقت به العساكر والجنود وقدمت عليه الوفود واتاه من بلاد الصحراء والقبلة والزاب والمغرب القبائل والحشود فشرع فى تجويز الجيوش الى الاندلس فجوّز منها ما لا يحصى كثرته فلما كمل جواز الجيوش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء جاز هو فى ءاثرهم فى جيش عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم فلما ركب السفينة واستقرّ على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى وقال فى دعائه اللهمّ ان كنتَ تعلم انّ فى جوازى هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهّل علىّ جواز هذا البحر وان كان غير ذلك فصعّبه علىّ حتى لا اجوزه فسهّل الله عليه الجواز فى اسرع ما يكون فكان يوم الخميس عند الزوال بنصف ربيع الاول المبارك سنة تسع وسبعين واربع مائة ونزل بالخضراء فصلّى بها صلاة الظهر من يومه ذلك فانتقاه بها المعتمد فى جميع امراء الاندلس ورؤسائها فاتّصل بالفنش خبر جوازه فارتحل عن سرقسطة قاصدا للقاء امير المسلمين يوسف ※

الخبر عن جواز امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة

قال المؤلّف للكتاب لما جوّز امير المسلمين يوسف جيوش المسلمين للجهاد وقدّمها بين يديه فاستقرّوا بساحل الخضراء جاز هو فى ءاثرهم فانتقاه ملوك الاندلس مستبشرين

بقدومه واتّصل خبر جوازه بالفنش وهو محاصر سرقسطة فسقط فى يده واتحلّت عزائمه فانزعج عن سرقسطة وبعث الى ابن ردمير لعنه الله والى البرهانس وكان ابن ردمير على مدينة طرطوشة محاصرا لها والبرهانس على بلنّسية فاتوه بجيوشهما فلحقوا به وبعث الى بلد فشتالة وجليقية وبيونة فاتاه من تلك البلاد من حشود الروم امم لا تحصى فلما اجتمعت للفنش جيوش الكفر واستوفت بين يديه حشودهم ووفودهم ارتحل الى لقاء يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين وارتحل يوسف عن الخضراء قصدا نحوه وقدّم بين يديه قائده ابا سليمان بن داوود بن عائشة فى عشرة الاف فارس من المرابطين وتقدّم ايضا المعتمد بن عبّاد امام ابن عائشة مع امراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المرية وابن حبوس صاحب غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذا النون وابن الافطس وبنو غزون فامرهم يوسف ان يكونوا مع المعتمد بن عبّاد فتكون ملوك الاندلس محلّةً واحدةً ومحلّة المرابطين اخرى فتقدّم بهم ابن عبّاد فكانوا اذا قلع ابن عبّاد ورؤساء الاندلس من موضع الى غيره نزّله يوسف بن تاشفين بمحلّته فلم يزالوا على ذلك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فاقاموا بها ثلاثة ايام وكتب منها يوسف بن تاشفين كتابا الى الفنش يدعوه فيه الى الجزية او الحرب او الاسلام فلما وصل كتابه الى الفنش ادركته الأنَفَةُ وداخله الكبر وقال للرسول قُلْ للامير لا تتعب نفسك انا أَصِلُ اليك فارتحل يوسف وارتحل الفنش حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ونزل يوسف بموضع يعرف بالزلاقة من احواز بطليوس وتقدّم المعتمد وامراء الاندلس فنزلوا بجهة اخرى بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدوّ وتخويفا وبين الفريقَيْن وعسكر الروم نهر بطليوس فهو حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فاقاموا ثلاثة ايام والرسل تختلف بينهم الى ان اتّفق رأيهم ان تكون الملاقةُ يومَ الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين واربع مائة فلما وقع الاتّفاق بينهما على ذلك بعث المعتمد الى يوسف بن تاشفين ان يكون على أُهْبَة واستعداد للحرب وانّ العدوّ صاحب مكر وخديعة فى الحرب فلما جاء الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبّأ ابن عبّاد كتائبه وصفّ جيوشه واستعدّ للقتال وجعل على عسكر العدوّ عيونا على خيل سبق ياتونه باخبارهم وما يرونه من حركاتهم فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة فبينما ابن عبّاد فى آخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلّس بالصلاة اذ اقبلت الخيل التى كانت طالعة على العدوّ مسرعة اليه فاخبروه ان العدو قد زحف نحو المسلمين بامم كالجراد المنتشر فارسل فى الحين بالخبر الى يوسف بن تاشفين فوجده

على

على اهبة للحرب قد عبّأ كتائبه طول ليلة لم ينم فى محلّته احد تلك الليلة فارسل قائده المظفّر داوود بن عائشة فى جيش عظيم من المطوعة ووجوه المرابطين واقيالهم ليكون طليعة له وكان داوود بن عائشة لا نظير له فى الحزم والعزم والنجدة وكان عدو الله الفنش قد قسّم عساكره على فريقتين فتوجّه هو وفرقته نحو امير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع فى الجيش الذى كان مع القائد داوود بن عائشة فاقتتلوا قتالا عظيما وصبروا المرابطون صبرا جميلا وداسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستاصلهم وكانت بينهم اقتطاع تفلّلت فيه السيوف وتكسّرت الرماح وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن ردمير نحو محلّة ابن عبّاد فداسوها واستمرّت الهزيمة على رؤساء الاندلس الى جهة بطليوس لم يثبت منهم غير ابن عبّاد وجيشه فانهم ثبتوا فى ناحية يقاتلون لم ينهزموا وقاتلوا قتالا شديدا وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام فاتّصل الخبر بيوسف انّ الهزيمة قد استمرّت على عساكر امراء الاندلس وانّ المعتمد وداوود بن عائشة صابرين يقاتلون لم ينهزموا فبعث قائده سير بن ابى بكر فى قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين كانوا فى محلّته اعانة الى داوود بن عائشة وابن عبّاد وسار هو فى جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا الى محلّة الفنش حتى ضرب فيها والفنش مشتغل بقتال داوود بن عائشة فاضرموا نارا واحرقوها وقتل من كان بها من الابطال والرجال والفرسان الذين تركهم الفنش بها يحرسونها ويحمونها وفرّ الباقون منهزمين نحو الفنش فاقبلت عليه خيله من محلّته فرّين وامير المسلمين يوسف فى اثرهم بساقته وطبوله وبنوده وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون فى الكفرة بسيوفهم ويروون من دمائهم ومنهم فقال الفنش ما هذا فاخبره الخبر بحرق محلّته ونهبها وقتل حماتها وسبى حريمها فردّ وجهه الى قتاله وصمّم امير المسلمين نحوه فانتشبت الحرب بينهم فكانت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قطّ بمثلها وكان امير المسلمين على فرس انثى يمرّ بين ساقات المسلمين يحرضهم ويقوى نفوسهم على الجهد والصبر ويقول يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد اعداء الله الكافرين ومن رزق منكم الشهادة فله الجنّة ومن سلم فقد فاز بالاجر العظيم والغنيمة فقاتل المسلمون فى ذلك اليوم قتال من يطلب الشهادة ويرغب فى الموت ؛ وكان المعتمد رحمه الله واصحابه الذين ثبتوا معه قد يئسوا من الحياة ولا علم لهم بالحال اذ نظروا الى الروم منهزمين على اعقابهم ناكصين فظنّوا انهم هم الذين هزموهم فقال لاصحابه شدّوا على اعداء الله فشدّوا عليهم وحمل القائد سير بن ابى بكر بمن معه

من قبائل المغرب وزناتة ومصامدة وغمارة فاستمرّت الهزيمة على الروم وتراجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما اخبروا انّ امير المسلمين يوسف قد ظفر وتدارك الناس بعضهم ببعض طائفة بعد طائفة وفوج بعد فوج واشتدّ القتال على الفنش حتى ايقن بالفناء ولم يزل القتال يشتدّ عليه الى غروب الشمس فلما رءا الفنش اللعين ان الليل قد اقبل واكثر جنوده قد قُتل ورءا صبرا المرابطين وصدق ثبات المسلمين في جهادهم علم انه لا طاقة له بقتالهم ففرّ منهزما على وجهه في نحو الخمسمائة فارس على غير طريق وركبهم المرابطون بالسيف فيقتلونهم في كل فجّ وسهل ويلتقطونهم التقاط الحمام للحبّ القليل الى ان حال الليل بظلمه بينهم وبات المسلمون بتلك الليلة على خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله على ما منحهم حتى اصبح فصلّوا صلاة الصبح في وسط المقتلة وكانت هذه الهزيمة العظيمة على اعداء الله من اعظم الوقائع قُتل فيها ملوك الشرك وانصاره وحماته شجعاته ولم ينج من جميعهم الا الفنش اللعين مثقلا بالجراح في شرذمة قليلة نحو الخمسمائة فارس مثخنين بالجراح فمات منهم في الطريق اربع مائة فارس ودخل طليطلة في مائة فارس ممن حماه من رجاله وكانت هذه الغزوة المباركة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب الفرد عام تسع وسبعين واربع مائة واستشهد فيها من المسلمين نحو الثلاثة الاف رجل ممن سبقت له من الله الحُسْنى وختم له بالشهادة، وامر امير المسلمين يوسف بقطع رؤس القتلى من الروم فقطعت وجمعت بين يديه كامثال الجبال وبعث منها الى اشبيلية عشرة الاف راسٍ والى قرطبة كذلك والى بلنسية مثلها والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدوة اربعين الف راس فقسمت على مدن العدوة ليراءها الناس فيشكرون الله على ما منحهم من النصر والخير العظيم، وكان عدد الروم فيما نقل ثمانين الف فارس ومائتي الف رجل فقتلوا اجمعين ولم ينج منهم الا الفنش في مائة فارس وفيها اذلّ الله الشرك ببلاد الاندلس فلم تقم له قائمة نحو الستّين سنة وفي هذا اليوم تسمّى يوسف بن تاشفين بامير المسلمين ولم يكن يدعا به قبل واظهر الله تعالى الاسلام واعزّ اهله وكتب امير المسلمين بالفتح الى بلاد العدوة والى تميم المعزّ صاحب المدينة فعلمت المفرحات في جميع بلاد افريقية وبلاد المغرب والاندلس واجتمعت كلمة الاسلام واخرج الناس الصدقات واعتقوا الرقاب شكرًا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله، ومن فصول الكتاب الذى كتب به امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد العدوة، اما بعد حمد الله المتكفّل بنصر اهل دينه الذى ارتضاه والصلاة على سيدنا محمّد افضل رُسُلِه واكرم

خلقه

خلفه واسراه فانّ العدوّ الطاغية لعنه الله لما قربنا من تماه وتوافقنا بازائه بلّغناه الدعوة وخيّرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاختار الحرب فوقع الاتّفاق بيننا وبينه على الملاقات في يوم الاثنين الخامس عشر لرجب وقال الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود وفي عسكرنا منهم خلق كثير والاحد عيدنا نحن فافترقنا على ذلك واضمر اللعين خلاف ما شرطناه وعلمناه انهم اهل خدع ونقض عهودٍ فاخذنا اهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا الينا احوالهم فاتتنا الانباءُ في سحر يوم الجمعة الثاني عشر من رجب المذكور انّ العدوّ قد قصد بجيوشه نحو المسلمين يرا انه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين فنبذت اليه ابطال المسلمين وفرسان المجاهدين فتغشّته قبل ان يتغشّاها وتعدّته قبل ان يتعدّاها وانقضّت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقب على عقيرته ووثبت عليهم وثوب الاسد على فريسته وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشهدة المنشرة ونظروا الى جيوش لمتونة نحو الفنش فلما ابصر النصارى رايتنا المشهدة المنتشرة ونظروا الى مراكبنا المنتظمة المظفرة واغشتهم بروق الصفاح واظلّتهم سحائب الرماح ونزلت بحوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح فالتحم النصارى بطاغيتهم الفنش وحملوا على المسلمين حملة منكرة فتلقاهم المرابطون بنيات خالصة وهمم عالية فعصفت ريح الحرب وركبت دائم السيوف والرماح بالطعن والضرب وذهب المهج واقبل سيل الدماء في هرج ونزل من سماء الله على اوليائه النصر العزيز والفرج وولى الفنش مطعونا في احدى ركبتيه طعنة افقدته احدى ساقيه في خمس سنة فارس من ثمانين الف فارس ومائتى الف رجل قادهم الله الى المصارع والحتف العاجل وتخلّص لعنه الله الى جبل هنالك ونظروا النهب والنيران في محلّته من كل جانب وهو من اعلى الجبل ينظرها شزرًا ويجيد عنها صبرًا ولا يستطيع عنها دفعًا ولا لها نصرًا فاخذ يدعوا بالثُبور والويل ويرجوا النجاة في ظلام الليل وامير المسلمين بحمد الله قد ثبت في وسط مراكبه المظفرة تحت ظلال بنوده المنتشرة منصورًا لجيده مرفوع الاعداد ويشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد فقد سرح الغارات في محلّاتهم تهدم بنائها وتصطلم دخائرها واسبابها وتريه راى العين دمارها ونهبها والفنش ينظر اليها نظرَ المغشى عليه ويعضّ غيظا وأسفا على انامل كفيه فتتابعت البهرجة الفرار روساء الاندلس المنهزمين نحو بطليوس والغار فتراجعوا حذارا من العار ولم يثبت منهم غير زعيم الروساء والقواد ابو القاسم المعتمد بن عبد فاتى الى امير المسلمين وهو مهيض الجناح مريض عنة وجراح فهنّاه بالفتح الجليل والصنع

الجبل وتسلّل الفنش تحت الظلام فارًّا لا يهدى ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق اربع مائة فلم يدخل طليطلة الا فى مائة فارس والحمد لله على ذلك كثيرًا وكانت هذه النعمة العظيمة والمنّة الجسيمة يوم الجمعة الثانى عشر لرجب سنة تسع وسبعين واربع مائة موافق الثالث والعشرين لشهر اكتوبر العجمى وفى ذلك يقول ابن اللبانة

يوم العروبة كان ذلك الموقف وانى شهدتُ فاين من يستوصف

وقال ابن جمهور

لم تَعْلم الروم اذ جاءتْ مصممة يوم العروبة ان اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الاندلس الذين شهدوا الزلاقة فى هذا اليوم اثر يشكر فيقيد عنهم ويؤثر الا ابن عباد وطائفة من جيوشه فانه ثبت وابلى بلاء حسنا وجرح ستّ جراحات وفى ذلك يقول يخاطب بعضُ ولده

ابا هاشم هشمتنى اشفار فلله صبرى لذلك الاوار

ذكرت شخيصك ما بينها فلم يننى ذكره للفرار

واتّصل بامير المسلمين يوسف بن تاشفين فى ذلك اليوم وفاة ولده ابى بكر وكان تركه مريضا بسبتة فاغتمّ لذلك وانصرف راجعا الى العدوة بسبب وفاة ولده ولولا ذلك لم يرجع فجاز الى العدوة ودخل حضرة مراكش فاقام بها الى سنة ثمانين واربع مائة فخرج فى شهر ربيع الاخر منها يتطوّف على بلاد المغرب يتفقّد احوال الرعية وينظر فى امور المسلمين ويسأل عن سير عماله فى البلاد وقضاته، وفى سنة احدى وثمانين واربع مائة جاز امير المسلمين الى الاندلس للجواز الثانى برسم الجهاد وسبب جوازه انّ الفنش لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جموعه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عبّاد فشحنه بالخيل والرجال والرمات وامرهم يدخلون من حصن لبيط المذكور فيغيرون فى اطراف البلاد ابن عبّاد دون سائر بلاد الاندلس اذ كان المسبّب فى جواز امير المسلمين يوسف فكانوا يدخلون منه خيلا ورجالا فيقتلون ويأسرون فى كل يوم جعلوا ذلك وظيفة عليهم فساء ابن عباد لذلك وضاق ذرعه فلما رءا تماديهم على ذلك عبر البحر الى العدوة الى لقاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين فلقيه بالمعمورة من حلق وادى سبوا فشكى اليه حصن لبيط وشدّة ضرره على المسلمين واستغاث به فى ذلك فوعده بالجواز والوصول اليه فرجع المعتمد وسار يوسف فى اثره فركب البحر من قصر المجاز الى الخضراء فتلقاه ابن عباد بها بالف دابّة تحمل الميرة والضيافة فلما

نزل

نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى امراء الاندلس يدعوهم الى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا حصن لبيط ثم تحرّك يوسف من الخضراء وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة احدى وثمانين واربع مائة فنزل على حصن لبيط فلم ياته ممن كتب اليه من امراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد فنزلا معه الحصن وشرعوا فى قتاله والتضييق عليه وشنّ يوسف الغارات على بلاد الروم فى كل يوم فدام الحصار على لبيط اربعة اشهر لا يفتر عنه القتال ليلاً ولا نهارًا الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز امير مرسية وبين ابن عباد امير اشبيلية نزاع وشنان فشكى المعتمد الى امير المسلمين يوسف بابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده امير ابن ابى بكر يامره بالقبض على ابن عبد العزيز وثقافه فقبض عليه وثقفه بالحديد واسلمه الى المعتمد فاختلّت المحلّة بسبب ذلك وفرّ جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة على المحلّة ووقع بها الغلاء، فلما رءا ذلك الفنش حشد وقصد الى حماية حصن لبيط فى امم لا تحصى فلما قرب الفنش من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن الى ناحية لورقة ثم الى المرية ثم جاز الى العدوة وقد تغيّر على امراء الاندلس لكونه لم ياته منهم احد الى نزول حصن لبيط الذى كتب لهم به، ولما رحل يوسف عن لبيط فجاز الى العدوة اقبل الفنش حتى نزل على لبيط فاخلاه واخرج مَنْ كان فيه من بقايا النصارى المنفلتين من مخالب الموت وارتحل الى طليطلة فاخذ ابن عباد الحصن بعد خلائه وفناء جميع من كان به بالقتل والجوع وكان فيه لما نزله يوسف من النصارى اثنى عشر الف مقاتل دون العيال والذريّة فنى جميعهم بالقتل والجوع ولم يبق فيه غير مائة من الرجال وهم الذين اخرجهم الفنش حين اخلاه، واقام يوسف ببلاد العدوة الى سنة ثلاث وثمانين جاز الى الاندلس برسم الجهاد وهى الغزاة الثالثة فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها والفنش بها وهتكها وقطع ثمارها وخرب احوازها وقتل وسبا ولم ياته احد من امراء الاندلس ولم يعرج فغاظه ذلك، فلما رجع من غزو طليطلة سار الى غرناطة فنزلها فان صاحبها عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس كان قد صالح الفنش وظاهره على يوسف وبعث اليه بمال واشتغل بتحصين بلده وفى ذلك يقول بعض ادباء عصره

يبنى على نفسه سفها	كانّه دودة الحرير
دعوه يبنى فسوف يدرى	اذا اتت قدرة القدير

فلما وصل يوسف الى غرناطة تحصّن منه صاحبها عبد الله بن بلقين واغلق الابواب

فى وجهه لمحاصره امير المسلمين مدّة من شهرَيْن فلما رءا تمادى لحصار اليه فبعث اليه بالامان فامنه واسلم اليه البلد فملك يوسف غرناطة واحوازها وجميع ما كان بيد عبد الله بن بلقين من الاعمال والبلاد وبعث بعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة واخيه تميم صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما واولادهما فاقاما بها واجرا عليهما النفقة الى ان ماتا بها فلما خلع يوسف بنى بلقين بن باديس عن غرناطة ومالقة وملك بلادهما خاف منه ابن عباد وانقص عنه فسعى بينهما الوشاة بالنمايم فتغيّر عليه يوسف وجاز الى العدوة فى شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة وقصد الى مراكش وقدم على الاندلس قائده سير بن ابى بكر اللمتونى وفوّض اليه جميع الامور كلها ولم يامره فى ابن عباد بشئ فسار سير بن ابى بكر نحو اشبيلية وهو يظنّ انّ ابن عبّاد اذا سمع به يخرج اليه ويتلقاه على بعد بالضيافات فلم يفعل وتحصّن منه ولم يضيفه ولم يلتفت اليه فراسله سير بن ابى بكر ان يسلم اليه البلاد ويدخل فى طاعته فامتنع المعتمد من ذلك فاخذ سير فى احصاره وقتاله وبعث قائده بطى الى جيان محاصرها حتى دخلها صلحا وملكها المرابطون وكتب سير بالفتح الى يوسف وامر القائد بطى ان يرتحل عن جيان ويسير الى قرطبة فسار الى قرطبة وبها يومئذ المامون بن المعتمد بن عبّاد فنزل عليه بطى بعساكر المرابطين حتى فتحها وفتح حصونها ومعاقلها وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الاربعاء الثالث من صفر سنة اربع وثمانين واربع مائة ثم فتح بياسة وابدة وحصن البلاط والمدون والصخيرة وسقورة ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عبّاد بلد الا وقد ملكه المرابطون ما عدا قرمونة واشبيلية واقام القائد بطى ابن اسمعيل بقرطبة حتى سكّنها وزمّ ثغورها وبعث الى قلعة رباح قاضية بلاد المسلمين قائدا من لمتونة فى الف فارس من المرابطين ليضبطها ويسدّ ثغورها وارتحل سير بن ابى بكر الى قرمونة فقاتلها حتى دخلها عنوة وذلك يوم السبت عند الزوال السابع عشر من ربيع الاول من سنة اربع وثمانين المذكورة فاشتدّ الامر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث الى الفنش لعنه الله يستغيث به ويستصرخه على لمتونة ويعده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد إن كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث اليه الفنش قائده القرمش فى جيش من عشرين الف فارس واربعين الف رجل فلما علم سير بقدوم الروم اليه انتخب من جيشه عشرة الاف فارس من اهل النجدة والشجاعة وقدم عليهم ابراهيم بن اسحاق اللمتونى وبعثهم للقاء الروم فالتقى الجمعان بالقرب من

حصن

حصن المدوّر فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ومنحهم الله النصر فهزموا الروم وقتلوهم ولم يفلت منهم الا قليل ثم يزل سير بن ابى بكر وقواده من لمتونة بالحصار والتضييق على اشبيلية حتى دخلها على المعتمد فامنه فى نفسه واهله وولده وبعث بهم الى امير المسلمين فكانوا عنده باغمات الى ان ادركهم الموت وكان دخول سير بن ابى بكر اشبيلية وتملك المرابطين لها يوم الاحد الذى والعشرين لرجب من سنة اربع وثمانين المذكورة وفى شعبان من هذه السنة ملك المرابطون مدينة نبرة، وفى شهر شوال منها دخل القائد يوسف بن داوود بن عائشة مدينة مرسية واعمالها وكتب بالفتح الى امير المسلمين يوسف وكان القائد يوسف بن عائشة عادلاً فى احكامه صالحًا ورعًا لا تاخذه فى الله لومة لائم فاحبّه الناس وفيها رحل القائد محمّد بن عائشة بجيش المرابطين فنزل المرية فهرب عنها صاحبها معزّ الدولة بن صمادح فى البحر الى افريقية باموالة وعياله واسلم له البلد فملك المرابطون وكتب محمّد بن عائشة بالفتح الى يوسف فملك يوسف مملكة خمسة امراء من امراء الاندلس فى سنة ونصف وهم ابن عباد وابن حبوس وابو الاحوص وابن عبد العزيز وعبد الله بن بكر صاحب جيان وابلة واستجة، وفى سنة خمس وثمانين امر امير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده ابن عائشة ان يسير الى دانية فسار لها فملكها وملك شاطبة وكان صاحبها ابن منقذ ففرّ عنها ودخلها المرابطون ثم سار القائد ابن عائشة الى مدينة شقورة فملكها وسار الى بلنسية وكان بها القادر بن ذى النون يحكم الرجل فى جمع من النصارى يجبون خراجها ففرّ عنها ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح الى امير المسلمين يوسف، وفى سنة ستّ وثمانين واربع مائة فتح المرابطون مدينة افراغ من بلاد شرق الاندلس ولم يزل امير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث قواده وجيوشه اليها برسم جهاد الروم وخلع امرائها المتغلبين عليها حتى ملك جميع بلاد الاندلس واستوثق له امره، وفى سنة ستّ وتسعين واربع مائة اخذ امير المسلمين البيعة لولده علىّ بقرطبة فبايعه جميع امراء لمتونة واشياخ البلاد وفقهائها وذلك فى شهر ذى حجة منها وكان علىّ غائبًا بسبتة وبها نُشىّ وفى آخر سنة ثمان وتسعين مرض امير المسلمين يوسف وابتدات به العلّة التى توفّى منها وهو بمدينة مراكش فلم يزل المرض يشتدّ وحاله يضعف الى ان توفّى رحمه الله فى مستهلّ شهر محرّم عام خمس مائة وقد بلغ عمره مائة سنةٍ فكانت مدّة ملكه من يوم دخل

مدينة فاس سنة اثنتين وستين واربع مائة الى ان توفى ثمان وثلاثين سنة ومن حين قدمه ابو بكر عمر نيف واربعين سنة ✿

الخبر عن دولة امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بالمغرب والاندلس

هو علىّ بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن ورتاقطين بن منصور بن مصالة بن امية بن واصلى بن تلمية الصنهاجى اللمتونى كنيته ابو الحسن امّه امّ ولد رومية اسمها قمرا وتسمّى فاضَ الحُسْنُ مولده بسبتة سنة سبع وسبعين واربع مائة صفته ابيض اللون مشرّب حمرة تامّ القدّ اسيل الوجه افلج اقنى خفيف العارضين اكحل العينين سبط الشعر بنوه تاشفين المولى بعده ابو بكر وسير كاتبه ابو محمّد بن اسفاط بويع له يوم مات ابوه بمراكش بعهد ابيه له وتسمّى بامير المسلمين وذلك فى غرّة المحرّم سنة خمس مائة وسنّه يوم بويع ثلاث وعشرين سنة وملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية الى أخر بلاد السوس الاقصى وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب فى بلاد السودان وملك جميع بلاد الاندلس شرقًا وغربًا وملك الجزائر الشرقية وميورقة ومنورقة ويابسة وخطب له على الفى منبر ونيف وثلاث مائة منبر وملك من البلاد ما لا يملكه والده لانه وجد البلاد هادنة والاموال وافرة والملك قد تواطا والامور قد استقامت لما ولى اقام العدل وضبط الثغور ووالى الجهاد وسرح السجون وفرّق الاموال وردّ احكام البلاد الى القضاة وسلك طريقة ابيه فى جميع اموره واهتدى بهديه وعزل عن قرطبة الاميرَ ابا عبد الله بن الحاجّ وولىّ مكانه القائدَ ابا عبد الله محمّد بن ابى زلغىّ فغزا طليطلة واوقع بالنصارى فقتلهم قتلاً ذريعًا بباب القنطرة اخذهم على غرّة وقيل لما توفّى والده يوسف سجّاه بثوبه وخرج ويده فى يد اخيه ابى الطاهر تميم الى المرابطين فنعاه لهم فوضع ابو الطاهر يده فى يد علىّ فبايعه ثم قال للمرابطين قوموا فبايعوا اميرَ المسلمين فبايعه جميع مَنْ حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء واشياخ القبائل فتمّت له البيعة بمرّاكش فكتب الى جميع بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت ابيه واستخلافه من بعده ويامرهم بالبيعة فاتته البيعة من جميع البلاد واقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنية الا مدينة فاس فان ابن اخيه يحيى بن ابى بكر بن امير المسلمين كان اميرا عليها من

قبل

قبل جدّه يوسف فلما وصله الخبر بموت جدّه وولاية عمّه عظم ذلك عليه وانف من بيعة عمّه وخالف عليه وامتنع من البيعة ووافقه على ذلك جماعة من قواد لمتونة فخرج اليه امير المسلمين علىّ بن يوسف من مراكش حتى قرب من مدينة فاس . فخاف يحيى بن اخيه على نفسه وعلم انه لا طاقة له بحربه ففرّ عن مدينة فاس واسلمها لعمّه فدخلها امير المسلمين علىّ بن يوسف واستقام له الملك وكان دخوله . مدينة فاس وفرار الامير يحيى بن ابى بكر عنها يوم الاربعاء ثامن ربيع الاخر من سنة خمس مائة وقبل ان امير المسلمين علىّ بن يوسف لما قرب من مدينة فاس نزل بمدينة مغيلة من احواز فاس ثم كتب الى ابن اخيه كتابا يعاتبه فيه على فعله ويدعوه الى الدخول فى الطاعة كما دخل الناس وكتب الى اشياخ البلاد كتابا يدعوهم فيه الى بيعته ويهدّدهم ويوعدهم فلما وصل الكتاب الى يحيى وقرأ كتابه جمع اهل البلد واستشارهم فى الحصار والمقابلة فلم يوافقوه على ذلك فلما يئس منهم خرج فارّا الى مزدلىّ العامل على تلمسان فلقيه مزدلى بوادى ملوية وهو مقبل برسم البيعة لامير المسلمين علىّ بن يوسف والسلام عليه فاعلمه يحيى بما كان من شانه فضمن له مزدلىّ على عمّه العفو والصفح فرجع معه يحيى حتى وصل مدينة فاس فدخل الامير مزدلى الى امير المسلمين علىّ ونزل يحيى مختفيا بحومة وادى شذروغ فلما دخل مزدلىّ وبايع امير المسلمين وسلّم عليه فرءا منه قبولا واكراما عظيمًا فاعلمه بخبر يحيى وبما ضمن له من العفو فاجابه الى ذلك وعفا عنه وامنه فاتاه يحيى فبايعه وخيّره امير المسلمين اما ان يكون سُكْنَاه بجزيرة ميورقة او ينصرف عنه الى بلاد الصحراء فاختار الصحراء فانصرف اليها ثم سار منها الى الحجاز فحجّ بيت الله الحرام ورجع الى عمّه فاستاذنه ان يكون من جملته ويكون سكناه معه بحضرة مرّاكش فاذن له فى ذلك فسكنها مدّة فاتّهمه عمّه بالقيام عليه فثقفه وبعث به الى الجزيرة الخضراء فبقى بها الى ان مات ، وفى سنة احدى وخمس مائة عزل علىّ اخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولّى مكانه القائد ابا عبد الله بن الحاجّ فاقام واليا على مدينة فاس وسائر اعمال المغرب ستّة اشهر ثم عزله وولّاه مدينة بلنسية من بلاد شرق الاندلس ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمس مائة وفى سنة اثنتين وخمس مائة كانت وقعة اقليج على النصارى وكان امير جيوش المسلمين تميم ابن يوسف بن تاشفين وكان واليا على غرناطة فخرج منها غازيا الى بلاد الروم فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الروم فحاصرهم حتى دخل عليهم الحصن فتحصّن النصارى بالقصبة فبلغ خبرهم الى الغنش فاستعدّ للخروج الى اغاثة بلده

فاشارت عليه زوجته ان يوجّه ولده عوضا منه فيكون مقابلا لتميم لانّ تميم ابن ملك المسلمين وشالجة ابن ملك الروم فسمع منها فبعث ولده شالجة فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وانجادهم وساروا حتى قرب من اقليج فاخبر تميم بقدومه فاراد ان يقلع عن الحصن ولا يلقى القوم فاشار اليه عبد الله بن محمّد بن فاطمة ومحمّد بن عائشة وغيرهم من قواد لمتونة بالمقام ولا يرحل وشجعوه وهو نوى عليه امرهم وقالوا له لا تخف فانما قدموا فى ثلاثة الاف فارس وبيننا وبينهم مسافة فاطاعهم فى ذلك فلم يكن الا عشى يومهم ذلك حتى وافتهم جيوش الروم فى الوف كثيرة فاراد تميم الفرار واجم عن قتالهم فلم يجد سبيلا للفرار ولا للروع مخلصا وصمّم قواد لمتونة الى لقاء العدوّ ومناجزته فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد الفنش وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون الفا ونيف ودخل المسلمون اقليج بالسيف واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله واتّصل الخبر بالفنش فاغتمّ لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة وكتب تميم بالفتح الى اخيه امير المسلمين علىّ بن يوسف، وفيها سار محمّد ابن الحاجّ من بلنسية الى سرقسطة فدخلها واخرج عنها بنى هود وملكها وكتب بالفتح الى امير المسلمين علىّ ولم يزل بها الى ان خرج غازيا الى برشلونة فاستشهد بها وذلك فى سنة ثمان وخمس مائة وكان رحمه الله طول ولايته ببلنسية وسرقسطة قد ضيّق بالنصارى تضييقا عظيما بالغارات على بلادهم فخرج فى غزات له فاخذ على طريق البرية فغنم وسبى وكان معه جماعة من قواد لمتونة فبعث بالمغنم على الطريق الكبير واخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين ومراكش والناس مع المغنم وكان طريق البرية الذى اخذه محمّد بن الحاجّ لا سلك الا على طريق واحد لصعوبته وشدّة وعْره فلما توسّطه الامير ابو عبد الله بن الحاجّ واخذته الاوعار المضايق وجد النصارى قد امكنوا فى جهة من تلك الجهات فقاتلهم قتالاً شديداً قتال من ايقن بالموت واغتنم الشهادة اذا لم يجد منفذا يتخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المطوعة وتخلّص منهم القائد محمّد بن عائشة فى نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين فاتّصل خبر وفاته بامير المسلمين علىّ فأسف لموته وولّى مكانه ابا بكر بن ابراهيم بن تافلوت وكان عاملا له على مرسية فوصل عهده ببلنسية وطرطوشة ويفرغ وسرقسطة وهو بمرسية فخرج بجيش المرسية الى بلنسية فاجتمع اليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة وسار بهم الى برشلونة فنزلها وقام عليها

عشرين

عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب انحاءها وقراها فاتاه ابن ردمير فى جيوش كثيرة من حشود بسيط وبرشلونة وبلاد اربونة فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد من المسلمين نحو السبع مائة رجل، وفى سنة ثلاث وخمس مائة جاز امير المسلمين علىّ بن يوسف الى الاندلس برسم الجهاد فجاز من سبتة فى الخامس عشر من المحرّم من السنة المذكورة فى جيوش عظيمة تزيد على مئة الف فارس فوصل الى قرطبة فاقام بها شهرًا ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلابيرة ففتحها عنوة بالسيف وفتح من احواز طليطلة سبعة وعشرين حصنا وفتح مجريط ووادى الحجارة ووصل طليطلة فحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرًا ثم قفل منها الى قرطبة بعد ان دوّخها، وفى سنة اربع وخمس مائة فتح الامير سير بن ابى بكر شنترين وبطليوس وبرتقال ويابورة والاشبونة وجميع بلاد الغرب وذلك فى شهر ذى قعدة منها وكتب بالفتح الى امير المسلمين علىّ بن يوسف، وفى سنة سبع وخمس مائة توفّى الامير سير بن ابى بكر باشبيلية ودفن بها فولى اشبيلية عوضا منه محمّد بن فاطمة فلم يزل عليها الى ان توفّى فى سنة عشر وخمس مائة، وفى سنة سبع المذكورة غزا الامير مزدلىّ طليطلة وانحاءها فدوّخها وفتح حصن ارجنة عنوة وقتل كلّ من كان به من الرجال وسبا النساء والذرّيّة فتّصل الخبر بالبرهنس ملك الروم فاقبل لنصرتهم واستنقذهم فسمع به مزدلى فقصد نحوه ففرّ امامه ليلاً ورجع مزدلى الى قرطبة ظافرًا غانمًا فامر بحمل الميرة الى ارجينة وتحصينها ورتب بها الرجال والرماة والفرسان واعلم الامير مزدلى ان بنى الرنق غرسيس صاحب وادى الحجارة قد حاصر مدينة سالم فقصد اليه مزدلى فاتّصل الخبر ببنى الرنق غرسيس فولّى هاربا واقلع عنها حاصرا ولم يكذب وترك جميع اسبابه واثقاله ومضاربه فاحتوى مزدلى على ذلك كلّه، وفى سنة ثمان وخمس مائة توفّى الامير مزدلى رحمه الله غازيا ببلاد الروم وكتب بموته الى امير المسلمين علىّ بن يوسف فولّى مكانه على قرطبة محمّد بن مزدلى فدام واليا عليها ثلاثة اشهر وتوفّى شهيدًا فى غزاة له، وفى سنة تسع وخمس مائة ملك امير المسلمين علىّ بن يوسف الجزور البحرية من شرق الاندلس، وفى سنة احدى عشرة ولى عبد الله بن مزدلى بلنسية وسرقسطة فسار اليها من غرناطة فوجد ابن ردمير اللعين قد اذاق اهلها شرًّا وكانت بينهم حروب عظيمة حتى هزمه واخرجه عن البلد واقام عبد الله بن مزدلى على سرقسطة عاما كاملا فتوفّى فبقيت سرقسطة دون امير فاتاها ابن ردمير فنزلها واتى الفنش ايضا فى امم لا تحصى من قبائل الروم فنزل لاردة

من بلاد الجوف فاتّصل الخبر بامير المسلمين علىّ بن يوسف فكتب الى امراء الاندلس بالمسير الى اخيه تميم وكان واليا على شرق الاندلس ليسيروا معه لاستنقاد سرقسطة ولاردة فقدم على تميمٍ عبدُ الله بن مزدلى وابو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع امراء لمتونة فقصد نحو لاردة وكان بينه وبين الفنش قتال عظيم اقلعه عن لاردة خاسئًا حاسرا بعد ان بذل جهده فى قتالها وفقد عليها من جيوشه ما يزيد على العشرة الاف رجل ورجع تميم الى بلنسية فلما رءا ابن ردمير ذلك بعث الى طرائف الافرنج يستنصر بهم على قتال سرقسطة فاتوه فى امم كالنمل والجراد فنزلوا معه بها وشرعوا فى قتالها وصنعوا ابراجا من خشب تجرى على بكرات وقرّبوها منها ونصبوا فيها الرعدات ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ووقع طمعهم فيهم فاستمرّ الحصار عليها حتى فنيت الاقوات وفنى اكثر الناس جوعًا فراسلوا ابن ردمير على ان يدفع عنهم القتال الى اجلٍ فان لم ياتهم مَنْ ينصرهم خلفوا له البلد واسلموها له فعاقدهم على ذلك فتمّ الاجل ودفعوا اليه المدينة وخرجوا عنها الى مرسية وبلنسية وذلك فى سنة اثنتنا عشرة وخمس مائة وبعد دخولها وتملّك النصارى اياها وصل من العدوة جيش من عشرة الاف فارس بعثه امير المسلمين علىّ لاستنقاذه فوجدها قد فرغ منها وملكها العدوّ ونفذ حكم الله فيها، وفى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة تغلّب ابن ردمير على بلاد شرق الاندلس واستولى على اكثر ثغوره وملك قلعة ايوب التى ليس فى بلاد الشرق امنع منها والحّ بالغارات على بلاد الجوف فاتّصلت هذه الاخبار بامير المسلمين علىّ بن يوسف فجاز الى الاندلس برسم الجهاد واصلاح احوال بلادها وضبط ثغورها هو الجواز الثانى فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه الى قرطبة فنزل بخارجها واتاه بها وفودُ بلاد الاندلس للسلام عليه وسألهم عن احوال بلادهم وثغورها بلدا بلدا فعرّفوه بما كان عندهم من ذلك وعزل ابنَ رشد من قضاء قرطبة وولّى مكانه ابا القاسم بن حمدين ثم ارتحل الى مدينة سنترية فنزل عليها حتى فتحها عنوة وسار منها غازيا فى بلاد المغرب يقتل ويسبى ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دوّخها وفرّ امامه الروم وتحصنوا بالمعاقل المنيعة، وفى سنة خمس عشرة وخمس مائة جاز امير المسلمين الى بلاد العدوة وولّى اخاه تميم جميع بلاد الاندلس فلم يزل عليها الى سنة عشرين فتوفّى تميم وولّى مكانه الاميرَ تاشفين بن علىّ بن يوسف فجاز الى الاندلس فى جيش من خمسة الاف فارس وبعث الى اجناد البلاد فاتوه فخرج

بهم

بهم غازيا الى طليطلة فدخل حصنا من حصونها بالسيف وهتك احوازها وفيها اعنى سنة عشرين المذكورة هزم الامير تاشفين النصارى بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد المغرب وكتب بالفتح الى ابيه، وفى سنة ثمان وعشرين غزا الامير تاشفين بن علىّ قنطرة محمود فدخلها بالسيف، وفى سنة ثلاثين وخمس مائة فيها هزم الامير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وافنا منهم خلقا كثيرا، وفى سنة احدى وثلاثين دخل الامير تاشفين مدينة كركى بالسيف فلم يحى بها بشرًا، وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة جاز الامير تاشفين من الاندلس الى العدوة بعد ان غزا مدينة اشكونية وحمل من سبيها الى العدوة ستة الاف سبية وفتحها عنوة فوصل الى مراكش فتلقاه والده امير المسلمين علىّ فى زى عظيم وفرح به، وفى سنة ثلاث وثلاثين اخذ امير المسلمين البيعة لولده تاشفين، وفى سنة سبع وثلاثين توفى امير المسلمين علىّ بن يوسف وتولّى بعده ولده تاشفين ولى عهده ۞

الخبر عن دولة امير المسلمين تاشفين بن يوسف بن تاشفين اللمتونى

هو امير المسلمين تشفين بن علىّ بن يوسف بن تاشفين الصنهاجىّ كنيته ابو المعزّ وقيل ابو عمرو امّه امّ ولد رومية اسمها ضوُ الصباح ولى بعد وفاة ابيه وبعهده اليه فى حياته وذلك فى الثامن لرجب الفرد من سنة سبع وثلاثين وخمس مائة فى معظم ايام الفتنة وقد قام الموَحّدون وظهر امرهم واشتد سلطانهم وملكوا كثيرا من بلاد العدوة فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علىّ حروب عظيمة ووقائع كثيرة ولما خرج عبد المومن بن علىّ من تينمال يريد فتح بلاد المغرب خرج تاشفين من مراكش واستخلف عليها ولدَه ابراهيم فكان يتبع عبد المومن من حيث ما توجه من البلاد يباركه بالحرب الى ان سار الى مدينة تلمسان فدخلها واتاه عبد المومن فنزل عليه بها فخرج تاشفين الى قتاله فنزل عبد المومن بجيوش الموحدين بين الصخرتين بظاهر تلمسان مما يلى الجبل ونزل بجيوش صنهاجة بالوطا مما يلى الصفصاف فزحف المرابطون الى قتال الموحدين فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا وتعلّقوا بالجبال لقتالهم فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة شنيعة وفرّ تاشفين الى مدينة وهران فنزل بظاهرها وترك تلمسان للامير محمّد المعروف بانشيور يضبطها فنزل عليها عبد المومن ابنَ يحيى بن يومر بجيش

الموحدين محاصرا لها وانصرف الى وهران فى طلب تاشفين بن علىّ فنزل عليه بوهران فلما اشتدّ الحصار على تاشفين بن علىّ خرج ليلاً ليضرب فى محلّته الموحدين فتكاثرت عليه الخيل والرجال ففرّ امامهم وكان بجبل عال منيف على البحر فظنّ ان الارض متّصلة فهوى من شاهق عال بازاء رابطة وهران فمات وذلك فى ليلة مظلمة ممطرة وفى ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمس مائة فوجد من الغد بازاء البحر ميتا فاحتزّ راسه وحمل الى تينمال فعلق بها على شجرة وذلك بعد ملازمة الحرب فى البيداء مع الموحّدين لا ياوى الى وطاء من يوم ولى الى ان مات رحمه الله تعالى وكانت مدّته سنتين اثنتين وشهرا ونصف ولله عاقبة الامور لا باقى سواه ولا معبود غيره ۞

الخبر عن سيرهم والاحداث التى كانت فى ايامهم

وذلك من سنة اثنتين وستّين واربع مائة الى سنة اربعين وخمس مائة كانت لمتونة قوم غلب عليهم البداوة وكانوا مع ذلك اهل دين متين وقم لهم بالمغرب والاندلس ملك عظيم فعدلوا فى احكامهم وواظبوا الجهاد قال ابن جنون كانت لمتونة اهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحّة مذهبٍ ملكوا بالاندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربى المحيط ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة الى جبال الذهب من بلاد السودان لم يجر فى عملهم طول ايامهم رسم مكروه معونة ولا خراج لا فى بادية ولا فى حاضرة وخطب لهم على ازيد من الفىْ منبر وكانت ايامهم ايام دَعَةٍ ورفاهية ورخاء متّصل وعافية وامن تناهى القمح فى ايامهم الى ان يبيع اربع اوسق بنصف مثقال والثمار ثمان اوسق بنصف مثقال والقطانى لا تباع ولا تشترى كان ذلك مصطحبا بطول ايامهم ولم يكن فى بلد من اعمالهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيفة من الوظائف المخزنية حاشى الزكاة والعشر وكثرت الخيرات فى دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن فى ايامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم واحبّهم الناس الى ان خرج عليهم مهدى الموحدين فى سنة خمس عشرة وخمس مائة ، واما الاحداث التى كانت فى ايامهم سنة اثنتين وستّين واربع مائة فتحوا مدينة فاس واستوثق لهم ملك المغرب ، وفى سنة اثنتين فتحوا بلاد فازاز ، وفى سنة ثلاث وستّين تملّكوا حصون وطاط من بلاد ملوية ، وفى سنة اربع وستّين توفّى المعتمد بن عباد بن القاضى محمّد بن اسمعيل بن عباد صاحب اشبيلية ووليها بعده ولده محمّد بن المعتمد بن عباد ،

وفى

وفى سنة خمس وستّين قاتل يوسف بن تاشفين سدراتة واهل صفروا، وفى شهر ذى حجّة من سنة سبع وستّين ظهر النجم المكعك بالمغرب، وفى سنة سبع وستّين ايضا دخل يوسف بن تاشفين مدينة تادارة التى بقرب ملوية بالسيف وقتل اميرها القاسم بن محمّد بن ابى العافية واباد جميع جيوشه ولم يبق منهم بقية وفيها ملك يوسف بن تاشفين طنجة وتوفّى صاحبها سرقوة البرغواطى، وفى سنة احدى وسبعين واربع مائة كسفت الشمس يوم الاثنين عند الزوال وهو فى اليوم الثامن والعشرين وهو كسوف الشمس العظيم الذى لم يعهد قبله مثله وفى هذه السنة ملك الفنش مدينة قورية وخرج منها المسلمون، وفى سنة اثنتين وسبعين واربع مائة فتح يوسف وجدة وجبالها وفى ربيع الاخر منها كانت الزلزلة العظيمة التى لم ير الناس بالمغرب مثلها هدّت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الهدوم ووقعت الصوامع والمنارات ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرّر فى كلّ يوم وليلة من اوّل يوم ربيع الاوّل الى اخر يوم جمادى الاخرة من السنة المذكورة وفى شهر ذى قعدة منها ثار اهل طليطلة على ملكهم القادر بن ذى النون وقتلوا اكثر رجاله ووزرائه فخرج القادر فارّا بنفسه وعياله الى حصن كناكة، وفى سنة أربع وسبعين فتح يوسف مدينة تلمسان وفيها توفّى صاحب السوق واحكامه بقرطبة وهو الفقيه الحافظ ابو طالب مكّى وفيها ولد الفقيه القاضى ابو عبد الله محمّد بن اصبغ المعروف بابن مناصف صاحب الارجوزة وفى جمادى الاولى منها توفّى المقدم ابو جعفر بن هود صاحب سرقسطة وولى مكانه ولده يوسف المؤتمن وفى كلّ سنة تتزايد فيهم الفتوح والايات وغير ذلك فقد استغنينا عن جملة ذلك كله وسنذكر بعضه دون بعض، وفى سنة سبع وتسعين توفّى الفقيه الحافظ ابو عبد الله محمّد الطلاع وله تواليف وذكر صاحب كتاب التشوف ان ابا جبل توفّى فى سنة ثلاث وخمس مائة ودفن بظاهر الرابطة التى بخارج باب يصليتن من ابواب فاس وكان ابو جبل نفعنا الله به من كبار الفضلاء لقى بمصر ابا الفضل عبد الله بن الحسن الجوهرى وكان جزارا اسود اللون مليح الوجه نقى القلب احد المتخلصين الخائفين من الله تعالى ويقال انه رءا الخضر عليه السلام بعد اربعين سنة من اقباله الى الله تعالى ومجاهدته فبشّره ان الله قد اثبته فى الابدال وكان كثيرا السياحة فى الارض وهو القائل

سافر لتكسب فى الاسفار فائدة	فرُبّ فائدة تلقى مع السفر
ولا تقُمْ بمكان لا تصيب به	شيئًا ولو كنت بين الظّل والزهر

فلنّ موسى كليم الله اعوزه علم تكسّبه في صحبة الخضر

وفي سنة اربع عشرة وخمس مائة ظهر المهدى المؤحد بالمغرب واجتمع في طريقه من المشرق بعبد المومن بن علىّ، وفي سنة تسع عشرة ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل واشتغلوا بحرب المهدى والموحدين القائمين عليهم بجبل دَرْنَ وعجزوا عن نصرة بلاد الاندلس وضعف احوالهم واشتغلوا بانفسهم عنها وقوى امير المؤحدين وملكوا بلادا كثيرة من بلاد المغرب حتى ضاقت الارض على المرابطين، وفي سنة احدى وعشرين وخمس مائة التاسع عشر من شهر ربيع الاول منها توفّي الفقيه القاضي ابو الوليد الباجي باشبيلية وهو معزول عن القضاء، وفي سنة تسع وثلاثين ثار القاضي ابن حمدين بقرطبة على المرابطين وقتلهم مع العامّة ✿

الخبر عن الدولة الموحدة المومنية وقيامها على يد محمد بن تومرت المسمى بالمهدى

قال المؤلف عفا الله عنه اما المهدى القائم بدولة بنى عبد المؤمن بالمغرب الاقصى فهو على ما ذكره المؤرخون لدولتهم محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العبّاس بن محمّد ابن الحسن بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنهم وقيل هو دُعِيٌّ في هذا النسب الشريف ذكره ابن مطروح القيسى في تاريخه وقال هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمّد بن تومرت الهرغى وقيل هو من جنفيسة والله اعلم بذلك كلّه، كان اوّل امره وابتداء حاله رجلاً فقيرًا مشتغلاً بطلب العلم وتحصيله وكان له ناموس عظيم فارتحل الى المشرق في طلب العلم فرءا مشايخ وسمع منهم واخذ عنهم علما كثيرا وحفظ كثيرا من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واتبع في علم الاصول والاعتقادات وكان في جملة من لقى من العلماء الذين اخذ عنهم العلمَ الشيخ الامام الاوحد ابو حامد الغزالى رحمه الله ورضى عنه لازمه لاقتباس العلم عنه من ثلاث سنين فكان الامام ابو حامد اذا دخل عليه المهدى يتامله ويختبر احواله الظاهرة والباطنة فاذا خرج عنه يقول لجلسائه لا بدّ لهذا البربرى من دولة اما انه يثور بالمغرب الاقصى ويظهر امره ويعلوا سلطانه ويتّسع ملكه فان ذلك ظاهر عليه في صفاته وبان عنه في شمائله وردت بذلك الاخبار ودلّت عليه

العلا

العلامات والآثار فنقل اليه الخبرَ بعضُ الاصحاب واخبره ان ذلك عند الشيخ فى كتاب فلم يزل يجتهد فى خدمة الشيخ ويقرب اليه حتى اطلعه على العلم الذى كان عنده فيه فلما تحققت عنده الحالة لستخار الله سبحانه وعزم على الترحال، قال المؤلف عفا الله عنه اقبل محمّد المهدى المذكور من المشرق ويمّم بلاد المغرب متوكّلا على الله عازما على اقامة شرايع الله وسنّة نبيه عليه السلام وكانت رحلته عن بلاد المشرق فى اوّل يوم من ربيع الاوّل المبارك من عام عشرة وخمس مائة فكان حيثما حلّ من مدن افريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ويظهر التقشّف والورع والزهد فى الدنيا ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى وصل الى بلاد تلمسان فنزل منها بقرية تعرف بناجر من احواز تلمسان فلقيه بها عبد المومن بن علىّ فانضاف على خدمته وقرأ عليه واخذ عنه وعلّمه بمراده وما قصده من طلب الخلافة فوافقه على حاله وتبعه فى امره وبايعه على موازرته فى الشدّة والرخاء والعسر والميسر والأمن والخوف وقدم معه الى المغرب الاقصى وكان المهدى اوحد عصره فى علم الكلام وعلوم الاعتقاد حافظا للحديث والفقه له لسانة وفصاحة فاخذ يشيع عند الناس انه الامام المهدى المنتظر المخبر به القائم فى آخر الزمان الذى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا واخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن عليهم وينسبهم الى الكفر والتجسيم ويدعوا الى خلع طاعتهم ويمشى فى الاسواق ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكسر المزامير والات اللهو ويريق الخمر حيثما وجده ففعل ذلك فى اىّ بلد حلّ فيه واىّ موضع نزل به الى ان وصل الى مدينة فاس فنزل بها فى مسجد طريانة فاقام به يدرس العلم الى سنة اربع عشرة وخمس مائة فارتحل الى مدينة مراكش دار مملكة المرابطين لعلمه انه لا يظهر امره الا منها فسار حتى وصلها وبها امير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشفين فدخل المدينة بزى الزهد وقصد مسجدا ياوى اليه ومعه عبد المومن فى خدمته مربع بامامته فكان يمشى فى اسواق المدينة وشوارعها يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويريق الخمر ويكسر الات الطرب من غير اذن امير المسلمين ولا موارة من احد من القضاة والوزراء فاتّصل خبره بامير المسلمين علىّ بن يوسف فامر باحضاره فلما مثل بين يديه نظر الى تقشّفه ورثاثة حاله فلستحقره وهان عليه امره وقال له ما هذا الذى بلغنا عنك قال وما بلغك ايها الامير انّما انا رجل فقير طالب الاخرة وليس بطالب دنيا ولا حاجة لى بها غير انى آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وانت اولى من يفعل ذلك فانك المسؤل عنه وقد وجب عليك احياء السنّة واماتة البدعة وقد ظهرت ببلدك المنكرات وفشت

البدع وقد امرك الله بتغييرها واحياء السنّة بها اذا لك القدرة على ذلك وانت الماخوذ به والماسؤل عنه وقد عاب الله العظيم امّة تركوا النهى عن المنكر فقال تعالى كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فلما سمع ذلك امير المسلمين علىّ بن يوسف من مقالته هابه واطرق براسه الى الارض مليا يفكر فى امره ومقالته وينظر فى حاله ثم رفع راسه الى وزرائه فامرهم باحضار الفقهاء الى مناظرته واختباره فاحضر فقهاء مراكش وطلبتها واشياخ لمتونة والمرابطين حتى امتلا المجلس وغصّ بالناس وعرّفهم امير المسلمين بامر المهدى وبمقالته وقال لهم انما بعثتُ فيكم لتختبروا امره فان كان عالما اتبعناه وان كان جاهلا ادبناه فاكثروا الكلام واخذوا فى الملام وكان المهدى عالما بالجدل وقال لهم قدّموا منكم مَنْ تقوم به حجّتكم وتادّبوا باداب اهل العلم وسلموا عند شروط المناظرة واتركوا اللجاج فقدّموا احدكم ممن توثقوا بمعرفته وتقدمه، وكان رجل ممّن حضر ذلك المجلس من الفقهاء اصحاب حديث وفروع وليس منهم مَنْ له المعرفة بالاصول والجدل فكان اوّل ما سألهم عنه ان قال للذى تقدّم لكلامه ايها الفقيه انت لسان الجماعة المتقدّم للكلام فاخبرنى هل تنحصر طرق العلم ام لا تنحصر فاجابه هى تنحصر من الكتاب والسنّة والمعانى التى بنيت عليها فقال له المهدى انما سألتك عن طرقُ العلم هل تنحصر ام لا فلم تذكر الّا واحدة منها ومن شرط الجواب ان يكون مطابقا للسؤال فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ثم سأله عن اصول الحقّ والباطل ما هى فعاد الى جوابه الاوّل فلما رءا عجزه وعجز اصحابه عرّفهم السؤال ومجرى الخطاب ولم تكن لهم معرفة بالجواب شرح لهم فى تبيين اصول الحقّ والباطل فقال لهم اما اصول الحقّ والباطل فهى اربع العلم والجهل والشكّ والظنّ فالعلم اصل الهدى والشكّ والظنّ والجهل اصل الضلال ثم اخذ فى تبيين طريق العلم فبصّرهم بانوار العلم وغلقت دونهم ابواب الفهم وعجزوا عن جوابه ولم يفهموا معنى خطابه فلما رءاوا باهر علمه واصابة معرفته اخذتهم فضيحة العجز وركنوا الى ظلمة الجحد والانكار فلبّبوا عليه وقالوا لامير المسلمين علىّ هذا رجل خارجى مسعور احمق صاحب جدل ولسان يُضِلّ جهال الناس وان بقى فى المدينة يفسد عقائد اهلها ونشروا ذلك عند الناس حتى رسخ ذلك فى قلوب اكثر العامّة فامره امير المسلمين بالخروج عن المدينة فخرج منها فبنى خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد فيها فكان ياتيه بعض الطلبة فيقرؤن عليه وياخذون عنه حتى كثر عليه الجمع وعزّ عليه اتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس

وامتلات

وامتلات قلوبهم له محبّة ومهابة وتعظيما فاعلم الخاصّة منهم بالذى قصده وبما يريده واخذ يطعن على المرابطين هم كفرة مجسمين وغزوهم واجب على كلّ من يعلم ان الله تعالى واحد فى ملكه اوجب من غزو الروم والمجوس وتابعه على ذلك ما يزيد على الف وخمس مائة رجل فعرف خبره الى امير المسلمين علىّ وعرّفه انه يطعن فى دولة المرابطين ويكفرهم وانه قد كثر اتباعُه على مذهبه فبعث اليه فقال له ايها الرجل. اتّق الله فى نفسك الم انهك عن عقد الجموع والحازب وامرتك بالخروج عن المدينة قال امتثلتُ امرك وخرجت عن المدينة الى الجبانة فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الاخرة فلا تسمع لاقوال المصلّين فاغلظ له امير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهمّ بالقبض عليه فعصمه الله منه ليقضى الله امرا كان مفعولا فامره بالانصراف فانصرف يريد خيمته فبينما هو فى بعض الطريق اذ اغوى به امير المسلمين وشرح له جلية حاله ويدعوا الناس اليه من امامته وبيعته فبدا له فى امره وعزم على قتله وبعث مَنْ ياتيه براسه فسمع بذلك بعض تلاميده فاتاه مسرعًا حتى وقف بالقرب من خيمته ونادى باعلى صوته يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فكرّر النداء ثلاث مرّات ثم سكت ففطن المهدى لندائه وخرج فى الحين مسرعًا مستخفيا حتى بلغ بلاد تينمال وذلك فى شهر شوال من سنة اربع عشرة وخمس مائة فنزل هنالك ولحق به اصحابه العشرة وهم عبد المؤمن بن علىّ وابو محمّد البشير وابو حفص وابو حفص بن يحيى بن بنتى وابو حفص عمر بن علىّ آزنّاجْ وسليمان بن خلوف وابراهيم بن اسمعيل الهزرجىّ وابو محمّد عبد الواحد الحضرى وابو عمران موسى بن تمار وابو يحيى بن يحيت فهؤلاء اهل العشرة اصحاب المهدى السابقون الى دعوته والمصدّقون بامامته المنقادون لامارته المسارعون الى بيعته فاقاموا معه بتينمال الى شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمس مائة فكثر اتباعُه وعظم صيته فى جبل درن واجتمع عليه خلق عظيم فلما رءا ذلك اظهر دعوته ودعا الناس الى بيعته فكان اوّل مَنْ بايعه اصحابه العشرة المذكورون وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمسة عشر وخمس مائة فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من رمضان المذكور خرج الى المسجد الجامع بتينمال مع اصحابه العشرة متقلدين بسيوفهم فصعد المنبر وخطب الناس واعلمهم انه الامام المهدى المنتظر الذى يملا الارض عدلا واظهر دعوته ودعاهم الى بيعته فبايعه كافّة اهل تينمال ومَنْ جاورهم بها من الناس وبعد ذلك

يستجلب القبائل واهل الجبل وبعث اصحابه دعاه الى القبائل وفرّق مَنْ يثق بسياسته من تلاميذه فى البلاد القاصية والدانية يدعون الى بيعته ويثبتون عند الناس امامته ويزرعون فى قلوبهم محبّته مما يذكرون من الفضائل والكرامات ويصفونه به من الزهد فى الدنيا واظهار الحق فقصد الناس اليه من كلّ جهة ومكان يبايعونه ويتبرّكون برؤيته فاخذ عليهم البيع ويعلمهم انه المهدى المنتظر حتى علا امره وقوى سلطانه ويسمّى كلّ مَنْ دخل فى طاعته وبايعه وتابعه على طريقته بالموحّدين وعلمهم التوحيد باللسان البربرى وجعل لهم فيه الاعشار والاحزاب والسور وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد وانما هو كافر لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته فسار هذا التوحيد عند قبائل المصامدة كالقرآن العزيز لانه وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئا من امر الدين ولا من امر الدنيا فاستهواهم بكيده وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره حتى كانوا لا يذكرون غيره ولا يمتثلون امرا الا امره وبه يستغيثون فى شدائدهم ويتبرّكون بذكره على موائدهم ويقولون هذا الامام المعلوم المهدى المعصوم على منابرهم فدخل الناس فى طاعته افواجا واتخذوا سنّته شريعة ومنهاجا فرتب العشرة والخمسين وتمكّن فى الملك اى تمكين وسمّى العشرة من اصحابه السابقون الاوّلون وجعل الخمسين للراى والمشورة وعقد الامامة والنظر للمسلمين فلم يزل تقبل اليه الجموع والقبائل وتفد عليه الوفود ويخطب له فى المحافل حتى كمل له من انصاره الموحدين واصناف قبائل المصامدة ما يزيد على العشرين الف رجل فقام فيهم خطيبا وندبهم الى جهاد المرابطين فانتدب اليه الناس وبايعوه على الموت بين يديه فانتخب منهم جيشا من عشرة الاف رجل من انجاد الموحدين وقدّم عليهم ابا محمّد البشير وعقد له راية بيضا ودعا لهم وودّعهم فخرجوا قاصدين الى مدينة اغمات فاتّصل خبرهم بامير المسلمين علىّ بن يوسف فبعث لقتالهم جيشا من الحشم والاجناد وقدم عليهم الاحول النظر على لمتونة فهزم جيش علىّ بن يوسف وقتل الاحول اكلنوم واستمرّت الهزيمة على لمتونة واتبعهم الموحدون بالسيف حتى ادخلوهم مدينة مراكش فاقاموا عليها محاصرين لها اياما ثم ارتحلوا عنها الى الجبل لما تكاثرت عليهم جيوش لمتونة وذلك فى ثلاث شعبان المكرم من سنة ستّ عشرة وخمس مائة فانتشر امر المهدى بجميع بلاد المغرب والاندلس وقسّم المغانم التى غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين وتلا عليهم قوله تعالى وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ الاية ☆

الخبر

الخبر عن غزواته وحروبه مع لمتونة

قال المؤلف عفا الله عنه لما هزم الموحدون جيوش امير المسلمين علىّ بن يوسف عظم امر المهدى وقوى سلطانه وركّب اكثر جيشه من خيل المرابطين التى غنموها من عسكرهم فنهض الى قتال المارقين واهل الزيغ المبطلين فسار حتى نزل بجبل جليز قريبا من المدينة فاقام بها ثلاثة اعوام يباكر جيوش لمتونة بالقتال ويراوحها فى كل يوم من سنة ستّ عشرة الى سنة تسع عشرة فلما طال مقامه هنالك ارتحل الى وادى نفيس وسار مع مسيل الوادى فانقاد اليه اكثر تلك الجهات والنواحى من السهل والجبال وبايعه قبائل جدميوة ثم غزا بلاد رجراجة فاخذهم بالدعوة الى معرفة الله تعالى وتعليم شرائع الاسلام فسار فى بلاد المصامدة وكلّ من اختلف عن دعوته غزاه الموحدون ففتح بلادا كثيرة ودخل فى طاعته عالم كثير من قبائل المصامدة ورجع الى تينمال فاقام بها شهرين حتى استراح الناس ثم غزا مدينة اغمات وبلاد هزرجة فخرج اليها من تينمال فى ثلاثين الفا من الموحدين فاجتمع اهل اغمات وقبائل هزرجة وخلق كثير من الحشم ولمتونة وغيرهم واستعدّوا لقتال المهدى فالتقى الجمعان فكان بينهما قتال شديد فنصر عليهم المهديون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقسّم المهدى الانفال على الموحدين ثم غزا قبائل درن فسار فيه يقتل مَنْ عصا ويؤمن مَنْ اتبعه وانقاد اليه ففتح جميع قلاع درن وحصونه واوديته وطاع له جميع من فيه من قبائل هنتاتة وجنفيسة وهرغة وغيرهم ثم رجع الى تينمال فاقام بها مدّة حتى استراح الناس فميّز الموحدين وامرهم بالخروج الى قتال مراكش وجهاد من بها من المرابطين وقدّم عليهم عبد المومن بن علىّ وابا محمّد البشير وجعل امام الصلاة عبد المومن بن علىّ فارتحل بعساكر الموحدين من تينمال قاصدين الى مراكش فلما وصلوا الى اغمات تلقاهم بها الامير ابو بكر بن علىّ بن يوسف اللمتونى فى جيش عظيم من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم فكانت بينهم حروب عظيمة ثمانية ايام ثم منح الله تعالى الموحدين النصر وهزم الامير ابو بكر بن علىّ ولمتونة واتبعهم عبد المومن بن علىّ بجيش الموحدين يقتلونهم بكلّ فجّ واتصلت الهزيمة بهم الى ان ادخلوهم مرّاكش وسدّوا الابواب فى وجوههم فحاصروهم بها ثلاثة ايام ثم ارتحلوا عنها الى تينمال وذلك فى شهر رجب الفرد

من عام اربعة وعشرين وخمس مائة فلما رجع الموحدون الى تينمال خرج المهدى الى لقائهم فسلّم عليهم ورحّب بهم وعرّفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد وبمدّه ملكهم واعلمهم انه يموت فى تلك السنة وبكوا لذلك وأسفوا ثم بدى به المرض الذى توفّى منه فاقام مريضا اياما وقدّم عبدَ المومن بن علىّ بالصلاة فى ايام مرضه ولم يزل مرضه يشتدّ الى ان توفّى اليوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة اربع وعشرين وخمس مائة ❁

الخبر عن وفاته رحمه الله وعفا عنه

وذكر بعض المؤرّخين لايامهم انّ المهدى الموحد رءا فى منامه قبل وفاته بيسير كانّ رجلا وقف له بباب بيته فانشد

كانّى بهذا البيت قد باد اهلُه ... وقد درستْ اعلامه ومنازلُهْ

فاجابه المهدى

كذلك امور الناس يبْلى جديدُها ... وكلّ منّا حقّا سنبلى جمالُه

فاجابه الرجل

تزوّد من الدنيا فانّك راحلٌ ... وانّك مسؤولٌ فما انت قائله

فاجابه المهدى

اقول بانّ اللهَ حقّا شهدتُّهُ ... وذاك مقال ليس تحصى فضائلُهْ

فاجابه الرجل

فخذ عدّةً للموت انك ميت ... وقد ازفّ الامر الذى انت نازلُه

فاجابه المهدى

متى ذاك خبرنى هُديتَ فاننى ... سافعلُ ما قد قُلْتَه وأُعَاجِلُهْ

فاجابه الرجل

تلبث ثلاثا بعد عشرين ليلةً ... الى مُنْتَهَى شهرٍ فما انت كامِلُهْ

فلم يعش بعد ذلك الا ثمان وعشرين ليلة ومات رحمه الله وقيل. لما ثقل به المرض وايقن بالموت دعا عبدَ المومن فاوصاه بما احبّ واوصى باخوانه خيرا واعطاه كتاب الجفر الذى سار اليه من قبل الامام ابى حامد الغزالى رضى الله عنه وامره ان يخفى موته اياما حتى تجتمع كلمة الموحدين وامره بما يكفنه فيه من الثياب وان يتولّى كفنه وغسله

وغسله بيده ويتقدم للصلاة عليه ويدفنه بجامع تينمال فبكا عبد المومن لفراقه بكاء شديدا وتوفى فى ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة اربع وعشرين وخمس مائة قاله البرنوسى وقيل توفى يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المذكور قاله ابن الخشاب فى تفسيره وقاله غيره كان قيام المهدى وبيعته وظهور دعوته فى يوم السبت غرّة شهر المحرم مفتتح عام خمسة عشر وخمس مئة وتوفى يوم الاربعاء الثالث عشر لرمضان سنة اربع وعشرين المذكورة فكانت دولته على هذا ثمانية سنين وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما اوّلها يوم السبت مفتتح خمسة عشر وآخرها يوم الاربعاء المذكور والصحيح فى بيعته ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة وابو علىّ بن رشيق المويسىّ فى كتاب ميزان العلم انه بويع بيوم السبت غرّة محرّم مفتتح عام ستة عشر وخمس مئة وتوفى يوم الاربعاء الثالث عشر لشهر رمضان سنة اربع وعشرين وخمس مئة وقال بعض المورخين انه نقل ذلك من خط امير المومنين ابى يعقوب يوسف بن عبد المومن وانه قيّده بين يدى ابيه عبد المومن وبامره واملائه فكانت ايامه على هذه الرواية ثلاثة الاف يوم وخمسة وثمانين يوما يجب له من السنين ثمانية اعوام وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما اوّلها يوم السبت يوم بيعته وآخرها يوم الاربعاء الذى توفى فيه ☼

الخبر عن صفته وسيرته ونبذ من احواله

كان محمّد المسمّى بالمهدى القائم بدولة الموحدين حسن القدّ مستخمر اللون رقيق السمرة ابلج افنا غاير العينين خفيف العارضين له شامة سودى فى كفّه الايمن ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم وكان مع ذلك عالما فقيها راويا لحديث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حافظا له عارفا بالاصول عالما فى علم الاعتقادات والجدل فصيح اللسان مقداما على الامور العظام سفاكاً الدماء غير متورع فيها ولا متوقف يهون عليه سفك دم عالم من الناس فى هواء نفسه وبلوغ غرضه وكان مع ذلك متيقظا فى احواله ضابطا لما ولى من سلطانه شرع وسرع ومهّد المُلك لغيره بالخدع ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكّن منهم وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه وعلّم لهم توحيدا بلغتهم فانّه كان رجلا منهم والتوحيد بايديهم الى الان واعلمهم انه هو الامام المهدى القائم على كمال الخمس مائة ونسب المرابطين الى التجسيم والكفر واباح

لهم جهادهم وسبى نسائهم وذراريهم واموالهم وقال لهم انهم تسمّوا بامارة المسلمين وانما يعرفون بالمتلبسين واخبرهم انهم القوم الذين وصف النبى صلّى الله عليه وسلّم بقوله صنفان لا يدخلون الجنّة الصنف الاوّل هم قوم يخرجون فى أخر الزمان لهم سياط كاذناب البقر ونساؤهم كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كاسْنِمَة البُخْت وكلما وصف به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم امراء الزمان الا وقد نسبت اليهم فاستهوى بذلك قلوب الرعاع الجهال، ومن تحيله وتهاونه بسفك الدماء انّه اخذ قوما من اتباعه ودفنهم احياء وجعل لكلّ واحد منهم متنفسا فى قبره وقال لهم ان اسئلتم فقولوا قد وجدنا ما وَعَدَنا ربّنا حقّا من مضاعفة الثواب على جهاد لمتونة وعلو الدرجات التى نلْنـا بالشهادة فجدّوا فى جهاد عدوّكم فانما دعاكم اليه الامام المهدى صاحبكم حقٌّ وقال لهم اذا قلتم ذلك خرجتكم وكان لكم عندى من المنزلة اعلاها وسناها وعاهدهم على ذلك والسبب فى ذلك انّ جيش المُوحّدين لما التقى بعسكر المرابطين واشتدّ الحرب بينهم قُتِل من الموحدين خلق كثير فعظم ذلك على قبائلهم وعشائرهم ففعل ذلك ليهون عليهم ما اصابهم من القتل والجراحات فاتى الى موضع المقتلة ليلاً مع اصحابه فدفنهم بين القتلى وردّ عليهم التراب ثم رجع الى محلّته وقد ذهب اكثر الليل وقال لاشياخ الموحدين يا معشر المُوحدين انتم حِزْب الله وانصار دينه واعوان الحقّ فجدّوا فى قتال عدوّكم فانتم على منهاج الحقّ وانتم على بصيرة مِنْ امْرِكم وان كنتم ترتابون فيما اقوله لكم فاذهبوا الى موضع المعركة واسألوا من مات من اخوانكم يخبركم بفضل جهادكم وعظم ثوابكم عليه فى الاخرة فاتى بهم الى المقتلة ثم نادى بارفع صوته يا معشر الشهداء اخبرونى بما لقيتم من الله عزّ وجلّ فقالوا وجدنا عند الله ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلما سمعوا الجواب رجعوا الى قومهم وقبائلهم فقالوا قد سمعنا ما اجاب به اخواننا الذين استشهدوا منّا وما شهدوا من فضل الله تعالى وجزيل ثوابه فافتتن بذلك كافّة الناس ثم اتى فاغلق على اصحابه الذين دفنهم المنافس التى كانت تركت لهم فماتوا من ساعتهم غمّا ففعل ذلك بهم ليلا يخرجوا ويسرّوا ما فعله بهم، ومن حيلته وسياسته انه لم يقدر على طايفة المصامدة ان يتعلّموا امّ القرءان لشدّة عجمتهم فعدّد كلمات امّ القرأن وسمّى بكلّ كلمة منها رجلا ثم اقعدهم صفّا واحدا فقال للاوّلهم اسمك الحمد لله والثانى ربّ والثالث العالمين هكذا حتى تمّت كلمات السورة ثم قال لهم لا يقبل الله لكم صلاة حتى

تجمعوا

تجمعوا هؤلاء الاسماء كلّها على نَسَقِها فى كلّ ركعة من الصلاة فسهل عليهم الامر وحفظوا امّ القرءان ذكره صاحب كتاب المغرب فى اخبار ملوك المغرب ☆

الخبر عن دولة خليفة امير المومنين ابى محمد عبد المومن بن على الكومى الزناتى

هو ابو محمّد عبد المؤمن بن علىّ بن يعلا بن مروان بن نصر بن علىّ بن عامر بن الامنى بن موسى بن عون الله بن يحيى بن وزجائع بن سطفون بن نفور بن مطاط بن هود بن مادغيس بن بربر بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن عدنان هكذا اثبت نسبته جماعة المؤرّخين لدولته واصله منقول من خطّ حفيده ابى محمد عبد الواحد على ما ذكروه والله اعلم فهو زناتىّ الاصل وكان والده علىّ فخارا يعمل النوابيخ وكان عبد المومن قد تطلّب من صغره ولازم المساجد لدرس القرءان فمرّ به المهدى حين اقبل الى المغرب فضمّه اليه لما اراد الله تعالى من امره والذى ثبت من خبره انه رجل زناتىّ الاصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرا على ثلاثة اميال من مرسى هنين وزعم بنوا عبد المومن ان المهدى كان استخلفه بعده فلما توفّى المهدى بويع عبد المؤمن بيعةً خاصّة بايعه العشرة اصحاب المهدى واخفوا موته واجتمعوا على بيعة عبد المومن لاختصاص المهدى له وثباته عليه وقوله فيه

تجمّعتْ فيك اشياءُ خُصِصتَ بها ... فكلّنا بك مَسْرُورٌ ومُغتبِطُ
السنّ ضاحِكةٌ والكفّ مانِحَةٌ ... والصّدْرُ متّسعٌ والوجه مُنْبَسِطُ

الى ما كان من تقديمه للصلاة وما يعرفونه من فضله وعلمه ودينه وحزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله وقيل لما مات المهدى تشوف كلّ واحد من العشرة الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل شتّى واحبّت كلّ قبيلة من قبائل المؤحدين ان تكون الخلافة منها ولئن لا يلى عليها غيرها فتنافسوا فى ذلك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتوامروا بينهم وخافوا النفاق وان تفسد كلمتهم ويتفرّق جمعُهم فاتّفقوا على خلافة عبد المومن لكونه غريبا بينهم ليس منهم مع ما كانوا يرون من ميل المهدى اليه وثباته عليه فبايعوه وذكر ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة انّ المهدى الموحد لما توفّى خفى موته ولم يعلم به احد الا عبد المومن واصحابه العشرة فبقى موته مكتوما ثلاث سنين وهم يدبّرون الامور وذلك بسياسة ظهرت

لعبد المومن في ذلك الوقت فانه لما توفّي المهدى عمد الى شبل اسد وطائر فربّاهما ودرّبهما في ما اراد فانس الاسد بنفسه فكان الاسد اذا رءاه ربض في يده وبصبص له وعلّم الطائر النطق باللسان العربي فكان يقول النصر والتمكين للخليفة عبد المومن امير المومنين فلما كمل ما اراد من ذلك امر اشياخ الموحدين وقبائلهم ان يحضروا مجلسه فامر فضربت له قبّة كبيرة بجامع تينمال وفرش له في وسطها وجعل الطير على عمود القبّة وامر سائس الاسد ان ياتي به اذا غصّ المجلس بالموحدين فيطلقه بينهم فلما اجتمع قام عبد المومن خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلّى على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وترضّى عن الصحابة وعن الامام المهدى وترحّم عليه واعلمهم بموته ونعاه لهم وعزاهم فيه فكثر البكاء منهم وارتفع الضجيج فقال لهم ان الامام قد سار الى ما عند الله ووجد خيرا مما ترك فكونوا في انفسكم وانظروا فيمن تولّونه امركم وتجمع عليه كلمتهم بعده ولا تفرقوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ويختل ويتفرّق جمعكم ويتمكّن منكم عدوّكم فتوامر اشياخ الموحدين في تلك الحال واذا بسائس الاسد قد اطلقه ومعلم الطائر قد صفر له فقال الطير عند ذلك بلسان فصيح النصر والفتح والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المومن امير المومنين واما الاسد فانه لما اطلقه سائسه ورءا الناس زهره وضربه بذنبه وكشف عن انيابه ففرّ الناس منه يمينا وشمالا وبقي عبد المومن بمكانه قاعدًا لم يتحرّك فلما بصر به الاسد بصبص بذنبه وقصد نحوه حتى بصبص بين يديه فجرّ عبد المومن يده عليه وسكّنه فلما رءا الموحدون فعل الاسد وسمعوا كلام الطائر اتّفقوا على تقديم عبد المومن وقالوا ما على هذا مزيد وليس احدٌ اولى بخلافة الامام المهدى من عبد المومن الذى ظهرت له هذه الكرامات يدعوا له الطائر ويبصبص بين يديه الاسد ويستخلفه الامام للصلاة وهي اصل الاسلام فنقدمه نحن للخلافة ونقتدى في ذلك بفعل اصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم والصدر الاوّل من هذه الامّة في تقديم ابى بكر رضى الله عنه لمسابقته وفضله وعلمه ولكون النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قدّمه للصلاة في مرضه وكان فيهم مَنْ هو اقرب له نسبًا منه فبايعوه وتمّت له البيعة ويقال انه لما بصبص الاسد بين يديه جرّ يمينه المبارك عليه وامره بالرجوع فرجع مُطيعا لامره ولو قدر على الكلام لنطق بثنائه وشكره فظهر له في ذلك المقام ما شاع في الافاق وخلد في بطون الاوراق واثبت له من عجائب الاتّفاق وفي ذلك يقول ابو على

انس

انس الشبل ابنهاجا بالاسد	ورءا شَبْهَ ابيـه فقصد
ودعا الطائرُ بالـنصـر لـكـم	فقضى حـقّـكـم لما وفد
انـطـق الخالق مخـلـوقاتـه	بالشاهدة فكلّ قد شهد
اتّـك الـقـائـم بالامـر له	بعد ما طال على الناس امد

وكانت بيعة عبد المومن يوم الخميس الرابع عشر لشهور رمضان المعظم من سنة اربع وعشرين وخمس مائة وهى بيعة الخاصّة التى بايعه عشرة من اصحاب المهدى وبـويـع بيعتَه العامّة يوم الجمعة الموفى عشرين لربيع الاوّل من سنة ستّ وعشرين وخمس مائة بعد وفاة المهدى بسنتين بجامع تينمال بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور واول مَنْ بايعه العشرة اصحاب المهدى ثم الخمسون من اشياخ الموحدين ثم كافّة الموحدين لم يختلف عن بيعته احد منهم وكانت بيعتهم له فى طالع سعيد سعدوا بها وانقطعت دولة لمتونة فافناهم بالقتل والجلا وفتح المغرب بأسره ثم فتح بلاد افريقية وفتح جميع بلاد الاندلس باسرها وخطب له على منابر هذه الاقاليم كلّها ولما تمّت البيعة واستوثق له امر الموحدين اخذ فى الحركة الى جهاد اعدائه وقتال اهل الزيغ والـعـنـاد عن طاعته وافتتاح البلاد فكان اوّل غزوة غزاها فى خلافته غزوة تادلا خرج لها من تـيـنـمـال يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الاوّل مِنْ سنة ستّ وعشرين وخمس مائة فى ثلاثين الفا من الموحدين حتى وصل تادلا فغنمها وسبى اهاليـهـا وانصرف ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها ثم غزا بلاد تيغر ففتحها ثم غزا بلاد فزّان وبلاد غـيـاثـة ثم خرج الى غزوته الطويلة وذلك فى شهر صفر من سنة اربع وثلاثين فلم يزل فيـهـا يفتح البلاد ويمهّدها ويغزوا القبائل الى سنة احدى واربعين وخمس مائة وكان اول بـلـد فتحه فى هذه الغزوة بلاد تازا وجبال غياثة واستمرّت الحروب بين عبد المومن والمرابطين من يوم بويع الى ان توفّى على بن يوسف بن تاشفين وولى بعده ولده تاشفين فاستمرّ الحال بينهما فى الحرب الى ان مات تاشفين بن علىّ بعد ان قام عبد المومن بن على بكرنطة عامين اثنين وتاشفين بن علىّ بازائه يباكره بالحرب ويراوحه ثم ارتحل عبد المومن الى جبال غُمارة فارتحل تاشفين فى اثره فنزل بوادى تـلـبـيـط بازاء عين القديم وذلك فى فصل الشتاء فاقام بذلك المنزل شهرين حتى احرق اهل محلّته اوتاد اخبيتهم ورماحهم وهدم بيوتهم وخيامهم ثم ارتحل عبد المومن الى جهة تلمسان وارتحل تاشفين وانـوى المراحل حتى دخل تلمسان قبله فضبطها وحصّنها واتى عبد المومن بجنود الموحدين فنزلوا عليها بين الصخرتين فلم يزل الحرب بينهما الى ان رحل عبد المومن الى وهران

وترك جيشا من الموحدين يحاصر تلمسان فخرج تاشفين من تلمسان فى خاصّة من قومه ، واستخلف عليه بعض المرابطين وسار لحماية وهران فوقعت به رمكته من حافة على البحر بالليل فمات ففتح عبد المومن وهران وتلمسان وذلك فى شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين وخمس مائة قاله صاحب المنّ بالامامة ، قال ابن مطروح القيسى لما بويع عبد المومن بتينمال ارتحل بجيوش الموحدين نحو مدينة مرّاكش وذلك فى شوال سنة ستّ وعشرين المذكورة فقاتلها اياما ثم ارتحل عنها الى تادلا ففتحها ثم سار الى درعة ففتحها ثم ارتحل الى مدينة سَلا ففتحها وتلقّى اهلها طائعين وسامعين فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين لذى حجّة سنة ستّ وعشرين المذكورة وخطب له بها وفى سنة سبع وعشرين تسمّى بامير المومنين وفى سنة تسع وعشرين فتح بلاد تازا وفى سنة ثمان وعشرين امر ببناء رباط تازا واقام يحارب تاشفين بن علىّ من سنة ثلاثين الى سنة تسع وثلاثين الى ان حاصره بتلمسان فلما ان ضاق به الحصار خرج منها الى وهران فسار عبد المومن فى اثره فحصره بوهران وترك جيشا من الموحدين محاصرا لتلمسان فلما اشتدّ الامر على تاشفين خرج فى جمع من جنوده من وهران بالليل ليضرب فى محلّة عبد المومن وكان ليلة مظلمة فتردّى به فرسه من شاهق الجبل فمات فاصبح ميتا بساحل البحر فقطع راسه وحُمل الى عبد المومن فامر به فحمل الى تينمال فصلب بها على شجرة صفصاف عاليه ودخل عبد المومن وهران عنوة وذلك فى شهر محرّم من سنة اربعين وخمس مائة وفى شهر صفر دخل تلمسان وملكها الموحدون وفرّ عنها لمتونة الى كادير فحصروا بها الى سنة اربع واربعين فدخلها الموحدون عليهم عنوة وقال البرنوسى فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين ولما فتح مدينة تلمسان بعث الى الاندلس جيشا من عشرة الاف فارس من اجناد الموحدين فنزلوا بساحل الخضراء فكان اوّل بلد فتحوه من الاندلس مدينة شريش فتحوها صلحا كان بها قائدها ابو الغمر من بنى غانية فى ثلاث مائة فارس من المرابطين فخرج بمَنْ معه فتلقّى الموحدين وبايعهم لعبد المومن فدخلوا فى طاعته فكان الموحدون يسمّونهم السابقين الاوّلين وحرّرت اموالهم ولم تزل املاكهم محرّرة الى انقضاء ايامهم فليس فى املاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود بلاد الاندلس للسلام فى كلّ سنة اوّل من ينادى من اهل البلاد اهل شريش فيقال اين السابقون اهل الشريش يدخلون للسلام فاذا سلّموا وقضيت حوائجهم وانصرفوا فحينئذ يدخل غيرهم وكان فتح شريش فى اوّل يوم من ذى حجّة من سنة

تسع

تسع وثلاثين وخمس مائة وقال ابن فرحون دخل الموحدون الاندلس في شهر ذى حجّة سنة تسع وثلاثين وخمس مائة فنزلوا بجزيرة طريف وكان الامير عليهم الشيخ ابو عمران موسى بن سعيد فدخلوا طريف طوعا من اهلها ثم ارسل اليه اهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر وهرب عنها المرابطون الى اشبيلية، وفي سنة اربعين وخمس مائة فتح عبد المومن مدينة فاس بعد الحصار الشديد وقطع عنها النهر الداخل اليها بالالواح والخشب والبناء حتى احصر الماء فوقها في الوطاء فوصل الى مركازه ثم خرقه فهبط الماء عليهم دفعة واحدة فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على الفى دار وهلك به خلق كثير وكاد الماء ان يأتى على اكثرها فدخل عبد المومن فاس وامّن اهلها الا مَنْ بها من المرابطين فانه لم يمض اليهم امانا وقتلهم قتلة كفر وامر بسور المدينة فهدم فيه ثلمات كبيرة ومسافات وقال انا لا نحتاج الى سور وانما الاسوار سيوفنا وعدلنا فلم تزل مدينة فاس لا سور لها حتى بناه حفيده المنصور ثمّ مات وقد شرع في بنائه فتمّمه ولده محمّد الناصر في سنة ستّ مائة، وفي هذه السنة فتحت مدينة اشبيلية وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المومن بن علىّ وفيها فتحت مدينة مَكْنَاسَا وفيها امر امير المومنين عبدُ المومن ببناء سور تجرارت من تلمسان وبنى جامعها وحصّنَ المدينة واعلا سورها وفيها فتحت بلاد دكالة، ثم دخلت سنة احدى واربعين في نصف شهر محرّم منها دخل عبد المومن مدينة اغمات صلحا دون قتال وفي اخر ربيع منها دخل الموحدون مدينة سَبْتة وفرّ عنها المرابطون وفي الثامنة عشر من شهر شوال منها وهو يوم السبت فتح عبد المومن مدينة مراكش بعد حرب عظيم وهزائم كثيرة على المرابطين وقبض على اميرهم اسحاق بن علىّ بن يوسف بن تاشفين فقتله عبد المومن وفي هذا الشهر وفدت جميع قبائل المصامدة باسرها واستوثق امر المغرب لعبد المومن بن علىّ ولم يبق له منازع، ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمس مائة فيها خرج على امير المومنين عبد المومن بن علىّ الماستى وتسمّى بالهادى واسمه محمّد بن هود بن عبد الله وكان قصارا بمدينة سلا وكان ابوه دلالا يبيع الكنابش خرج على عبد المومن بعد ان حضر معه فتح مراكش وبايعه فغلب على بلاد تامسنا واكثر بلاد المصامدة فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المومن الا مراكش فبعث اليه عبد المومن الشيخ ابا حفص في جيش عظيم من الموحدين فارتحل عن مراكش في اول يوم من ذى قعدة عام اثنين واربعين المذكور وخرج معه عبد

المومن مشيّعًا حتى وصل تانسيفت ثم ودّعهم ودعا لهم وانصرفوا فالتقوا بالماسنى الخارج ببلاد تامسنا فكانت بينهم حروب عظيمة قُتل فيها الماسنى قتله الشيخ ابو حفص بيده وهزم عسكره وذلك فى شهر ذى حجّة عام اثنين واربعين المذكور فسمّى الموحدون الشيخ ابا حفص سيف الله تشبيها بخالد ابن الوليد رضى الله عنه وفى هذه السنة وفد اهل اشبيلية بالبيعة على امير المومنين عبد المومن بن علىّ فوجدوه مشغولا بحرب الماسنى محمّد بن هود بن عبد الله فاقاموا عنده بمراكش سنة ونصف لم يروه حتى لقوه بالمصلى يوم عيد الاضحى وفيهم القاضى ابو بكر بن العربى فسلّموا عليه سلام جماعة ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا وقبلت ببيعتهم وسال عبد المومن القاضى ابا بكر بن العربى عن المهدى هل كان لقيه عند الامام ابى حامد الغزالى ام لا فقال له ما لقينه ولاكنى سمعت به فقال له مما كان ابو حامد يقول فيه قل كان يقول ان هذا البربرى لا بدّ ليظهر ثم صرف الوفود الى اشبيلية وكتب لهم منشورا بتحرير املاكهم فانصرفوا عنه فى جمادى الاخرة سنة ثلاث واربعين، ثم دخلت سنة ثلاث واربعين فيها ارتحل عبد المومن بن علىّ الى سجلماسة فدخلها وامن اهلها ثم رجع الى مراكش فاقام بها اياما وخرج الى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ثم كانت الكرّة عليهم فاجال عليهم السيف ولم يبق منهم الا من لم يبلغ الحلم وفى خلال هذه الاحوال قام اهل سبتة على الموحدين بعد ان بايعوهم ومكّنوهم من المدينة وكان قيامهم عليهم براى قاضيهم عياض بن موسى فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وحرقوهم بالنار وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة وطلب منه واليا فارسل معه الصحراوى فدخلها واقام بها اياما فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن اليهم كتب للصحراوى الى سبتة يستنصرون به فاتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه وقتلوا عبد المومن وهزموه ثم كانت له الكرّة عليهم فهزمهم وقتلهم وسباهم فهرب الصحراوى وارسل الى عبد المومن يطلب منه الامان فامنه فاتاه وبايعه وحسنت طاعته فلما رءا ذلك اهل سبتة سقط فى ايديهم وندموا على صنعهم وكتبوا ببيعتهم الى عبد المومن واتاه بها اشياخ المدينة وطلبتها تائبين فعفا عنهم وعن القاضى عياض وامره بسكنى مرّاكش وامر بهدم سور مدينة سبتة فهُدم، وفيها فتحت مدينة مكناسة بعد حصار سبعة اعوام فدخلت عنوة بالسيف وذلك يوم الاربعاء الثالث لجمادى الاولى سنة ثلاث واربعين المذكورة وخربت وقتل اكثر رجالها وخمست اموالهم وبقيت تاجرارت المدينة الى الان وفيها فتحت

مدينة

مدينة قرطبة وملكها الموحدون اعطاها لهم واليها يحيى بن على بن غانية وخرج منها الى غرناطة ليكلّم عاملها اللمتوني في تمكينها للموحدين اذ كان هو قد ملّكهم من قرطبة وقرمونه فتوفّى بغرناطة وذلك يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث واربعين وخمس مائة ودفن بالقصبة بازاء قبر باديس بن حبوس وفي هذه السنة ملك عبد المومن مدينة جيّان وخطب له بها، ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمس مائة فيها ملك الموحدون مدينة مليانة وفيها قام رجل بتامسنا يعرف بابي تمركيد فبايعه برغواطة وقبائل كثيرة من البربر وبقى مدّة يحارب الموحدين الى ان ظفر به فقتل وحمل راسه الى مراكش وقتل معه خلق كثير من البربر، ثم دخلت سنة خمس واربعين فيها تحرّك امير المومنين عبد المومن الى مدينة سلا فوصل اليها واجرا اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى مدينة من رباط الفتح واذن للوفود من اهل الاندلس في الوصول الى سلا فوصلوا في نحو خمس مائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقواد فتلقّاهم الوزير ابو ابراهيم والوزير ابو حفص والفقيه الوزير الكاتب ابو جعفر بن عطية واشياخ الموحدين على نحو ميلين من المدينة وانزلوهم خير نزول وضيّفوهم خير ضيافة ثم دخلوا على امير المومنين عبد المومن بن على فسلّموا عليه بعد ثلاثة ايام من وصولهم وكان دخولهم عليه في اوّل يوم من شهر محرّم عام ستّة واربعين وخمس مائة فاشار الفقيه ابو جعفر بن عطية لاهل قرطبة بالتقدّم فتقدّم قاضيهم ابو القاسم بن الحاج فبين ودهش ووصف حال قرطبة فقال يا امير المومنين انّ الفنش دمّره الله قد اضعفها فتلافاه ابو بكر بن الجد بخطبة بليغة فاستحسنها عبد المومن ووصل الجميع كلّ على قدره وقضاء حوائجه واوصلهم بما ارادوا وامرهم بالانصراف الى بلادهم فانصرفوا، ثم دخلت سنة ستّ واربعين فيها تحرّك امير المومنين ابو محمّد عبد المومن الى المشرق برسم غزو بجاية واستخلف على مرّاكش ابا حفص بن يحيى فسار حتى وصل مدينة سلا فاقام بها شهرين ثم تحرّك منها قاصدا لمدينة سبتة مظهرا انه يريد الجواز الى الاندلس فلما وصل الى سبتة استدعا طلبة اشبيلية وقرطبة وفقهاء الاندلس وقوادها فوصلوا اليه فاوصاهم بما اراد وودّعهم واخذ في الحركة فلما وصل الى قصر عبد الكريم ميّز جيوشه وفرّق لهم الاموال وامرهم بتجديد الازواد واخذ على غير طريق وجعل مدينة فاس عن يمينه واتّصل مسيره حتى خرج الى وادي ملوية ثم سار الى تلمسان فاقام بها يومًا واحدًا ثم خرج منها وولى الامير قاصدا الى بجاية حتى وصل الى مدينة الجزائر فدخلها صلحًا وامن اهلها وخرج عاملها عنها فارّا الى بجاية ولم يشعر

ابن حماد صاحب بجاية بقدوم عبد المومن اليه حتى وصل عامله على الجزائر مخرجا عنها فاخبره بقدوم عبد المومن اليه وتملكه للجزائر والمدينة فسقط فى يده فسار امير المومنين عبد المومن حتى نزل بجاية ففتح له بابها ابو عبد الله بن ميمون المعروف بابن حمدون فدخلها وفرّ عنها ابن حماد فى البحر الى مدينة جنوة ومنها الى قسنطنة وذلك فى شهر ذى قعدة من سنة سبع واربعين وخمس مائة وفى سنة ستّ واربعين المذكورة جاز الشيخ ابو حفص الى الاندلس بعثه عبد المومن فى جيش عظيم من الموحدين ومعه السيد ابو سعيد بن امير المومنين برسم غزو الروم واستنقاذ المرية من ايديهم فانهم كانوا قد غلبوا عليها فساروا حتى نزلوا المرية فحاصروها وضيّقوا عليها غاية وبنا السيد ابو سعيد على محلّته سورا حيائة لها فاستغاث النصارى الذين بالمرية بالفنش فبعث اليهم السليطين وابن مردنيش لاغاثتهم فى جيش كثيف فلم يمكنهم اغاثتهم ولم يتوصّلوا الى محلّة السيد ابى سعيد لكونه حصن عليها بسور عظيم منيع فلما عجز السليطين الرومى وابن مردنيش عن اغاثتهم اقلعا وافترقا ولم يجتمعا بعدُ فحصر السليطين على ابدة وبياسة وكان قد ملكهما فاخذهما من النصارى ولزم السيد ابو سعيد حاصر المرية حتى فتحها ونزل منها النصارى صلحًا بالامان على يد الوزير الكاتب ابى جعفر بن عطية ، ثم دخلت سنة سبع واربعين فيها دخل عبد المومن بجاية وفيها حصر الموحدون ابنَ حماد بقسنطنة حتى نزل على الامان وبايع عبد المومن ودخل فى طاعة الموحدين واستنقل الى مراكش بخاصّته فاعطاه عبد المومن بها مالا وانزله منزلة رفيعة واقام عبد المومن ببجاية شهرين حتى هدّنها وفتح جميع احوازها واقطارها وقدم فيها طلبة الموحدين ورجع الى مرّاكش ، وفى سنة ثمان واربعين وخمس مائة رجع امير المومنين عبد المومن من فتح بجاية الى مرّاكش وبعث الى يصليتن قريب المهدى فاوتى به مكبولا من سبتة فامر بقتله وصلبه بباب مدينة مرّاكش وارتحل عبد المومن بعد قتل يصليتن الى تينمال بزيارة قبر المهدى ففرّق فى اهلها اموالا عظيمة وامر ببناء مسجدها وتوسيعها ثم ارتحل منها الى سلا فاقام بها بقية سنة ثمان واربعين ، ثم دخلت سنة تسع واربعين فيها ولّى عبد المومن ولده محمّدا العهد بعده وامر بذكره فى الخطبة بعده وكتب بذلك الى جميع عماله وفيها ولّى بنيه البلاد فولّى السيدّ ابا حفص تلمسان واحوازها واصحبه ابا محمّد عبد الحقّ والدين ومن الكتّاب الفقيه ابا الحسن عبد الملك بن عياش وكان يكتب بعد ذلك للخليفتين وولّى السيد ابا سعيد

سبتة

سبتة وطنجة واصحبه ابا محمّد عبد الله بن سليمان وابا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي ومن الكتّاب الفقيه ابا الحكم هرموس ثم ابا بكر بن طفيل ثم ابا بكر بن حبيس الباجي وولى السيد ابا محمّد عبد الله بجاية واعمالها واصحبه ابا سعيد يخلف بن الحسن وولّى السيد ابا يعقوب يوسف اشبيلية وشلف واحوازهما وولّى الشيخ ابا زيد بن مجيب قرطبة واعمالها فلما ولى عبد المومن اولاده البلاد وجعل عهده لولده محمّد وقتل بصلبتن قريب المهدى خرج عليه عبد العزيز وعيسى اخوا المهدى وكانا بمدينة فاس فخرجا منها الى مراكش على طريق المعدن فاتّصل خروجهما من فاس بعبد المومن فخرج هو من سلا متلافيا مراكش بعد ان قدّم اليها وزيره ابا جعفر بن عطية فوجدهما قد دخلا مراكش وقتلا عاملها ابا حفص بن يفراجن فلما وصل عبد المومن مراكش لم يقدم شيًا قبل قتلهما وصلبهما ، وفى هذه السنة دخل الموحدون نبلة بعد الحصار الشديد بعث اليها امير المومنين عبد المومن قائده ابا زكرياء ابن يومر فحاصرها حتى دخلها عنوة فاخرج اهلها الى خارج المدينة فصفّهم صفوفًا ثم امر بقتل جميعهم وقتل جماعة من فقهائهم منهم الفقيه ابو الحكم بن بشّال المحدّث والفقيه الصالح الفاضل ابو عامر ابن الجد والذى وقع عليه من الناس من قتل نبلة فى ذلك الموضع ثمانية الاف رجل وفى احوازها اربعة الاف ثم بيع نساؤهم وابناؤهم الجميع وسلبهم وامتعتهم ففعل ذلك برايه دون اذن عبد المومن فرفع الخبر الى عبد المومن فانكر عليه استبداده بذلك وسوء فعله وبعث اليه من مراكش من يقبض عليه وحمل مكبولا الى الحضرة فوصل به مراكش يوم عيد الفطر فسجن بمراكش مدّة ثم سرح وعفا عنه ولم يصرف على اهل نبلة شيًا من جميع ما اخذ لهم ، ثم دخلت سنة خمسين وخمس مائة فيها امر امير المومنين عبد المومن باصلاح المساجد وبنائها فى جميع بلاده وتغيير المنكر وتحريق كتب الفروع وردّ الناس الى قراءة الحديث وكتب بذلك الى جميع طلبته من بلاد الاندلس والعدوة ، ثم دخلت سنة احدى وخمسين فيها ملك الموحدون مدينة غرناطة وخطب بها لعبد المومن بن علىّ وبعثوا ببيعتهم اليه فقبلها وبعث اليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل وقام بها ابن مردنيش وابن همشك والاقرع النصرانى ، ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين فيها امر امير المومنين بغزو غرناطة فسار اليها ولداه يوسف وعثمان بعساكر كثيرة فقاتلوها حتى فتحوها عنوة وقتل الاقرع النصرانى ومن كان معه من النصارى وفرّ ابراهيم بن همشك وابن مردنيش عنها قاله ابن مطروح وقال ابن صاحب الصلاة

كان فتح غرناطة وقتل الاقرع النصرانى عام سبعة وخمسين والله اعلم بذلك وفيها نكب امير المومنين وزيره ابا جعفر بن عطية وسجنه مدّة ثم قتله فى شوال منها واستوزر مكانه عبد السلام بن محمّد الكومى وكان والده عبد المومن تزوّج امّ عبد السلام هذا فولدت له ابنة تزوّجها ابو حفص ثم طلقها فاستوزره عبد المومن حين قتل ابا جعفر بن عطية واستكتب فى الرسائل والاوامر ابا الحسن عبد الملك بن عياش القرطبى ولما حبس ابو جعفر كتب الى امير المومنين عبد المومن يستعطفه ويطلب عفوه بهذه الرسالة

عطفا على امير المومنين قد بان ... العزاء الفرط الهمّ والحزن
قد اغرقتنا ذنوب كلّها لجج ... ورحمة منكم لجا من السفن
وصادفتنا سهام البين عن عرض ... وعطفة منكم اوفر من الجسن
فثوب يطهر بعد الغسل من درن ... والطرف يرهض بعد الركض فى سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلّهم ... من دون مَنّ بها لالا ولا ضنن
فنحن من بعض مَنْ احييت مكارمكم ... كلتا حياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر ... لم يالفوا النوم فى فرع ولا فنن
قد لوّ وجدتهم اياد منك سالفة ... والكلّ لولاك لم يوجد ولم يكن

تالله لو احاطته فى كلّ خطيئة، ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيبة، حتى سجن بهن الوجود، وابتُ لادم من السجود، وقلت انّ الله لم يوح، فى الفلك الى نوح، وابرمت لاحتشاب نارَ الخليل حملا، وابريت لغدار ثمود نبلا، وحننت عن يونس شجرة اليقطين، واوقدت مع هامان على الطين، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة، وابغضت كلّ قرشى، واحببت لاجل وحشى كلّ حبشى، وقلت بان ببيعة السقيفة، لا توجد اقامة خليفة، وشجرت شعر غلام المغيلة بن شعبة، واغتلقت من حصار الدار وقتل اشمطهم بشعبة، وغادرت الوجه من انهام خطيبا، وتناولت الفرع سن الحسين قضيبا، ثم كتب بحفر المعصوم لأبدا، وبقبر المهدى رضى الله عنه عابدا، لقرءان لمقالتى ان تسمع، وان تغفر لى هذه الخطيات اجمع، فغفر امير المومنين فن بجمل قلوب هدها الخفقان والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته، ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة فيها كانت حركة المهديّة وفتحها وتخليصها من ايدى الروم الذين كانوا ملكوها وفيها فتحت جميع افريقية وكانت المهدية قبل ان يملكها

يملكها الروم بيد لحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس اراثة من ابيه واجداده فنزل عليه بها العدوّ الرومى صاحب صقلية وشدّ عليه لحصار حتى دخلها عنوة وذلك بعد اربعين وخمس مائة فهرب لحسن بن علىّ المذكور الى لجزائر واستوطنها فلما وصل عبد المومن الى لجزائر بجيوش الموحّدين وجد فيه لحسن بن علىّ المذكور فخرج اليه وبايعه وصاهره عبد المؤمن وحمله الى مرّاكش فاقام معه الى سنة ثلاث وخمسين المذكورة فخرج عبد المومن الى المشرق برسم غزو المهدية فوصل اليها ونزلها برًّا وبحرًا وشرع فى قتالها حتى انزعها من ايدى الروم وذلك فى سنة خمس وخمسين وخمس مائة قاله البرنوسىّ وقال ابن جنون تحرّك امير المومنين عبد المومن الى غزو المهدية من حضرة مراكش وذلك فى العشر الاوّل من شهر شوال عام ثلاثة وخمسين المذكور واستخلف على مراكش ابا حفص بن يحيى وترك معه ولده السيد ابا لحسن واستخلف على مدينة فاس واعمالها ابا يعقوب يوسف بن سليمان واستخلف على اشبيلية وقرطبة وجميع بلاد غرب الاندلس ولدَه السيد ابا يعقوب يوسف وعلى غرناطة ولدَه ابا سعيد وسار هو فى امم لا تحصى وجيوش لا تعدّ من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناتة والاغزاز والرمات متوجّها الى المشرق ففتحه الله عليه وسار فى ارض الزاب وبلادُ افريقية يفتح البلاد والمعاقل ويومن مَنْ استأمن ويقتل مَنْ عصا حتى وصل الى مدينة تونس فحاصرها ثلاثة ايام وارتحل عنها وترك عليها جيشا من الموحّدين وسار الى القيروان ففتحها وفتح سوسة وسفاقس وارتحل الى المهدية فنزل على مَنْ بها من الروم برًّا وبحرًا ونصب عليها المناجنيق والرعادات فى البرّ والبحر ولم يرفع عنها القتال ليلاً ولا نهارًا وجعل قتالها نوبا على قبائل الموحدين حتى فتحها وقتل فيها خلق كثيرا من النصارى ، ثم دخلت سنة اربع وخمسين فى شهر جمادى الاولى منها فتحت تونس وخطب بها لامير المومنين عبد المومن وبعدها بيسير كان فتحُ المهدية بعد حصارها سبعة اشهر وفيها ملك عبد المومن جميع بلاد افريقية • كلّها وادخل اهلّها فى طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ففرّق فيها اعماله وقضاته وسكّنها وامّنها وضبط ثغورها واصلح اسوارها ، وفى هذه السنة امر عبد المومن بتكسير بلاد افريقية والمغرب وكسّر بلاد افريقية من برقة الى بلاد نون من السوس الاقصى بالفراسخ والاميال طولا وعرضا فاسقط من التكسير الثلث فى لجبال والشعارى والانهار والسبخات والطرقات ولحزوق وما بقى سقط عليه لخراج والزم كلّ قبيلة قسطها من الزرع والورق فهو اوّل مَنْ احدث ذلك بالمغرب ،

وقيل كان تملّك عبد المومن على المهدية وفتحه لها يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وفى سنة خمس وخمسين وخمس مائة امر امير المومنين ببناء جبل الفتح وتحصينه فبُنى وشيد حصنه وكان ابتداء البناية فى تاسع ربيع الاوّل من سنة خمس وخمسين وخمس مائة المذكورة وكمل بناؤه فى ذى القعدة منها وفى هذه السنة تحرّك امير المومنين من افريقية الى المغرب يريد طنجة برسم الجواز الى الاندلس فسار حتى وصل الى قرية من وهران فتلبه عرب افريقية فى الوداع والرجوع الى حللهم فاسعفهم فى ذلك ونقل منهم الى المغرب الفا من كلّ قبيلة بعيالاتهم وابنائهم وهم عرب جشم وبنا فى رجعته هذه مدينة البطحى وسبب بنائه اياها انه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق والتغريب عن اوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المومن والفتك به فى خبائه اذا نام وتوافقوا على ذلك فاتى شيخ ممن علم الامر الى عبد المومن فاخبره الخبر وقال له دعنى ابيت الليلة فى موضعك وانام على فراشك فان فعلوا ما اتّفقوا عليه قد كنتُ فديتك بنفسى فى حقّ المسلمين واجرى فى ذلك على الله وان كانت السلامة فمن الله تعالى ويكون اجرى على قدر نيتى فبات على فراشه فاستشهد فلما اصبح وصلّى عبد المومن الصبح افتقده فوجده مقتولا فاخذه وحمله بين يديه على ناقة لا يقودها احد فسارت الناقة تمرّ يمينا وشمالا حتى بركت وحدها وامر عبد المومن بالشيخ فانزل عنها واخذ بزمامها وازيلت عن مبركتها وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبّة وبنا بازاء القبّة جامعا ثم امر ببناء المدينة حول المسجد وترك بالمدينة عشرة من كلّ قبيلة من قبائل المغرب فقبر الشيخ هناك معظم عند اهل تلك البلاد يزار الى اليوم، وعند دخول امير المومنين تلمسان من هذه الحركة قبض على عبد السلام بن محمّد الكومى وزيره وحبسه ثم سمّه فى ثردة لبن هلك بها من ليلته وخرج عبد المومن من تلمسان الى المغرب فسار حتى وصل طنجة وذلك فى ذى حجّة سنة خمس وخمسين، ثم دخلت سنة ستّ وخمسين فيها جاز امير المومنين عبد المومن من طنجة الى الاندلس فنزل بجبل الفتح فاقام به شهرين فاستشرف على احوال بلاد الاندلس واتاه قوادها واشياخها للسلام فامر بغزو بلاد غرب الاندلس فخرج اليه الشيخ ابو محمّد عبد الله بن ابى حفص من قرطبة فى جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن اطرنكش من احواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى واتى الفنش من طليطلة لاغاثته فوجده قد فتح فقصد الموحدون لقتالهم فهزمه الله تعالى وقتل من عسكره ستّة الاف رجل وساق المسلمون السبى الى قرطبة واشبيلية، وفى هذه السنة ملك الموحدون

بطليوس

يطليوس وباجة ويابرة وحصن القصر فولى عليها عبد المومن محمّد بن علىّ الحاجّ ورجع عبد المومن الى مرّاكش ، ودخلت سنة سبع وخمسين فيها امر عبد المومن امير المومنين بانشاء الاساطيل فى جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم فى البرّ والبحر فانشا منها اربع مائة قطعة انشا منها فى حلق المعمورة ومرساها مائة وعشرون قطعة ومنها بطنجة وسبتة وباديس ومراسى الريف مائة قطعة ومنها ببلاد افريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة ومنها ببلاد الاندلس ثمانون قطعة ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد والاستكثار من انواع السلاح والعدد وامر بضرب السهام فى جميع عمله فكان يضرب له فى كل يوم منه عشرة قناطير جرية فجمع من ذلك ما لا يحصى كثرة وفى خلل ذلك ورد على امير المومنين قبيلة كومية فى جيش عظيم من اربعين الف فارس والسبب فى قدومهم انه لما همّت الطائفة من الموحدين بقتاله وقتلوا الشيخ الذى بات بمكانه وتحقّق ذلك منهم جاءوا لاخذ ثاره منهم حيلة لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له بهم عشيرة يستند اليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها فبعث فى خفية الى اشياخ قبائل كومية قبيلته فامرهم بالقدوم عليه وان يركبوا كلّ من بلغ الحلم منهم ويأتونه فى احسن زى واكمل عدّة وهيئة وبعث اليهم باموال والكساوى فاجتمع منهم اربعون الفا فاقبلوا الى امير المومنين بمراكش برسم الخدمة بين يديه وينشد ظهره بهم فتشوش المغرب لقدوم هذا الجيش ويقول الناس الاقاويل فسار الجيش حتى نزل وادى امّ الربيع فسمع الموحدون باقبالهم فارتعدوا منهم وعرّفوا امير المومنين بخبرهم فامر الشيخ ابا حفص ان يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين واشياخهم ليعرفوا خبرهم فساروا حتى تلقوهم بوادى امّ الربيع فقالوا لهم اسلما انتم ام حربا فقالوا نحن سلم نحن قبائل امير المومنين عبد المومن بن علىّ نحن كومية الزناتيّين قاصدين لزيارته والسلام عليه فرجع ابو حفص واصحابه فعرف امير المومنين بخبرهم فامر عبد المومن جميع الموحدين ان يخرجوا الى لقائهم فاختلفوا لذلك وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الاعياد فرتبهم عبد المومن فى الطبقة الثانية وجعلهم بين قبيلة تينمال وقبيلة التابعة ثانى درجة وقرّبهم من نفسه وجعلهم بطانته يركبونه فى ظهره ويقفون على راسه ويمشون بين يديه اذا خرج ، وفى سنة ثمان وخمسين خرج امير المومنين من مراكش الى الاندلس برسم الجهاد وكان خروجه فى يوم الخميس الخامس من ربيع الاوّل من العام المذكور فوصل الى رباط الفتح فكتب الى جميع المغرب والقبلة وافريقية والسوس وجميع القبائل يستنصرهم الى الجهاد فاجابه خلق كثير

فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبايل العرب وقبايل زناتة ازيد من ثلاثة مائة الف فارس ومن جيوش المطوعة ثمانون الف فارس ومائة الف راجل فضاقت بهم الارض وانتشر الحلات والعساكر فى ارض سلا من عين عبولة الى عين خميس فتدارت راجعا الى حلق المعمورة فلما استوفت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود ابداه المرض الذى توفى منه فتمادى مرضه واشتد المه فلما خاف ان يفجاه الموت فامر باسقاط ولده محمد من الخطبة وعزله عن العهد لما ظهر له من العجز عن القيام بالخلافة وذلك فى يوم الجمعة الثانى من جمادى الاخرة من العام المذكور وكتب بذلك الى جميع طاعته وبلاده فتمادى مرضه واشتد ألمه ووجعه الى ان توفى ليلة الجمعة الثامن من جمادى الاخرة من العام المذكور وقيل توفى يوم الثلاثاء عند الفجر العاشر من جمادى الاخرة المذكورة فسبحان الحى الذى لا يموت ولا يفنى دوامه ولا يفسد ملكه، وسنه يوم توفى ثلاث وستون سنة قاله ابن الخشاب وقيل اربع وستون سنة ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة وحمل الى تينمال فدفن بها الى جانب قبر الامام المهدى فكانت ايام ملكه ثلاث وثلاثون سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرون يوما قاله غير واحد من المورخين دولتهم وخلف عبد المومن من البنين جماعة وهم ابو يعقوب الخليفة بعده وشقيقه ابو حفص ومحمد المخلوع من العهد وعبد الله صاحب بجاية وعثمان صاحب غرناطة والحسن والحسين وسليمان ويحيى واسمعيل وابراهيم وعلى ويعقوب وعبد الرحمن وداوود وعيسى واحمد ومن البنات عائشة وصفية ومن اولاد النجبا والادبا السيد ابو عمران كان استخلفه اخوه يوسف على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة ايام لم يره احد فكتب اليه القاضى ابو يوسف حجاج

يغيب البدر يوما ثم يبدوا ... وانت تغيب عنى ثلاثا
اين بلغت ثلاثا لم اركم ... فلست بمدرك يوم الثلاثا

فاجابه السيد ابو عمران بديهة

اتتنا منكم درر فحملت ... محلا اوجبت منا انبعاثا
ولولا الغدر من سبب قوى ... لسرنا نحوكم جثما جثاثا
ولكنا نسير بحال ود ... اليكم مصبحا يوم الثلاثا

الخبر

الخبر عن صفة امير المومنين عبد المومن بن على وسيره وفضله رحمه الله تعالى

كانت ولاية عبد المومن حسنة وسيرته جيدة لم يكن فى ملوك الموحدين مثله احسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا اكثر علما منه واما صفته فكان ابيض اللون مشربا بحمرة اكحل العينين اجعد تامّ القدّ له وفرة تبلغ شحمة اذنه ازجّ الحاجبين قلائم الانف عريضة مستدير اللحية فصيح اللسان فقيها عالما بالجدل فقيها فى علم الاصول حافظا لحديث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم متقن الرواية مشاركا فى كثير من العلوم الدينية والدنياوية اماما فى النحو واللغة والادب والقراءات ذاكرا للتاريخ وايام الناس حسن السيرة نافذ الراى ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام فى الحرب وفى مهمّات الامور سرى الهمّة ميمون النقيبة منصورا مويدا لم يقصد قطّ بلدا الا فتحها ولا قاتل جيشا الا هزمه وكان مع ذلك سخيا كريم الاخلاق محبّا فى اهل العلم والادب مقرّبا لهم مشرّفا لوفادتهم مشفقا لبضاعتهم وله شعر رائق حسن، وقيل انه خرج يوما مع وزيره ابى جعفر بن عطية متنزّها الى بعض بساتين له بمراكش فمرّ فى طريقه بشارع من شوارع المدينة فاذا بطاق فى دار عليه شباك خشب قد قابله منها وجه جارية كانها الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه فنظر اليها عبد المومن فاعجبه حسنها وحلّت من قلبه كلّ محلّ فقال ارتجالا

قدّت فوادى من الشباك اذ نظرت

فقال ابو جعفر

حذو اثارى يا عال العشاق بالمقل

فقال عبد المومن

كانها لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابو جعفر

سيف المويد عبد المومن بن على

فطرب عبد المومن واستحسن اجازة وزيره فخلع عليه وامر له بمال جزيل، قال ابن جنون كانت لعبد المومن ذات ريسة وهمّة سنية على انه لم يكن من بيته ملك

ولم يتأسّا فى تعيم من تقدّمه انه لم يخلد الى الراحة ولا ركن الى اللذات فتح المغرب باسرها ثم توجّه الى المشرق ففتح افريقية كلها الى برقة وفتح الاندلس وقع الجبابرة واسترجع من ايدى الروم المهدية من بلاد افريقية والمرية وابرة وبياسة وبطليوس من بلاد الاندلس، وكتابه ابو جعفر بن عطية واخوه عطية بن عطية وابو الحسن بن عياش وميمون الهوارىّ وعبد الله بن حبل، ووزراؤه ابو جعفر بن عطية ثم عبد السلام بن محمّد الكومىّ ثم ولده السيد ابو حفص ثم ادريس بن جامع يقعد بين يدى السيد ابى حفص، قضاته ابو عمران موسى ابن صهر من اهل تينمال ثم ابو يوسف حجاج بن يوسف ثم الاستاذ ابو بكر بن ميمون القرطبىّ وهو القائل فى شاب من اهل اغمات يعرف بابى القاسم بن تسبيت

ابا القاسم والهوى جنّة	وهاءنا من مسها لم افق
تبرات جحيم نار الطلوع	كما خضعت بحر دموع الحرق
اكنت الخليل اكنت الكليم	امنت لحريق امنت الغرق

الخبر عن دولة امير المومنين ابى يعقوب يوسف بن امير المومنين عبد المومن بن على رحمه الله

هو امير المومنين ابو يعقوب يوسف بن الخليفة امير المومنين ابى محمّد عبد المومن بن علىّ الزناتىّ الكومىّ، امّه حرّة اسمها عايشة بنت الفقيه القاضى ابى عمران التينملىّ، مولده يوم الخميس الثالث من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة، صفته ابيض اللون تشوبه حمرة حسن القدّ للتمام اشقر اللحية اجعد الشعر افلج اقنا اعصر ايسر مطلق بكلتا يديه عاقلا صالحا ورعا فاضلا متوقفا فى سفك الدماء حليما حسن السياسة والتدبير مصيب الراى محبّ فى الجهاد، لما ولى حدا منهاج ابيه وسلك سبيله واهتدى بهديه وسار بسيرته واقتدى بافعاله وجمع اموالا كثيرة وهو اوّل ملك من ملوك الموحدين جاز الى جهاد فغزا بنفسه ورغب عليه واقتنا الذخائر واستكثر من الجيوش والجنود ومهد البلاد وطاع له مَنْ بالعدوتين من العباد وضخم الملك فكان ملكه من سويقة بنى مطكوك قاصية بلاد افريقية الى اقصى بلاد نون من ارض

السوس

السوس الاقصى الى اخر بلاد القبلة وملك بلاد الاندلس من مدينة تطلية قاصية بلاد شرق الاندلس الى مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس يجبا اليه خراج ذلك كلّه دون مكس ولا جور وكثرت الاموال فى ايامه وتمهّدت البلاد وتامّنت الطرقات وضبطت الثغور وصلح امر الناس بالحاضرة والبادية وذلك بحسن سيرته الجميلة وعدله الشامل لرعيته وتفقّده لاحوال البلاد القريبة والبعيدة ومباشرته امور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه منها شىٌ لا يدخله فتور عن النظر فى اموره ولا يكلها الى غيره، اولاده ثمانية عشر ذكرا اوّلهم يعقوب الخليفة بعده الملقب بالمنصور واسحاق شقيقه ويحيى شقيقهما وابراهيم وموسى شقيقه وادريس شقيقهما وعبد العزيز شقيقهم وابو بكر وعبد الله شقيقه واحمد شقيقهما ويحيى الصغير شقيقهم ومحمّد وعمر وعبد الرحمان وابو محمّد عبد الواحد المخلوع وعبد الحق واسحاق وطلحة، حاجبه الضابط لاموره والقائم لملكه اخوه السيد ابو حفص، وزيره ابو علىّ ادريس بن جامع ثم الوزير ابو بكر يقعد بين يدى ولده يعقوب، قضاته الفقيه القاضى ابو يوسف حجاج بن يوسف والفقيه ابو موسى عيسى بن عمران والفقيه القاضى ابو العبّاس بن مضا القرطبىّ، كتابه ابو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبىّ بالنشاه اليابورى بالاصل وكان رحمه الله من اهل الحديث والرواية والكتب البارع له عقل وراى سديد ومن كتابه ايضا الفقيه البارع ابو الفضل بن طاهر من اهل مدينة بجاية وهو المعروف بحشرة وكان رحمه الله من اهل العلم والفضل والدين والتقى والنبل فى الكتابة والبلاغة فى الترسيل ثم كتب لولده المنصور ثم لحفيده الناصر، اطباوه الوزير الطبيب ابو بكر بن طفيل من اهل واد ياش من اهل الحذق بصناعة الطبّ والنظر فى الجراحات توفى رحمه الله سنة احدى وثمانين وخمس مائة ومنهم الوزير ابو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبىّ من اهل التدبير فى صناعة الطبّ ومنهم الفقيه الاجل ابو الوليد بن رشد استدعاه امير المومنين الى سكنى مرّاكش سنة ثمان وسبعين برسم الطبّ ثم ولاه القضاء بقرطبة وهو ابن رشد الحفيد ومنهم الوزير ابو بكر بن زهر كان يتكرّر على الحضرة فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ثم انتقل الى مرّاكش بجملته واهله وذلك فى سنة ثمان وسبعين وخمس مائة فاقام بها الى ان كانت غزوة شنترين فحضرها ثم اختصّ بالمنصور وكان من اهل المعرفة بالطبّ

والحفظ للغة والادب وحسن المجالسة والمحاضرة مشاركا فى الفقه والحديث والتفسير نكر عنه ابن الجدانه كان يحفظ كتاب البخارى باسانيده وكان من اهل السخا والحمية شاعرا مجيدا له اشعار بديعة فى الزهد ومن شعره يتشوّق الى ولد له صغير

ولى واحدٌ مثل فرخ القطا صغيرا تخلّفتُ قلبى لديه
ناءت عنه دارى فيا وَحْشتى لذاك الشخيص وذاك الوُجَيْه
تشوقنى وتشوّقته فيبكى علىّ وابكى عليه
وقد تعب الشوقُ ما بيننا فمنه الىّ منى اليه

وتوفى رحمه الله بمدينة مرّاكش فى الحادى والعشرين لذى حجّة من سنة خمس وتسعين وخمس مائة وقد بلغ من السنين اربع وتسعين سنة ، ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ ابو بكر بن الجد والفقيه القاضى ابو عبد الله ابن الظفر ولى القضاء باشبيلية ثم نقله امير المومنين يوسف الى حضرته فولاه الخزائن وبيوت الاموال وكان من اهل الادب ومن شعره

لله اخوان تناءت ديارهم حفظوا الوداد على النوى اخوان
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم كالندّ يهدى الطيب وهو دخان

وهو القائل ايضا

ارضى العدوّ بظاهر متصنّع ان كنت مضطرّا الى استرضائه
كم من فتى القا بوجهٍ باسمٍ وجوّ انحى تتقدّ من بغضائه

فكان امير المومنين يوسف يجالسهم ويحدّثهم ويستطرف ملحهم

الخبر عن بيعته وايامه رحمه الله

بويع يوسف بعد وفاة ابيه وذلك فى غدوة يوم الارباء الحادى عشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمس مائة وتوفى شهيدا فى غزوة شنترين من بلاد غرب الاندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ثمانين وخمس مائة وهو ابن سبع واربعين سنة فكانت ايامه فى الملك احدى وعشرين سنة واشهر وايام وقيل انه بويع يوم الثلاثا العاشر من جمادى الاخرة المذكورة بعد وفاة ابيه بليلة قيّد ذلك

ذلك بعض ولده وقيل لما مات عبد المومن كتم موته لاجل غيبة ولده يوسف الخليفة بعده ببلاد الاندلس فلم يشهر موته حتى قدم يوسف من اشبيلية ذكر ذلك ابن الخشاب واهل بيته احق بالتقليد فى ذلك وذكر القاضى ابو الحجّاج يوسف بن عمر المورّخ لدولتهم انّ يوسف بويع ببيعة الجماعة واتّفقت الامّة على بيعته يوم الجمعة الثامن لربيع الاوّل عام ستّين وخمس مائة وذلك بعد وفاة ابيه بسنتين لانه لما بويع بعد وفاة والده توقف على بيعته قوم من اشياخ الموحدين وامتنع من بيعته اخوته السيد ابو محمّد صاحب بجاية والسيد ابو عبد الله صاحب قرطبة فكفّ عنهما لم يطلبهما بالبيعة وتسمّى بالامير ولم يتسمّ بامير المومنين حتى اجتمعت عليه الناس، ذكر ابن مطروح فى تاريخه انه لما مات عبد المومن كان ولده يوسف باشبيلية فاخفى موته فوجه الى يوسف فوصل من اشبيلية الى سلا فى اقرب وقت فبويع ولم يختلف من بيعته الا انس قلائل فلم يلتفت اليهم فكان اوّل شئ فعله فى ولايته حين تمّت بيعته انه سرح الناس المجتمعين للجهاد الى بلادهم وقبائلهم وكتب الى جميع البلاد بتسريح المسجونين وتفريق الصدقات فى جميع عمله وتسمّى بالامير وارتحل الى مرّاكش فدخلها واقام بها وكتب الى جميع طاعته من الموحدين يطلبهم فاتته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ما خلا قرطبة وبجاية فانّ ولاتهما وهما اخوته توقّفا فى ذلك وانتشر خبره فى اقطار البلاد وكان له بالعدوتين من القياد وفرّقوا الاموال فى قبائل الموحدين واعطى كلّ الاجناد، وفى سنة تسع وخمسين وخمس مائة قدم عليه اخوه السيد محمّد صاحب بجاية والسيد ابو عبد الله صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين وقدم عليه اشياخ بلدهما وفقهاوهما فوصلهم امير المومنين يوسف واحسن اليهم بالاموال والخلع، وفى هذه السنة ثار مردرع الغمارى الصنهاجى من صنهاجة مفتاح وضرب له السكّة وكتب فيها مزدرع الغريب نصره الله قريب فبايعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة واوربة فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تاردا وقتل فيها خلقا كثيرا وسباها فبعث اليه امير المومنين يوسف جيشا من الموحدين فقتلوه وحمل راسه الى مرّاكش، وفى سنة ستّين كانت وقعة الجلاب بين السيد ابى سعيد بن عبد المومن وجيش الروم مع ابن مردنيش وكان الروم ثلاثة عشر الفا فهزم ابن مردنيش وقتل من كان معه من الروم باجمعهم وكتب بالفتح الى اخيه يوسف، وفى سنة احدى وستّين ولّى الامير اخاه السيد ابا زكرياء بجاية وامره بتفقّد احوال

بلاد افريقية ورفع مظالمها وقطع الطغاة بها ، وفيها خالف يوسف بن منقفاد وثار بجبل تيزيران من بلاد غمارة ، وفى سنة اثنتين وستين كانت حركة امير المومنين يوسف الى غمارة لغزو يوسف بن منقفاد واتباعه فظفر به وقتله وحمل راسه الى مراكش وبايعته جميع بلاد غمارة ، وفى سنة ثلاث وستين اجتمعت الامة على طاعته وتسمى بامير المومنين وذلك فى شهر جمادى الاخرة منها ، وفى سنة اربع وستين وفد عليه اهل البلاد من افريقية والمغرب والاندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء والاشياخ والاعيان برسم السلام والمطالعة باحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراكش فسلموا عليه ووصل الجميع كل على قدره واوصاهم بما اراد وكتب لهم الاوامر بحوائجهم وسوءاتهم وانصرفوا شاكرين ، وفى سنة خمس وستين بعث امير المومنين يوسف اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس برسم الجهاد فجاز البحر من قصر الجواز الى طريف فى جيش من عشرين الفا من الموحدين والمطوعة فعمد الى طليطلة ، وفى سنة ست وستين امر امير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت شرع فى بنائها يوم الاحد ثالث شهر صفر من العام المذكور ، وفيها جاز امير المومنين الى الاندلس ليتنظر فى ضبط ثغورها واصلاح احوالها ولم شعثها فوصل الى اشبيلية فاقام بها سنة كاملة واتاه بها قواد الاندلس ورؤساوها وقضاتها وفقهاؤها برسم السلام عليه والتعريف باحوالهم ثم خرج بعد السنة الى غزو فغزا مدينة طليطلة وفتح حصونا كثيرة من احوازها وقتل خلقا كثيرا من الروم وغنم وسبا وانصرف الى اشبيلية مويدا منصورا ، وفى سنة سبع وستين شرع امير المومنين يوسف فى بناء الجامع المكرم باشبيلية وكان اول خطيب خطب بها الفقيه ابو القاسم عبد الرحمان بن غفير السنبلى وذلك فى ذى حجة عنها حين فرغ من بنائها ، وفى هذه السنة عقد امير المومنين يوسف الجسر على وادى اشبيلية بالغوارب وبنا قصبتة الداخلة والخارجة وبنا الزلائق للحصور وبنا سور باب جوهر وبنا الرصفان المدرجة بصفتى الوادى وجلب الماء من قلعة جابر حتى ادخله اشبيلية وانفق فى ذلك اموالا لا تحصى ثم قفل الى مراكش وذلك فى شهر شعبان المكرم من سنة احدى وسبعين وخمس مائة وكان جملة مقامه بالاندلس اربعة اعوام وعشرة اشهر وايام ، وفى سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعيد بن مردنيش صاحب بلاد شرق الاندلس فتحرك امير المومنين نحو بلاده ففتحها باجمعها

واذن

وأذن له جميع بلاد شرق الاندلس ورجع الى اشبيلية، وفى سنة ثمان وستين غزا امير المومنين يوسف وولده السيد ابو بكر فى بلاد الروم فسار حتى بلغ طليطلة فقتل وسبى وخرب القرى فخرج اليه زعيم الروم شانشوا اسمه المعروف بابى بردعة عرف بذلك لانه كان يركب على البردعة من الحرير مسرّجة بالذهب مكللة باصناف الجوهر فكان بينهما قتال عظيم قُتل فيه شانشوا ابو بردعة وجميع جيشه ولم يفلت منهم احد وكان عدد من قتل فى هذه الغزوة من الروم ستة وثلاثين الفا، وفى سنة تسع وستين غزا امير المومنين مدينة كرقونة من بلاد شرق الاندلس فاوغل فى تلك الناحية يقتل ويسبى ويخرب البلاد بالحرق والهدم وقطع الثمار ونسف الاثار ثم قفل الى اشبيلية، وفى سنة سبعين وخمس مائة تزوّج امير المومنين يوسف بنت محمّد بن سعيد بن مردنيش وصنع لها مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه، وفى سنة احدى وسبعين جاز امير المومنين الى العدوة فدخل مرّاكش فى شهر شعبان فاقام بها الى سنة اربع وسبعين فاتّصل به انّ ابن الزبرى قام بقفصة من بلاد افريقية فاضطربت لاجل ذلك افريقية فتحرّك امير المومنين اليها فى سنة خمس وسبعين فوصل الى افريقية ونزل على مدينة قفصة وضيّق عليها بالقتال والحصار حتّى دخلها وظفر بابن الزبرى القائم بها فقتله وذلك فى سنة ستّ وسبعين وعاد الى مرّاكش ودخلها فى سنة سبع وسبعين، وفى هذه السنة وفد على امير المومنين بمرّاكش ابو سرحان مسعود بن سلطان الرياحى فى جيش عظيم من وجوه رياح برسم الخدمة، وفى سنة ثمان وسبعين خرج امير المومنين من مرّاكش لبنيان حصن زُكُنْدَرْ فبناه على المعدن الذى ظهر هنالك، ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمس مائة فيها جاز امير المومنين يوسف الجواز الثانى برسم الجهاد فخرج من حضرة مرّاكش فى السبت الخامس والعشرين من شوال سنة تسع وسبعين المذكورة وكان خروجه على باب دكالة برسم خروجه الى افريقية فلما وصل الى سلا اتاه عبد الله محمّد ابن ابى اسحاق من افريقية فاعلمه بهدونها وسكونها فصرف الحركة الى الاندلس فتحرّك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى قعدة من السنة المذكورة فنزل بظاهر البلد ثم اقام من ظاهر سلا يوم الجمعة الثانى له فوصل الى مدينة مكناسة يوم

الاربعاء السادس لذى حجّة فعيّد بها عيد الاضحى بخارجها ثم ارتحل الى مدينة فاس فاقام بها بقية الشهر، ثم دخلت سنة ثمانين وخمس مائة فى اليوم الرابع منها خرج امير المومنين من مدينة فاس فسار حتّى وصل سبتة فاقام بها بقية شهر المحرّم وامر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب اوّلاً ثم قبائل زناتة ثم قبائل المصامدة ثم مغراوة وصنهاجة واوربة واصناف البربر ثم جازت جيوش الموّحدين والاغزاز والرمات فلما كمل الناس بالجواز جاز هو فى اثرهم فى العبيد والدائرة وكان جوازه فى اليوم الخامس لصفر وهو يوم خميس من العام المذكور فنزل بمرسى جبل الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء وخرج فسلك منها على جبل الصوف الى قلعة خولان الى اركش الى شريش الى تبريشة الى اشبيلية فلمّا كان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر فنزل فى وادى بضرقال فخرج اليه السيد ابو اسحاق ولده وفقهاء اشبيلية واشياخها للسلام عليه فبعث اليهم وامرهم بالوقوف بالمدينة حتى يصلهم فلما صلّى الظهر ركب وجاز اليهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا ثم تحرّك الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فوصلها فى السابع من ربيع الاوّل من سنة ثمانين فنزل عليها وادار بها الجيوش والعساكر وشدّ عليها بالقتال وضيّق عليها بالحصار وبالغ فى ذلك جهده فاقام محاصرا لها وضيّق عليها الى ليلة الثانى والعشرين من ربيع الاوّل المذكور فانتقل من موضع نزوله بجوفى شنترين الى غربيها فانكر المسلمون ذلك ولم يعلّموا له بشئ فلما جنّ الليل وصلّى العشاء الاخرة بعث الى ولده السيد الى اسحاق الى اشبيلية فامره بالرحيل من تلك الليلة الى غزو مدينة اشبونة وشنّ الغارات على انحائها وان يسير اليها بجيوش الاندلس خاصّة وان يكون رحيله نهارا فاساء الفَهْم وظنّ انه امره بالرحيل فى جوف الليل الى اشبيلية وصرخ الشيطان فى محلّة المسلمين انّ امير المومنين قد عزم على الرحيل وفى هذه الليلة تحدث الناس لذلك وتاهبوا له فرحل من الناس طائفة بالليل فلما كان قريب الفجر اقلع السيد ابو اسحاق واقلع من كان يليه وتبعه الناس بالرحيل فارتحلوا وامير المومنين مقيم فى مكانه لا علم له بذلك فلما اصبح وصلّى الصبح واضاء النهار لم يجد حوله احدا من اهل المحلّات الا اليسير من خاصّته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله وقواد الاندلس لانهم هم الذين

الذين كانوا يمشون امام ساقته وخلف محلّته من اجل مَنْ يتخلّف
منها من الضعفاء فلما طلعت الشمس تداعت النصارى يحصرون
من حول المدينة الى المحلّة وقد انقطعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة
غير امير المومنين وعبيده وحشمه واهل دائرته وتحققوا ذلك من
جواسيسهم ففتحوا ابواب المدينة وخرج جميع من فيها خرجة منكرة
وهم ينادون الرّى الرى اى اقصدوا السلطان فضربوا فى محلّة العبيد
الى ان وصلوا الى خباء امير المومنين فنزعوها واقتحموا عليه
فيها فقاتلهم بسيفه حتى قتل منهم ستّة رجال فطعنوه طعنة نفذته وقتل
ثلاث من جواريه كنّ قد انصببن عليه حتى طعن وسقط بالارض فتتابع
الفرسان والاعبيد والاجناد والموحدون وقواد الاندلس وتراجع المسلمون
فقاتلوهم قتالا شديدا حتى قلعوهم عن الخباء بالسيف واشتدّ
القتال بينهم وتوافقوا ساعة فى قتال شديد ثم انهزم اعداء الله ومنح الله عزّ
وجلّ المسلمين اكتافهم بالسيوف وركبوهم حتى ادخلوهم المدينة عنوة
وقُتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة الاف ، واستشهد من
المسلمين جماعة فركب اميرُ المومنين والامر قد فات فيه وارتحل الناس لا
يدرون الى اين ثم اهتدوا بالطبول فسار الى اشبيلية فاشتدّ به
الالم وطعنته فات بالطريق قاله ابن مطروح وكانت وفاته يوم السبت
الثانى من شهر ربيع الاخر من سنة ثمانين وخمس مائة بقرب جزيرة الخضراء
قاصدا للجواز الى العدوة فحمل الى تينمال فدفن بها الى جانب قبر ابيه ،
وقيل انه لم يَمُت حتى وصل الى مرّاكش ودفن بتينمال ، وكان ولده
يعقوب الخليفة بعده وهو الذى يدخل على ابيه ويخرج ويتصرّف فى
الامور على يديه من يوم طعن والده الى ان مات ، فكانت دولته اثنتين
وعشرين سنة وشهرا واحدا وستّة ايام وكتم ولدُه موته حتى وصل مدينة سلا
فاشهره ، والبقاء لله وحده الذى له الامر من قبل ومن بعده لا ربّ غيره
ولا معبود سواه ۞

الخبر عن دولة امير المومنين يعقوب بن يوسف بن عبد المومن رحمه الله

هو امير المومنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المومن لقبه المنصور بفضل الله ، امّه امّ ولد كانت اهداها ابن وقرير لابيه ابى يعقوب ، مولده بقصر جدّه عبد المومن بمدينة مرّاكش سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، كنيته ابو يوسف نقش خاتمه على الله توكّلت ، صفته ادم اللون معتدل القدّ اكحل العينين واسع الاكتاف اقنا الانف عارى العنفقة مدور الوجه افلج اعين له وفرة تنعقد على جبينه جوادا كريما شجاعا شهما عالما بالحديث والفقه واللغة مشاركا فى كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا محبّا فى العلماء معظما لهم صادرا عن رأيهم كثير الصدقة محبّا فى الجهاد مواظبا عليه يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرّك بهم ، ولده الذكور اربعة عشر ولى الخلافة بعده منهم ثلاثة ابو عبد الله الناصر وابو محمّد عبد الله العادل وابو العلى ادريس المامون ، وزراؤه وزراؤ ابيه وكتّابه كتّاب ابيه واطبّاؤه كذلك اطبّاء ابيه ، قضاته ابو العبّاس بن مضا القرطبىّ ثم ابو عمران موسى بن القاضى عيسى بن عمران ، ايامه فى الملك بويع له رحمه الله يوم الاحد التاسع عشر لربيع الاخر سنة ثمانين وخمس مائة وهى بيعة الخاصّة وكتم موت ابيه وتاخرت بيعة العامّة بسبب كتم الوفاة المتقدّم ذكره الى يوم السبت الثانى من جمادى الاولى من السنة بعينها وبويع بيعة العامّة وتوفّى رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين لربيع الاوّل سنة خمس وتسعين وخمس مائة وقيل ليلة الجمعة فى ءاخر الليل بمدينة مرّاكش وحمل الى تينمال فدفن بها وسنّه يوم توفّى اربعين سنة فكانت دولة ايامه خمسة الاف يوم ومائتى يوم واثنين وتسعين يوما يجب لها من السنين اربع عشرة سنة واحد عشر شهرا واربعة ايام ، ولما تمّت له

البيعة

البيعة وطاعت له الامّة كان اوّل شيء فعله انه اخرج مائة الف دينار ذهبا من بيت المال ففرّقها في الضعفاء من بينات بلاد المغرب وكتب الى جميع بلاده في تسريح المسجونين وردّ المظالم التى فعلها العمّال في ايام ابيه واكرم الفقهاء وراعى الصلحاء والفضلاء واجرى على اكثرهم الانفاق من بيت المال واوصى ولاته وعماله بالرجوع الى احكام القضاة وتفقّد احوال بلاده ورعيته وضبط الثغور وشحنها بالخيل والرجال وفرّق في الموحدين وسائر الاجناد اموالا كثيرة وكان ذا راى وحزم ودين وسياسة وهو اوّل مَنْ كتب العلامة بيده من ملوك الموحّدين الحمد لله وحده فجرا عملهم على ذلك وهو واسطة عقدهم الذى ضخم الدولة وشرّفها وكانت ايامه ايام دعة وامن ورخاء ورفاهية وبهجة حسنة صنع الله عزّ وجلّ في ايامه الامن بالمشرق والمغرب والاندلس فكانت الظعينة تخرج من بلاد نون لمنة حتّى تصل برقة وحدها لا ترى مَنْ يعرضها ولا مَنْ يكلّمها صنع عام الارك المشهور وحصّن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب وافريقية والاندلس وبنا المرستانات للمرضى والمجانين واجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم ونسبقاتهم واجرى الانفاق على اهل المرستانات والجذماء والعميان في جميع اعماله وبنا الصوامع والقناطير والجباب للماء في البرية واتخذ عليها المنازل من سوس الاقصى الى سويقية مصكوك فكانت ايامه زينة للدهر وشرفا لاهل الاسلام لم يزالوا فيها اعزة ظاهرين على العدوّ وقاهرين له، وفي سنة اثنتين وثمانين قتل المنصورُ اخوَيْه ابا يحيى وعمر وقتل عمّه ابا الربيع وفيها خلعت مدينة قفصة من بلاد افريقية فخرج اليها المنصور من حضرة مرّاكش في ثالث شهر شوال من سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوصل اليها وحاصرها حتى فتحها في سنة ثلاث وثمانين فلما فتح قفصة خرج الى غزو عرب افريقية فهزمهم واستباح حللهم واموالهم وبعد ذلك اتوه تائبين فنقلهم الى المغرب ورجع الى مرّاكش، وفيها تحرّك الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهى اوّل غزواته للروم فجاز اليها من قصر الجواز الى الخضراء وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الاوّل من سنة خمس وثمانين المذكورة فارتحل عن الخضراء حتى نزل شنترين وشنّ الغارات على

مدينة الاشبونة واحائها فقطع الثمار وقتل وسبى واضرم النيران فى القرى وحرق الزرع وبالغ فى النكاية وانصرف الى العدوة بثلاثة عشر الفا من النساء والذرية فوصل مدينة فاس فى آخر شهر رجب من السنة المذكورة فاقام بها ايّاما فتواترت له الاخبار انّ المايرقى قد ثهر بافريقية فارتحل اليها من مدينة فاس فى الثامن من شعبان من السنة بعينها فدخل مدينة تونس فى اوّل شهر ذى قعدة من السنة المذكورة فوجد افريقية ساكنة وقد فرّ عنها المايرقى الى الصحراء حين سمع بقدومه، وفى سنة ستّ وثمانين دخل النصارى مدينة شلف ومدينة باجة وبابرة من بلاد غرب الاندلس وذلك لما علموا ان المنصور قد بعد عنهم واشتغل بافريقية فاغتنموا الفرصة فاتّصل الخبر بالمنصور فستعظم ذلك وغاظه وكتب الى قوادِ الاندلس يوبخهم ويامرهم بغزو بلاد الغرب ويعلمهم انه قادمٌ عليهم فى اثر كتابه فاجتمع قواد الاندلس الى محمّد بن يوسف والى قرطبة فخرج بهم فى جيش عظيم من الموحدين والعرب والاندلس حتى نزل شلف فحاصرها وشدّ عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر ابى دانس ومدينة باجة وبابرة ورجع الى قرطبة فدخلها خمسة عشر الف سبية وثلاثة الاف أسير من الروم أدخلهم فى القطائع بين يديه خمسين علجا فى كلّ قطيعة وذلك فى شوال سنة سبع وثمانين وخمس مائة وفى هذا الشهر رجع المنصور من افريقية فدخل مدينة تلمسان فاقام بها الى اخر سبع المذكورة، وفى اوّل يوم من المحرّم سنة ثمان وثمانين وهو عم اجرواو خرج المنصور من مدينة تلمسان الى مدينة فاس وهو مريض وكان يركب فى اجرواو فدخلها واقام بها مريضا سبعة اشهر حتى استراح من علّته وارتحل الى مرّاكش فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخمس مائة فخرج من مرّاكش الى الاندلس برسم الغزو فصنع غزوة الارك المشهورة ☆

الخبر عن غزوة الارك وهزيمة الروم وهى غزوة المنصور الثانية بالاندلس

قال المؤلف عفا الله عنه لما طالت غيبة المنصور عن الاندلس بافريقية وبلاد العدوة واعتراه المرض بها اغتنم العدوّ الفرصة فى بلاد الاندلس طول تلك الغيبة فنال بالمسلمين مراده وغار فى بلادهم وشنّ بها الغارات وشقّها بجنوده واحرق جميعها بوفوده ولم يجد بها من ينازعه ويحاربه ولا رءا من يقف فى وجهه ولا يدافعه ولا من يصدّه عن قصده فسار جيش اللعين فيها حتى نزل بخاطر الخضراء فكتب منها كتابا الى امير المؤمنين المنصور يستدعيه فيه للقتال لما ادركه من الاعجاب والاحتيال يقول فيه، بسم الله الرحمان الرحيم من ملك النصرانية الى امير الحنيفية اما بعد فان كنتَ عجزتَ عن الحركة الينا وتشاغلتَ عن الوصول والوفود علينا فوجه لى المراكب والشباطى اجوّز فيها جيوشى اليك حتى اقاتلك فى اعزّ البلاد عليك فان هزمتنى فهدية جاءتك الى يدك فتكون ملك الدينين وان كان الظهور لى كنتُ ملك الملّتين والسلام، فلما قرا المنصور كتابه اخذته غيرة الاسلام ثم امر بقراءته على الموحدين والعرب وقبائل زناتة والمصامدة وسائر الاجناد فقراه عليهم فكلّهم انف منه ونعروا وعزم على الجهاد واستعدّ للسفر ثم دعا المنصور بولده محمّد ولى عهده فدفع اليه الكتاب وامره ان يردّ على اللعين الجواب فقراه ثم قلبه فكتب على ظهره قل الله العظيم ارْجِعْ اِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا اَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ، ورمى الكتاب الى ابيه فسرّ والده بالتوقيع العجيب الذى لا يصدر مثله الا عن العاقل الاريب ثم صرف الرسول بالكتاب وامر باخراج افراق والقبّة الحمرا والمصحف فى ذلك اليوم وامر الموحدين وسائر الاجناد بالحركة والجهاز الى الجهاد وكتب الى افريقية وسائر بلاد المغرب والقبلة يستنفر الناس الى الجهاد فاقبل اليه الناس خفافا وثقالا من كلّ فجّ عميق ومن كلّ بلد سحيق فخرج من حضرة مرّاكش فى يوم الخميس الثامن عشر من شهر جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وخمس مائة بجدّ السير ويوالى الرحيل ويطوى المنهل ولا يلوى

على فارس ولا على راجل والجيوش تتابع فى عاثره من جميع الاقطار والوفود تقبل نحوه لغزو الكفار فلما وصل قصر الجواز عاخذ فى تجويز الجيوش لا يفرغ من تجويز طائفة الا وقد تلاحقت به طائفة اخرى اكثر منها فكان اوّل من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم الجيوش المطوعة من قبائل المغرب وغيرهم من الاغزاز ثم الرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم استوفت الجيوش بالجواز واستقرّوا بساحل الخضراء فعند ذلك جاز امير المومنين فى اثرهم فى جيش عظيم من اشياخ الموحدين واهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاوه فسهّل الله تعالى عليه الجواز واستقرّ بالخضراء فى اسرع وقت وكان وصوله بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين لرجب من السنة المذكورة فاقام بظاهر الخضراء يوما واحدًا ونهض نحو العدوّ وقبل ان تكمل قرايح المجاهدين وتفسد نياتهم فسار بجميع جيوشه الوافرة بنيات خالصة وعزائم ماضية غير ناكصة فلم يبعث العدوّ الرجوع الى بلاده بعدده وعديده الا وقد تواترت عليه الاخبار وكثرت عنده الانباء والاثار بجواز المنصور اليه وقدومه لقتاله فى اعزّ البلاد عليه فقعد الفنش اللعين بجيوشه وجموعه ينتظره بازاء مدينة الارك فرحل امير المومنين المنصور قاصدًا اليه ومعوّلا بحول الله وقوّته عليه ثم يدخل بلاده ولم ينتظر احدا ولم يلتفت لا لمن ابطا ولا لمن قعد بل صمّم نحوه وقصده حتى بقى بينه وبين مدينة الارك مرحلتين قريبتين فنزل هنالك وذلك فى يوم الخميس الثالث من شهر شعبان المكرم من سنة احدى وتسعين وخمس مائة فلما وصل من يومه ذلك جمع الناس واخذ فى شوار المسلمين فى كيفية لقائه اعدائه واعداء الله الكافرين اتباعا لامر الله تعالى واقتداء بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذ هى الصفة المحمودة التى وصف بل مدح الله تعالى فيها هذه الامّة بقوله تعالى وامرهم شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وقوله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ فدعا اوّلا اشياخ الموحدين فاستشارهم ثم اشياخ العرب ثم اشياخ زناتة ثم اشياخ القبائل ثم الاغزاز ثم المطوعة كلّ يقول بما يظهر له من القول الراى ويبينه من النصيحة والاجتهاد للمسلمين ويراه رايا صوابا لهم ثم دعا اخر قواد الاندلس فلما دخلوا عليه وسلّموا وقعدوا بين يديه فكلّمهم بما كلّم به من تقدّم قبلهم ثم قال لهم يا اهل الاندلس ان جميع من استشرت قبلكم وان كانوا اولى باس وشدّة

ومعرفة

ومعرفة بالحرب وقوّة فى الجهاد ونجدة لا يعلمون من قتال النصارى ما تعلمون
فانكم المجاورون لهم المدربون على قتالهم العارفون بخدعتهم واحوالهم ، فقالوا
يا امير المومنين راينا اجمع موقوف على واحد منّا قد اتفقنا على تقديمه لمعرفته
ودينه وحسن عقله وتدبيره ومعرفته بالحروب ومكائدها وخدعها ونصيحة للمسلمين
فهو لسانُنا وما قال فهو مذهبنا على ان رأيكم سدّده الله ووفقه احسن راى
وتدبيركم اوفق تدبير رضى الله عنكم وشاروا باجمعهم الى القائد الاجلّ الموفق
الصالح ابى عبد الله بن صناديد رحمه الله فقربه امير المومنين بين يديه واقبل
بمخاطبته عليه ثم ساله عن قصده ورايه فى كيفية الحرب واللقاء لهذا
العدوّ فقال له يا امير المومنين انّ النصارى اهلكهم الله تعالى اهل خدع ومكائد
فى الحروب فيجب لنا ان نقاتلهم بما هم عليه ورايِنا فى مقابلتهم ورايك الاعلى
ان تقدم لهم اماماك بشيخ من اشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين
والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الاندلس وحشودها وجميع من فى
عسكرك من العرب والزناتة والاغزاز والمصامدة وسائر قبائل المغرب المطوعة وغيرهم
وتعقد لهم رايتك المنصورة فتستقبل بهذا العسكر المبارك عسكر العدوّ
اهلكه الله ودمّره وتقعد انت بجيوش الموحدين انجدهم الله تعالى والعبيد والحشم
بقرب من موضع المقاتلة فى موضع خفى وراء المسلمين فان ظفرنا بعدوّنا
فبفضل الله وبركاتك ويمن خلافتك وان كان غير ذلك تكون انت بعسكر الموحدين
فئة للمنهزمين فتلقى العدوّ بهم وقد انكسرت شوكته وذهبت قوّته وحدّته وهذا
رايى فى ذلك رضى الله عنكم فقال له نعْمَ والله الراى ما رايتَ فلقد وفقك الله
تعالى فيما اشرتَ ، فانصرف الناس الى مضاربهم وبات امير المومنين ليلة تلك وهى
ليلة الجمعة الرابعة من شعبان المذكور فى فراشه ساجدا راكعا ومبتهلا راغبا الى
الله تعالى سبحانه فى تاييد المسلمين على اعدائه الكافرين فلما كان عند السحر
غلبتْه عيناه فنام فى مصلّاه قليلا ثم انتبه فرحا مستبشرا فبعث الى اشياخ
الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه فقال لهم انما بعثتُ اليكم فى هذا الوقت
لابشّركم بما بُشّرْتُ به من نصرة الله تعالى فى نومى هذه الساعة المباركة فبينما
انا اركع فى مصلّاى اذ غلبتْنى عيناى فرايتُ فى نومى كانّ بابا قد فتح فى
السمآء ونزل منه فارس على فرس ابيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء
منتشرة قد سدّت الآفاق من عظمها فسلّم علىّ فقلتُ له مَنْ انت يرحمك

الله فقال انا ملك من ملايكة السماء السابعة جيتك لابشرك بالفتح من ربّ العالمين انت وعصابتك المجاهدون الذين اتوا تحت رايتك فى الشهادات راغبين ثواب الله تعالى طالبين ثم انشد هذه الابيات فحفظتها فانتبهت فكانما نقشت فى قلبى

بشاير نصر الله جاءتك سايرة لتعلم بان الله ينصر ناصره
فابشر بنصر الله والفتح انه قريب وخيل الله لا شكّ ظافره
فتنفى جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلى بلادًا لا ترى بعد عامره

فايقنت بالفتح والظفر ان شاء الله عزّ وجلّ فلما كان يوم السبت الخامس من شعبان المذكور قعد امير المومنين فى خبايه الامراء المعدّة لقتال الاعداء ثم دعا الشيخ الاجلّ ابا يحيى بن ابى حفص وكان اكبر وزرائه وكان بنوا حفص فى الموحدين اهل الفضل والتقى والدين والى بنيهم عاد فى المشرق امر الموحدين فلما جاءه قدّمه على عساكر الاندلس وحشودها من العرب وزناتة والمطوعة وسائر قبائل المغرب وعقد له رايته السعيدة وقدّمه بين يديه ونشرت على راسه الراية وضربت الطبول وتقدم بقبيلة هنتاتة وقدم بين يديه القائد بن صناديد بعساكر الاندلس وحشودها وعقد لجرمون بن رياح على جميع قبائل العرب وعقد لمزيل المغراوى على قبائل مغراوة وعقد لمحيوا بن ابى بكر بن حمامة بن محمّد على جميع قبائل مرين وعقد لجابر بن يوسف على قبائل عبد الوادى وعقد لعبد العزيز التجينى على قبائل تجين وعقد لتلجيز على قبائل هسكورة وسائر المصامدة وعقد لمحمّد بن منقاند على قبائل غمارة وعقد للحاج ابى حزز يخلف الاوربى على المطوعة وانكلّ تحت طاعة ابى يحيى بن ابى حفص وحكمه ويده وبقى امير المومنين بكافة عسكر الموحدين والعبيد ثم امرهم بالرحيل فتقدّم الشيخ ابو يحيى بجيوشه والقائد صناديد على مقدمته بقواد الاندلس وفرسانه وحماته فكانوا اذا قلعت محلّة ابى يحيى اوّل النهار من موضع نزلت به محلّة امير المومنين فى عشيته حتى اشرف ابو يحيى بجيوش المسلمين على محلّة المشركين دمرهم الله وهى على ربوة عالية ذات مهاوى واحجار كبار قد ملات السهل والوعر بازاء مدينة الارك فنزل عسكر المسلمين فى الوطا وذلك ضحوة يوم الاربعاء التاسع من شعبان المكرّم من سنة احدى وتسعين وخمس مائة فعبّا ابو يحيى عساكره تعبية الحرب وعقد الرايات لامراء القبائل لكلّ امير راية تلجا قبيلته اليها ويقفون عندها وعقد للمطوعة راية خضرا وجعل عساكر الاندلس فى ميمنته وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر

قبائل

قبائل المغرب فى ميسرته وجعل المطوعة والاغزاز والرماة فى مقدمته وبقى هو فى القلب فى قبيلته هنتاتة فلما اخذ الناس مصافّهم للقتال على هذا الترتيب العجيب ولزمت كلّ قبيلة رايتها واخذ للحرب عدتها واعبتها خرج الامير جرمون بن رياح امير العرب يمشى بين صفوف المسلمين ويقوى قلوب المجاهدين ويتلوا هذه الاية يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ فبينما هم كذلك والعدوّ امامهم فى راس الربوة بجانب الخضراء اذ تحرّك من جيش العدوّ دمّره الله تعالى عقدة كثيرة بسبعة الاف فارس الى ثمانية الاف فارس كلّها محتجبين بالحديد والبيضات والزرد النظيف النضيد فدفعت نحو عسكر المسلمين فنادى منادى الشيخ ابى يحيى بن ابى حفص معشر المسلمين اثبتوا فى مصافكم ولا تخالفوا موضعكم واخلصوا لله تعالى نياتكم واعمالكم واذكروا الله عزّ وجلّ كثيرا فى قلوبكم فانما هى احدى الحسنيين اما الشهادة والجنّة واما الاجر والغنيمة ثم خرج عامر الزعيم يجول فى الصفوف ويقول عباد الله انكم حزب الله واثبتوا للقتال بين يدى اعداء الله فان حزب الله هم المفلحون وهم المنصورون وهم الغالبون وحلّت تلك العقدة التى دفعت بجملتها حتى لطمت اطراف رماح المسلمين فى صدور خيولهم او كادت ثم تقهقروا قليلا ثم عادوا بالحملة فعلوا ذلك مرّتين ثم تبيّنوا بالدفعة الثالثة والقائد بن صناديد والزعيم العربى يناديان برفيع اصواتهم اثبتوا معشر المسلمين ثبت الله اقدامكم لهذه الصدامة فدفعت النصارى على القلب الذى فيه ابو يحيى قاصدين اليه يظنّون انه امير المسلمين فقاتل رحمه الله قتالا شديدا وصبر صبرا جميلا حتى استشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمطوعة وغيرهم ممّن ختم الله تعالى عليه بالشهادة وسبقت له من الله تعالى السعادة وصبر المسلمون صبرا جميلا ورجع النهار بالغبرات ليلا واقبلت قبائل المطوعة والعرب والاغزاز والرماة فاحاطوا بالنصارى الذين دفعوا من كلّ جانب وزحف القائد بن صناديد بجيوش الاندلس وحشودها وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر الى الربوة التى فيها الفنش لعنه الله يقاتلون مَنْ بها من جيوش الروم وكان الفنش فيها مع جيوش الروم وجميع عسكره واجناده فيها ما يزيد على ثلاث مائة الف ما بين فارس ورجال فتعلّق المسلمون بالربوة واخذوا فى قتال مَنْ بها واشتدّ القتال وعظمت الاهوال وكثر القتل فى النصارى

الذين دفعوا فى الحملة الاولى وكانوا نحو العشرة الاف زعيم انتخبهم الفنش اللعين الدعيم برايه الدميم وصلّت عليهم الاقسة صلاة النصارى ورشوا عليهم ماء المعمودية فى الطهر وتحالفوا بالصلبان الّا يفرّوا حتى لا يتركوا من المسلمين انسانا فصدق الله عزّ وجلّ المسلمين وعده ونصر جنودهم فلما اشتدّ القتال على الكفار وأيقنوا بالفناء والدمار ولوا الادبار فى الفرار الى الربوة التى فيها الفنش ليعتصموا بها فوجدوا عساكر المسلمين قد حالوا بينهم وبينها فرجعوا على اعقابهم ناكصين فى الوطا فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاتة والاغزاز والرماة فطحنوهم طحنا وافنوهم عن اخرهم وانكسرت شوكة الفنش بفنائهم اذ كان اعتماده عليهم واسرعت خيل من العرب الى امير المومنين وانطلقوا اعنتهم نحوه وقالوا له قد هزم الله تعالى العدوّ فضربت الطبول ونشرت الرايات وارتفعت الاصوات بالشهادة وخفقت البنود وتسابقت لقتال اعداء الله تعالى الابطال والجنود وزحف امير المومنين بجيوش الموحدين قاصدا لقتال اعداء الله الكافرين فتسابقت الخيل واسرعت الرجال وقصدوا نحو الكفرة للطعان والنزال فبينما الفنش اللعين عدوّ الله قد عزم وهمّ ان يحمل على المسلمين بجميع جيوشه ويصطدمهم بجنوده وحشوده اذ سمع الطبول عن يمينه قد اذهلت الارض والابواق قد اطبقت الربا والبطاح فرفع راسه لينظر نحوها فرءا رايات الموحدين قد اقبلت واللواء الابيض المنصور فى اوّلها عليه مكتوب لا اله الا الله محمّد رسول الله لا غالب الا الله وابطال المسلمين قد تسابقت وجيوشهم قد تنافست وتتابعت واصواتهم بالشهادة قد ارتفعت فقال ما هذا فقيل له يا لعين هذا امير المومنين قد اقبل وما قاتلك هذا اليوم كلّه الا طلايع جيوشه ومقدمات عساكره فقذف الله عزّ وجلّ الرعب فى قلوب الكافرين وولوا الادبار منهزمين على اعقابهم ناكصين وتلاحقت بهم فرسان المجاهدين يضربون وجوههم وادبارهم ويقتفون اثارهم ويمكنون فيهم رماحهم وشفارهم ويروون من دمائهم السيوف ويذيقونهم مرارة الحتوف واحاط المسلمون بحصن الارك ويظنّون انّ الفنش لعنه الله قد تحصّن فيه وكان عدوّ الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الاخرى فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة واضرموا النيران فى ابوابه واحتووا على جميع ما كان فيه وفى محلّة النصارى من الاموال والدخائر والارزاق والاسلحة والعدد والامتعة والدوابّ والنساء والذرّية وقُتل فى هذه الغزوة من الكفرة الوف لا تعدّ ولا تحصى ولا يعلم احدٌ عددها الا الله تعالى وأُخذ فى حصن الارك

من زعماء الروم اربعة وعشرون الف فارس لسارى فامتن عليهم امير المومنين واطلقهم بعد ما ملكهم لتكون له ذلك يد الامتنان فعزّ فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافّة المسلمين حسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك وكانت هذه الغزوة الكريمة والوقيعة العظيمة يوم الاربعاء الثانى من شعبان المكرم سنة احدى وتسعين وخمس مائة وكان بين غزوة الارك وغزوة الزلاقة مائة سنة واثنتى عشرة سنة والارك من الغزوات المذكورة المشهورة فى الاسلام وهى لاعظم غزوات جرت على يد الموحدين اعزّ الله تعالى بهم الاسلام وعلت كلمتهم وكتب المنصور بالفتح الى جميع بلاد الاسلام التى تحت يده من الاندلس والعدوة وافريقية واخرج خمس الغنيمة وقسّم الباقى على المجاهدين ثم سار بجيوشه فى بلاد النصارى يخرب المدن والقرى والحصون ويغنم ويسبى ويقتل ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ثم عطف راجعًا وقد امتلات ايدى المسلمين بالغنائم ولم يعارضه من الروم معارضٌ حتى وصل الى اشبيلية فدخلها وشرع فى بناء جامعها الكبير ومنارها العظيم، ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة فيها خرج امير المومنين الى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبل سليمان وافيج وعشير من احواز طليطلة ونزل على طليطلة وبها الفنش وحاصره وضيّق عليه وقطع ماءها واحرق رياضاتها وهتكها ونصب عليها المجانيق ثم ارتحل عنها الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوةً بالسيف فلم يحى احدًا من رجالها وسبا نساءها وغنم اموالها وحرقها وهدم اسوارها وتركها قاعًا صفصفا ورجع الى اشبيلية بعد ان فتح حصون كثيرة باسرها وفتح البلاط وترجالة فدخل اشبيلية فى غرّة صفر من سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة فاخذ فى اتمام بناء الجامع وتشييد مناره وعمل التفافيح من املح ما يكون من عظمة لا اعرف له قدرا الا ان الوسط منها لم يدخل على باب المؤذن حتى قلع الرخامة من اسفلها وزنة العمود الذى ركب عليه اربعون ربعا من الحديد وكان الذى صنعها ورفعها فى اعلى المنار المعلم ابو الليث الصقيلى ومُوّهت تلك التفافيح بمائة الف دينار ذهبا وكان لما جاز الى الاندلس لغزوة الارك المذكورة امر ببناء قصبة مرّاكش وبالجامع المكرّم الذى بازائها وصومعته وببنيان منار جامع الكتبيين وبناء مدينة رباط الفتح من ارض سلا وببناء جامع حسان، ولما كمل جامع اشبيلية وصلّى فيه امر ببناء حصن الفرج على واد اشبيلية وارتحل الى عدوة فوصل الى مرّاكش فى شعبان من سنة اربع وتسعين وخمس مائة فوجد كلّ ما امر به من انواع

البناء قد تمّ مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع ونفق في كلّ ذلك من اخماس غنائم الروم وكان قد غير على الوكلاء والصنّاع الذين تولّوا ذلك واكتفلوه وقيل له انّهم اكلوا المال وصنعوا للجامع سبعة ابواب على عدد ابواب جهنم فلما دخله امير المومنين اعجبه وسرّ به فسال عن عدّة ابوابه فقيل له انها سبعة والباب الذى يدخل منه امير المومنين هو الثامن فقال عند ذلك لا باس بما يقال لى اذا قيل حسن وفرح به غاية، ولما وصل امير المومنين الى مرّاكش واستقربها اخذ البيعة لولده ابى عبد الله الملقب بالناصر لدين الله فبايعه كافّة الموحدين وبويع له فى جميع اقطار بلادهم وطاعتهم وكانت طاعتهم قد عمّت الاندلس باسرها والمغرب كلّه وافريقية من طرابلس الى نون من السوس الاقصى الى الصحراء من بلاد القبلة وما بين هذه البلاد من القرى والحصون والمعاقل والمدن والجبال والاودية واهل العمود من عرب وبربر كلّهم مذعنين طائعين لامرهم منقادين لحكمهم يجبون لهم خراجهم وزكاتهم واعشارهم يخطبون لهم على منابرهم فلما تمّت البيعة لابى عبد الله الناصر وقعد فى محل الخلافة وجرت الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه فى حياة ابيه دخل المنصور الى قصره فلزمه وبدا به المرض الذي توفّى منه ولما اشتدّ به المرض قال ما ندمتُ على شئٍ فعلتُه فى خلافتى الا على ثلاثة وددتُ انى لم افعلها اولها ادخال العرب من افريقية الى المغرب لانى اعلم انهم اصل فساد والثانية بنا رباط الفتح انفقت فيه من بيت المال وهو بعد لا يعمر والثالثة اطلاق اسارى الارك ولا بدّ لهم ان يطلب بثارهم وتوفّى المنصور رحمه الله بعد العشاء الاخرة من ليلة الجمعة الثانى والعشرين لربيع الاوّل عام خمسة وتسعين وخمس مائة بقصبة مرّاكش والبقاء لله تعالى وحده لا ربّ غيره ولا معبود سواه، وكان المنصور رحمه الله اجلّ ملوك الموحدين واكثرهم صيتا واحسنهم فى الاحوال كلّها ولى الملوك واشن والمال قد توفر وكانت له الهمة العالية والعزائم الملوكية والدين المتين والسير الحسنة فى المسلمين رحمه الله تعالى بمنّه وعفى عنه بفضله وكرمه انه غفور رحيم ❁

الخبر عن دولة امير المومنين الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن على

هو امير المومنين محمّد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علىّ الزناتى الكومىّ الموحد امّه حرّة اسمها امة الله بنت السيد ابى اسحاق بن عبد المومن

بن

بن عليّ ، لقبه الناصر لدين الله ، نقش خاتمه على الله توكّلت وهو حسبى ونعم الوكيل ، علامته فى الاوامر الحمد لله وحده ، صفته ابيض تامّ القدّ نحيل الجسم مليح العينين ادعج وافر اللحية كبير الهمّة غليظ الحواجب لا تكاد تصله الامور الا بعد الجهد معتجب برايه مستبدّ فى اموره وتدبير مملكته بنفسه ، وزراؤه ابن الشهيد وابن مثنى حاجبه وزيره الاكبر ابو سعيد بن جامع استبدّ بالوزارة والحجابة وبويع الناصر فى حياة ابيه وتجدّدت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التى توفّى فيها ابوه واخذت له البيعة فى جميع اقطار ساعة الموحدين وخطب له ودعى على المنابر فاقام بحضرة مرّاكش بقية شهر ربيع الاوّل وربيع الثانى وخرج فى اوّل جمادى الاولى من سنة خمس وتسعين المذكورة قاصدًا الى مدينة فاس فوصلها واقام بها الى اخر خمس المذكورة فخرج منها الى جبال غمارة فغزا بها علودان الغمارى الثائر بها ورجع الى مدينة فاس فاقام بها وبنا قصبتها واسوارها التى كان خرب جدّه عبد المومن حين دخلها ولم يزل قائما بها الى سنة ثمان وتسعين ووردت عليه الاخبار من افريقية انّ المايورقى قد غلب على كثير من بلادها فخرج الناصر من مدينة مرّاكش قاصدا الى افريقية فوصل الى جزائر بنى مزغنة فاخذ فى تجهيز الاساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من يد المرابطين وكان فتحها فى ربيع الاوّل من سنة ستّ مائة ووصل اهلها الى امير المومنين الناصر فسلّموا عليه وبايعوه فعفا عنهم ووصلهم على قدر طبقاتهم وتكلّم اليهم الجميل وقدم على قضاء ميورقة الامام المحدّث عبد الله بن حوط وارتحل الناصر فى بلاد افريقية يطوف على جميع اقطارها ويتفقّد احوال اهلها وفرّ المايورقى امامه حتى دخل الصحرا وارتحل الى المهدية وقد طاع له جميع من قد خرج عليه بافريقية دون قتال الا المهدية وحدها فان واليها امتنع فيها وكان قد ولاه اياها يحيى المايورقى حين غلب عليها وكان هذا الوالى حاجّا شهما عالما بوجوه الحرب ومكائده فنزل عليه الناصر بظاهر المهدية وحاصره بها برّا وبحرا ونصب عليه المجانيق والرعادات وكانت قبائل الموحدين وجنود المغرب يتناولون قتالها مع ساعات الليل والنهار فاظهر هذا الحاجّ المذكور بها مكائد الحرب وخدعه ما يقصر عنه الوصف فحاصره الناصر مدّة طويلة واشهر اعديدة وكان الموحدون يسمونه الحاجّ الكافر ونصب عليه الناصر منجنيقا كبيرا لم يعلم مثله عظما يرمى مائة ربع فهدم البلد به فوقع الحجر من المنجنيق فى وسط دقة باب المهدية فانثوى وسطه والدقة

من الحديد كلّه قائمة على قاعدة من زجاج اخضر وفى مواضع العثارات تماثيل اسد من نحاس اصفر فلما رءا ذلك الحاجّ والى المهدية علم انه لا طاقة له بضبطها ولا بموافقة امير المومنين فبايعه واسلم اليه المهدية فامنه الناصر واكرمه كرامة عظيمة وانزله منزلة رفيعة وذلك لما رءا منه لمراعاته لصاحبه واجتهاده فى حقّه وامر الموحدون ان يسمّوه الحاجّ الكافى وكان فتح المهدية سنة احدى وستّ مائة ، وفى سنة اثنتين وستّ مائة ولى امير المومنين الناصر الشيخ ابا محمّد عبد الواحد بن ابى بكر بن ابى حفص جميع بلاد افريقية وارتحل الى المغرب فلما وصل الى واد شلف خرج عليه يحيى الميورقى فى جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة فقاتلا قتالا شديدا هزم فيه الميورقى هزيمة عظيمة وذلك فى يوم الاربعاء عقب ربيع الاوّل سنة اربع وستّ مائة ، وفيها امر امير المومنين الناصر ببناء مدينة وجدة فشرع فى بنائها فى مهلّ رجب من السنة المذكورة وفيها بنا السور على المزمة من بلاد الريف وبنيت قصبة بادس ، وفى شوال من السنة اربع المذكورة خرج امير المومنين من مدينة فاس الى حضرة مرّاكش بعد ان امر بعمل الساقية بعدوة الاندلس منها وجلب الماء من عين بخارج باب الحديد وبنا الباب الجوفى المدرّج الذى بالصحن من جامع الاندلس شرّفه الله بذكره وانفق فى ذلك اموالا كثيرة من بيت المال وفيها بنا مصلّى عدوة القرويّين وامر ان لا يصلّى بمصلّى الاندلس فاقام الناس يصلّون بعدوة القرويّين ثلاث سنين ثم عادوا يصلّون بالاندلس والقرويّين كما كانوا بعد ان شهد انها قديمة فاقام الناصر بمدينة مرّاكش سنة خمس وستّ مائة وسنة ستّ بعدها فاتّصلت به الاخبار من الاندلس ان الفنش لعنه الله يفتك فى بلاد الاسلام ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبى النساء والاموال فاستغاث اهلها بالناصر امير المومنين فاخذ فى الحركة للجهاد وفرق الاموال على القواد والاجناد وكتب الى جميع بلاد المغرب وافريقية وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفّار فاجابه خلق كثير والزم كلّ قبيلة من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الامصار وتسارع الناس حوله خفافا وثقالا من الافاق والاقطار فلما تكاملت لديه الوفود واستوفت عليه الجنود والحشود خرج من حضرة مرّاكش فى التاسع عشر لشعبان المكرّم سنة سبع وستّ مائة حتى وصل الى قصر الجواز فنزل به واخذ فى تجويز الناس فاقام بقصر الجواز يجوّز العساكر والقبائل والخيل والعدد من اوّل شهر شوال الى اخر شهر ذى قعدة من سنة سبع وستّ

وستّ مائة فلما تكاملت المجاهدون بالجواز جاز هو فى اثرهم فنزل بساحل طريف
وذلك فى يوم الاثنين الخامس والعشرين لذى قعدة المذكور فتلقاه هنالك
جميع قواد الاندلس وفقهاؤها وصلحاؤها فسلّموا عليه واقام بطريف ثلاثة ايام
وارتحل الى اشبيلية فى جيوش لا تحصى وامم كالجراد المنتشر قد ملات السهل
والوعر وضاق بهم المتسع والنجد والغور فادرك الناصر الاعجاب بما رءا من كثرة
جنوده فقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناتة والمصامدة وغمارة
وسائر اصناف قبائل بلاد المغرب فرقة والمطوعة فرقة وكانوا مائة وستّين الفا بين
فارس وراجل وقواد الاندلس وحشودها فرقة والموحدون فرقة وامر كلّ فرقة تنزل
ناحية ، فوصل الخبر الى اشبيلية فى السابع عشر من ذى حجّة عام سبعة المذكور
فاقام بها واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ووقع خوفه فى قلوب ملوكهم واخذ فى
تحصين بلادهم واخلا ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم وكتب اليه اكثر
امرائهم يسألونه سلامته ويطلبون منه عفوه وجاءه منهم ملك بيونة مستسلما
خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه ، ولما سمع هذا اللعين
بدخول امير المومنين الى اشبيلية ادركه الخوف فبادر الى المدارات عن نفسه
وبلاده فبعث رسوله اليه يستاذنه فى القدوم اليه فاذن له امير المومنين فى الوصول
وكتب الى كلّ بلد من بلاد الاندلس هو على طريق هذا اللعين اذا مرّ بهم يضيفونه
ثلاثة ايام فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابع يحبسون عندهم من جيشه الف
فارس فخرج هذا اللعين من قاعدة ملكه بجيوشه قاصدا وداخلا الى امير المومنين
فكان اذا وصل الى بلد من بلاد المسلمين تلقاه قوادها واجنادها وبرز عليه اهلها
فى اكمل عدّة واحسن هيئة واضافوه ثلاثة ايام خير ضيافة فاذا كان يوم رحيله
حبسوا له الف فارس من جيشه فلم يزالوا يفعلون ذلك به حتى وصل مدينة
قرمونة ولم يبق معه من جيشه غير الف فارس فاقام فى ضيافة اهلها ثلاثة ايام
فلما اراد الرحيل فى الرابع حبست الالف الفارس الباقية معه فقال لقوادها
كيف تمسكون بها وما بقى لى مع من اسير غيرها فقالوا له تسير فى ذمّة امير
المومنين وتحت ظلال سيوفه فخرج لعنه الله من قرمونة فى خاصّته وزوجته وخدامه
وهدينه التى قدم بها الى الناصر وقدم بين يديه كتاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذى
كان كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به ويعلمه ان الملك عنده موروثا كابرا عن
كابر وكان هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطيبًا فى حلة خضرا فى وسط

صندوق من ذهب علوا مسكنا تعظيما له واجلالا لحقه وامر امير المومنين الناصر ان يجعل له بروزا من باب مدينة قرمونة الى باب اشبيلية فاصطفت الخيل والرجال امامها عن اليمين والشمال صفين بالثياب الحسنة والعدّة الكاملة والسيوف المصبة والرماح المشرعة والقسى الموتورة من قرمونة الى اشبيلية اربعين ميلا ونحوها فخرج ملك بيونة يمشي تحت ظلال سيوف المسلمين ورماحهم فلما قرب من اشبيلية امر امير المومنين الناصر بالقبّة الحمرا ان تضرب له بخارج المدينة مما يلى قرمونة ويجعل له فيها ثلاثة مراتب ثم سال عمّن يحفظ لسان العجمية من القواد فقيل له ابو الجيوش عسكر فامر باحضاره فحضر بين يديه فقال له يا ابا الجيوش انّ هذا الكافر قد قدم علىّ ولا بدّ من اكرامه فان قمتُ له عن مجلسى اذا دخل كنت قد تدمهت وخالفت السنّة فى قيامى لرجل كافر بالله تعالى وان قعدتُ ولم اقم له كنتُ مقصرا فى حقّه وملك كبير وضيف وارد ودخيل قاصد ولاكنّى عامرك ان تقعد فى المرتبة التى فى وسط القبّة فاذا دخل العلج من باب القبّة دخلتُ انا له من الباب المقابل له فتقُم انت فتاخذ بيدى وتقعدنى على يمينك وتاخذه بيده ايضا فتقعده عن شمالك ثم تكون بعد هذا تترجم بيننا فقعد القائد ابو الجيوش فى وسط القبّة فلما دخلا عليه اقعد الناصر عن اليمين وملك بيونة عن الشمال ثم قال له هذا امير المومنين فسلّم عليه ثم تكلّما ما يجب وتحدّثا مليا ثم ركب امير المومنين وركب ملك بيونة متاخر عنه قليلا وركب الموحدون وجيوش المجاهدين وحشر الناس ضحى وصنع اهل اشبيلية بروزا عظيما وكان من الايام المشهورة فدخل الناصر اشبيلية وملك بيونة على اثره قريبا منه فانزله بداخل المدينة واعطاه تحفا جليلة وصالحه صلحا موبدا ما دامت دولة الموحدين ولعقبه ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه وخرج الناصر فى اثره قاصدا لغزو بلاد قشتيلة وذلك فى اوّل يوم من صفر سنة ثمان وستّ مائة فسار حتى نزل حصن سربطوة وهو حصنٌ عظيم على راس جبل عالٍ قد تعلّق بعنان السماء ليس له مسلك الا طريق واحد فى اوعار ومضائق ونزل عليه وادار به الجيوش واخذ فى قتاله ونصب عليه اربعين منجنيقا فهنك ارباضه ولم يقدر منه على شىء وكان وزيره ابو سعيد بن جامع لم يكن شريفا النسب فى الموحدين فلما ولى حجابة الناصر ووزارته اخذ يقهر اعيان الموحدين ويهين الاشراف منهم حتى فرّ من بساط الناصر كثير من الاشياخ الذين قام الامر بهم

فانفرد

فانفرد . هو بالخدمة هو ورجل معدل يعرف بابن منسا فكان الناصر لا يقطع امرا الا بمشاورتهما فلما امر الناصر بهذا الحصن بربد قشنتيلة تعجب من منعته فقالا له يا امير المومنين لا نتجاوزه حتى نفتحه فيكون اوّل الفتح ان شاء الله تعالى ويقال انه اقام على ذلك الحصن حتى عشش الخُطّاف فى خبائه وباض وافرخ وطار فراخه من طول مقامه فاقام على ذلك الحصن ثمانية اشهر ودخل فصل الشتاء واشتدّ البرد وقلّت العلوفات وفنيت ازواد الناس ونفدت نفقاتهم وكلّت عزائمهم وفسدت نياتهم التى قصدوا بها للجهاد وقنط الناس من المقام وتقطعت المدد من المحلّة فغلت الاسعار فلما تحقّق عدوّ الله الفنش ذلك كلّه وعلم انّ شوكة المسلمين قد تكسّرت والجدّة التى قدموا بها قد خمدت فانفجر لطلب الثار ورفع صلبانه سعرا فى جميع بلاد الكفّار فجاءت ملوك الروم فى جيوشهم مستعدّين فى غاية الاستعداد وقد شمروا للطعان والجلاد واقبلت نحوه عباد شنتمرية واظهر حمية الجاهلية فلما اشرفت على الفنش جيوشه وحشوده وتكاملت لديه وفوده اقبل فى جيوشه حتى نزل ثغرا من ثغور المسلمين تسمّى قلعة رباح كان فيها القائد الاجلّ المشهور البطل الشجاع المذكور ابو الحجاج بن قادس فى سبعين فارسا من المسلمين يضبط بهم ذلك الثغر فحاصره وشرع فى قتاله وضيّق عليه تضييقا كثيرا وابن قادس صابر لقتاله يبعث فى كلّ يوم كتابا الى امير المومنين الناصر يعلمه بحاله ويستنصره على اعدائه وهو على اشدّ حصره فكانت كتبه اذا وصلت الوزير حبسها ولم يطلع عليها امير المومنين لئلا يقلع عن الحصن قبل ان يفتحه وكان ذلك غشا منه لامير المومنين الناصر ولجميع المسلمين فانه لم يكن يخبره بشىء من اخبار بلاده ولا من امور رعيته ويخفى عنه مهمّات الامور التى لا ينبغى ان يغفل عنها ولا يتناول بها فلما طال الحصار على ابن قادس وفنى ما كان عنده بالحصن من الاقوات والسهام ويئس من الاعانة وخشى ان يدخل الحصن على من به من المسلمين العيال والذرّية اسلمه الى الفنش على ان يسلم جميع مَنْ فيه من المسلمين فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدوّ وسار ابن قادس الى امير المومنين فتبعه صهره وكان مثله فى النجدة فعزم عليه ابن قادس ان يرجع ويتركه وحده فقال له ارجع فانا والله مقتول لا محالة ولا اعيش بعد هذا ابدا ولكنّى بعت نفسى من الله تعالى بسلامة مَنْ كان فى الحصن من المسلمين فابا ان يرجع وقال له لا خير فى الحياة بعدك فلما وصلا الى محلّة الناصر تلقاهما قواد الاندلس

يسلّمون عليهما فاتّصل خبرهما بابن جامع الوزير فخرج اليهما مسرعا وامر العبيد
ان ينزلوهما بالحنف فانزلا وكتفا ثم دخل على الناصر فقال له ابن قادس ندخل معك
فقال لا يدخل على امير المومنين فاجرٌ ثم دخل فاغوى الناصر بهما حتى امر
بقتلهما فخرج فامر عليهما بالرماح فقتلا في الحين فحمد الناس عند قتلهما وحقدوا
على الناصر وانفسدت نيات قواد الاندلس فخرج الوزير ابن جامع الى قبّات الساقة فامر
باحضار قواد الاندلس فاحضروا بين يديه فقال اعتزلوا من جيش الموحدين فلا حاجة
بنا اليكم كما قال الله تعالى لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ
وسينظر بعد هذه المغافلة في امر كلّ فاجر، فلما سمع الناصر باقبال الفنش اليه
وتملّكه قلعة رباح التي هي امنع ثغور المسلمين شقّ ذلك عليه حتى امتنع من الطعم
والشراب حتى مرض من شدّة التغيّظ لذلك ثم شدّ في قتال سربطوة وبذل الاموال
الجليلة في حقّها حتى فتحها صلحا وذلك في اخر ذى حجّة من سنة ثمان وستّ مائة
فلما سمع الفنش انّ الناصر قد فتح سربطوة تحرّك نحوه بجميع مَنْ كان معه من ملوك
الروم وحشودهم فاتّصل خبر قدومه بالناصر فقصد الى لقائه بجيوش المسلمين والتقى
الجمعان بموضع يسمّى بحصن العقبان فكانت المقابلة به فضربت القبّة الحمرا المعدّة
لقتال الاعداء على راس ربوة واتى الناصر حتى نزل بها وقعد على درقته وفرسه امامه
ودارت العبيد بالقبّة من كلّ ناحية كلّهم بالسلاح والعدد ووقفت الساقات والبنود
والطبول امام العبيد مع الوزير الى سعيد بن جامع فاقبلت اليهم جيوش الروم على
مصافّها كانهم الجراد المنتشر فتلقاهم المطوعة وحملوا عليهم اجمعين وكانوا مائة وستّون
الفا فغابوا في صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر
المسلمون صبرا جميلا فاستشهد المطوعة عن ءاخرهم وعساكر الموحدين والعرب
وقواد الاندلس ينظرون اليهم لم يتحرّك منهم احد فلما فرغ الروم من المطوعة حملوا
على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة فلما انشب القتال بين الفريقين فرّت قواد
الاندلس وحشودها لِمَا كانوا حقدوه في قلوبهم من قتل ابن قادس وتهديد ابن
جامع لهم وطرده اياهم فلما رءا الموحدون والعرب وقبائل البربر ان المطوعة قد قتلوا
وجيوش الاندلس قد فرّوا وكثر القتل فيمن بقى وتكاثرت عليهم الروم انهزموا
امامهم وكشفوا عن الناصر وركبهم الروم بالسيف حتى وصلوا الى الدائرة التي دارت
على الناصر من العبيد والحشم فوجدوها كالبنيان المرصوص فلم يستطيعوا ادخالها
فردّوا اكفال الخيل المدرعة الى رماح العبيد وهي منصوبة اليهم فدخلوا فيها
والناصر

والناصر قاعد على درقته امام اخبائه فيقول صدق الرحمان وكذب الشيطان وهو في مكانه لا يتزحزح حتى كادت الروم ان تصل اليه وقتل حوله من عبيد الدائرة ما يزيد على عشرة الاف عبد فاقبل اليه اعرابي على فرس انثى فقال له الى متى قعودك يا امير المومنين قد نفذ حكم الله وتمّ مراده وفنى المسلمون فحينئذ قام الى اجود سابق للخيل كان امامه ليركب فترجّل العربي عن الفرس التى كان عليها وقال له اركب على هذه الحرّة فانها لا ترضى بعار فلعلّ الله عزّ وجلّ ان يسلمك عليها فان في سلامتك للخير كلّه فركبها الناصر وركب العربي جواده وتقدم امامه في كبكبة عظيمة من العبيد دائرة بهم والروم في اعقابهم وبقى القتل في المسلمين الى الليل وتحكّمت فيهم سيوف الروم فاستاصلوهم حتى فنى جميعهم ولم ينج منهم الا الواحد من الالف ونادى منادى الفنش لا اسار الا القتل ومن اتى باسير قتل هو واسيره ولم ياسر العدوّ في هذه الوقعة احدا من المسلمين وكانت هذه الكاينة المليمة والرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر من صفر وفي سنة تسع وستّ مائة فذهبت قوّة المسلمين بالاندلس من تلك الهزيمة ولم تنتصر لهم راية بها واستطال العدوّ عليها فملك معاقلها واستحوذ على اكثر بلادها حتى كاد ان يملك جميعها لولا ان الله عزّ وجلّ تداركها بجواز امير المسلمين الى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ رحمه الله ورضى عنه فاحيا دارها واقام منارها وغزا بلاد الكفرة فدمّرها ه ولما فرغ الفنش لعنه الله من وقعة العقاب سار الى مدينة ابدة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلم يحى بها كبيرا ولا صغيرا ومن بعدها لم يزل يملك الاندلس بلدا بعد بلد حتى استولى على جميع قواعدها ولم يبق بايدى المسلمين منها الا القدر اليسير ولم يوقفهم على اخذ تلك الغنيمة الا حماية الله عزّ وجلّ لها على يد الدولة المرينيّة خلّد الله ملكها ويقال انه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخل ابدة احد الا مات في تلك السنة بعينها ولما وصل الناصر من هزيمة العقاب قدم الى اشبيلية فدخلها في العشر الاواخر من ذى حجّة من العام المذكور وكان الناصر قد ادركه الاعجاب في هذه الغزوة واشهد بكثرة جيوشه وجنوده وتوفر حشوده لانه اجتمع له في تلك الحركة من المقاتلين خيول ورجال ما لم يجتمع لملك قبله كان في عسكره من المتطوعة مائة وستون الفا بين فارس وراجل ومن الرجال الحشدة ثلاث مائة الف رجل ومن العبيد الذين يمشون بين يديه في الحرب ويدورون حوله ثلاثون الف عبد ومن الرمّاة

والاغزاز عشرة الاف دون المرتزقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم فاعتمد على كثرة جنوده وظنّ ان لا غالب له من الناس فاراه الله عزّ وجلّ تلك الاية ليعلم ان النصر من الله تعالى والقدرة والحول والقوة بيد الله سبحانه ، ولما دخل الناصر مرّاكش عند انصرافه من العقاب اخذ البيعة لولده السيد ابى يعقوب يوسف الملقب بالمنتصر فبايعه كافّة الموحدين وخطب له فى جميع منابرهم فى العشرة الاخرة من ذى حجّة من سنة تسع وستّ مائة ولما تمّت البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب فيه عن الناس وانغمس فى لذّاته فاقام فيه مصطبحا ومغتبقا الى شهر شعبان المكرم من سنة عشر وستّ مائة فمات مسموما بامر وزرائه دسّوا اليه من يسمّه من جواريه فى كاس خمر فمات من حينه لانه كان قد عزم على قتلهم فعاجلوه قبل ذلك فكانت وفاته يوم الاربعاء الحادى عشر لشعبان من عام عشره وستّ مائة بقصره من قصبة مرّاكش فكانت دولة ايامه خمسة الاف يوم واربع مائة يوم واحدا وخمسين يومًا يجب لها من السنين خمس عشرة سنة واربعة اشهر وثمانية عشر يوما اوّلها يوم الجمعة الثانى والعشرين لربيع الاوّل سنة خمس وتسعين وخمس مائة وهو الذى بويع فيه بعد وفاة ابيه وءاخرها يوم الثلاثاء العاشر لشعبان من سنة عشر وستّ مائة وهو الذى توفّى فيه مسمومًا فى اناء من خمر ☆

الخبر عن دولة امير المومنين يوسف المنتصر بالله بن الناصر بن المنصور بن يوسف بن على

هو امير المومنين يوسف بن ابى عبد الله الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف الشهيد بن عبد المومن بن علىّ الزناتى الكومىّ امّه فاطمة بنت السيد ابى علىّ بن يوسف بن عبد المومن ، لقبه المنتصر بالله ، كنيته ابو يعقوب ، صفته شابّ السنّ حسن القدّ ازهر اللون جميل الصورة اقنى الانف سبط الشعر ، كُتّابه كتاب ابيه وزراؤه اعمامه هم الذين كانوا يدبّرون الدولة مع الاشياخ لانه كان حين بويع صغير السنّ كما راهق الحلم لا حُنْكة له ولا تجربة ولا معرفة بالامر فاقام اشياخ الموحدين دولته مع اشياخ العادة من اعمامه فاستقرّت خلافته لاجل ذلك ولم ينازع عليها ولم يغزُ فى ايامه ولم يقدر عليه وكانت اوامره لا تمتثل

وكل

وكلّ من ولّى بلدا عمل فيه برأيه واستبدّ فيه بامره فضعفت دولة الموحدين فى ايامه واعتراها النقص واخذت فى الادبار الا ان ايامه كانت ايام هدنة ودعة وعافية ، فلما كبر واشتغل بامره ونهيه واستبدّ بملكه جعل يفرق اعمامه وحواليه الذين اقاموها واشياخ الموحدين الذين اسّسوها وقرّب اناسا وتمسّك بهم لم يكن لهم اصل فيها فبعث الى الاندلس ابا محمّد عبد الله بن المنصور وولاّه بلنسية وشاطبة وولّى عمّه ابا محمّد عبد الله بن المنصور مرسية ودانية واحوازها وبعث معه الشيخ ابا زيد بن برجان وكان من اشياخ الموحدين ودهاتهم وبعث عمّه ابا العلا الكبير الى افريقية لمدافعة المايورقىّ وابو العلا هو الذى بنا البرجين الذين على باب المهدية وحصنها وهو الذى بنا برج الذهب باشبيلية ايام ولايته عليها فى حياة ابيه فاقام بافريقية مدّة ثمّ عزله عنها وولّى مكانه عليها الشيخ ابا محمّد عبد الله بن ابى حفص ، وفى سنة اربع عشرة وستّ مائة هزم المسلمون بقصر ابى دانس وهى من الهزائم الكبار التى تقرب هزيمة العقاب لانّ العدوّ كان قد نزل قصر ابى دانس وحاصره فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الاندلس بامر امير المومنين يوسف المنتصر لاغاثته واستنقاذه فسار واتحوهم فلم تجتمع العين بالعين الا والمسلمون قد خامر قلوبهم الرعب وولّوا الادبار واخذوا فى الفرار لما كان سبق لهم من الرعب فى هزيمة العقاب وكان العدوّ قد تكالب وقوى واستانس فركبوهم بالسيف وقتلوهم عن آخرهم ورجع الفنش الى قصر ابى دانس فحاصره حتّى دخله بالسيف وقتل كلّ من به من المسلمين ، وفى سنة عشرين وستّ مائة توفّى امير المومنين يوسف بمرّاكش وكانت وفاته فجاة ضربته بقرة بقرنها على قلبه فمات من حينه لانه كان مولعا بالبقر والخيل كان يوتى بالبقر من الاندلس فينتجها فى رياضه الكبير من حضرة مرّاكش فخرج فى عشى اليوم الذى توفّى فيه لينظر اليهن وكان قد ركب فينشا فمشا به بين البقر فقصدت اليه بقرة منهن كانت شرودة فضربته فمات من حينه وذلك فى عشية يوم السبت الثانى عشر لذى حجّة سنة عشرين وستّ مائة وتوفّى ولم يعقب الا حملا من جارية ولم يخرج من حضرة مرّاكش طول خلافته الى ان توفّى وكانت اوامره لا تتمثّل اكثرها لضعفه ولبانته واقامته على الخلافة وركونه الى اللذات وتفويضه امور مملكته ومهمّات اموره الى السفلة ، ايامه فى الملك ثلاثة الاف يوم وستّ مائة يوم وخمسة وعشرون يوما يجب لها من السنين عشرة اعوام واربعة اشهر ويومان اوّلها يوم

الاربعاء لحادى عشر لشعبان المكرّم من سنة عشر وستّ مائة وهو اليوم الذى بويع فيه واخرها يوم السبت الثانى عشر لذى حجّة سنة عشرين وستّ مائة حكاه مَنْ شاهد موته ممن ادركه من الثقات

الخبر عن دولة امير المومنين ابى محمد عبد الواحد المخلوع رحمه الله تعالى

هو امير المومنين ابو محمّد عبد الواحد بن امير المومنين يوسف بن عبد المومن بن علىّ الكومىّ الموحد بايعه اشياخ الموحدين على كره منه بقبّة المنصور من قصبة مرّاكش وذلك فى ضحى يوم الاحد الثالث عشر من ذى حجّة سنة عشرين وستّ مائة وهو يومئذ فى سنّ الشيخوخة فكانت خلافته منسوخة وكان رجلا صالحا فاضلا متورّعا فاستقام له الامر شهرين وخطب له فى جميع طاعة الموحدين ما عدا مرسية فان ابن اخيه السيد ابو محمّد الملقب بالعادل كان واليا عليها وكان وزيره بها الشيخ ابو زيد بن برجان المعروف بالاصفر وكان احد دهاة الموحدين كان المنصور اذا رءاه يستعيذ بالله من شرّه ويقول ما ذا يجرى على يدك من الفتن يا اصفر فلما وصلته بيعة امير المومنين ابى محمّد عبد الواحد الى مرسية قال ابو زيد بن برجان للسيد ابى محمّد المنصور اياك ان تبايع لعبد الواحد فانّك احقّ بالخلافة واقرب اليها منه انت ولد المنصور واخو الناصر وعمّ المستنصر ولك الحزم والعقل الراجح والكرم وحسن السياسة واصابة الراى ولو دعوتَ الموحدين الى بيعتك لم يتخلّف عليك اثنان وبادر الى فسخ امره قبل التمكين فخرج السيد ابو محمّد من فوره ذلك الى مجلس حكمه وبعث الى من بمرسية واحوازها من الموحدين والفقهاء والاشياخ يدعوهم الى بيعته فبايعوه ثم كتب الى اخيه السيد ابى العلا والى اشبيلية يدعوه الى بيعته فبايعه واخذ له البيعة على اهل اشبيلية ومن فيها من الموحدين وامتنع سائر البلاد عن بيعته فلما رءا العادل ان الناس قد سبقوا الى بيعة عبد الواحد كتب الى اشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك بالاموال الجزيلة والمنزلة الرفيعة والولايات العظيمة فسارعوا الى ما دعاهم اليه فدخلوا على امير المومنين عبد الواحد فهدّدوه وخوّفوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع للعادل فاجابهم الى ذلك

فخرجوا

فخرجوا عنه ووكلوا بالقصر من يخوفه وذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان المكرم سنة احدى وعشرين وستّ مائة فلما كان فى اليوم الاحد الثانى ان دخلوا عليه القصر واحضروا القاضى والفقهاء والاشياخ فاشهد على نفسه بالخلع وبايع للعادل ثم دخلوا عليه بعد ثلاثة عشر يوما من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره واخذوا امواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره فكان اوّل من خلع وقتل من بنى عبد المومن ولم يكن ذلك فيمن تقدّم من ملوكهم ورجع اشياخ الموحدين كالاتراك لبنى العبّاس فكان فعلهم ذلك سببا لخراب دولتهم وذهب سلطنتهم وقتل ملوكهم واشياخهم وهو اوّل باب فتحه القوم على انفسهم للفتنة وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع ليلة الاربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستّ مائة فجميع دولته مائتا يوم واثنان واربعون يوما يجب لها من السنة ثمانية اشهر وخمسة ايام اوّلها الاحد وءاخرها السبت الذى خلع فيه ☆

الخبر عن دولة امير المومنين ابى محمد عبد الله العادل رحمه الله تعالى

هو امير المومنين عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علىّ الكومىّ لقبه العادل فى احكام الله تعالى كنيته ابو محمّد امّه امّ ولد رومية من سبى شنترين اسمها سرّ الحسن ، صفته ابيض اللون تامّ القدّ نحيل الجسم اشهل العينين اقنى الانف خفيف العارضين حازم فى اموره موثر هواه على دينه بويع له بيعة اولى بمرسية فى نصف صفر من سنة احدى وعشرين وستّ مائة وخلص له الامر واجتمع على بيعته كافّة الموحدين ما عدا اهل افريقية وخطب له بحضرة مرّاكش وسائر بلاد العدوة والاندلس بعد خلع عمّه عبد الواحد وذلك يوم الاحد الثانى والعشرين لشعبان المكرّم سنة احدى وعشرين وستّ مائة وتوقّف عن بيعته السيد ابو زيد بن السيد ابى عبد الله بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلنسية وشاطبة ودانية وكذلك توقف عن بيعته عمال افريقية الحفصيين واستبدّوا لانفسهم فلم يستقم له امر لاجل ذلك ولما دعا السيد ابو محمّد بن السيد ابى عبد الله بن يوسف اخاه السيد ابا زيد توقّف عن بيعة العادل

وضبط بلاده قام هو ايضا ببياسة ونكث ببيعة العادل ودعى لنفسه ودعاه اهل بياسة وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصن الثغر الاوسط وسمّى البياسىّ لقيامه من بياسة فوقعت الفتن فى بنى عبد المومن وابتدات فيهم المحن فبعث اليه العادل اخاه السيد ابا العلا فى جيوش كثيفة فحاصره ببياسة فلما اشتدّ عليه الحصار صالحه مكرًا منه وبايع العادل فلما ارتحل عنه ابو العلا عاد الى نكثه وبعث الى الفنش ليستنصر به على العادل على ان يعطيه بياسة وقيجاطة فكان اوّل من سنّ اعطاء البلد والحصن للروم فبعث اليه الفنش جيشا من عشرين الف فارس فلما وصله الجيش جمع خيله وحشده وخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى قرب منها فخرج اليه السيد ابو العلا اخو العادل فى جيش من الاجناد والحشود فالتقى الجمعان وتقاتلا قتالا شديدا هزم فيه السيد ابو العلا واحتوى الهياسى والروم والذين معه على جميع ما كان فى محلّته من سلاح ودوابّ وغير ذلك ، فلما رءا العادل انّ جيشه قد هزم وقتل جنوده خاف ان يتغلّب عليه البياسى ويفوته مقصوده من الخلافة فجاز من الاندلس الى العدوة فوصل مرّاكش واستقرّ فى قصر الخلافة وفوّض امر الاندلس الى اخيه ابى العلا فاقام ابو العلا عاملا للعادل على الاندلس الى شهر شوال من سنة اربع عشرين فنكث بيعة العادل واقام عليه ودعا لنفسه وتلقّب بالمامون فبايعه اهل اشبيلية وجميع بلاد الاندلس فلما تمّت بيعته بالاندلس كتب الى الموحدين الذين بمرّاكش يعلمهم باجتماع بلاد الاندلس ومن بها من الموحدين على بيعته وخلع اخيه العادل ويدعوهم مع ذلك الى بيعته والدخول فى طاعته ووعدهم ومنّاهم فكان منهم تردّد فى امره ثم اجتمع امرهم على خلع العادل فدخلوا عليه القصر وسالوه ان يخلع نفسه وامتنع فجعلوا راسه فى خصة تفور بالماء وقالوا له لا نفارقك او تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لاخيك المامون فقال لهم اصنعوا ما بدا لكم انى لا اموت الا امير المومنين فجعلوا عمامته فى عنقه وشنقوه بها وراسه فى الخصة حتى مات وذلك يوم الثلاثا الحادى والعشرين من شوال من سنة اربع وعشرين وستّ مائة وكتبوا البيعة الى المامون وبعثوا بها اليه مع البريد ثم بدا لهم فى بيعة المامون بعد انصراف البريد بها فنكثوا بيعته وبايعوا يحيى بن الناصر ، فكانت ايامه من يوم بويع بمرسية الى ان توفّى ثلاث سنين وسبعة اشهر وتسعة ايام

الخبر

الخبر عن دولة امير المومنين يحيى بن ناصر ومزاحمته مع عمه المامون

هو امير المومنين يحيى بن ابى عبد الله الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علىّ كنيته ابو زكرياء وقيل ابو سليمان لقبه المعتصم بالله، صفته شابّ السنّ حسن القدّ والوجه ادم اللون خفى الاتصال اشقر الشعر، اجتمع اشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم المامون وقَتْلِ العادل وسبب اجتماعهم على بيعته انهم كتبوا الى المامون بالبيعة وبعثوا بها اليه ثم ندموا وخافوا لِمَا يعرفوه من شهامة المامون وشدّة سطوته وكونهم قتلوا عمّه عبد الواحد المخلوع ثم اخاه العادل فخافوا ان يطالبهم بثار مَنْ قتلوه من قرابته فلجوا الى يحيى فبايعوه لصغر سنّه فانه كان يوم بويع ابن ستّ عشرة سنة فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مرّاكش بعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة اربع وعشرين وستّ مائة، فامتنع من بيعته عرب الخلط وقبائل هسكورة وقالوا قد بايعنا المامون فلا ننكثوا بيعته فجهّز لهم يحيى جيشا من الموحدين والاجناد وبعثهم الى قتالهم فهزمهم الخلط وهسكورة وهم فى طاعة المامون ورجع فلّ الموحدين منهزمين الى مرّاكش بعد ان قُتِل منهم خلق كثير، وتوالت فى ايامه فى عساكره انهزائم ولما تمت بيعته بمرّاكش بعث الى الشيخ ابى زيد بن برجان وابنه عبد الله فضرب اعناقهما وامر بتعليق رؤسهما على باب الكحول وطوف باجسادهما فى المدينة واقام يحيى بمرّاكش شهرًا من ولايته فاضطربت عليه البلاد وغلت الاسعار وخافت الطرق وفشا الفساد والخراب فى المغرب لكثرة الفتن وعاد اشياخ الموحدين يبعثون فى بنى عبد المومن ويبايعون وينكثون ويخلعون ويقاتلون فلما رءا يحيى اختلاف الموحدين عليه واضطراب اموره لديه بسبب بيعة اكثرهم للمامون خرج فارًّا عن حضرة مرّاكش الى تينمال وذلك فى شهر جمادى الاخرة من سنة ستّ وعشرين وستّ مائة فقدم من كان بمرّاكش من اشياخ الموحدين واليا عليها يضبطها للمامون وجدّدوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى عنها الى الجبل ويرغبونه ويسالونه القدوم عليهم فاقام يحيى بالجبل اربعة اشهر ثم بدا له فرجع الى مرّاكش فدخلها وقتل عامل المامون الذى

كان بها وخرج عنها بعد ان قام بها سبعة ايام فنزل بجبل ايجليين منتظرا لقدوم المامون وقتاله ولم يزل يحيى ينازع المامون وولده الرشيد الى ان قتل بفحّ عبد الله من احواز رباط تازا قتله عرب المعقل غدرًا وذلك يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وستّ مائة وحمل راسه الى الرشيد بمرّاكش فجميع دولة يحيى المعتصم ثلاثة الاف يوم ومائة يوم وسبعة وتسعين يوما اوّلها الاربعاء الذى بويع فيه واخرها الاحد لكونه قتل يوم الاثنين الثانى له يجب لها من السنين تسعة اعوام وتسعة ايام كلّها مزاحمة للمامون وولده الرشيد ✿

الخبر عن خلافة امير المومنين ابى العلا بن المنصور الموحد

هو امير المومنين ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علىّ كنيته ابو العلاء لقبه المامون، امّه حرّة اسمها صفية بنت الامير ابى عبد الله بن مردنيش صفته ابيض اللون اكحل العينين معتدل القدّ مليح الوجه فصيح اللسان فقيها حافظا لحديث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ضابطا للرواية عارفا بالقراءات حسن الصوت والتلاوة اماما فى علم اللغة والعربية والمعرفة بالادب وايام الناس كاتبا بليغا له التوقيعات العجيبة اماما فى الحديث لم يزل فى ايام خلافته يقرئ كتاب الموطا وكتاب البخارى وسنن ابى داوود عالما بامور الدين والدنيا وكان مع ذلك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظائم الامور الا انه كان سفاكا للدماء لا يتوقّف فيها طرفة عين، مولده بمالقة سنة احدى وثمانين وخمس مائة ولى الخلافة والبلاد تضطرم نارًا قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات وقد تكالب العدوّ على اكثر بلاد المسلمين بالاندلس وبنوا حفص قد استبدّوا فى افريقية وبنوا مرين قد دخلوا المغرب واستحوذوا على جميع بوادية واخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر ما يتلافا من ذلك فانشد متمثلا بهذا البيت

تكاثرت الظباء على خداش فلم يدر خداش ما يصيد

بويع ببيعته الاولى باشبيلية يوم الخميس ثانى شوال من سنة اربع وعشرين وستّ مائة اجتمع عليه فى هذه البيعة جميع بلاد الاندلس وسبتة وطنجة من بلاد العدوة فلمّا كمل له ذلك ارسل الى الموحدين الذين بمرّاكش ودعاهم الى بيعته والفتك باخيه

العادل

العادل فسارعوا لامره وقتلوا العادل وكتبوا اليه ببيعتهم وخطبوا له على منبر جامع المنصور ثم بدا لهم فى ذلك لامور خافوا منها من اجله فنكثوا بيعته وبايعوا ابن اخيه يحيى فى عشى ذلك اليوم بعينه ، فوصلته بيعة الموحدين وهو باشبيلية فامر بها فقرئت على منابر الاندلس ثم اخذ فى الحركة الى حضرة مرّاكش دار ملكهم فسار حتى وصل الى الجزيرة الخضرا يريد الجواز منها فاتصل به انّ الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن اخيه يحيى فانشرق ملبيا ثم انشد متمثّلا لقول حسان حين قتل امير المومنين عثمان

- تسمعن وشيكا فى ديارهم ... يا للرجال الى ثارات عثمان

ثم بعث من حينه الى ملك قشتيلة يستنصره على الموحدين ويسأله ان يبعث له جيشا من الروم يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيى ومَنْ معه من الموحدين فقال له ملك قشتيلة لا اعطيك جيشا الا على شريطة ان تعطينى عشر حصون مما يلى بلادى اختارها لنفسى اذا منّ الله عليك ودخلتَ مدينة مرّاكش تبنى للنصارى الذين يسيرون معك كنيسة فى وسطها يُظْهِرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم اوقات صلواتهم وان اسلم احد من الروم لا يقبل اسلامه ويردّ الى اخوانه فيحكمون فيه بحكمهم ومَنْ تنصّر من المسلمين فليس لاحد عليه من سبيل فاسعفه فى جميع ما طلب منه فبعث اليه بجيش نيف من اثنى عشر الف فارس من النصارى برسم الخدمة معه والجواز الى العدوة فهو اوّل مَنْ جوّز الروم الى العدوة وخدمهم بها فوصله الجيش فى شهر رمضان من سنة ستّ وعشرين وستّ مائة فجاز به الى العدوة واستخلف على الاندلس وقد اختلفت عليه احوالها وبايع اكثر بلادها لابن هود القائم بشرق الاندلس فجاز من الجزيرة الى سبتة وذلك فى شهر ذى قعدة من سنة ستّ وعشرين المذكورة فاقام فى سبتة اياما ثم خرج الى مرّاكش حتى قرب منها فتلقاه يحيى بجيوش الموحدين وذلك فى وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الاوّل من سنة ستّ وعشرين وستّ مائة فهزم يحيى وفرّ الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المامون مدينة مرّاكش فبايعه الموحدون كافّة فصعد المنبر بجامع المنصور وخطب الناس ولعن المهدى وقال ايها الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوى المذموم انه لا مهدى الا عيسى وانا قد نبذنا امره النحيس فلما اتى على ءاخر خطبته قال يا معشر الموحدين لا تظنّونى انى ادريس الذى تندرس دولتكم على يديه كلا انه سياتى بعد ان شاء الله تعالى ثم نزل فكتب الى جميع بلاده بتغيير

سير المهدى وما كان ابتدعه للموحدين وجرى عليه عملهم وسير ملوكهم وامر باسقاط اسم المهدى من الخطبة وازالته عن الدنانير والدراهم ودوّر الدراهم المركنة التى كان ضربها المهدى وقال كلّ ما فعله المهدى وتابعه عليه اسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لابقاء البدع ثم دخل قصره فاحتجب فيه عن الناس ثلاثة ايام ثم خرج فى اليوم الرابع فامر باشياخ الموحدين واعيانهم فحضروا بين يديه فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قد اظهرتم علينا العناد واكثرتم فى الارض الفساد ونقضتم العهود وبذلتم حربنا المجهود وقتلتم الاخوان والاعمام ولم تراعوا عهدا ولا ذماما ثم اخرج لهم كتب بيعتهم التى بعثوا له وبيّن لهم عهدهم الذى نكثوا فوقعت الحجّة على جميعهم فبهتوا وسقط فى ايديهم فردّ راسه الى قاضى المكيدى وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية فقال له ما ترى ايها الفقيه فى امر هولاء الناكثين فقال يا امير المومنين الله تعالى يقول فى كتابه المبين فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا قال صدق الله العظيم نحن نحكم فيهم بحكم الله تعالى فانه من لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الظالمون فامر بقتل جميع اشياخ الموحدين واشرافهم فقتلوا عن ءاخرهم ولم يبق منهم احد ولم يراع والدا ولا ولدا حتى انه اتى اليه بولد اخته وهو صبى صغير ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرءان فلما قدم ليقتل قال له يا امير المومنين اعفُ عنى لثلاث قال ما هنّ فقال صغر سنّى وقرب رحمى منك وحفظى لكتاب الله العزيز فنظر الى القاضى المكيدى كالمستشير له ثم قال له كيف رايت قوّة جاش هذا الغلام واقدامه على الكلام فى هذا المقام فقال له القاضى يا امير المومنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فامر به فقتل ثم امر بتعليق الرؤس على اسوار المدينة فعلقت بدائرها فكانت حسبتها اربعة الاف راس وستّ مائة راس وكان زمان الصيف فتننت منها المدينة وتاذى الناس من روائحها فرُفع اليه ذلك فكان من جوابه ان قال هنا مجانين وتلك الرؤس لهم احراز لا يصلح حالهم الا بها وانها لعطرة عند المحبّين ونتنة عند المبغضين ثم انشد ارتجالا

اهل الحرابة والفساد من الورى	يعزون فى التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره	بالقطع والتعليق بالاشجار
مراهم ذكرى اذاما ابصروا	فوق الجذوع وفى ذرى الاسوار

وكذا

وكذا القصاص حياة ارباب النهى   والعدل مالوف بكلّ جوار
لو عمّ حلم الله كافّة خلقه   ما كان اكثرهم من اهل النار

وقبض المامون على قاضى الجماعة بمرّاكش وهو ابو محمّد عبد الحقّ فقيّده ودفعه الى هلال بن حميدان ابن مقدم الخلطى فحبسه حتى افتدى منه بستّ الاف دينار واقام المامون بمرّاكش خمسة اشهر ثم خرج الى الجبل لقتال يحيى ومَنْ معه من الموحدين وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وعشرين المذكورة فالتقى معه على بلد لكّاغة فهزم يحيى وقتل من عسكره من اهل الجبل خلق كثير سيق من روسهم الى مرّاكش اربعة عشر الف راس، وفى سنة ثمان وعشرين نفذت كتب المامون الى سائر بلاده بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفيها خرجت بلاد الاندلس كلّها عن ملك الموحدين وملكها ابن هود القائم بها، وفى سنة تسع وعشرين خرج على مامون اخوه السيد ابو عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمّى بالمويد فاتّصل الخبر بالمامون فخرج اليه فحاصره مدّة فلم يقدر منه على شئ فلما طالت غيبته اغتنم يحيى الفرصة فنزل من الجبل ودخل مرّاكش وهدم كنيسة الروم التى بنيت فيها وقتل كثيرا من اليهود وبنى فرخان وسبى اموالهم ودخل القصر وحمل جميع ما وجد فيها الى الجبل فاتّصل الخبر بالمامون وارتحل عن سبتة مسرعًا الى مرّاكش وذلك فى شهر ذى قعدة من السنة المذكورة فلمّا بعد عن سبتة جاز ابو موسى الى الاندلس فبايع ابن هود واعطاه سبتة فولّاه ابن هود المرية عوضا منها فمات بها فوصل المامون وهو فى الطريق انّ ابن هود قد ملك سبتة فتوالت عليه الفجائع فرض فمات مفقوعًا بوادى العبيد وهو قافل من حصار سبتة وذلك يوم السبت منسلخ شهر ذى حجّة عام تسعة وعشرين وستّ مائة فكانت ايامه الف يوم واحد وثمان مائة يوم وثمانية وخمسين يومًا يجب لها من السنين خمسة اعوام وثلاثة اشهر ويوم واحد اوّلها الخميس وأخرها السبت وكانت ايامه كلّها شقية فى منازعة يحيى افترق الموحدون فيها فرقتين فصارت الدولة دولتين فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه لانّه وضع السيف فيهم حتى افناهم ولولا ان الحال فى دولته تغيّرت والفتن فى نواحى المغرب والاندلس قد اشتعلت لكان المامون موافقا لوالده المنصور فى الخلال متابعا له فى جميع الاعمال والاحوال ✿

الخبر عن دولة امير المومنين ابى محمد عبد الواحد الرشيد رحمه الله

هو امير المومنين ابو محمّد عبد الواحد بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف الشهيد بن عبد المومن المويد بن علىّ الكومىّ المؤحد ، كنيته ابو محمّد لقبه الرشيد ، امّه امّ ولد رومية اسمها حباب كانت من دُهاة النساء وعقلائهن بويع له بالخلافة بوادى العبيد ثانى يوم وفاة ابيه وهو يوم الاحد غرّة محرّم من سنة ثلاثين وستّ مائة وسنّه يوم بويع اربع عشرة سنة اخذ له البيعة كانون بن جرمون السفيانى وشعيب اقاريط الهسكورى وفرّ قسيل قائد الروم لانه لما مات المامون كتمت حُباب موته وبعثت فى هؤلاء النفر الثلاثة لانهم كانوا عمدة عسكر المامون فركب لكلّ واحد منهم عشرة الاف من اخوانه فلما وصلوا اليها اعلمتهم بموت امير المومنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته وبذلت لهم اموالا جليلة وجعلت لهم مع ذلك مدينة مرّاكش فيًا اذا غلبوا عليها فبايعوه وقاموا بامر وتولّوا اخذ البيعة له على مَنْ سواهم فبايع الناس طوعًا وكرها خوفا من سيوفهم فلمّا تمّت ببيعته توجّه الى مرّاكش وحمل اباه امامه فى تابوت وكان يحيى قد استقرّ بها فسمع اهل مرّاكش بما شرطت حباب للروم والقواد من نهب المدينة فخرجوا مع يحيى لقتال الرشيد فالتقى الجمعان وهزم يحيى واتى الرشيد حتى وقف بباب المدينة فتحصّن منه اهلها وغلقوا الابواب فامنهم وبعث الى قائد الروم واصحابه قيمة فىء مرّاكش فقبضوه ويقال انه دفع لهم فى ذلك خمس مائة الاف دينار ودخل الرشيد مرّاكش فلم يزل بها الى سنة ثلاث وثلاثين فاستدعا اشياخ الخلط فدخلوا عليه وقتل منهم خمسة وعشرين اميرا فى قصره فقامت عليه الخلط ودخلوا مرّاكش فنهبوها وفرّ الرشيد عنها بجيش الروم الى سجلماسة وبعث الخلط الى يحيى فبايعوه وادخلوه مرّاكش فاقام بها الى ان قوى الرشيد وجمع الجيوش والاموال فخرج من سجلماسة حتى وصل مدينة فاس فاقام بها ايامًا وفرّق فى فقهائها وصلحائها مالاً ورباعًا كثيرة عن رباع مختصها وارتحل الى مرّاكش فتلقاه يحيى بجيش العرب والموحدين فهزمه الرشيد وقُتل خلق كثير من عسكره وفرّ يحيى قاصدا الى رباط تازا فغدر عرب المعقل فقتلوه غيلة قبل ان يصل اليها

وحملوا

وحملوا راسه الى الرشيد ودخل الرشيد مرّاكش فاقام بها الى ان توفّى رحمه الله غريقا فى صهريج وذلك فى يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة سنة اربعين وستّ مائة فمدّته ثلاثة الاف يوم وسبع مائة يوم يجب لها من السنين عشرة اعوام وخمسة اشهر وتسعة ايام زاحمه يحيى منها سنتين وتسعة اشهر وفى رمضان المعظم من سنة خمس وثلاثين بايع اهل اشبيلية الرشيد وفى شوال الثانى له بايعه اهل سبتة وكان بالعدوة والاندلس فى هذه المدّة غلاء شديد ووباء مفرط خرب فيها اكثر البلاد ووصل قفيز القمح بها ثمانين دينارا ✿

الخبر عن دولة امير المومنين ابى الحسن السعيد رحمه الله

هو امير المومنين علىّ بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علىّ الكومىّ المؤحد امّه امّ ولد نوبية كنيته ابو الحسن لقبه السعيد وتسمّى بالمعتضد بالله صفته اسمر شديد السمرة تامّ القدّ معتدل الجسم سبط الشعر مليح العينين متعول اللحية عالى الهمّة بطل شجاع مهاب له اقدام فى الحرب ونجدة فاق بها مَنْ تقدّم من ابائه ، بويع له بالخلافة ثانى يوم وفاة اخيه الرشيد بحضرة مرّاكش وذلك يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة سنة اربعين وستّ مائة وتوفّى رحمه الله يوم الثلاثاء منسلخ شهر صفر سنة ستّ واربعين وستّ مائة وهو محاصر ليغمراسن بن زيان العبد الوادىّ بقلعة تامزجديبة من احواز تلمسان فكانت ايام خلافته الفىْ يوم وثمانية وعشرين يوما اوّلها يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة الذى بويع فيه واخرها الثلاثاء الذى توفّى فيه يجب لها من السنين خمسة اعوام وثمانية اشهر واحد وعشرين يوما وبويع السعيد بمرّاكش ، وقد ظهر امر بنى مرين بالمغرب ملكوا جميع بواديه فاخذ يبعث اليهم بالجيوش فيهزمونها فلمّا كان فى سنة ثلاث واربعين اتّصل به انّ الامير ابا يحيى بن عبد الحقّ قد دخل مدينة مكناسة وان يغمراسن بن زيان قد ملك تلمسان واحوازها وانّ محمّد المستنصر والى افريقية قد تسمّى بامير المومنين خلافا لما كان عليه اباؤه واحتقار الدولة السعيد فاخذ فى الحركة الى غزوهم فخرج من حضرة مراكش فى جيوش لا تحصى من الموحدين والعرب والروم فسار حتّى وصل الى وادى بهت عرف به امير المومنين ابو يحيى بن عبد الحقّ فخرج له عن مكناسة واسلمها له وسار الى قلعة

تازا وسار ببلاد الريف واجتمعت اليه جميع قبائل بنى مرين هنالك ووصل امير المومنين السعيد الى مكناسه فخرج اهلها يطلبون منه العفوَ وقدموا بين ايديهم الشيخ الصالح ابا علىّ منصور بن حرزوز والصبيان من المكاتب بالالواح على رؤسهم والمصاحف بايديهم فعفا عنهم وارتحل الى مدينة فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة فاقام هنالك اياما حتى وصلته بيعة الامير ابى يحيى بن عبد الحق فسرّ بها وخلع على القوم الذين اتوا بها ووصلهم باموال جليلة وكتب له بجميع بلاد الريف والقلاع ، ثم ارتحل عن مدينة فاس فى الرابع عشر من المحرّم من سنة اربعين وستّ مائة وخسف بالقمر كلّه تلك الليلة فاصبح السعيد فى ذلك اليوم مرتحلا فلما ركب انكسر لواؤه المنصور فتطيّر به ورجع ولم يرتحل فاقام الى السادس عشر من شهر محرّم المذكور فارتحل حتى وصل الى تلمسان وبها يغمراسن بن زيان القائم بها فخرج عنها يغمراسن فارّا بماله واولاده واهله الى القلعة تامرجديبة فتحصّن بها واسلم له تلمسان فتبعه السعيد حتى نزل على القلعة المذكورة فحاصره بها ايام فلما كان اليوم الرابع ركب متخشيا فى وقت الهاجرة وخرج مع وزيره على حين غفلة من الناس لينظر الى القلعة ومنعتها وكيف تكون المحاولة فى قتالها والتمكّن منها فلما توسّط من الجبل مكانا وعرا فضرب به فارس من بنى عبد الوادى يعرف بيوسف الشيطان كان يتحرّس فسار اليه هو ويغمراسن بن زيان ويعقوب بن جابر العبد الوادى فخرجوا عليه من مخدع من الجبل فضربه يوسف الشيطان فقتله وقتل يعقوب بن جابر وزيرَه وفرّ الرجال الذين كانوا معه الى المحلّة فاخبروا بموته فارتجت المحلّة واخذ اهلها فى الفرار فهبط يغمراسن فى بنى عبد الوادى من القلعة فاحتوى على جميع المحلّة واخذ ما فيها من الاموال والسلاح والكراع والعيال والطبول والبنود والاخبية والقباب وامر يغمراسن بالسعيد فغسل وكفن وحمل فدفن بالعباد من خارج مدينة تلمسان ٭

الخبر عن دولة امير المومنين ابى حفص عمر المرتضى رحمه الله

هو امير المومنين عمر بن السيد ابى ابراهيم اسحاق ابن امير المومنين يوسف بن عبد المومن بن علىّ الكومىّ الموحد كنيته ابو حفص لقبه المرتضى امّه حرّة بنت عمّ اخيه ولِّىَ بعد وفاة السعيد باجتماع مَنْ بقا فى مرّاكش من اشياخ الموحدين

الموحدين فاخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مرّاكش وذلك يوم الاربعاء غرّة ربيع الاوّل من سنة ستّ واربعين وستّ مائة قاله ابن رشيق فى ميزان العمل وهذا وَهْمٌ منه فانّ السعيد توفّى يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولا يمكن ان يصل الخبر بموته من تلمسان الى مرّاكش فى ليلة واحدة والصحيح انه كان بين موت السعيد وبيعة المرتضى اياما مهملة نحو العشرة ايام وحينئذ عقد له البيعة بجامع المنصور وكتب له بها فى الثانى عشر من ربيع الاوّل المذكور وكان المرتضى واليا للسعيد بقصبة رباط الفتح تركه هناك حين توجّه الى تلمسان فوصلته البيعة وهو بها فقرئت على الناس فبايعه جميع من حضره من الموحدين والفقهاء والاشياخ ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجدّدت منها البيعة فيها واستقام له امرها وملك جميع احوازها من مدينة سلا الى السوس فاقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستّ مائة فخرج برسم غزو مدينة فاس وقتال من بها من بنى مرين فى جيش عظيم من ثمانين الف فارس من الموحدين والعرب والاغزاز والاندلس والروم فسار حتى نزل بجبل بنى بهلول من قبلة مدينة فاس وكان خَوْف بنى مرين قد خامر قلوب اهل محلّته فكانوا منذ قربوا من احواز فاس لا يرقدون ليلا فانطلق فرس لبعض الاجناد فاخذ جرى بين الاخبية وجدّ الناس فى اثره ليأخذوه فظنّ اهل المحلّة ان بنى مرين ضربوا فيها فركب الناس وماج بعضهم فى بعض وفرّوا منهزمين لا يلوى احد على احد واتّصل خبرهم بالامير ابى يحيى فخرج من مدينة فاس فاحتوى على جميع ما فى محلّة من الاموال والسلاح والاخبية وسار المرتضى الى مرّاكش مهزوما فى نفر يسير من الروم والاشياخ فاقام بها الى ان دخلها عليه ابو دبوس وذلك يوم السبت الثانى والعشرين لمحرّم سنة خمس وستّين وستّ مائة فخرج فارّا بنفسه فظفر به وقتل فى الثانى لصفر الثانى له حكاه جملة من الناس من الذين شهدوا ذلك فكانت ايامه فى ملكه ستّة الاف يوم وستّ مائة يوم وستّة وتسعين يومًا يجب لها من السنين ثمان عشرة سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يومًا وكان المرتضى يدعى الزهد والتصوّف والورع وتسمّى بثالث العمرين وكان مولعا بالسماع لا يكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا وكانت ايامه ايام امن ودعة ورخاء مفرط لم ير اهل مرّاكش مثلها ✡

الخبر عن دولة ادريس الملقب بابى دبوس اخر ملوك بنى عبد المومن

هو ابو العلاء ادريس بن السيد ابى عبد الله بن السيد ابى حفص بن امير المومنين ابى محمّد عبد المومن بن علىّ تسمّى بامير المومنين وتلقّب بالواثق بالله، امّه امّ ولد رومية اسمها شمس الضحى صفته ابيض اللون اشقر ازرق طويل القامة طويل اللحية بطل شجاع داهية مقدام فى الامور دخل مدينة مرّاكش غدرا على عمر المرتضى ففرّ امامه فملكها وبويع له بها بجامع المنصور بايعه كافّة الموحدين والاشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء واشياخ العرب واشياخ المصامدة وذلك يوم الاحد الثالث والعشرين لمحرّم سنة خمس وستّين وستّ مائة ثانى يوم دخوله المدينة، وكان سبب تملّكه مرّاكش انّ المرتضى اراد قتله لاشياء رفعت له عنه فاشعر ابو دبوس بذلك فخرج عن مرّاكش فارّا بنفسه فوصل الى امير المسلمين ابى يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ مستنصرا به فالفاه بمدينة فاس فاقبل عليه وبالغ فى اكرامه فطلب منه الاعانة على حرب المرتضى وضمن له اخذ مرّاكش فاعطاه امير المسلمين ابو يوسف جيشا من ثلاثة الاف فارس من قبائل بنى مرين واعطاه طبولا وبنودا وعشرين الف دينار برسم النفقة وكتب له الى عرب جشم ان يكونوا معه يدا واحدة وشرط له ابو دبوس ان يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد فانصرف ابو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ووصل الى مدينة سلا فكتب منها الى اشياخ الموحدين والعرب والمصامدة الذين فى طاعة المرتضى يدعوهم الى بيعته ويعدهم ويمنّيهم فتلقته وفود العرب والهساكرة ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة وكتب الى خاصّته من وزراء المرتضى ان يعلموه باخبار مرّاكش فراجعه ان اسرع السير واقبل ولا تخشع فإن الجند قد فرقناه فى اطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة فقد امكنك وقتها فاسرى ابو دبوس تلك الليلة فاصبح على مرّاكش فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من اهلها وذلك يوم السبت وقت الضحى الثانى والعشرين لمحرّم عام خمسة وستّين وستّ مائة فسار حتى وقف بباب البنود من قصبتها فغلقت الابواب فى وجهه ووقف عليها عبيد المخزن يقاتلونه فلما رءا المرتضى انّ القصبة قد اشتركت

معه

معه خرج من القصر على باب الفاتحة فارّا بنفسه ودخل ابو دبوس القصر فبويع فاستقام له الامر وسار المرتضى الى مدينة ازمور وكان بها صهره ابن عطوش واليا له عليها وكان قد اسرّ فافتكه المرتضى بمال جسيم وزوّجه ابنته وولّاه ازمور فلما فرّ عن مرّاكش قصد اليه ووثق به وبمناصحته فاخذه ابن عطوش واوثقه بالحديد وكتب الى ابى دبوس يقول له اعلم يا امير المومنين انى قد قبضتُ على الشقى واوثقته بالحديد فبعث فيه وحمل وقتل فى الطريق واشتغل ابو دبوس بملك مرّاكش واحائها واتّصل الخبر بامير المسلمين ابى يوسف فكتب اليه ينهيه بالفتح ويطلب منه ان يمكنه بما شرط له وذلك نصف البلاد التى غلب عليها فلما وصله الكتاب ادركه الكبر وداخله العجب وكفر ما اسداه اليه من نعمه وجحد اياديه القديمة ومننه وقال لرسوله قل لابى عبد الرحمان يعقوب بن عبد الحقّ يغتنم سلامته ويقنع بما فى يده من البلاد والا اتيتُه بجنود لا قبل له بها ، فلما وصل الرسول الى امير المسلمين ابى يوسف وابلغه مقاله ودفع اليه كتابه فاذا هو يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم فتحقّق امير المسلمين نكثه وغدره على ما وقع عليه الاتفاق بينهما فخرج الى غزوه فلم يزل يشنّ الغارات على بلاده ويجهز الجيوش الى سنة سبع وستّين فسار امير المسلمين بجميع جيوش مرين فالتقى معه ابو دبوس ببلاد دكالة وكانت بينهما حروب عظيمة فاشرع فيها القتال حتى دخله ابو دبوس بنفسه فقتل وهزم عسكره وانتهبت محلّته واتى براسه الى امير المسلمين ابى يوسف فامر به وحمل الى مدينة فاس فيطوف به فى اسواق المدينة ثم علق على باب المدينة وكان قتل ابى دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذى حجّة من سنة سبع وستّين وستّ مائة فكانت ايامه الف يوم واثنين واربعين يوما يجب لها من السنين سنتان واحد عشر شهرا وسبعة ايام وانقرضت بموته الدولة الموحدية المومنية والملك والبقاء لله الواحد القاهر الذى له الامر من قبل ومن بعد لا ربّ غيره ولا معبود سواه وهو الذى يرث الارض ومَنْ عليها وهو خير الوارثين وكانت جملة ايام ملكهم من يوم بويع المهدى سنة خمس عشرة وخمس مائة الى ان قتل ابو دبوس فى مسلخ سبع وستّين وستّ مائة مائة سنة واثنتين وخمسين سنة وعدد ملوكهم اربعة عشر ملكا ✿

الخبر عن الاحداث التى كانت فى ايامهم من اولها الى انقضائها

اوّل حدث كان فى سنة خمس عشرة وخمس مائة المذكورة قيام المهدى وبيعته وظهور الموحدين فانه لم يزل امرهم يظهر من تلك السنة وسلطانهم يقوى، وفى سنة اربع وعشرين توفّى المهدى وبايع الموحدون عبد المومن بن علىّ، وفى سنة ثمان وعشرين فتح عبد المومن درعة وتادلا ومدينة سلا وبلاد تازا وفيها تسمّى بامير المومنين، وفى سنة تسع وعشرين امر عبد المومن ببناء مدينة رباط تازا فبنيت وحصن سورها، وفى سنة سبع وثلاثين ملك الموحدون شريش وخطب لهم بها وفيها قام ابن زيرى وابن حمدين قاضى قرطبة على المرابطين فاخرجوهم عن قرطبة، وفى سنة تسع وثلاثين جاز جيش الموحدين الى الاندلس وملكوا طريف والجزيرة وهرب عنها المرابطون، وفى سنة اربعين هدم علىّ بن عيسى بن ميمون اللمتونى صنم قادس وفيها ملك الموحدون مالقة وفيها نزل العدوّ المرية بثمانين جفنا فاحرق ارباضها وانصرف عنها وفيها فتح عبد المومن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران واحواز ذلك كلّه وفيها بايعه اهل اشبيلية واخرجوا عنها المرابطين وفيها امر عبد المومن ببناء سور تاجرارت من تلمسان وتحصينها وبنا جامعها، وفى سنة احدى واربعين فتح عبد المومن مدينة مرّاكش واغمات وبلاد دكالة وفيها فتح مدينة سناجة وقتل من بها من المرابطين وانقرضت دولتهم من جميع المغرب والاندلس، وفى سنة ثلاث واربعين فتح عبد المومن سجلماسة وسبتة وفيها غزا برغواطة وفى اخرها قام اهل سبتة على الموحدين وقتلوا عمالهم وحرقوهم بالنار وفيها فتح الموحدون قرطبة وقرمونة وجيان، وفى سنة اربع واربعين ملك الروم المهدية من بلاد افريقية وملكوا من بلاد الاندلس مدينة الاشبونة والمرية وطرطوشة وماردة وابراغة وشنترين وشنتمرية ملكوا ذلك كلّه على يد ابن زربن لعنه الله وفيها اعطى يحيى ابن غانية مدينة ابرة وبياسة وما والاها من الحصون الى النصارى فيملكونها، وفى سنة خمس واربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة بالسيف بعد حصارها سبعة اعوام وقتل اكثر رجالها واخذ اموالهم وسبى حريمهم وفيها بنيت مكناسة تاجرارت المدينة الان وخربت القديمة وفيها امر عبد المومن بجلب الماء من عين غبولة الى سلا فجلب، وفى سنة ستّ واربعين فتح عبد المومن

جبال

جبال وانشريش ومليانة والمرية وجزائر بنى مزغنة وبجاية ، وفى سنة سبع واربعين
فتح عبد المومن مدينة بونة وقسطيلة وقسطنطينة وبلاد العناب والجريد باسره
وجميع زاب افريقية وفيها انتزع الموحدون المرية وابرة وبياسة من ايدى الروم
وملكها المسلمون ، وفى سنة تسع واربعين ملك الموحدون لبلة من بلاد الاندلس
فتحوها عنوة وقتلوا جميع رجالها وسبوا حريمها واموالها وكان بها الحادث الاعظم ،
وفى سنة خمسين وخمس مائة ملك الموحدون غرناطة ثم غرّهم اهلها فقتلوهم ،
وفى سنة ستّ وخمسين فتحوها ثانية بعد حصار شديد ، وفى سنة ثلاث وخمسين
فتح عبد المومن مدينة تونس وسوسة وقفصة والقيروان واسفاقس واطرابلس المغرب
وفتح المهدية وانتزعها من ايدى الروم ، وفى سنة ستّ وخمسين امر عبد المومن
ببناء حصن جبل الفتح فبنى ، وفى سنة ثمان وخمسين توفّى عبد المومن وولّى
ولده يوسف ، وفى سنة تسع وخمسين قام مزدرع ببلاد غمارة ، وفى سنة ستّين
كانت غزوة الجلاب قتل فيها كثير من الروم ، وفى سنة اربع وستّين توفّى الشيخ
الفقيه الصالح ابو عمر عثمان بن عبد الله السلالجى الاصولى صاحب البرهانية وامام
اهل المغرب فى علوم الاعتقاد وفيها كان السيل العظيم باشبيلية ، وفى سنة ستّ
وستّين امر امير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت فبنيت ، وفى سنة سبع
وستّين امر بعقد الجسر على واد اشبيلية فعقد على القوارب وفيها بنا قصبة
اشبيلية وبنيت الرلائيف بسورها وفيها مات محمّد بن سعد بن مردنيش صاحب
بلاد شرق الاندلس وملك الموحدون بلنسية وشاطبة ودانية وجميع عمله ، وفى سنة
ثمان وستّين فيها زلازل عظيم هائل عمّت الزلزلة اكثر بلاد الشام والموصل وبلاد
الجزيرة والعراق واشدّ ما كانت بالشام وهلك فيها خلق كثير حتى خاف الناس
من الافرنج مما تهدمت ومات الناس ، وفى سنة ثمان وستّين هزم ابو بردعة النصرانى
وقتل هو وجميع جيشه على يد الموحديين ، وفى سنة تسع وستّين فى آخر شعبان
توفّى الشيخ الفقيه الصالح الفاضل ابو الحسن علىّ بن اسمعيل بن محمّد بن عبد
الله بن حرزهم بن زيان بن يوسف بن شومران بن حفص بن الحسن بن محمّد بن
عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فدفن بخارج باب الفتوح
من ابواب مدينة فاس وكان فقيها حافظا زاهدا فى الدنيا متصوّفا ذكر عمه
خديمه المذكور بابى قرن قال دعى لى الشيخ ابو الحسن بن حرزهم بالعفو والعافية
وقال لى رايتُ ربّ العزّة فى النوم فقال لى يا علىّ سل حاجتك فقلت يا ربّ اسلك

العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والاخرة فقال لى قد فعلت فما ابالى بنىّ ينقى فان ربّ العزّة امننى ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء ولما دخل شعبان الذى توفّى فيه قال لتلاميذته انى لا اصوم مع الناس من شهر رمضان المستقبل وهو صحيح ليس به الم فلم يبق الا ثلاثة ايام من شعبان فعجبوا من قوله ومات فى اخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ولما كان اليوم الذى توفّى فيه تنظّف وتوضّأ وتطيّب وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتى الا اليوم ثم دخل الى بيته فصلّى ركعتين ونام على فراشه فلما جاء وقت صلاة الظهر اتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتا ، وفى سنة احدى وستّين وخمس مائة توفّى الشيخ الفقيه الصالح ابو شعيب ايوب بن سعيد الصنهاجى المعروف بالسارية كان اذا وقف فى صلاته يطيل القيام وبذلك سمّوه بالسارية وقيل انه من الابدال ، وفى سنة احدى وسبعين وخمس مائة كان الطاعون الشديد بمرّاكش ، وفى سنة اثنتين وسبعين توفّى الفقيه القاضى ابو يعقوب حجاج وفيها عتب امير المومنين يوسف على اخيه الحسن وكتب اليه الحسن هذه الابيات

اذا نحن اذنبنا فعفوك نطلب ... وان نحن قصرنا فما عنك مَهْرَب
جنابك قد عودتنا منك رحمةً ... وانت لنا فى كلّ حالاتنا الاب
ولم نتوعّد قبل حالة زلّة ... ولا حذرا مما يقول المخبّب

فلما وقف على الابيات رضى الله عنه وولّاه قرطبة وفى شوال منها توفّى قطب دهره واعجوبة عصره ابو يعزا يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميرى وقيل هو من بنى صبيح من هسكورة مات وقد نيف على المائة وثلاثين سنة اقام منها عشرين سنة سائحا فى الجبل المشرفة على تينمال ثم انحدر الى السواحل فاقام بها منقطعا ثمان عشرة سنة لا يتعيّش الا من نبات الارض كان اسود كبد اللون طويلا رقيقا يلبس تليسا مطرّقا وبرنوسا مرقعا وشاشية عرف على راسه ، وفى سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة توفّى الشيخ الفقيه العالم المشاور ابو محمّد عبد الله بن المالقى شيخ طلبة الحضر فى وقته وكانت وفاته فى ذى حجّة منها وشهد جنازته امير المومنين يوسف ، وفى سنة ثمان وسبعين توفّى الشيخ الفقيه القاضى الصالح الورع ابو موسى عيسى بن عمران قاضى الجماعة بحضرة مرّاكش وولّى مكانه ابو العبّاس بن مضى القرطبى وكان القاضى ابو عمران احد الاجواد من اهل السخاء والكرم وله كتاب رائق كتبه الى ولد له تركه بمدينة فاس صغيرا قد راهق الحلم

للحلم ، الى ولدى فلان هدا الله وصانه وجمله بالعلم والتقى وزانه كتبت اليكم على اشتياق كثير وبمشيئة الله تعالى تسير الامور وتتكانف السرور واذا وجدتكم على ما احبّه من ادوات للحفظ والادباء والتزام اداب العقلاء جازيتُكم بما يرضيكم وما يزيد على انتفاعكم وقد اجتمعتْ الايمة على ان الراحة لا تنال بالراحة وان العلم لا ينال براحة الجسم فادرس تدرس واحفظ تحفظ واقرا ترتقى ومهما ركنت الى الدعة كنت فى اهله الضعة وما رايت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه وما رايتهم مجتمعين على ذمّه فاجتنبه والادل الاقصد ان تسلك سبيل الوسط وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففى صالح الاعمال نفسك فابذل والسلام ، وفى هذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة ومدينة قلبيج وقتل من بها من الروم وسبى نساؤهم واموالهم ، وفيها توفى الشيخ ابو خزر يخلف بن خزر الاوربى من اهل مدينة فاس وكان احد الفضلاء والعلماء الحفاظ ، وفى سنة ثمانين وخمس مائة توفى امير المومنين يوسف وولى ولده المنصور وفيها دخل المايورقى مدينة بجاية وذلك يوم الجمعة السادس من شعبان والناس فى الصلاة وكان ابواب المدن قبل ذلك لا تسدّ يوم الجمعة فارتقب الناس حتى احرموا للصلاة فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير فادار به الخيل والرجال فمن بايعه خلا سبيله ومن توقّف عن بيعته قُتل فاقام بها سبعة اشهر ثم استرجعت من يده ومن ذلك اليوم احدث الناس غلق ابواب المدن يوم الجمعة فى وقت الصلاة ، وفى سنة اربع وتسعين وخمس مائة توفى الشيخ الصالح قطب زمانه ابو مَدْين شعيب بن الحسن الانصارى اصله من حصن قَطْنيانة من عمل اشبيلية توفى بتلمسان ودفن بجبل العباد وكان مقامه التوكل سمع رعاية المحاسبى عن ابى الحسن بن حرزهم وسمع كتاب السنن لابى عيسى الترمذى على ابن غالب واخذ التصوّف عن ابى عبد الله الدقاق وءاخر ما سمع من كلامه عند الموت الله تعالى الحى القيوم الدائم وقيل توفى فى سنة ستّ وسبعين ، وفى سنة خمس وثمانين جلب المنصور الماء الى مرّاكش ، وفى سنة ستّ وثمانين دخل النصارى مدينة شلف وباجة وبابيرة من بلاد غرب الاندلس ، وفى سنة سبع وثمانين فتح المسلمون قصر ابى دانس ، وفى سنة احدى وتسعين هزم النصارى فى غزوة الارك وقُتل منهم الوف كثيرة ، وفى سنة ثلاث وتسعين بنى رباط الفتح وتمّ سوره وركبت ابوابه وفيها بنى جامع حسان ومناره فلم يتمّ وفيها بنى منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مرّاكش وفيها تمّت قصبة مرّاكش

وجامعها بالبناء ، وفيها توفى الشيخ الصالح الفقيه العالم ابو عبد الله محمّد بن ابراهيم المهدوى صاحب كتاب الهداية قام نحو اربعين سنة لم تفته صلاة فى جماعة ، وفيها توفى الفقيه الصالح ابو عبد الله محمّد بن علىّ بن عبد الكريم الفندلاوى وشهد امير المومنين جنازته وكان رحمه الله من ايمة المغرب فى العلم مقدما فى فنون العلم زاهدا فى الدنيا معرضا عنها مقبلا على الاخرة لزم العبادة والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه الا رسمه وهو القائل

وما ابقى الهوى والشوق منى ... سوى نفس تردّد فى خيال
خفيتُ عن المنية ان ترانى ... وكان الروح منى فى محال

وفى سنة ثمان وتسعين وخمس مائة توفى فيه الشيخ الفقيه الصالح الورع امام القرويين ابو محمّد يشكر الجوراءى وذلك فى ضحى يوم السبت الحادى عشر لذى قعدة من العام المذكور نشا بتادلا واستوطن مدينة فاس بها توفى تفقّه على ابى خزر وسمع من ابى الربيع التلمسانى وصحب ابا الحسن بن حرزهم وابا يعزا وكان ورعا فاضلا اذا دخل عليه شهر رمضان طوا فراشه واخذ فى الاجتهاد فيقطع الليل قائما يختم القرءان فى تسليمة واحدة وقد قيل له ذات ليلة لو رحت نفسك قليلا واعطيتها حظها من النوم لكان اوفق لك فقال انما اطلب راحتها وانشد

لا تجعلن رمضان شهرَ فكاهة ... تُلْهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بانك لن تنال ثوابه ... حتى تكون تقومه وتصومه

وفى سنة ستّ مائة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد وتمّ باب الشريعة وركب مصارعه وفى هذه السنة قام العبيد بجبل ورغة فظهر به وقتل وعلق راسه على باب الشريعة من مدينة فاس واحرق جسده فى وسط الباب وذلك فى اليوم الذى تمّ باب الشريعة المذكور بالبناء وركب مصراعه فسمّى بباب المحروق ، وفى سنة احدى وستّ مائة بنا يعيش عامل النصارى على بلاد الريف سور مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلة حياطة على ذلك من فجاة العدوّ ، وفى سنة اثنتين وستّ مئة ولّى الحفصيون عمالة افريقية ، وفى سنة اربع وستّ مائة جُدّد سور مدينة وجدة وفيها امر الناصر ببناء دار الوضوّ والساقية بازاء جامع الاندلس من فاس وجلب الماء اليها من العين خارج باب الحديد وفيها بنا الباب الكبير المدرج الذى بصحن الجامع المذكور وانفق فى ذلك كلّه من بيت المال وفيها بنا مصلّى

القرويين

القرويّين ، وفي سنة ثمان وستّ مائة توفّي الشيخ الصالح ابو عبد الله بن جرير المعروف بابن تاخميست من اهل فاس وكان كثير الورع وكان له خطّ حسن فكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعه لمن يراه اهلا بها ابتغاء الثواب لم يزل مولعا بطلب العلم ودرسه وتحصيله الى ان مات وهو قائل الشعر

اخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرا يُظنّ من الاحياء وهو عديم

وفي سنة تسع وستّ مائة كانت هزيمة المسلمين بالعقاب فنى فيها عساكر المغرب والاندلس ، وفي سنة عشر وستّ مائة قام ولد العبيد لخروق بفاس بجبل غمارة وادعا انه الفاطمي وتبعه خلق كثير من اهل الجبال والبوادي فبعث اليه الناصر جيشا فظفر به فقتل وفيها توفّي امير المومنين الناصر وولّي ولده يوسف وفيها اقبل بنو مرين من قبلة زاب افريقية فدخلوا المغرب في امم كثيرة وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس وفيها ملك النصارى مدينة ابرة ، وفي سنة ثلاث عشرة وستّ مائة هزم بنوا مرين جيوش الموحدين بفحص التراب فدخل الموحدون مدينة فاس عرايا قد تستروا بالمشعلة فسمّي عام المشعلة ، وفي سنة اربع عشرة هزم المسلمون بقصر ابي دانس بالسيف وقتل منهم العدوّ امما لا تحصى ، وفي سنة خمس عشرة وستّ مائة دخل الفنش قصر ابي دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين ، وفي سنة سبع عشرة كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد وفيها بني برج الذهب بواد اشبيلية ، وفي سنة ثمان عشرة جدّد سور اشبيلية وبنى الحزام البراني وجعل الحفير دائرًا بالحزام ، وفي سنة تسع عشرة فتح الموحدون جزيرة ميرقة ، وفي سنة عشرين توفّي يوسف المستنصر ، وفي سنة احدى وعشرين بويع العادل بمرسية وفيها توفّي امير المومنين عبد الواحد المخلوع ، وفي سنة اثنتين وعشرين قام السيد ابو محمّد البياسي ببياسة ودعا لنفسه وفيها اعطى البياسي بياسة وقيجاطة للنصارى وفيها تغلّب العدوّ على مدينة مربونة من نظير مرسية وقتل جميع من فيها واسر النساء والذراري وفيها اعطى البياسي للفنش نحو العشرين حصنا ومن البروج ما لا يوصف وفيها ملك الفنش قرطبة ودخل طليطلة بالسيف وقتل بها خلق كثير من المسلمين ، وفي سنة اثنتين وعشرين قتل من اهل اشبيلية نحو العشرة الاف قتلهم العدوّ وكانوا خرجوا لاعانة طليطلة وفيها قتل من اهل مرسية خلق كثير وكانوا ايضا خرجوا

لدنة حصن دلاية فهزمهم العدوّ فقتلوا وقتل فى هاتين الكائنتين من اهل بلاد
الموحدين واشبيلية ومرسية الوف لا تحصى حتى خلت المساجد والاسواق ،
وفى سنة ثلاث وعشرين تغلّب العدوّ على مدينة لوشة من بلاد غرب الاندلس وفيها
اعطى البياسى للنصارى شلبطرة وبلامس بذل الناصر فى اخذه الاموال الجليلة
حتى ملكه المسلمون وفيها قتل البيسى بحصن المدور وقتله ابن بيروك وحمل
راسه الى اشبيلية وفيها اخذ النصارى مدينة كبانة وفيها تقاتلت عرب الخلط
مع الموحدين بالعدوة فهزمهم الخلط ، وفى سنة اربع وعشرين اشتدّ الغلاء بالمغرب
والاندلس بيع قفيز القمح خمسة عشر دينارا وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب
وفيها دعا اهل اشبيلية السيد ابا العلا بن المنصور وفيها ملك النصارى جزيرة
ميورقة وفيها توفّى العادل وبويع يحيى بن الناصر وبويع المامون ، وفى سنة خمس
وعشرين قام ابن هود الملقب بالمتوكل بحصن الاردونة من بلاد شرق الاندلس وبايعه
اهل مرسية على الخلافة العبّاسية وفى سنة ستّ وعشرين وستّ مائة كان السيل
العظيم بمدينة فاس هدم من سورها القبلى مسافتين وهدم من جامع الاندلس
ثلاث بلاطات ودورا كثيرة وفنادق من عدوة الاندلس وفيها ملك ابن هود شاطبة
ودانية وفيها ملك النصارى حصن جبل العيون من ثغر بلنسية وفيها قتل
القاضى المستلج بمرسية قتله ابن هود وفيها ملك ابن هود غرناطة وقتل من بها
من الموحدين وفيها ملك ابن هود جيان وفى ذى قعدة منها بايع اهل قرطبة لابن
هود واخرجوا منها الموحدين وقتلوهم وفيها تسمّى ابن هود بامير المسلمين وفيها
جاز المامون الى العدوة وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين لصفر الموافق لاخر يوم
من دجنبر كان الحادث الاعظم على ميورقة واعادها الله للاسلام ، وفى سنة ثمان
وعشرين كانت هزيمة ماردة على المسلمين وفيها دخل العدوّ ماردة بالسيف وفى شعبان
منها ملك العدوّ مدينة بطليوس واحوازها وفى رجب منها ملك ابن هود
جبل الفتح والخضراء ولم يبق للموحدين بالاندلس امر ولا نهى ، وفى سنة تسع
وعشرين قام السيد ابو موسى على اخيه المامون بسبتة وفيها قام محمّد بن يوسف
بن نصر الشهير بابن الاحمر ودعا الناس الى بيعته فبايعه اهل ارجونة وتسمّى بامير
المسلمين ، وفيها ملك العدوّ مدينة مورالة من عمل سرقسطة ، وفى سنة ثلاثين
وستّ مائة توفّى المامون وولّى ولده الرشيد وفيها ملك ابن هود سبتة فاقامت على
ملكه ثلاثة اشهر فخلعوه وبايعوا احمد البيناشتى وتسمّى بالموقّف ، وفيها رجعت

قرطبة

قرطبة وقرمونة لمحمّد بن يوسف بن نصر وفيها بويع القاضى الباجى باشبيلية
وفيها عقد ابن هود الصلح مع العدوّ لاشتغاله لقتال ابن الاحمر والباجى فصالحه
فى الف دينار فى كل يوم وفيها خلت بلاد المغرب وكثر بها الجوع والوباء ووصل
فيها قفيز القمح ثمانين دينارا ، وفى سنة احدى وثلاثين وقعت المقاتلة بين ابن
الاحمر وابن هود والباجىّ على مقربة من اشبيلية فهزماه وفيها قتل ابن الاحمر الباجىّ
بعد الهزيمة غدرًا ودخل اشبيلية فاقام بها شهرًا واخرجه اهلها وفى جمادى الاخرة
منها ثار شعيب بن محمّد بن محفوظ بلبلة وتسمّى بالمعتصم وفى شوال منها صالح
ابن نصر ابنَ هود وبايعه على جيان وارجونة واحوازها وبركونة ، وفى سنة اثنتين
وثلاثين وستّ مائة نزل العدوّ جزيرة يابسة خمسة اشهر حتى دخلها وفيها نازل
الجنويون سبتة باجفان لا تحصى ونصبوا عليها المنجنيقات فلم يقدروا منها على شئ ،
وفى سنة ثلاث وثلاثين اقلع اهل جنوة عن مدينة سبتة بعد الحصار الشديد
والتضييق العظيم ونصب المجانيق الهايلة وآلات الحرب المعدّة فصالحهم اهلها
باربع مائة الاف دينار وفيها غدر النصارى شرقية قرطبة وذلك فى ثالث شوال غبشا
فى غفلة السحار وسلّم الله عزّ وجلّ النساء والذرارى حتى لحقوا بالمغربية وبقى الناس
معهم فى قتال شديد ولم يزل الغربية محصورة الى ان اخذت وملكها النصارى اجمع
وفيها انعقد الصلح بين ملك قشتيلة وابن هود لاربعة اعوام باربع مائة الاف
دينار فى السنة وفيها قتل امير المومنين الرشيد اشياخ الخلط ، وفى سنة خمس
وثلاثين بايع اهل اشبيلية للرشيد وبايعه اهل سبتة وفيها اشتدّ الغلاء والوباء فى
العدوة فباكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن فى الحريق الواحد المائة من الناس ،
وفى سنة اربعين توفّى الرشيد وولّى اخوه السعيد ، وفى سنة ثلاث واربعين ملك الامير
ابو يحيى مدينة مكناسة ، وفى سنة اثنتين واربعين ملك النصارى مدينة بلنسية ،
وفى سنة اربع واربعين ملك النصارى مدينة جيان ، وفى سنة ستّ واربعين توفّى
ابو الحسن السعيد وفى هذه السنة ملك العدوّ مدينة اشبيلية وفيها ملك
الامير ابو يحيى مدينة فاس ورباط تازا وفى هذه السنة وقع الحريق باسواق
فاس فاحترق اسواق باب السلسلة باسرها الى تمام الرحبة وفيها ولّى المرتضى
بمرّاكش ، وفى سنة ثلاث وخمسين كانت هزيمة المرتضى ببنى بهلول
من احواز فاس ، وفى سنة خمس وستّين قتل المرتضى بمرّاكش وولّى ابو
دبوس ، وفى سنة سبع وستّين قتل ابو دبوس وهزم جيشه وملك امير

المسلمين مدينة مرّاكش واحوازها فدخلها يوم الاحد التاسع من محرّم من سنة ثمان وستين وستّ مائة ✿

الخبر عن دولة السعيدة العبد الحقية المرينية اطالها الله وخلد ملكها واعلى كلمتها وايدها وذكر نسبها الصريح وقيامها بالحق والاعتقاد الصحيح واخبار ملوكهم وفتوحهم وغزواتهم وسيرهم الجميلة ومآثرهم وايثارهم

قال المؤلف عفا الله عنه اما بنوا مرين فهم اعلى قبائل زناتة حسبا واشرفها نسبا واعزّها كرما واحسنها شيما وارعاها ذماما وارجحها احلاما واشدّها في الحروب باسا واقداما واكثرها دينا واحسنها ظنّا واصحّها يقينا واوثقها عقدا واوفاها عهدا واوفرها عددا واطولها في الشدائد يدًا لهم شرف اللجاء وحفظ الجوار وحماية الذمار ووقود النار واكرام الضيف والضرب بالسيف والبعد عن الغدر والعار والحب في الادب والدين واكرام العلماء وتوقير الصالحين لم يزالوا على هذه السنن القديم والمنهاج المستقيم يعرفون به في الحادث والقديم ابقاهم الله تعالى متصلة ايامهم منصورة اعلامهم نافذة احكامهم ماضية في الاعداء سيوفهم واعلامهم بمنّه وكرمه ✿

الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالي الصحيح

قال المؤلف عفا الله عنه نقلتُ من تقييد الفقيه ابي عليّ المليانى بخطّ يده قال بنوا مرين فخذ من زناتة وهم من ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيب بن المعزّ بن ابراهيم بن سجيج بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زكرياء بن ورسيك بن زانات بن جانا بن يحيى بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت اوّل ملك البربر بن رجيح بن مادغيس الابتر بن بر بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ومن زانات بن جانا تفرّقت قبائل زناتة فهم عرب صريح ، والسبب في تغيير لسانهم عن اللغة العربية

الى اللغة البربرية مما ذكره العلماء عنى علماء التواريخ واهل المعرفة بالانساب وايام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان الياس وغيلان امّهما الرباب بنت حيدة بن عمر بن معد بن عدنان فولد غيلان بن مضر ولدين قَيْسًا ودهمان ابنى غيلان واما دهمان غولده قليل وهم اهل بيت من قيس يقال لهم بنوا امامة، واما قيس بن غيلان فولد اربعة رجال وجارية وهم سعد وعمر وحفصة امّهم مزنة بنت اسد بن ربيعة بن نزار وبرّ واخته تماضر امّهما بريغ بنت مجدل بن مجدول بن عمار بن مضر البربرى المجدولى وكانت قبائل البربر اذذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والاسواق والمراعى ويشاركونهم فى المياه والمسارح والمساعى ويصاهر بعضهم بعضا وكانت البها بنت دهمان بن غيلان بن مضر من اجمل نساء زمانها واكملهن شرفا وحسنا وكثر خطابها من كلّ قبيلة من العرب فعدل بنوا عمّها قيس وهم عمر وسعد وبرّ وحفصة لا يتزوّج بنت عمّنا الا احدنا ولا تخرج منّا الى غيرنا فخيّروها فيمن شاءت منهم فاختارت برًّا وكان اصغرهم سنًّا واكملهم شرفا فتزوّجته دون اخوته فحسدوه عليها وهمّوا بقتله من اجلها وكنت امّه بريغ من دُهاة النساء فخافت على ولدها من اخوته فبعثت الى البها بنت دهمان واعلمتها بالخبر وترضت معها على الخروج الى بلد اخوتها من البربر مع ولدها برّ حيث تأمن عليه ثم بعثت الى قومها فاتوها سرًّا فسارت معهم هى وولدها برّ وكنتها البها فلحقوا بلاد البربر فنزل برّ بين اخواله واعرس بابنة عمّه البها واعتزل وامتنع ممن اراده بالسيف فولدت له هناك البها ولدين علوان ومادغيس ابنى برّ بن قيس بن غيلان، فاما علوان فمات صغيرا ولم يعقب واما مادغيس بن برّ فكان يلقب بالابتر وهو ابو البتر من البربر واليه يرفعون انسابهم من ولد جميع زناتة وفى ذلك يقول بعض ولد مادغيس فى برّ

يايها السائل عن احسابنا قيس غيلان بنو العزّ الاوّل
نجدها نحنُ برّ الندا طارد الازمة نخار الابل

ولبعض العرب فى معناه

الا ايها الساعى لبرقة بيننا توقّف هداك الله سبل الاطائب
فاقسم انا والبرابر اخوة نمانا وهم جدّ كريم المناسب
ابونا ابوهم قيس غيلان فى الورلى لهم حرمة تشفى غليل المحارب
فنحن وهم ركنٌ منيعٌ واخوة على رغم اعداء لئام المناقب

فات برّ بن قيس فى بلاد اخواله فنشا ولده مادغيس وذرّيته فى البربر حتى كثروا وساروا الوفًا لا تعدّ ولا تحصى لسانهم بلغتهم ناطق وحالهم بحالهم وافق مطابق يسكنون البرارى والسباسب ويركبون الخيل والنجائب ناطقين بافصح لغاتهم اخذين باحسن سيرتهم ومنهاجهم وبذلك رثت برًّا اخته تماضر بنت قيس تبكيه وتذكر بُعْدَه عن وطنه وترثيه وذريته فى اشعار كثيرة منها

لتبكى كلّ باكية اخاها	كما ابكى على برّ بن قيس
تحمل عن عشيرته فاضحى	ودون القاة انضاء عنس

وفى القائلة ايضا

وشطت ببرّ داره عن بلادنا	وطرّح برٌّ نفسَهُ حيث يمما
واورثت برّ لكنة اعجمية	وما كان برّ بالحجاز باعجما

وفى ذلك يقول صاحب ارجوزة نظم السلوك فى اخبار من نزل المغرب عبد العزيز الملزوزى

فجاورتْ زناتةُ البرابرا	فصيّروا كلامهم كما ترا
ما بدّل الدهرُ سِوَى اقوالهم	ولم يبدّل منتهى احوالهم
بل فعلهم اربى على فعل العرب	فى الحال والايثار ثم فى الادب
فانظر كلامَ العرب قد تبدّلا	وحالهم عن حاله تحوّلا
لا يعرفون اليوم ما الكلام	وما لهم نطق ولا افهامُ
وان تمادت بهم الاحوال	لم تبق فى الدهر لهم اقوال
كذاك كانت قبلهم مرين	كلامهم كالدرّ اذ يبين
فاتخذوا سواهم خليلا	فبدّلوا كلامهم تبديلا

الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنى المعجب

لمّا اراد الله تعالى باظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العدلية الحقية ومحو الدولة الموحدية المومنية لِمَا سبق فى علمه وقدره فى مبرم حكمه كان من تقدم من الموحدين اولى حزم وراى ودين الى ان كانت وقعة العقاب فادنت دولتهم بالذهاب فرجع الناصر منها ذا انكسار فدخل مرّاكش فلم يزل امرُه فى ادبار الى ان مات فى سنة عشرة مفجوعًا وولّى ولده المنتصر صبيًّا صغيرًا هلوعًا لم يبلغ الحلم ولا جرب الامور فاعتكف على اللهو واللعب والخمر وسلّم الملك على اعمامه وقرابته

وفوّض اموره الى وزرائه واشياخ دولته فتحاسدوا فيما بينهم على الرياسة وناقض بعضهم بعضا تكبّرًا ونفاسة وادرك روًساءهم الاعجاب فاضاعوا الامور وغلظوا الحجاب وقطعوا الارحام وجاروا فى الاحكام وولّوا امورهم سفلتهم وتحكم عليهم اسرارهم فبدا الفساد فى ملكهم وظهر النقص فى دينهم وبلادهم وولّت ايامهم وادبرت سعودهم فجعل الله باسهم بينهم وبعث لفنائهم عصبة مرين وايّدهم عليهم فاصبحوا ظاهرين ومكّنهم فى الارض وجعلهم ايمة وجعلهم الوارثين وكان بنوا مرين اهل تصميم وصحّة يقين يسكنون القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ينتقلون فى تلك البرارى والقفاز ولا يودّون لامير درهما ولا دينارا ولا يدخلون تحت حكم سلطان ولا يرضون بذلّ ولا هوان لهم همم عالية ونفوس سامية لا يعرفون الحرث ولا التجارة ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارات جلّ اموالهم الخيل والابل والخول وطعامهم اللحم واللبن والعسل وكانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب فى زمان الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون انعامهم فاذا توسّط الخريف اجتمعوا ببلاد اجرسيف ثم يشدّون رحالهم وينصرفون الى بلادهم كان ذلك دابّهم على مرّ الزمان وتعاقب الاحيان، فلمّا كان فى عام عشرة وستّ مائة اتوا على عادتهم من البرية فوجدوا المغرب قد باد اهله ورجاله وفنا خيله ورجاله وابطاله ومات الكلّ بغزوة العقاب واستولى على بلادهم الخراب وعمرتها السباع والذياب فاقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فاخبروهم بحال البلاد وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعها وكثرة مياهها ومشارعها والتفات اشجارها وغزر ثمارها واطراد عيونها وانهارها فاسرعوا اليها فليس بها من يصدّكم عنها ولا ينازعكم فيها فوصل الخبر الى مرين فبادروا الى المغرب منقلبين وعلى الله عزّ وجلّ فى امورهم متوكّلين يقطعون المهامة والسباسب على ظهور الخيل والنجائب يرومون الدنوَ والبلاغ حتى وصلوا الى واد تلاغ فدخلوا المغرب من تلك الباب بالخيل والابل والمراكب والقباب فى جيوش كالسيل والليل المغمر وامم كالنمل او كالجراد المنتشر وذلك لامر قد قدر وليظهر ما كان فى الغيب مجهولا وليقضى الله امرا كان مفعولا

قدمتْ مرين الى بلاد المغرب	والسعد يصحبها بخيل المطلب
فى عام عشرة كان بدو دخولهم	من بعد ستّمئيّة فاحفظها واكتب

وقال ابو فارس فى رجزه

فى عام عشرة وستّمائة	اتوا الى المغرب من البرية

جاءوا من الصحراء والسباسب   على ظهور الخيل والنجائب
كمثل ما قد دخل الملثمون   من قبل ذاوهم لهم ميممون

وكانت ملوك الموحدين فى تلك السنين قد تهاونوا بالامور واشتغلوا باللهو والخمور وركنوا الى القيد فى القصور فادنى بهم ذلك الى القصور

فدخلت بنوا مرين المغرب   والقدر يسوقهم لملكه ويقرب

فانتشروا فى بلاده كالجراد وملات عساكرهم لجنود والوهاد فلم يزالوا ينتقلون فى بلاده ويسيرون فى نجوده ووهاده ويقطعون به مرحلة مرحلة حتى ابادوا الجيش عام المشتعلة وهو عام ثلاثة عشر وستّ مائة، قال المؤلف عفا الله عنه حدثنى من اثق به من اهل التاريخ انه لما دخل مرين المغرب تفرّقت قبائلها فى انحائه وشنّوا الغارات على بلاده وارجائه فمَنْ اذعن لهم بالطاعة سالموه ومن بداهم بالحرب قاتلوه وقصموه وفرّ الناس امامهم يمينا وشمالا ولجوا الى الجبال المنيعة لتكون لهم حصنا ومالا فاتّصل خبرهم بيوسف المنتصر فاطرق فى امورهم يفكّر ويدبّر ثم دعا الوزراء واشياخ الموحدين وشاورهم فى امر بنى مرين فقالوا يا امير المومنين لا تهتم بامرهم ولا يشتغل خاطرك بهم فهم اضعف نصرا واقلّ عددا ولاكنا لا نترك لهم سدا بل سنبعث لهم جيشا من الموحدين يبددهم فى الحين يقتل رجالهم وينهب اموالهم ويسبى نساءهم ويشدّد بهم من خلفهم ويشعف بهم من سواهم فبعث اليهم بجيش من عشرين الفا من الموحدين وقدّم عليهم ابا علىّ بن واندير وامرهم باستئصال مرين وقال لهم اقتلوا الوالد والولد ولا تبقوا منهم احدا فارتحل الجيش عن مرّاكش قاصدا للحرب والتناوش، فسمعت مرين باقبالهم فتاهبوا لحربهم ونزالهم وتلافت قبائلها وتشاور رؤساؤها واقيالها فاجتمعت كلمتهم واتّفق رايهم وقولهم ان يجعلوا بقلعة تازوطا حريمهم واموالهم ثم اقبلوا مستعدّين لقتال جيش الموحدين فالتقى الجمعان بمقربة من واد تكور فكان بينهم حرب عظيمة مذكورة منح الله تعالى فيها بنى مرين النصر على الموحدين فهزموهم وقتلوهم قتلا ذريعا وفرّ من افلت منهم خائفًا جزوعًا واحتوت مرين على جميع ما كان فى محلّتهم من الاثاث والمال والعدد والخيل والبغال فقويت مرين بذلك قوة عظيمة وشكروا الله تعالى على ما خوّلهم من نعمه الجسيمة وهابهم جميعُ من بالمغرب من الناس ودخل فلّ جيش الموحدين الى رباط تازا ومدينة فاس حُفَاة عراة منهزمين بالمشعلة محتزمين وباوراقها مستترين قد علاهم الغبار واعتراهم الادبار وبدت عليهم الذلّة والصغار دموعهم

مرسلة

مرسلة وقلوبهم بالحزن مشعلة فسمّى العام عام المشعلة وفيه قوى امر بنى مرين وضعف ملك الموحدين فخلت بلادهم وقلّ خراجهم وفنا اشرافهم وقتل حماتهم وانصارهم وجعل الله باسهم بينهم فكان اشياخهم يولّون سلطانا ثم يخلعونه ويولّون غيره ثم يقتلونه وينهبون ذخائره وامواله ويقتسمون خوله وعياله فخلعوا عبد الواحد ثم قتلوه وبايعوا بعده العادل ثم دخلوا عليه فخنقوه وبعثوا الى المامون ببيعتهم ثم نكثوا وبايعوا ابن اخيه يحيى فى الحين وما تلبثوا فضعف ملكهم بذلك ودوى وظهر مرين واعتزّ وقوى ✿

الخبر عن الامير المبارك ابى محمد عبد الحق

هو الامير ابو محمّد عبد الحقّ بن الامير ابى خالد محيو ابن ابى بكر بن حمامة بن محمّد الزناتىّ المرينىّ ثم الحمامىّ امير بن امير الى مرين بن ورتاجن بن مخوخ شهد والده ابو خالد محيو ابن ابى بكر غزوة الارك مع امير المومنين المنصور متطوّعا فعقد له فى ذلك اليوم على جميع من فى عسكره من زناتة وابلى بلاءً حسنا وتوفّى رحمة الله عليه فى سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة ببلاده من قبلة زاب افريقية بعد انصرافه من غزوة الارك المذكورة من جراحات نالته من تلك الغزوة فانتقضت عليه فمات شهيدا فقام بامر بنى مرين بعده ولده الامير ابو محمّد عبد الحقّ وكان فى بنى مرين مشهورا بالتقى والفضل والدين والصلاح والبركة واليقين معروفا بالورع والعفاف موصوفا فى احكامه بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويوثر على المساكين ويحنوا على المستضعفين كانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة كانت قلنسوته وسراويله يتبرّك بهما فى جميع احياء زناتة يحملون الى الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع فيهوّن الله تعالى عليهن الوضعَ ويسهل عليهن الولادة ببركته وكانت بقية ماء وضوءه يحملها الناس فيستشفون بها لمرضاهم وكان رحمه الله على سنن اهل الفضل يسرمد الصوم فلا يزال صائمًا فى شدّة الحرّ والبرد ولا يُرا مفطرا الا فى ايام الاعياد خاصّة كثير الذكر والتسبيح والاوراد لا يفتر عن الذكر على اى حالة كان ولا ياكل الا الحلال المحض من طيب كسبه من لحوم ابله وغنمه والبانها ومما يعانيه بيده من الصيد فكان فى قبائل مرين علمًا مشهورًا واميرًا مطاعًا مذكورًا يقفون عند امره ونهيه ولا يصدرون فى جميع

امورهم الا عن رايه وكان قليل الولد فريدًا فى العدد فنام ليلة بعد ان فرغ من ورده واكثر من ذكر الله وحمده فرءا فى منزلته منامة كانت له ولعقبه دليل الملك والامامة ورءا كان قبس نار خرج من ذكره فيعلى فى الهواء وارتفع حتى احتوا على اقطار المغرب فاجتمع واستولى على جهاته الاربع فقصّ روياه على بعض الصالحين فقال ابشر ولا تخف منها فهى لك عزّ وتمكين هذه رءيا جليلة لك ولعقبك بها شرف وفضيلة دلّت على الملك والتعظيم والتاييد والتفخيم انك تلد اولادا ذكورا يكون لهم فخر مذكور وشرف مشهور يملك المغرب منهم اربعة تكون الامة على ءاخرهم مجتمعة فيكون لهم التقديم والرياسة والامارة والسياسة يتورّث الملك فى بنيهم واعقابهم وبهم يستقرّ الامر فى نصابه ، فكان الامر كما نصّ عليه ولم يمت حتى رءا ما ذكر له قد صار اليه فلك امر بنى مرين اجمع وتوارث الامر بعده بنيه الاربع ، وفى شهر ذى حجّة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الامير ابو محمّد عبد الحقّ بجيش بنى مرين الى رباط تازا فوقف بازاء زيتونها فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشد من قبائل من تسول ومكناسة وغيرهم فقتل العامل وهزم جيشه وجمع ابو يحيى الاسلاب والخيل والسلاح وقسّم ذلك كلّه فى قبائل مرين ولم يمسك منها شيا وقال لبنيه اياكم ان تاخذوا من هذه الغنيمة شيًا يكفيكم منها الثنا والظهور على اعدائكم ، وفى شهر جمادى الاخرة من سنة اربع عشرة وستّ مائة كانت الملاقات بين قبائل مرين وعرب رياح ومن ظافرهم من بنى عسكر وكانت رياح اقوى قبائل عرب المغرب واشجعها لكثرتها خيلا ورجالا واموالا ولما اقبلوا لقتال مرين وسمعت بنوا مرين باقبالهم اجتمعوا الى اميرهم ابى محمّد عبد الحقّ فقالوا له انت اميرنا ورئسنا فما ترا فى امر هؤلاء العرب المقبلين الينا فقال لهم يا معشر مرين اما ان كنتم فى امركم مجتمعين وفى احوالكم متفقين وكنتم جميعا فى حرب عدوّكم اعوانا وفى ذات الله اخوانا فلا اخشى ان تلاقى بكم جميع اهل المغرب ولئن اختلفت اقوالكم وشتّت اراؤكم ظفر بكم اعداؤكم فقالوا له انا نجدّد لك ببيعة على السمع والطاعة وعلى ان لا نختلف عليك ولا نفرّ عنك الى ان نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله تعالى ، فالتقى الجمعان بقرية من واد سبوا على اميال من تافرطست فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها الامير ابو محمّد عبد الحقّ وولده ادريس فغضبت مرين لقتل اميرها واسفت لموت رئسها وكبيرها وتراجعت كالاسد زهيرها وهريرها

واقسمت

واقسمت بايمانها الّا يدعن حتى ناخذوا بثاره ونحمى دماره فحملوا على رباح حملة الاسد على الثعالب وانقضوا فى جيوشهم انقضاض البزات فى اليعاقيب فصبروا لقتال رباح صبرا جميلا ورءاوا ان لا محيد عن الموت فى حربهم ولا تحويلا فاشتدّ الحرب بينهم والكفاح وقتل منهم خلق عديد وسار من بقى منهم مهزوما شديدا واحتوت مرين على جميع ما كان فى حللهم من الاموال والعدد والثياب والخيل والابل والدوابّ واقام بامرهم بعد موت ابى محمّد عبد الحقّ اميرهم ولده عثمان ، قال المؤلف عفى الله عنه اخبرنى الفقيه القاضى ابو محمّد عبد الله بن الولدون واخوه الفقيه ابو الحجاج يوسف انهما قدما على امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ رحمه الله ورضى عنه فى وفد اهل مدينة فاس من الشرفاء والفقهاء والصلحاء بمدينة رباط الفتح وذلك فى شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وستّ مائة للسلام عليه حين قدم من مدينة مرّاكش يريد الجواز الى الاندلس برسم الجهاد فجرا فى مجلسة رحمه الله ذكر والده الامير ابى محمّد عبد الحقّ فقال امير المسلمين ابو يوسف كان والله الامير عبد الحقّ صادق اللسان اذا قال فعل واذا عاهد وفا لم يحلف قط بالله تعالى برًّا ولا حنثا ولا شرب مسكرا ولا ارتكب فاحشة ببركة ازاره تضع الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع وكان يسرد الصوم ويقوم اكثر الليل واذا سمع بصالح او عابد قصد لزيارته واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم وكان مع ذلك سما لاعدائه قاهرًا لهم وما وجدنا الا بركته وبركة من دعا له من الصالحين ☆

الخبر عن دولة الامير ابى سعيد عثمان بن عبد الحق

قال المؤلف عفا الله عنه لما فرغ بنوا مرين من قتال رباح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى امير ابى سعيد عثمان بن عبد الحقّ فعزّوه عن ابيه واخيه وبايعوه عن رضاء منهم وتنويه فاخذ فى غسل ابيه ودفنه وقلبه يتلهب بالاسا من حزنه فلما فرغ من شانه وقف بين قومه واخوانه فامر بجمع السلب والاموال فقسمها بين قبائل مرين بالسوية والاعتدال ثم سار الى غزو رباح وحلف الا يكفّ عنهم حتى يقتل منهم بابيه مائة شيخ من اشرافهم فقتل منهم خلقا عديدا فلما رءات رباح ذلك اذعنوا له بالطاعة فكفّ عنهم على مال جليل يؤدونه فى كلّ عام وفى هذه المدّة

ضعفت دولة الموحدين وظهر فيها النقص وتبين اى تبين وصارت ملوكهم ليس لهم حكم فى البوادى وانما سلطانهم وامرهم فى المدائن خاصّة وكثرت الفتن بين القبائل واشتدّ الخوف فى الطرقات والمشاهد ونبذ اكثر الناس الطاعة وفارقوا الجماعة وقالوا لولانهم لا سمع ولا طاعة فاستوى الدنى والشريف واكل القوى الضعيف وكان مَنْ قدر على شىء صنعه ومن اراد شرًّا ابتدعه ليس لهم سلطان يكفّهم ولا امير يردّهم ويصدّهم وكانت قبائل فازان من جناتة وقبائل العرب والبربر يقطعون الطرقات ويغيّرون على القرى والمجاشر مع الاحيان والاوقات فلما رءا الامير ابو سعيد بن عبد الحقّ ملوك الموحدين قد ضعفت دولتهم وضيعوا حرمتهم واهملوا راعيتهم واعتكفوا فى قصورهم واحتجبوا عن مهمّات امورهم واشتغلوا بالخمر والغوانى وتلذّذوا باللهو وسماع الاغانى ورءا ان ضلالهم قد تبيّن وغزوهم على مَنْ له قوة قد تعيّن وخلعهم اوجب الوجائب لعجزهم عن القيام بالحقّ الواجب فجمع اشياخ مرين وندبهم الى القيام بامر الدين والنظر فى مصالح المسلمين فوجدهم الى ذلك مسرعين فسار بجيوشهم الوافرة وجنودهم المنصورة الظافرة فى بلاد المغرب وقبائله وجباله واوديته ومناهله فمن سارع الى بيعته ودخل فى طاعته ءامنه ووضع عليه الخراج وتركه امنا منيعا ومَنْ خادعه ونابذه اباده نهبا وقتلا وغادره سريعا ، فكان اوّل مَنْ بايعه من قبائل بالمغرب هوارة وزجارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة فوضع عليهم الخراج واخرج لهم الحفاظ وصالح اهل مدينة فاس ومكناسة ورباط تازا وقصر عبد الكريم على اموال معلومة يودونها اليه فى كلّ سنة على ان يومن بلادهم ويرفع عنهم الغارات ويرفع عنهم اذى مَنْ كان يوذيهم من القبائل ، وفى سنة عشرين وستّ مائة غزا الامير ابو سعيد بلاد فازان ومَنْ بها من قبائل جناتة فاثخن فيهم حتى اذعنوا له بالطاعة وكفّوا اذاهم عن الناس واستكفّوا عن الفساد ، وفى سنة احدى وعشرين غزا مَنْ بفحص ازغار من القبائل والعرب فاباده واخلا البلاد منهم وكان رحمه الله شديد الحزم ذا نجدة وشجاعة وعزم له راى سديد وعضد شديد وكرم وايثار وحماية الذمار وحفظ للجار وحياء والدين والفضل مستنبين معظما للفقهاء مكرما للصلحاء سلك بذلك منهاج ابيه وطريقته ولم يزل على ذلك حتى توفّى رحمه الله اغتاله علج كان له رباه صغيرا ضربه بحربة فى منحره فمات من حينه وذلك فى

في سنة ثمان وثلاثين وستّ مائة فكان ايام امارته على مرين وبواد المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين اليه ثلاث وعشرين سنة وسبعة اشهر *

الخبر عن دولة الامير ابى معرف محمد بن عبد الحق رحمه الله

لما قتل الامير عثمان بن عبد الحق اجتمعت اشياخ مرين الى اخيه محمّد فبايعوه على السمع والطاعة وان يحاربوا مَنْ حارب ويسالموا من سالم فاستقام له امرهم وسار فيهم بسيرة اخيه وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه وكان رحمه الله شهما بطلا شجاعا مؤيدا منصورا مهابا مطاعا كثير الغارات حسن السياسة والمحاولة لا يفتر فى ايامه عن قتال ولم يزل مرتكبا للحرب والاهوال عارفا بمكائد الحرب وخدعه فكان كما وصفه الشاعر فى مدحه

ثمّ ولى من بعده محمّد	وكان فى اموره مُسدّد
فكان لا يفتر عن قتال	مُواظبا للحرب والنزال
كم عسكر لقا وكم حشود	ومن جموع جمة الجنود
وكم من جيش جاء من مراكش	افناه فى الحروب والتنناوش
نهاره وليله طعان	لاكنه مؤيد معان

وكان الامير ابو معرف مع ذلك مبارك الامارات ميمون النقيبة حسن الادارات ذا عقل ودهاء وراى وصدق ووفاء اذا صال افنا واذا اعطى اغنا واذا رءا الفرصة انتهزها لم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون اليه خادمين الى ان كانت سنة اثنتين واربعين وقد تمكّن فى الملك اى تمكين فاخبر السعيد بشدّة باسه وجلاده وانه قد استحوذ على اكثر بلاده فبعث اليه بجيش كثيف من عشرين الفا فارس من قبائل الموحدين والعرب وعسكورة وقواد الروم فسار الجيش قاصدا اليه فسمع الامير ابو معرف باقباله فاستعدّ لقتاله وعوّل عليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بصخرة ابى بياس من احواز مدينة فاس فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها من اوّل النهار الى ءاخره فلما كان فى العشى قتل الامير ابو معرف محمّد بن عبد الحق قتله زعيم من الروم فى المعتركة تحاملا فطمرت به الفرس فامكنت الرومى منه الغرّة فطعنه فمات رحمه الله وانهزمت مرين واتخذوا الليل جملا فساروا طول ليلتهم بحللهم وعيالاتهم واموالهم فاصبحوا بجبل غياثة فتمتّعوا بها اياما

وكانت هذه الوقعة وموت الامير ابى معرف عشى يوم الخميس التاسع من جمادى الاخرة سنة اثنتين واربعين وستّ مائة وولّى مكانه الامير اخوه ابو يحيى بن عبد الحق رحمه الله ✿

الخبر عن دولة الامير الاجل ابى يحيى بن عبد الحق

هو الامير ابو بكر بن عبد الحقّ بن محيوا بن ابى بكر بن حمامة الزناتى المرينى الحمامى كنيته ابو يحيى امّه حرّة عبد الواديّة صفته ابيض اللون مشوبا بحمرة تامّ القامة سبط الجسم حسن الوجه مطلق اليدين يضرب بكلتا يديه ويرمى بحربتين فى حالة واحدة فارسا شجاعا بطلا لم يكن فى زمانه مثله ذا حزم وعزم ضرغام كان فى الحرب فريد عصره ونسيج وحده يقوم فى الجيوش مقام جنده وكانت الابطال تهاب مبارزته والزعماء يخافون محاربته ومنجزته وكان مع ذلك كريما جوادا كالغمام يعطى عطاء تعجز عنه الملوك العظام واف بالعهود صادق فى الاقوال والوعد فاق ملوك الارض بالزعامة وفى الوفاء والصدق والكرامة هو اوّل ملك من بنى مرين جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد قد اعطى النصر والتمكين فكان عنوان سعد بنى مرين ، لما تمّت بيعته واستقرّت فى الملوك خلعته كان فى اوّل شئ فعله انه جمع اشياخ قبائل مرين فقسم عليهم بلاد المغرب فانزل كلّ قبيلة فى ناحية منه وجعل لها منزلة فيه من الارض وما غلب عليه من البلاد نعمة لا يشركهم فيها غيرهم وامر كلّ واحد من الاشياخ ان يركب الرجال ويستكثر من الفرسان للقتال ثم سار هو بجملته فنزل جبل زرهون باخوانه وجملته فكان يغادى مدينة مكناسة بالقتال ويراوحها حتى غلب عليها وملكها وذلك فى سنة ثلاث واربعين وستّ مائة فى ايام السعيد الموحد فتحها صلحا على يد شيخها ابى الحسن بن ابى العافية فاتّصل بالسعيد ملك الموحدين تملّك ابى يحيى اياها فخرج الى قتاله من مرّاكش فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والمصامدة والعرب والروم فسار حتى وصل الى واد بهت فنزل عليه واخذ فى تمييز جيوشه فخرج الامير ابو يحيى ليلا وحده من مكناسة متحسّسا ومتجسّسا يطلع على عساكر السعيد فسار حتى وصل الى المحلّة وشاهد احوالها وعاين كثرة جيوشها وابطالها فعلم انه لا طاقة له

له بلقائها فتخلا له عن البلاد وبعث الى قبائل مرين واجتمعت اليه من كل واد
فارتحل بهم الى قلعة تازا وشامن بلاد الريف واتى السعيد حتى نزل مكناسة فتلقاه
اهلها باولادهم وعيالاتهم يطلبون عفوه فعفا عنهم وامنهم وارتحل عنهم الى مدينة
فاس فنزل بشاعرها من ناحية القبلة فخرج اليه اشياخها فسلموا عليه فتكلم
لهم خيرا وسالوه دخول المدينة فابا وارتحل الى رباط تازا فنزل بخارجها فبعث اليه
الامير ابو يحيى ببيعته فقبلها وكتب له بالامان هو وجميع قبائل مرين
على ان يبعث له حصة من خمس مائة فارس من انجاد بنى مرين برسم الخدمة فقال
له الامير ابو يحيى يا امير المومنين ارجع الى حضرتك وفوني بالجيش والرماة وانا
اكفيك امر يغمراسن وافتح لك تلمسان واحوازها فعزم السعيد على ذلك ثم
استشار وزراءه فيه فقالوا له يا امير المومنين لا تفعل فان الزناتي اخو الزناتي لا ياخذ
له ولا يسلمه فنخاف ان يصطلحا عليك ويجتمعا على حربك فكتب اليه ان يقعد
بموضعه وبعث اليه بالحصة فبعث له خمس مائة فارس من انجاد بنى مرين فسار
السعيد الى تلمسان فمات على تامرجدية من احوازها وهو محاصرا لها ليغمراسن بن
زيان فاتصل خبر موته بالامير ابى يحيى وقدمت عليه الحصة التى كانت توجهت
مع السعيد للخدمة فاعلموه بموته وافتراق جيوشه ونهب امواله وعياله فجد السير
الى مكناسة فدخلها وملكها فاقام بها اياما وخرج الى رباط تازا فملكها وفتح جميع
حصون ملوية وذلك كله فى ءاخر شهر صفر من سنة ست واربعين وست مائة وفى
ءاخر شهر ربيع الاخر من سنة ست واربعين المذكورة ملك الامير ابو يحيى مدينة
فاس دخلها صلحا عن رضاء من اهلها بعث اليه اشياخها فاتاهم فبايعوه بالرابطة التى
بخارج باب الشريعة منها وكان اول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد
القشتالى ثم الفقهاء والاشياخ واخرجوا السيد ابا العباس من القصبة بعياله
واولاده فامنه الامير ابو يحيى واعطاه خمسين فارسا يبلغونه الى واد ام الربيع
ودخل الامير ابو يحيى مدينة فاس يوم الخميس قرب الزوال السادس والعشرين من
ربيع الاخر من سنة ست واربعين وست مائة وذلك بعد وفاة السعيد بشهرين
فاستقامت له الامور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنية
وتهدنت البلاد وتامنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجار وامر القبائل
بسكنى الارضية وعمارة القرى والمجاشر الخالية والاستكثار من الحرث فرخصت
الاسعار وصلح امر الناس واعطى رباط تازا لاخيه يعقوب مع جميع حصون ملوية

واقام هو بمدينة فاس سنة كاملة والوفود تقصد اليه من كلّ ناحية فلما كان من شهر ربيع الاوّل من سنة سبع واربعين خرج الامير ابو يحيى من بلاد فاس الى معدن العوام من فازاز واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمى فلما وغل ابو يحيى فى بلاد فازاز اجتمعت نفر من اشياخ فاس الى قاضيها ابى عبد الرحمان المغيلى وتوامروا على خلع الامير ابى يحيى وقتل مولاه السعود الذى تركه خليفة عليهم وان يبعثوا ببيعتهم الى المرتضى ويضبطون بلادهم الى ان ياتيهم عامله فيمكنوه منها فاتّفق رايهم على ذلك وبعثوا الى القائد شديد الروم فتوافقوا معه على ذلك وكان شديد القائد قد ولّاه الموحدون قيادة مدينة فاس فكان بها فى مائتين فارس من الروم الى ان دخلها بنوا مرين فاقرّوه على حاله وخدمته وكان مايلا بسبب ذلك الى الموحدين فقالوا له تقتل هذا الاسود ونضبط بعده البلاد ونبعث الى المرتضى ببيعتنا فيبعث لنا من يقوم بامرنا فتضمن لهم الرومى قتل السعود فلما كان صبيحة يوم الثلثاء الموفى عشرين لشوال سنة سبع واربعين وستّ مائة طلع الاشياخ الى القصبة يصبحون على السعود فسلّموا عليه وقعدوا بين يديه فانتهرهم السعود وغلظ عليهم فى القول وتوعدهم فردّوا عليه بسوء ردّ ثم نادوا بشعارهم الى القائد الرومى وكان وقفا فى عسكره امام القبّة فقتلوا السعود واربعة من رجاله واحتزّوا راسه وجعلوه على عصى وطوّفوه فى اسواق المدينة وطرقها ودخل الاشياخ القصر فاخذوا ما وجدوا به من الاموال والثياب والحرم واقتسموا ذلك وسدّوا ابواب المدينة وبعثوا ببيعتهم الى المرتضى فاتّصل الخبر بامير ابى يحيى فجدّ السير نحوهم فوجد ابواب المدينة مغلوقة فى وجهه واشياخها مستعدّين لقتاله فحاصرهم بها مدّة من تسعة اشهر فلم يقدر عنها على شئ واتّصل الخبر بيغمراسن بن زيان وخرج من تلمسان برسم رباط تازا فنزل على فاس حصنة من بنى مرين تحاصرها ويتباكر بها بالقتال ويتراوحها وارتحل عنها الى لقاء يغمراسن وقتاله فالتقاه بواد ابسلى من احواز وجدة فكانت بينهما حرب عظيمة هزم فيها يغمراسن وترك امواله ومحلّته فاحتوى الامير ابو يحيى على ذلك كلّه وقتل من بنى عبد الواد فى هذه الهزيمة انجادهم ثم رجع الامير ابو يحيى الى فاس فوصلها فى جمادى الاخرة من سنة ثمان واربعين فشقّ عليهم الحصار والقتال فلما راى ذلك اهلها سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلّوا فى فعلهم اذ لم ياتهم ناصر من قبل الموحدين ولبسهم شافة على بنى مرين بعثوا الى الامير ابى يحيى يطلبون منه الامان ويسألون

منه

منه العفو والامتنان فامنهم على ان يعطوه ما اخذوه من المال وذلك مائة الف دينار على الكمال فوفقهم على ذلك وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها فى احسن ترتيب واكمل زينة وذلك فى ثلاثة وعشرين من جمادى الاخرة المذكورة فاقام بها اياما الى شهر رجب الثانى وهم يسوفونه فى المال ويلدون له فى المقال فلما رءا ذلك منهم قبض على اشياخها وروسائها واشرافها فثقفهم بالحديد وطالبهم فى المال والاثاث الذى انتهبوا من قصره فقال له شيخ منهم يعرف بابن الحبا انما فعل الذنب منا ستة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا ولو فعلت ما اقول لك لكان صوابا وحزما قل وما هو ايها الشيخ قل تخرج هؤلاء الستة الذين سعوا فى الفتنة وكانوا راسها للسيف فنشعف بهم وتاخذنا نحن بغرم الاموال قل صدقت فى مقالك فقتل الاشياخ الستة وهم القاضى ابو عبد الرحمان المغيلى وولده والمشرف بن داش واخوه وابن ابى نشاط وولده ونهبت ديارهم واموالهم واخذت ارباعهم وكان قتلهم بخارج باب الشريعة يوم الاحد الثامن من شهر رجب المذكور عام ثمانية واربعين وست مائة واخذ سائر الاشياخ بغرم المال فذلوا ولم يكن فيهم مَنْ يرفع راسا بعدها الى يومنا هذا ، وفى سنة تسع واربعين ملك الامير ابو يحيى مدينة سلا وولى عليها ابنَ اخيه يعقوب بن عبد الحق وفى ثلاث وخمسين هزم ابو يحيى المرتضى بجبال بهلولة من احواز فاس واحتوى على جميع ما كان فى محلته من الاموال والعدد والاخبية والقباب والخيل والابل وملك فيها بنوا مرين اموالا جليلة ، وفى سنة خمس وخمسين ملك الامير ابو يحيى مدينة سجلماسة ودرعة وكانا للمرتضى فطمع فيهما يغمراسن وسار نحوها فى جيش كثيف من بنى عبد الواد والعرب واتصل خبر مسيره اليها بالامير ابى يحيى وهو بمدينة فاس فجمع عساكر مرين وجد السير الى سجلماسة فوجد يغمراسن قد نزل بخارجها بباب تاحسنة فكانت بينهما حرب عظيمة فهزم فيها يغمراسن وفر الى تلمسان واسلم له سجلماسة ودرعة فملكهما واقام بهما حتى اصلح احوالهما وولى عليهما عامله ابا يحيى القطرانى واوصاه بما احب وارتحل الى مدينة فاس فدخلها وقد عظم ملكه وكثر جيشه وجنوده وتامنت البلاد وانقمع اهل الفساد وكثرت العمارات وفنا اهل الدعرات ، وفى سنة ست وخمسين فى رجب منها مرض الامير ابو يحيى بمدينة فاس فمات بها بعد ايام حتف انفه ودفن بداخل باب الجزيين من ابواب عدوة الاندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح ابى محمد الفشتالى تبركا به فانه رحمه الله كان اوصى بذلك فى حياته فكانت

ايام ملكه من يوم بويع بعد وفاة السعيد فى اوّل ستّ واربعين الى ان توفّى فى شهر رجب سنة ستّ وخمسين عشر سنين كاملة واشهر ولما توفّى الامير ابو يحيى قام عامله ابو يحيى القطرانى بسجلماسة فدعا لنفسه وبايعه اهلها فاقام عليها اميرا سنتين ثم قتل فى سنة ثمان وخمسين وقام بها علىّ بن عمر بدعوة المرتضى فملكها ثلاث سنين ونصف الى ان توفّى علىّ بن عمر المذكور فى سنة اثنتين وستّين فقام عليها عرب المنبات بدعوة يغمراسن بن زيان وبعثوا اليه ببيعتهم فبعث اليها عاملا من بنى عبد الواد فلم تزل بيد يغمراسن بن زيان الى ان دخلها عليه امير المسلمين ابو يوسف يعقوب بن عبد الحقّ فى ءاخر يوم من صفر سنة ثلاث وسبعين وستّ مائة ☆

الخبر عن دولة امير المسلمين ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق

هو امير المسلمين عبد الله يعقوب الامير ابى محمّد عبد الحقّ بن محيوا بن ابى بكر بن حمامة بن محمّد الزناتى ثم المرينى الحمامى امّه حرّة اسمها امّ اليمن بنت علىّ البطوى الزناتى كانت امّه وهى بكر راتْ فى منامها كان القمر قد خرج من قلبها حتى صعد فى السماء واشرق نوره على الارض فقصّتْ روياها على ابيها فسار الى الشيخ الصالح ابى عثمان الورياكلى فقصّ عليه رويا ابنته فقال له ان صدقت رويا هذه الجارية فانها تلد ملكا عظيما صالحا عادلا يعمّ الناس خيره وبركته فكان كذلك ولما تزوّجها الامير ابو محمّد عبد الحقّ قال له والدها على بارك الله لك فيها اما والله انها لناصية مباركة وانك لتعرف بركتها وستلد لك ملكا عظيما يكون عزّا لك ولقومك الى ءاخر الدهر، مولده فى سنة سبع وستّ مائة وقيل سنة تسع وستّ مائة كنيته ابو يوسف لقبه المنصور بالله صفته ابيض اللون تامّ القدّ متعدل الجسم حسن الوجه واسع المنكبين كامل اللحية معتدلها اشيب كان لحيته من بياضها قطعة ثلج سمح الوجه كريم اللقاء شديد الصفح حسن العفو حليما متواضعا شفيقا كريما جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقيبة لم تنهزم له قطّ راية ولم يقصد قطّ عدوّا الا قهره ولا جيشا الا هزمه ولا بلدة الا فتحها صواما قواما دائم الذكر كثير البرّ لا يزال ذاكرا ءاناء الليل واطراف النهار سُبحته فى يده لا يزايلها فى اكثر اوقاته مكرّما للصلحاء موقّرا

لهم

لهم مرفّعا للعلماء مقرّبا لهم صادرا فى اكثر اموره واحكامه عن رأيهم ناصرا فى مصالح المسلمين كثير الحنن والرافة على الضعفاء والمساكين ولما ولّى واستقام له الامر صنع المرستانات للمرضى والمجانين واجرا عليهم النفقة وجميع ما يحتاجون اليه من الاغذية والاشربة وامر الاطباء بتفقّد احوالهم فى كلّ يوم غدوة وعشية واجرا على الكلّ الانفاق والمرتبات من بيت المال وكذلك اجرا على الجذماء والعميان والفقراء مالا معلوما ياخذونه فى كلّ شهر من جزية اليهود لعنهم الله وبنا المدارس ورتّب فيها الطلبة لقراءة القرءان وطلبة العلم واجرا عليهم المرتبات فى كلّ شهر كلّ ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده الصالح ، قضاته بفاس الفقيه ابو الحسن بن احمد المعروف بابن عزاز والفقيه ابو عبد الله بن عمران والفقيه ابو جعفر المزدغى والفقيه ابو امية المدلائى •وقضاته بحضرة مرّاكش الفقيه القاضى العالم المشاور ابو عبد الله الشريف والفقيه القاضى ابو فارس العمرانى ، وزراؤه الشيخ الوزير ابو زكرياء يحيى بن حازم العلوى والشيخ الوزير ابو علىّ يحيى بن ابى مدين الهسكورى والشيخ الوزير ابو سالم فتح الله السدرانى ، حاجبه مولاه القائد عنبق ، كتّابه الفقيه ابو عبد الله الكنانى واخوه الفقيه ابو الطيب سعد الكنانى والفقيه ابو عبد الله بن ابى مدين العثمانى ، بويع له رحمه الله بالخلافة بعد وفاة اخيه ابى يحيى بثمانية ايام وذلك فى اليوم السابع والعشرين لرجب سنة ستّ وخمسين وستّ مائة وسنّه يوم بويع ستّ واربعين سنة فاستقام له الامر وفتح البلاد من اقصى السوس الى وجدة وفتح حضرة مرّاكش وقطع مُلك المُوحدين ومحاء اثارهم وفتح مدينة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة وبايعه اهل سبتة على مالٍ يؤدون له فى كلّ سنة وجاز الى الاندلس برسم الجهاد فملك بها ما يزيد على خمسين قصرا ما بين مدن وحصون منها مالقة ورندة والخضراء وطريف والمنكب ومربالة واشبونة وما بين ذلك من الحصون والقُرى والبروج وخطب له على جميع منابر المغرب وهو اوّل ملك حمى الاسلام من بنى مرين وشنت الصلبان وغزا بلاد الروم فدوّخها وقهر ملوكها وقصورها واعزّ الله تعالى به الدين ورفع بدولته منار المسلمين وكانت الروم قبل ذلك قد استذالت ايديهم فملكوا اكثر بلاد الاندلس ولم تنصر للمسلمين بها راية من وقعة العقاب التى كانت فى سنة تسع وستّ مائة الى ان جازت للجهاد رايته المنصورة وجيوشه وذلك فى عام اربع وسبعين وستّ مائة فملك العدوتين واحتوى على ملك الحضرتين فله الغزوات المشهورة والمآثر المذكورة والسيرة

المحمودة والفضائل المشهورة والورع والدين والعدل والرفع بالمسلمين منصورا على من ناواه مؤيدا على من عاداه لم يزل على هذه السنن القويم الى ان اتاه اليقين

الخبر عن سيرته الجليلة ومآثره الجميلة نذكرها مختصرا وجيزة ونقتصر منه على ما ذكر صاحب الارجوزة

سيرة يعقوب بن عبد الحق — قد حاز فيها قصبات السبق
سيرته ان يقراء الكتاب — ويذكر العلوم والاداب
يقوم للصلاة ثُلْثَ الليل — وما له عن ورده بميل
حتى اذا ما الصبح لاح وانصدع — قام وصلّى للاله وركع
وضجّ بالتسبيح والتقديس — حتى يتمّ الحزب في التغليس
يقرا اوّلا كتاب السَّيْر — والقصص التي بكل خير
ثم فتوح الشام باجتهاد — وبعده المعروف بالانجاد
سؤاله تعجز عنه الطلبه — ومَنْ لديه من اجلّ الكتبَة
يقعدُ للكتب الى وقت الضحى — ثم يصليها كفعل الصلحاء
ويامر الكتاب بالاوامر — في باطن من سرّه وظاهر
ويدخل الاشياخ من مرين — للراى والتدبير والتزيين
مجلس ليس فيه فجور — ولا يبين قوله يجور
كانّهم مثل النجوم الزهر — وبينهم يعقوب مثل البدر
قد البس الوقار والسكينه — وحلّ في مكانة سكينه
حتّى اذا ما حان وقت الظهر — قام الى بيت النداء والفجر
يبقى الى وقت صلاة العصر — ياتي لتنفيذ النهي والامر
فينصف المظلوم ممّن ظلمه — ولم يزل الى صلاة العتمه
ثمّ يؤم فيئة الكريما — ويترك الوزير والخديما
ثمّ ينام تارة وتارا — يدبّر الامور والادبارا
ما ان ينام الليل الا ساهرا — ينوى الجهاد باطنا وظاهرا
رايته يصحبها التمكينُ — مبارك طالعه ميمون

فامن

فأمن المغرب من الفساد ونشر العدل على العباد
ولم يدع فى الغرب من يجور وزالت الاهوال والفجور
وخضعت مرين تحت قهره واذعنوا لنهيه وامره
ورفع الظلم من الرعية وقمع الطغاة فى البرية
فهل سمعتم مثل هذه السيره وهذه المأثر الاثيره
كذاك كان فعله قديما بذاك نال الملك والتعظيما

ولما استقامت له الامور وتوطا له الملك خرج من مدينة فاس الى رباط تازا يستشرف منها على اخبار يغمراسن بن زيان فدخلها فى اوّل يوم من شعبان من سنة ثمان وخمسين وستّ مائة فاقام بها الى اليوم الرابع من شوال فوصله الخبر انّ النصارى دخلوا مدينة سلا غدرا ووضعوا السيف فى اهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها واموالها وتمتّعوا بها فكان دخولهم اياها ثانى يوم من شوال من سنة ثمان وخمسين وستّ مائة فخرج من فوره مسرعا لاستنقاده مشمرا عن ساق الجدّ فى امرها وكان خروجه اليها من رباط تازا بعد ان صلّى العصر من اليوم الرابع من شوال المذكور الذى اتّصل به الخبر فى نحو الخمسين فارسا فاسرى ليلته تلك ومن الغد صلّى بظاهر سلا صلاة العصر فوصلها فى يوم وليلة ونزلها على من بها من الروم وتداركت عليها جيوش المسلمين وقبائل المتطوّعين من جميع افاق المغرب محاصرا للروم بها وضيّق عليهم فيها ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا حتى فتحها واخرج النصارى قهرا عنها بعد اربعة عشر يوم من دخولهم اياها فلما خرج النصارى عنها بنا عليها السور القوى الذى يقابل الوادى فانها كانت لا سور لها من تلك الجهة فكان دخول النصارى منه فشرع فى بنائه فبناه من اوّل دار الصناعة الى البحر وكان رحمه الله يقف على بنائها بنفسه ويمكن الصخر بيده ابتغاء ثواب الله تعالى وتواضعا له وحياطة على المسلمين حتى تمّ الامر بالبناء والتحصين وفى هذه السنة ملك امير المسلمين بلاد تامسنا ومدينة انفا وفيها وصلت هدية المرتضى صاحب مرّاكش الى امير المسلمين ابى يوسف وكتابه يطلب فيه سلمه فصالحه امير المسلمين وجعل الحدّ بينه وبينه واد امّ الربيع ، قال المؤلف عفا الله عنه وفى السنة التى ولّى فيها امير المسلمين ابو يوسف انزل الله تعالى على اهل المغرب البركات وفتح عليهم بالخيرات فرءا الناس فيها من الدعة والخير ما لا يوصف ولا يقوم احد بشكره ببيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب رُبع بدرهم والقمح ستّة دراهم

للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة والفول وجميع القطانى ما لها سوم ولا يجد مَنْ يشتريها والعسل ثلاثة ارطال بدرهم والزيت اربع اوقية بدرهم والزبيب درهما ونصف للربع والتمر ثمانية ارطال بدرهم واللوز صاعا بدرهم والشابل الطرى فرد بقيراط والملح حمل بدرهم واللحم البقرية مائة اوقية بدرهم ولحم الضان سبعين اوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وذلك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته ، وفى سنة تسع وخمسين فسد ما بين امير المسلمين والمرتضى صاحب مرّاكش فسرّح فى اطراف بلاده وفيها كانت وقعة امّ الرجلين بين امير المسلمين ابى يوسف وجيش المرتضى من العرب والروم والموحدين فهزم جيش المرتضى وقتل ثمانيهم وفرّ من بقى وتركوا موتاهم وكان المرتضى قد استعدّ لهذه الغزوة غاية الاعتداد وبعث فيها وجوه الموحدين واشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفيان والاثبج وبنى جابر وبنى حسّان وقواد الروم والاندلس والاغزاز ولم يترك بحضرته من جيشه احدا الا نفرا يسيرا فهزم الكلّ وتركوا اموالهم واثقالهم وعددهم وسلاحهم فاحتوى امير المسلمين على جميع ذلك كلّه ، وفى سنة ستين وستّ مائة سار امير المسلمين ابو يوسف الى مرّاكش فنزل بجبل جليز ثم زحف اليها وبرز اليها احسن تبريز وصفّ جيوشه ونشر الويته وبنوده فانحصر المرتضى بها وغلق على نفسه ابوابها وفى ذلك يقول عبد العزيز فى رجزه الوجيز

فى عام ستّ مائة وستّين	صار لمرّاكش سلطان مرين
فوقف المنصور بجليز	مبرزا باحسن التبريز
وعاد فيها المرتضى محصورا	اذ ارز فى قصره مقصورا
فدارت الاعراب بالاسوار	واعتمدوا فيها الحصار

فلما خرج المرتضى لحرب السيد ابى العُلى ادريس المكنّى بابى دبّوس فكانت بينهما حرب عظيمة قتل الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يوسف فارتحل عن مرّاكش بسبب قتل ولده فدخل مدينة فاس فى آخر شهر رجب من سنة احدى وستّين وستّ مائة ، وفى سنة احدى وستّين المذكورة طلع النجم ابو الذوائب وكان ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر لشعبان من السنة المذكورة وبقى يطلع كلّ ليلة فى وقت السحور نحو من شهرين ، وفى هذه السنة جاز الفارس الانجد عامر بن ادريس فى جمع من بنى مرين والمطوعة يزيدون على ثلاثة الاف فارس برسم الجهاد فعقد لهم امير المسلمين ابو يوسف رايته المنصورة وعطاهم العدّة والخيل

والخيل وودّعهم ودعا لهم وهو اوّل جيش من بنى مرين جاز الى الاندلس ، وفى سنة اثنتين وستّين توفى ابو العلا ادريس بن ابى قريش عامل امير المسلمين على بلاد المغرب ، وفى سنة ثلاث وستّين بعث الفقيه العزفى صاحب سبتة اجفانه الى هدم سور اصلا وقصبتها فهدمت لانه خاف عليها من خلائها ان يملكها العدوّ ويتمنّع بها وفيها سار امير المسلمين الى مرّاكش برسم رعى زرعها فوصل الى احوازها وبايعه جملة من العرب الذين فى احائها وانصرف الى مدينة فاس بعد انصراف امير المسلمين من مرّاكش واستقراره بفاس وشى للمرتضى بقائد جيوشه السيد ابى دبوس وقيل له انه يكاتب بنى مرين فاراد القبض عليه ففرّ منه ولحق بامير المسلمين ابى يوسف بحضرته بفاس فاكرمه واقبل عليه غاية الاقبال وقال له ما الذى اتاك يا ادريس قال فررتُ من القتل وقصدتُ لك لتنصرنى وتعينهى على عدوّى وتعطينى عسكرا من بنى مرين وبنودا وطبولا ومالا انفقه على ذلك وانا اضمن لك اخذ مرّاكش فاذا اخذتها يكون نصفا لك ونصفا لى فاسعفه امير المسلمين بمطلبه وعاهده على ذلك وتوثق منه بالايمان المغلظة والعهود المذكورة فاعطاه جيشا من خمسة الاف من قبائل زناتة واعطاه طبولا وبنودا وخيلا وسلاحا ومالا برسم النفقة فى طريقه وكتب له الى قبائل العرب وقبائل هسكورة ان يكونوا له عونا وودّعه وانصرف فارتحل ابو دبوس حتى وصل بلاد هسكورة فنزل بها وكتب الى مرّاكش من خاصّته فخبرهم بقدومه ويسئلهم عن حال البلد والمملكة فكتبوا اليه ان اقدم فان الناس فى غفلة والجيوش مفترقة فى اطراف البلاد وليس تجد وقت انتهاز فرصة مثل هذا فاسرع ابو دبوس نحوها وجدّ السير بجيوشه حتى دخلها وكان دخوله اياها من باب الصالحة فى وقت الضحى والناس فى غفلة فتملك حضرة مرّاكش واستقرّ بقصرها وفرّ عنها المرتضى فقتل بخارجها وذلك فى شهر محرّم من سنة خمس وستّين وستّ مائة فبعث اليه امير المسلمين ابو يوسف للعهد الذى كان بينهما وقال للرسول ما بينى وبينه عهد الا السيف وقال له قل له يبعث ببيعته واقرّه على ما بيده من البلاد والا غزوته بجنود لا قبل له بها فوصل الرسول الى امير المسلمين فبلغه الجواب واعلمه بنكثه وميله عن الصواب فخرج امير المسلمين ابو يوسف الى غزوه من حضرة فاس فسار حتى نزل بظاهر مرّاكش فحصرها وهتك احوازها ورعا زرعها فلما رءا ابو دبوس ما ناله من شدّة القتال والحصار ورعى الزروع ونسف الاثار وشدّة المجاعة فى بلاده وغلاء الاسعار وكتب الى يغمراسن بن زيان يستنصره

ويرغب منه أن يكونا على امير المسلمين ابى يوسف يدا واحدة فتعاهدا على ذلك
واتّفقا عليه فشنّ يغمراسن الغارات فى اطراف بلاد امير المسلمين ابى يوسف فاتّصل
به الخبر وهو محاصر لمرّاكش فاقلع عنها وقصد الى تلمسان لحرب يغمراسن بن زيان
ورءا ان تقديمه وغزوه من الصواب اذ هو فارس من زناتة البطل المحارب فسار حتى وصل
الى مدينة فاس فاقام بها اياما حتى استراح الناس ثم خرج الى تلمسان وذلك فى
الخامس عشر من شهر محرّم سنة ستّ وستّين وستّ مائة فى احتفال عظيم وزى
عجيب بالعيال والقباب والجيوش الوافرة والاموال والركاب فسمع يغمراسن باقباله
فخرج من تلمسان الى لقائه وقتاله فالتقى الجمعان بواد تلاغ فالتقت الابطال بالابطال
واختلطت الامثال بالامثال وتمازجت الركاب بالركاب واصطفت من الجانبين العيال
والقباب وزحف الجيش الى الجيش فكانت بينهم حرب عظيمة وهزائم جسيمة
لم ير مثلها فما ترى الا الخيول ترمح واهلها الى اللقاء تتلمح فدام القتال بينهما
من وقت الضحى الى الظهر وصبرت قبائل مرين لقتال عدوّها صبر الكرام الغر
ومنحهم الله تعالى بالنصر على اعدائهم فتمكّنوا من رقابهم فهزمت بنو عبد
الوادى واذاقوهم مرين الكرام الحمام فى ذلك الوادى وفرّ يغمراسن مهزوما على
وجهه وقتل قرّة عينه عمر اكبر ولده وولىّ عهده وسار امير المسلمين يعقوب فى
اعقابهم ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل فى رقابهم فدخل يغمراسن تلمسان خاسرا
فقيدا مهزوما وحيدا وانتهبت مرين جميع محلّته وامواله ومضاربه وعبيده
فكانت غزوة تلاغ المذكورة يوم الاثنين الثانى عشر لجمادى الاخرة من سنة ستّ
وستّين وستّ مائة ورجع امير المسلمين من هذه الغزوة مظفرا منصورا مؤيدا
مسرورا ذا حَنَق على ابى دبوس فاقام بمدينة فاس الى ظهور هلال شعبان من السنة
المذكورة فخرج الى مرّاكش لغزو ابى دبوس الناكث لعهوده فلم يزل يوالى السير
والسعد يقدمه والتيسير حتى وصل الى واد امّ الربيع فنزل هنالك وبثّ جنوده فى
بلاد ابى دبوس ياكلون زروعها وينسفون ربوعها فاقام هنالك الى ان دخلت سنة
سبع وستّين غرّة لمحرّم منها ارتحل من واد امّ الربيع الى ناحية تدلا فغزا بها عرب
الخلط فاكلهم وسبى حريمهم واموالهم ورجع من تدلا فنزل بواد العبيد فاقام هنالك
اياما ثم غزا بلاد صنهاجة وسباها واقبل يدور فى احواز مرّاكش الى ءاخر شهر ذى
قعدة من سنة سبع وستّين وستّ مائة فاجتمع اشياخ القبائل من العرب والمصامدة
فساروا الى ابى دبوس وقالوا له كم تقعد عن حرب بنى مرين وتجبن عن لقائهم

اما

اما ترا بلادنا قد خربت واموالنا قد نهبت وحريمنا قد سبيت فاخرج لجهادهم عسى ان يكون السبب لبعادهم فانهم فى شرذمة قليلة وعصابة يسيرة واكثرهم قد بقا برباط تازا يحرسون ذلك الثغر خوفا عليه من بنى عبد الواد، فاغتر ابو دبوس بقولهم وسارع الى نصرهم فخرج فى جيش عظيم وجنود وافرة من الموحدين والعرب والروم وقبائل المصامدة فلما سمع امير المسلمين ابو يوسف بخروجه كرّ راجعا نحو المغرب حيلة منه ان يبعده عن حضرته فسمع ابو دبوس برجوعه فظنّ رجوعه انما هو خوف منه فجدّ فى اتباعه فكان امير المسلمين ابو يوسف اذا ارتحل عن موضع اقبل ابو دبوس فنزله فلم يزل لاثره يقفوا حتى اتى بجيشه واد واغفوا فكرّ امير المسلمين راجعا فى وجهه عازمًا على قتاله وحربه فالتقى الجمعان واقبلت بنوا مرين امثال العقبان والتحم القتال واشتدّ النزال واظهرت مرين صبرها فى قتال اعدائها فرءا ابو دبوس ما لا طاقة له به فاراد الفرار لكى ينجوا الى حضرة مرّاكش فيعتصم فيها بالاسوار فادركته الضوامر السوابق واقبلت ابطال مرين نحوه تسابق فحالوا بينه وبين اهله وسارعوا الى طعنه وقتله فقتل بالرماح فى وسط المعترك وسقط تحت جواده صريعا مترك واحتزّ قاتله راسه فى الحين واتى به الى امير المسلمين فوضعه بين يديه وحمد الله تعالى واثنى عليه ثم خرّ لله ساجدا ثم رفع راسه شاكرا وحامدا ثم امر بالراس فحمل الى مدينة فاس ليعتبر برايته الناس واحتوى امير المسلمين ابو يوسف على جميع محلّته وذلك يوم الاحد الثانى لمحرّم مفتتح سنة ثمان وستّين وستّ مائة وارتحل امير المسلمين الى حضرة مرّاكش فدخلها يوم الاحد التاسع لمحرّم المذكور فاستقرّ بحضرة مرّاكش وتمّ له ملك المغرب وتمهدت البلاد وصلح امر العباد وتامنت الطرقات وكثرت الخيرات واذعن الناس الى الطاعة ودخلوا فى الجماعة فلا ثاير ولا قاطع ولا مفسود ولا عابث ولا ملحد، ولما دخل حضرة مرّاكش وامّن اهلها وقبائلها واحسن اليهم وافاض العدل فيهم وبعث ولده الامير ابا مالك عبد الواحد الى بلاد السوس وتلك الاقطار لغزو مَنْ بها من المنافقين والاشرار ففتح تلك البلاد واتته قبائلها طايعة مذعنة من الاغزاز فلما فتح بلاد السوس باجمعها واستقام له امرها رجع الى حضرة مرّاكش فسرّ والده بقدومه واقام امير المسلمين ابو يوسف بحضرة مرّاكش يسدّد احوالها وينظر فى امورها ومصالحها الى شهر رمضان من سنة تسع وستّين وستّ مائة فخرج فى اوّل يوم من رمضان المذكور الى غزو العرب ببلاد درعة فانهم كانوا قد ثاروا بها وملكوا حصونها

وقلاعها وابادوا بالنهب والقتل اهلها واموالها فوصلهم فى النصف من شهر رمضان المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا وسبا اموالهم ونساءهم وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونه بعد ان كان العرب تمنّعوا بمعقل منها فحاصرهم فيها اياما فنزلوا بامان ولده الامير ابى مالك فعفا عنهم وامضى امان ولده اليهم ولم يُبْقِ ببلاد درعة من اهل النفاق والفساد احدا ثم ارتحل الى مرّاكش فدخلها فى نصف شوال من السنة المذكورة فاقام بها بقية شهر شوال وخرج منها الى مدينة رباط الفتح من ارض سلا فدخلها فى اخر ذى قعدة من سنة تسع وستّين وستّ مائة فعيّد بها عيد النحر واخذ البيعة لولده ابى مالك فى ذلك اليوم على بنى مرين وكان الامير ابو مالك على غاية الفضل والكرم والشجاعة والحزم ومكارم الاخلاق وكان عال المهمّة محبّ فى الادب مقرب لاهله يجالس العلماء والادباء والشعراء ويتخذهم بطانة وقد اختصر جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته منها الفقيه القاضى ابو الحجّاج بن حكم والفقيه القاضى الكاتب البارع ابو الحسن المغيلى والفقيه الاديب القدوة ابو الحكم مالك بن مرحل والفقيه الكاتب ابو عمران التميمى والفقيه الاديب ابو فارس عبد العزيز الشاعر الملزوزى وكان الامير ابو مالك رحمه الله يحبّ الشعر ويرويه وتاخذ نفسه بنظم الشعر وربّما نظم منه البيتين والثلاثة ومن شعره يفتخر رحمه الله

فرقتُ فى الميدان كلّ مالك	وجمعت بين ثبارة ونموك
وجعلتُ للاسلام حدا ماكنا	كى ما تغيّره العدا بسلوك

ولما اخذ امير المسلمين البيعة لولده ابى مالك برباط الفتح وذلك يوم عيد النحر من سنة تسع وستّين المذكورة عزّ ذلك على جماعة من بنى عبد الحقّ وساروا من قبيلتهم تلك الى جبل ابركوا فنافقوا به وهم محمّد بن ادريس بن عبد الحق وموسى بن رحوا بن عبد الحقّ وجميع اولاد سوط النساء فخرج امير المسلمين فى اثرهم وقدم بين يديه ولده الامير ابا يعقوب فى خمسة الاف فارس فنزل عليهم وحاصرهم بالجبل المذكور ثم لحقه اخوه الامير ابو مالك فى اليوم الثانى من نزوله بخمسة الاف فارس اخرى فشرعوا فى قتالهم ثم لحق امير المسلمين بجميع عساكر مرين فنزل عليهم فى اليوم الثالث فحاصرهم به يومين فاذعنوا للطاعة وطلبوا الامان فامّنهم وعفا عنهم على ان يرتحلوا الى تلمسان فساروا اليها ثم جازوا منها الى الاندلس ، وفى سنة تسع وستّين المذكورة توفّى يعقوب بن جابر العبد الوادى

امير

امير سجلماسة ليغمراسن خرج له خراج فى مذاكره فات منه وخرج ابو يوسف
الى غزو تلمسان وقتال يغمراسن بن زيان فبعث ولده الامير ابا مالك الى ارض
مراكش يحشد منها من قبائل العرب والمصامدة ويلحقه بالجميع فخرج من مدينة
فاس فى غرّة صفر من السنة المذكورة فى جميع جيوشه من بنى مرين انجدهم الله
تعالى فسار حتى نزل واد ملوية فاقام عليه اياما حتى ورد عليه الامير ابو مالك فى جيش
عظيم من قبائل عرب جشم والاندلس والاغزاز والروم فى احتفال واستعداد فاقام بعد
وصول ولده اليه ثلاثة ايام حتى ميّز بجيوشه وارتحل الى تلمسان فلما كان بتامه وافاه بها
رسول ابن الاحمر يسأله بنصر الدين ويغيث بالاندلس المسلمين ويخبره انّ الفنش
لعنه الله قد ضيّق ببلاده ، فخرج امير المسلمين ابو يوسف رحمه الله الى خباة
السافة وجمع اشياخ بنى مرين واشياخ العرب واخبرهم بما فيه المسلمون بالاندلس
واستشارهم فى ذلك فاشاروا عليه بصلح يغمراسن وتمهدن البلاد والجواز الى الجهاد فبعث
الاشياخ من كلّ قبيلة من زناتة والعرب الى يغمراسن يطلبونه فى الصلح وقال
لهم انّ الصلح خير لله فان جنح اليه واناب فحسن وان ابا الا القتال فاسرعوا الى
بالرجوع فسارت الاشياخ ليغمراسن فرغّبوه فى الصلح ولاطفوه فى تلك بالقول الجميل
فقال لهم لا صلح بينى وبينه بعد قتل ولدى عمر اصالحه والله لا كان ذلك ابدًا ولا
اترك قتاله حتى اخذ منه بثارى واذيق بلاده النبار ، فوصله الرسول بذلك فاسرع
امير المسلمين نحوه المسير ودعا الله تعالى فى النصر والتيسير وخرج يغمراسن للقائه
فى قوة واستعداد وجيوش ما لها حصر كانها الجراد المنتشر فالتقى الجمعان بواد
ايسلى بمقربة وجدة فالتحم الحرب بينهما واضطرمت واشتعلت نار الوغا والتهبت
وشمرت عن ساقها وتنمّرت فجعل امير المسلمين ولده ابا مالك على الميمنة وولده
ابا يعقوب على الميسرة فقدّم ابا يعقوب بالميسرة للقتال وتبعه ابو مالك بالميمنة
للطعن والنزال والى والدهم امير المسلمين على اثرهم فى القلب والساقة والتحم الحرب
وكثرت الاهوال فهزم يغمراسن وقتل ولده فارس وفرّ هو مع بعض ولده وخرج من
تحت ذبابة السيوف وقُتِل من بنى عبد الوادى وبنى راشد خلق كثير وقتل جميع
من كان بمحلّته من الروم ولولا ما حال الظلام بين الفريقين لم يبق من بنى عبد
الوادى باقية وفرّ يغمراسن عن محلّته وهو مهزوم فاضرم فيها النيران وفرّ حتى دخل
تلمسان فكان كما قال الله تعالى فى كتابه المبين يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
وانتهب النار محلّته وامواله واثقاله وعياله وارتحل امير المسلمين ابو يوسف من الغد فى

ثم حتى وصل الى وجدة فوقف عليها حتى هدمت وعفا اثرها وفعل عاليها سافلها وتركها قاعا صفصفا وارتحل عنها وكانت هذه الهزيمة فى النصف من رجب من سنة سبعين وستّ مائة وفى ذلك يقول بعض الكتاب الملتزمين لخدمة ذلك الباب

اذا الخيلُ جالتْ فى الحروب حسبتَهم ... فصآء من الرحمن ما منه عاصِمُ

فذاك على اليمنى يُبيد حماتها ... وذلك على اليسرى فاين المقاومُ

ووالدهم فى حاجم الحرب بينهم ... يبيد حماة الجيس والسقر قائمٌ

فويحك يا يغمور هل لك زاجر ... أبعطان حين انت ام انت نائمُ

افى كلّ عام تترك آبناك للعنى ... وتنسى لك الغيد الحسان الكرائمُ

ولما هدم امير المسلمين وجدة ولم يُبْقِ لها اثرا ارتحل الى بغمراسن فخربها وسبا اموالها حتى وصل الى تلمسان فنزلها وادار المحلّات باسوارها وشدّد فى الحصار عليها وشرع فى قتالها ووصل اليه هو وعلبها الامير ابو زيان محمّد بن عبد القوى التجيني فى جيش كثيف واحتفال عظيم بالطبول والبنود فركب امير المسلمين الى لقائه فى جيوشه وابطاله فتلقاه فى احسن زى واكمل احتفال واسدّ الحصار على يغمراسن وعظم القتال وضيقت قبائل تجين بمدينة تلمسان لاخذ ثارهم من يغمراسن بن زيان فقطعوا الثمار والجنّات وخربوا الرباع وافسدوا الزرع وحرقوا القرى والضياع حتى لم يدعوا بتلك النواحى قوة بوم حاسى السدره والدوم فلما انتسفت بلاده وقتلت اجناده امر ابا زيان بن عبد القوى بالرجوع الى بلاده واعطاه الفا نافة من مال بنى عبد الوادى ومائة فرس من مراكبهم وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب وقعد امير المسلمين بظاهر تلمسان حتى تعرف انه وصل الى وانشريس خوفا عليه من يغمراسن الا يتبعه فلما علم امير المسلمين انه قد وصل الى بلاده بجميع ما اعطاه من الغنم اقلع عن تلمسان وكرّ راجعا الى المغرب مظفرا منصورا فوصل رباط تازا فى اوّل يوم من ذى حجّة من سنة سبعين المذكوره فعيّد بها عيد النحر وارتحل الى مدينة فاس فدخلها غرّة المحرّم من سنة احدى وسبعين وستّ مائه فاقام بها الى اليوم الحادى عشر من شهر صفر فتوفّى ولده ابو مالك عبد الواحد فاسف لفقده ثم تلقى بالرضى امر ربّه وصبر الصبر الجميل وارتحل الى مرّاكش فدخلها فى اوّل يوم من ربيع الثانى من السنة المذكوره فاقام بها واصلح احوالها وهدن بلادها واحوازها وخرج منها الى طنجة فوصلها فى اوّل يوم من ذى حجّة من سنة احدى وسبعين وستّ مائة فنزل عليها وحاصرها وشرع فى قتالها فاقام يعاتلها غدوا ورواحا ومساء وصباحا مدّة من

ثلاثة

ثلاثة اشهر وكانت طنجة منذ قتل بها ابن الامير واولاد ابى يحيى ملكها الفقيه ابو القاسم العزفى صاحب سبتة فضبطها وقام بامرها مع اشياخها فلما طال مقام امير المسلمين عليها اراد الرحيل عنها فبينما هو فى اليوم الذى عزم على الرحيل فى غده واقف امامها والناس يقتتلون بين يديه وقد قارب العشى اذا جماعة من رماتها قد قاموا فى برج من ابراجها وكان معهم شيخ من اشياخ الرماة وقوادها يعرف بالجى فاشار الى المحلة ورفع رايته بيضا شعارا فبادر اليه المقاتلون من المحلة فملكوهم البرج فاقاموا به يحاربون اهل البلد طول ليلتهم فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح فانهزم اهل البلد واخلوا الاسوار وركنوا الى الفرار فدخلت المدينة عنوةً على اهلها فعفا امير المسلمين عنهم ونادى مناديه بالامان ولم يمت بها الا نفر يسير ممن رفع يديه واشهر سلاحه حين الدخلة وكان فتح طنجة ودخول امير المسلمين فيها عنوة فى شهر ربيع الاوّل من سنة اثنتين وسبعين وستّ مائة ، ولما فرغ امير المسلمين من فتح طنجة بعث ولده الامير ابا يعقوب الى سبتة فحاصر بها العزفىّ اياما فبايعه وصالحه على مال يؤديه له فى كلّ سنة فقبل ذلك منه وارتحل عنه ، وفى شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة خرج امير المسلمين ابو يوسف لغزوٍ مدينة سجلماسة وكانت بيد يغمراسن وعرب المنبات وكان يغمراسن يبعث اليها فى كلّ سنة ولدًا من اولاده ليضبطها وجباية خراجها من المنبات الذين قاموا بامرها فسار امير المسلمين ابو يوسف اليها فى جيوش بنى مرين وقبائل العرب فحاصرها وشرع فى قتالها وضيّق عليها وبالغ فى حربها ونصب عليها المجانيق والرعادات وضاق اهلها من شدّة الحصار والقتال فكانوا يصعدون على الاسوار فيسبّون ويلعنون بالقبح فهتك المجانيق من سورها برجا ومسافة فانهدم البرج والمسافة فدخلت من هنالك عنوةً بالسيف على عاملها عبد الملك ابن حنينة العبد الوادى فقتل هو ومن كان معه من بنى عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الاوّل من سنة ثلاث وسبعين وستّ مائة وقيل كان فتحها آخر يوم صفر من السنة المذكورة فامّن امير المسلمين اهلها وعفا عنهم واصلح احوالهم واقام بها اياما حتى تهدّنت احوازها واوديتها وتامنت سبلها وارتحل عنها وترك بها عامله ، ولما رجع امير المسلمينَ من فتحِ سجلماسة سمت به همّته العالية الى الجهاد اذ لم يبق له منازع فى البلاد فورد عليه فى اثناء ذلك كتاب ابن الاحمر يستنصره ويسأله اعانة

الاندلس ويخبره بما هم فيه المسلمون بها من القتل والاسر وكثرة الغارات مع الاحيان والساعات فوجده عازما على الجهاد حريصا على الجواز فتتابعت عليه رسل ابن الاحمر يقول له يا امير المسلمين انك ملك الزمان والمنظر اليه في هذا اليوم قد وجب عليك نصر المسلمين واعانة المستضعفين فان لم تنصر الاسلام فمَنْ ناصره وكان الشيخ ابو عبد الله بن الاحمر قد اوصى ولدَه عند وفاته ان يستدعي امير المسلمين للجهاد ويعطيه ما يريده من البلاد فلبّا امير المسلمين دعوته وبادر الى اجابته ونصرته وخرج من مدينة فاس برسم الجهاد ❁

الخبر عن جواز امير المسلمين ابى يوسف الى الاندلس برسم الجهاد وهي اول غزواته الى بلاد الشرك

قال المؤلف عفا الله عنه لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على امير المسلمين من ابن الاحمر يستدعيه للجواز ويستنصر به خرج من مدينة فاس في اوّل يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين وستّ مائة حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه ابى القسم العزفي وامره بتعمير الاساطيل لجهاد المشركين وصلاح الاجفان واعدادها لجواز المجاهدين وامره بالتعاون على البرّ والتقوى وعقد لولده الامير ابى زيان على جيش من خمسة الاف فارس من انجاد بنى مرين وفرسان العرب ودفع له رايته المنصورة واوصاه بتقوى الله في السرّ والعلانية ودعا له وانصرف الى قصر المجاز فوجد الفقيه ابا القاسم العزفي قد جهّز له عشرين جفنا واعدّها هنالك لجواز المجاهدين فركب الامير ابو زيان البحر في جميع جيوشه من قصر المجاز فنزل بطريف من بلاد الاندلس وذلك في السادس عشر من ذى قعدة سنة ثلاث وسبعين وستّ مائة فاقام بطريف ثلاثة ايام حتى استراح الناس والخيل من هول البحر فخرج الى البحيرة فغنمها وبعث بالغنم الى الجزيرة والى السير في بلاد العدوّ يقتل ويسبى ويخرب القرى والحصون ويحرق الزرع ويقطع الثمار وينسف الاثار حتى وصل الى شريش ولم يقدر احد من الروم ان يخرج اليه ثم قفل الى الجزيرة بالغنائم والسبى والعلوج في القنابر ففرح به اهل الاندلس اذ كانت بلادهم لم تنتصر بها للمسلمين راية من غزوة العقاب التى هزم بها النصارى الموحدين في سنة تسع وستّ مائة الى هذه الغاية والقى الله تعالى الرعب في قلوب الروم فكانوا لا يستطيعون

قتاله

قتالهم ولا يبرزون اليهم ولا يوافقونهم فملك الروم بلادها وحصونها وقواعدها الى
أن جازت راية المنصور امير المسلمين ابى يوسف فاعزّ الله تعالى بها الاسلام ونصر بها
اهل الايمان واذلّ بجوازها عباد الاوثان ، ولما انصرف الامير ابو زيان براية والده
المنصورة الى الاندلس بعث امير المسلمين حفيده الامير تاشفين بن عبد الواحد الى
يغمراسن بن زيان يطالبه فى الصلح والاجتماع على كلمة الاسلام لكى يجوز الى الجهاد
من الروعة من البلاد فتمّ الصلح بينهما بفضل الله تعالى والمراد واجتمعت
كلمة اهل الاسلام والّف الله تعالى بين قلوبهم فوصل الامير تاشفين من تلمسان وقد تمّ
صلحه مع يغمراسن فسرّ بذلك امير المسلمين سرورا عظيما وتصدّق بمال جليل
شكرا لله تعالى ثم كتب الى اشياخ مرين وقبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة
واوربة ومكناسة وجميع قبائل العرب يستنفرهم الى الجهاد فخرجت الكتب الى
القبائل والبلاد وارتحل امير المسلمين الى قصر الجواز فاخذ فى تجهيز الجيوش والخيل
والسلاح والعدد وتمييزهم الى الاندلس وتجويز المجاهدين فكان رحمه الله يجوز فى
كلّ يوم قبيلة من بنى مرين وطائفة من المجاهدين فكان الناس يجوزون افواجا
وقبيلا قبيلا وافردوا اجفانا لجواز المطوعين لا يجوز فيها غيرهم ، فلما تكمل الناس
بالجواز واستقرّوا بسواحل الاندلس وانتشرت محلّات المسلمين من طريف الى الجزيرة
جاز امير المسلمين واخرهم على حين غفلة من الناس فنزل بساحل طريف وكان
جوازه رحمه الله فى ضحوة يوم الخميس الحادى والعشرين لصفر من سنة اربع وسبعين
وستّ مائة فصلّى الظهر بطريف وانصرف الى الجزيرة الخضراء من حينه فوجد بها الامير
ابن الاحمر وابن اشقيلولة سلطانىّ الاندلس بعسكريهما وحشدهما ينتظرانه بها
فلما التقى بهما وسلّما عليه فكان بين ابن الاحمر وابن اشقيلولة منافسة وشحنا
فازالها واصلح بينهما واجتمعت الكلمة وتالفت القلوب بحول الله تعالى وتفاوضوا
فيما يصلح المسلّمين وكيف يكون العمل فى جهاد المشركين ثم ودّعه ابن الاحمر
وابن اشقيلولة وانصرفا الى بلادهما فسار ابن الاحمر الى غرناطة وابن اشقيلولة
الى مالقة وارتحل امير المسلمين ابو يوسف بجميع جيوش المجاهدين قصدا الى غزو
الكافرين لم يقعد ولم يلبث ولم يبالِ مَنْ قعد ولا مَنْ تخلّف ولم تستلذ
جفونه مناما ولم يلذّ شرابا ولا طعاما حتى وصل الى الواد الكبير مخافةَ ان
يشعر الروم بقدومه وينذرهم به نذير فعقد هنالك لولده الامير ابى يعقوب على
مقدمته وقدّمه بين يديه فى جيش من خمسة الاف فارس واعطاه طبولا وبنودا

فانتشرت الجيوش فى ارض الواد الكبير كانها السيل المرير او الجراد المنتشر الكثير لا يمرّون بشجرة الا قطعوها ولا قرية الا خربوها ولا مال الا غنموه ولا بزرع الا احرقوه فغنموا ما بتلك الناحية من الاموال وقتلوا من وجدوه بها من الرجال وسبوا الذرّية والعيال وسار حتى بلغ حصن المدور من احواز قرطبة يقتل ويسبى ويحرق الزرع ويخرب القرى والرباع حتى هتك جميع احواز قرطبة وابدة وبياسة ونواحيها وقتل بها من الروم الوفا لا تحصى وسبا من نسائهم وذراريهم كذلك ودخل حصن بلية بالسيف وغنم المسلمون جميع ما كان بها من الاموال وامتلات ايدى بنى مرين بالغنائم فامر امير المسلمين بجمع الغنم فخرج البقر والغنم والخيل والدوابّ والعلوج والروميات والذرارى والثياب والعدد فتالف منها ما ملا السهل والوعر ولا يحويه عدد ولا حصر ثم امر بها فقدمت بين يديه وافسد بالحرق والقطع والتخريب جميع ما مرّ عليه واضرم النيران فى تلك الجهات حتى صارت البلاد كالشفق واجتمعت السبى على شنيل وفاضت الغنائم هنالك فيض النيل ثم ارتحل امير المسلمين والغنائم تساق امامه والروم فى الاصفاد مقرنين حتى قربوا من مدينة اشجة فاتى بها النذير الى إمير المسلمين فاخبره ان جميع النصرانية قد تالفت على كبيرهم وزعيمهم دون نونة وانه قد خرج فى طلبه فى جنود عظيمة وحشود كثيرة جسيمة وهو لاحق بك فى يومك هذا مستعدّا الى قتالك وردّ الغنائم من يدك واستنقادها منك ۞

الخبر عن غزو امير المسلمين ابى يوسف دون نونة زعيم النصرانية

لمّا وصل امير المسلمين الى اشجة برز عليها بجيوشه المنصورة وبما اتاه الله تعالى عليه من الغنائم فواتاه النذير باقبال دون نونه اليه بجيوش الروم فدعا باشياخ بنى مرين ليشاورهم كيف العمل فى لقاء الكافرين اذ نظر الناس الى طالع خيل الروم مقبلة نحوهم الوفا الوفا والرجال امامهم صفوفا صفوفا وزعيم الروم دون نونة فى وسط الجيوش كان الفنش لعنه الله قدّ قدّمه على جيوشهم وحروبهم وفوّض له فى جميع بلادهم وامورهم وكان النصارى قد سعدوا به لانه لم ينهزم قطّ وكان وبالا على بلاد الاسلام شديد الوطاة عليها قد اباد اكثرها لا يفتر عنها بالغارات

على

على مرّ الليالى والايام فاقبل اللعين الى حرب امير المسلمين تحت ظلال البنود والابواق تخفق على راسه فى جيش كانه الليل الداجى او موج البحر اذا هاج والخيل والرجال تاتى على اثره زمرا زمرا وافواجا بعد افواج قد اعدّوا للحرب اوزارها وزعموا انهم حماتها وانصارها ودروعهم وخيولهم بالزرد النضيد ومصفحات الحديد فلما عاين ذلك امير المسلمين من امرهم وشاهد عزمهم فى اقبالهم امر بالغنائم فقدمت بين يديه وبعث معها الف فارس من انجاد بنى مرين وتاخر هو بجميع جيش المجاهدين للقاء اعداء الله الكافرين ثم نزل عن جواده فاسبغ وضوءه وصلّى ركعتين ثم رفع يديه واقبل على الدعاء والمسلمون يومنون على دعائه وكان فى اخر دعائه ما دعا به النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر للصحابة اللهمّ انصر هذه العصابة وسلّمها واعنها على جهاد عدوّك وعزّزها وايّدها فقبل الله تعالى دعاءه ورحم تضرعه وابتهاله فلما فرغ من دعائه قام فركب على جواده وعبّا جيوشه واستعدّ لجهاده وجلاده وعقد لولده الامير ابى يعقوب على مقدمته ثم قدم على اشياخ بنى مرين وامراء العرب وروساء القبائل فقال يا معشر المسلمين وعصابة المجاهدين ان هذا يوم عظيم ومشهد جسيم الا وان الجنّة قد فتحت لكم ابوابها وزينت اترابها فجدّوا فى طلابها فان الله تعالى اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنّة فشمروا عن ساعد الجدّ معاشر المسلمين فى جهاد المشركين فمن مات منكم مات شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا فاصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلكم تفلحون ، فلما سمع الناس من مقالته شاقت انفسهم الى الشهادة وعانق بعضهم بعضا للوداع والقلوب لها وجيب وانصداع قد طابت نفوسهم على الموت وباعوها من ربّهم بالجنّة قبل الفوت وارتفعت اصواتهم بالشهادة والتكبير وكلّهم يقولون عباد الله ابشروا بالنصر فتسابقت ابطال المسلمين نحو جيوش الروم فالتقى الجمعان والتحم القتال واشتدّ النزال فلا ترى الا السمر تهوى فى الروم كانها الشهب الثواقب وتفعل فى اعداء الله تعالى فعل العذاب الواصب والسيوف بالدماء ترعف وروس الكفرة عن اجسادهم تقطع وتقطف ودارت بهم ابطال مرين كاسد العرين فيحكمون فيهم السيوف ويذيقونهم مرارة الحتوف قد صبروا صبر الكرام فى حرب سفلة اللئام فنصر الله تعالى جنده واظهر اولياءه وايّد حزبه وقُتل زعيم الكفرة دون نونة وهزمت عساكره وقتلت جموعه ولم يكن الا كلمح البصر حتى لم يُبْقِ السيف منهم مخبرا للخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ولم تبق الدروع عنهم

٥٤

واقية وامر امير المسلمين بقطع روس الروم الذين قتلوا فى المعركة واحصاءها فقطعت واحصيت فكانت ثمانية عشر الف فارس ونيفا وطلعت كانها الجبل وصعد المؤذنون عليها فاذنوا للصلاة فصلّى المسلمون صلاة الظهر والعصر فى وسط المعركة بين القتلى مختضبين فى دمائهم ، فلما فرغ امير المسلمين من صلاة العصر افتقد جيوشه ونظر من استشهد فى تلك الغزاة من المسلمين ممن سبقت له من الله الحسنى وختم له بالشهادة فوجد تسعة نفر من بنى مرين وخمسة عشر من العرب والاندلس وثمانية من المتطوّعين فواراهم التراب ثم حمد الله تعالى وشكره واطال الثناء عليه كما امره وكانت هذه الغزوة الكريمة والمنفعة الجسيمة التى عزّ الله تعالى بها الاسلام واذلّ بها عبادة الاصنام فى الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل المبارك شهر مولد سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من سنة اربع وسبعين وستّ مائة وكتب امير المسلمين بالفتح فى جميع بلاد المسلمين بالاندلس والعدوة فقرئت كتبه على المنابر وعملت المفرحات فى سائر بلاد المغرب والاندلس واخرج الناس الصدقات واعتقوا الرقاب شكرًا لله تعالى ووصل امير المسلمين الى الخضراء بالغنائم والاسرى والسبى فدخلها فى الخامس والعشرين من ربيع الاوّل من السنة المذكورة فى احتفال عظيم وزى عجيب وحبال الروم وزعمائهم يقادون بين يديه فى القنائن والحبال مصفدين فى السلاسل والاغلال وبعث امير المسلمين براس دون نونة الى ابن الاحمر ليرا فعل الله تعالى باعدائه ونصره لاوليائه فاخذ ابن الاحمر الراس فجعله فى المسك والكافور وبعث به الى الفنش يستخدمه بذلك ويتحبّب به اليه واقام امير المسلمين بالخضراء نقسمة ما افاء الله عليهم من الغنائم فاخرج منه الخمس لبيت المال وقسم الباقى فى المجاهدين وكان عدد البقر فى هذه الغنيمة مائة الف راس واربعة وعشرين الف راس واما الغنم فعجز عنها الحصر لكثرتها فتباع الشاة فى الجزيرة بدرهم وكان عدد الاسارى من الرجال والنساء والذرّية سبعة الاف وثمان مائة وثلاثين نفسا وعدد الخيل والبغال والحمير اربعة عشر الف راس وستّ مائة الف راس واما الدرع والسيوف والعدّة ما لها عدد بكثرتها فامتلات ايدى المسلمين وصلحت احوالهم واعطى امير المسلمين حظه للقوى والضعيف والمملوك والشريف واقام امير المسلمين بالخضراء بقية شهر ربيع الاوّل وشهر ربيع الثانى ، فلما كان فى اوّل يوم من جمادى الاولى خرج من الخضراء غازيا الى اشبيلية ولما وصل امير المسلمين الى

الخضراء

الحضراء كتب اليه الرئيس ابو محمّد ابن اشقيلولة كتابا يهنيه فيه بالفتح والنصر والدعاء عليه وفي ءاخر هذه القصيدة

هبّت بنصركم الرياح الاربع ... وجرت بسعدكم النجوم الطلع
وانت لعجزكم الملائك سبقا ... حتى اضاق بها الفضاء الاوسع
واستبشر الفلك الاثير يتغنا ... انّ الامور الى مرادك ترجع
لم لا وانت بذلت في مرضاته ... نفسا تنفد بها الخلايق اجمع
وانبيت تنصر دينه متوكّلا ... بعزيمة كالسيف بل هي اقطع
كتائب منصورة يجدوا بها ... امرًا اذا امضيته لا يرجع
من كلّ من تقوى الله سلاحه ... ما ان له الا التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوائب جارهم ... يوما اذا اضحى الجوار يضيع
لله جيشك والصوارم تنتضى ... والخيل تردى والاسنة تشرع
اخليفة الله الرضى هنيته ... فتح يمدّ بمثاله ويشفع
فلقد كسوتَ للدين عزّا شامخا ... ولبستَ انت منه مالا يخلع
ان الذى سماك خير خليفة ... جعل الخلافة فيكم لا تنزع
هيهات سرّ الله اودعه فيكم ... والله يعطى مَنْ يشاء ويمنع
ان قيل مَنْ خيرُ الخلائف كلّها ... قالبان يا يعقوب تومى الاصبع
فلا تنتم دخر الخلافة والذى ... وجّه الزمان بوقتها يتطلع
جدر ملاءة عزه موصولة ... فعساه يحسدها السماك الاربع
واسلم امير المسلمين لامّة ... انت الملاذ لها وانت المقنع
وحماك من يحمى بسيفك دينه ... وكفاك ما يخشى وما يتوقع
وعليك يا سنى الملوك تحية ... يفنى الزمان وعرفها يتطلوع

الخبر عن غزوة امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله الثانية في جوازه الى الاندلس

قال المؤلف عفا الله عنه خرج امير المسلمين ابو يوسف الى غزوته الثانية من الحضراء اوّل يوم من جمادى الاولى من سنة اربع وسبعين وستّ مائة فقصد الى اشبيلية فسار بجيوش المسلمين حتى نزل عليها بموضع يعرف بالماء المفروش فشنّ الغارات

على احوازها وجالت جيوشه فى اقطارها وغنموا ما كان فى انحايها وركب فى اليوم
الثانى حتى قرب على بابها وبرز عليها تخفق طبوله وتنشر رايته وركب الروم
الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يكن فى ملوكهم من يقدم عليه ولم يستطع
زعيم منهم ان يخرج اليه فلما غنمها وهتك احوازها واحرق قراها وخرب حصونها
ارتحل عنها الى شريش ففعل بها كفعله باشبيلية واقام عليها ثلاثة ايام وارتحل
الى الجزيرة الخضراء فدخلها فى اليوم السابع والعشرين لجمادى الاولى المذكورة فقسم
ما جاء به من الغنائم والسبى فبيعت الرومية فى هذه الغزوة بمثقال ونصف
لكثرتهم ودخل فصل الشتاء فبقى امير المسلمين زمان الشتاء كلّه ساكنا بمحلّته
على واد النساء بقرب الجزيرة واحترم الروم لحراثة تلك السنة فغلت الاسعار بهم
وضعفت بلادهم وقنط بنوا مرين من المقام بالاندلس تشوّقا الى اولادهم وديارهم فلما
علم امير المسلمين ذلك منهم جاز الى العدوة بقصر المجاز وذلك فى آخر يوم من
رجب من سنة اربع وسبعين فكانت مدّة اقامته بالاندلس ستّة اشهر وسار الى مدينة
فاس فدخلها فى النصف من شعبان وعند وصوله الى مدينة فاس نافق عليه طلحة
ابن علىّ البطوى احد اخواله وبتمنّع بجبل ازروا من بلاد فازاز فسارع امير
المسلمين اليه ونزل بعساكره عليه فاذب الى الطاعة ونزل اليه فامنه وعفا عنه وذلك
فى نصف شهر رمضان المعظم من سنة اربع وسبعين المذكورة ، وفى الثانى من شهر
شوال من هذه السنة قتل اليهود بفاس قامت عليهم العامّة فقتل منهم اربعة
عشر يهوديا ولو لا ما ركب امير المسلمين فكفّ العامّة منهم ونادى مناديه لا يتعرّض
لهم احدٌ لم تبق منهم بقية ، وفى الثالث من شوال المذكور امر امير المسلمين
ابو يوسف ببناء البلد الجديدة فاسّست على واد فاس وشرع فى بنائها وحفر اساسها
فى ذلك اليوم وركب امير المسلمين فوقف عليها حتى حدّت واسّست واخذ لها
الطالع الفقيه العادل ابو الحسن بن القطان والفقيه ابو عبد الله بن الحباك وكان
تاسيسها فى طالع سعيد ووقت ميمون مبارك ومن بركتها وسعادة طالعها انها لا يموت
بها خليفة ولم يخرج قطّ منها لواء الا نصر ولا جيش الا ظفر ، وفى شوال
المذكور امر امير المسلمين ببناء قصبة مكناسة وجامعها ، وفى شهر محرّم من سنة
خمس وسبعين خرج امير المسلمين ابو يوسف من مدينة فاس الى مرّاكش فوصلها
فى نصف شهر فاقام بها الى اوائل شهر ربيع الاوّل المبارك من السنة المذكورة وخرج
الى بلاد السوس ثم رجع الى مرّاكش فاقام بها اياما وخرج منها الى رباط الفتح

فدخله

فدخله فى اوّل يوم من شعبان فاقام به وكتب كتابا الى الاشياخ والقبائل من بنى مرين والعرب وسائر قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد فتاقلوا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يلودون ويتثاقلون الى ان دخلت سنة خمس وسبعين فلما رءا اثقال الناس على الجهاد وتثبطهم عن الجواز جدّ نفسه وخاصّته فخرج من رباط الفتح فى اوّل يوم من محرّم من سنة ستّ وسبعين وستّ مائة فسار حتى وصل قصر المجاز فجاز منه الى طريف وذلك فى الخامس والعشرين من محرّم المذكور ۞

الخبر عن جواز امير المسلمين ابى يوسف الى الاندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثانى

قال المؤلف عفا الله عنه لمّا رءا امير المسلمين ابو يوسف تثاقل الناس عن الجهاد خفّ اليه بخاصّته ونهض الى الجواز وسار نحوه بعزيمته فخرج من رباط الفتح فى اوّل يوم محرّم مفتتح عام ستّة وسبعين فوصل الى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس حين راوا عزمه وعلموا جدّه فتداركت فى اخره قبائل بنى مرين والعرب والمطوعة وقبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة واوربة وغمّارة ومكناسة وغيرهم فاخذ فى تجويز الجيوش حتى فرغ منها ثم جاز هو فى اثرهم فنزلوا بساحل طريف وذلك فى اليوم الثامن والعشرين من محرّم المذكور ثم ارتحل عنها الى الجزيرة فاقام بها ثلاثة ايام وخرج الى رندة فوصلها ونزل بخارجها واتاه هنالك بنو اشقيلولة وهم الرئيس ابو اسحاق صاحب واد ياش والرئيس ابو محمّد صاحب مالقة فسلّموا عليه وساروا معه وتحت لوائه الى غزو اشبيلية فارتحل عن رندة فى اوّل يوم من ربيع الاوّل المبارك من سنة ستّ وسبعين فوصل اشبيلية فنزل قريبا منها وكان بها الفنش ملك النصرانية فلما سمع بنزول امير المسلمين اليه لم يمكنه الا الخروج اليه فخرج بجيوشه وجنوده ووقف حول المدينة بعساكره وحشوده واصطفّت عساكر الروم على ضفة الواد الكبير فى استعداد عظيم وعدد كثير جسيم وكلّهم فى الدروع السابغة والبياضة اللمعة والسيوف البواتر والجواشن والحراب والمغافر شعاعها يذهب بالابصار ويدهش الاذهان والافكار فزحف اليه امير المسلمين بجيوش المجاهدين وابطال بنى مرين وذلك يوم مولد نبينا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلما تقارب الجمعان والتقى العيان بالعيان نزل امير المسلمين فصلّى ركعتين على عادته ودعا الله تعالى

بنصره ومعونته ثم قال يا معشر مرين جاهدوا فى الله حقّ جهاده واشكروه ان جعلكم مسلمين فوالله لا يصبر حرّ النار مَنْ جاهد اعداء الله الكافرين وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحقّ وهو قائله لا يجتمع فى النار كافرٌ وقاتله فطوبى لمن يكثر السواد ولم يباشر طعانا ولا جلادا اما والله ان اجر الجهاد لكبير وخطره عند الله تعالى عظيم ومن مات فيه فهو حى يرزق وهذه مرتبة عالية لا تلحق ؛ فلما سمع المسلمون منه الموعظة وعاينت ابطال مرين جيوش الكفرة عاد الجبان منهم قسورة والضعيف كمعمر وعنترة فدفعت عليهم كتائب المسلمين يقدمها النصر والسعد والتمكين وتقدّم الامير ابو يعقوب برايته السعيدة فى الف فارس من انجاد بنى مرين امام ابيه امير المسلمين فاقتحم جيوش الروم فارتفعت الغبرات وضجّ المسلمون بالتكبير والشهادات فكان بينهما قتال عظيم وموقف كريم ثم اقبل امير المسلمين على اثر ولده بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده فلما سمع الروم هزيز طبوله وعاينوا اشراق رايته المنصورة وبنوده ولّوا منهزمين ونكصوا على اعقابهم مدبرين كانهم حمر مستنفرة فرّت داهلة امام قسورة فالجاهم بنوا مرين الى الواد وحكموا فيهم السيوف والصعاد فكلّ من تاه منهم فى البرية قتل فى التيه ومن اقتحم الواد غرق فيه ومن بقى فى المعترك مشمرا للقتال قتل او اسر فمات منهم فى الواد الوف كثيرة واقتحم المسلمون الماء يعومون فى اثرهم فيقتلونهم فى لجّة الغزيرة حتى صار الواد من دمائهم احمر وطلعت جيفهم على وجه الماء وكان منظرهم عبرة للورى ومزقت جيوشهم تمزيقا وفرقت كتائبهم تفرقا وجالت جيوش المسلمين فى تلك النواحى تقتل وتاسر وتحرق وتخرب الى الليل وبات امير المسلمين تلك الليلة راكبا على جواده واقفا على باب اشبيلية والطبول تضرب والنيران تضرم حتى عاد الليل كالنهار والروم يضربون قرونهم ويحترسون بالاسوار فلما ولى الليل بظلمته واشرق الصبح بغرّته على امير المسلمين صلّى صلاة الوسطى مغلسا وارتحل الى جبل الشرف فلم يزل فى انحائه راحلا ومعرسا وتفرق المجاهدون فيه يقتلون ويأسرون ويضرمون النار ويخربون ودخل امير المسلمين حصن نبنالة وحصن حليانة وحصن القلعة بالسيف وقتل جميع رجاله وسبى كافّة نسائهم واولادهم وغنمت اموالهم وخربت حصونهم وحرقت ديارهم ومرّ التحريق والتخريب على اكثر قرى الشرف وحصونه ورجع امير المسلمين بالغنائم والسبى الى الخضراء فدخلها فى الثامن والعشرين لربيع الاوّل المبارك من سنة ستّ وسبعين وستّ مائة فاقام بالجزيرة حتى اقتسم الغنائم على

على المجاهدين واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش فى اوّل جمادى الاولى من هذه السنة توفى الرئيس ابو محمّد بن اشقيلولة بمالقة عند انصرافه من هذه الغزوة ✿

الخبر عن غزوة امير المسلمين الرابعة

لما رجع امير المسلمين ابو يوسف من غزوة اشبيلية وجبال الشرف فاقام بالجزيرة حتى قسم الغنائم واستراح الناس وخرج غازيا الى شريش وذلك فى الخامس عشر من شهر ربيع الاخر من سنة ستّ وسبعين وستّ مائة عازما على هلاكها واستيصالها فسار حتى نزل عليها فحاصرها وشدّ فى قتالها وشرع فى قطع الزيتون والعنب والشجر وحرق الزرع وفسادها وهدم القرى والبروج وتخريبها وكان امير المسلمين رحمه الله يقطع الثمار ويحرق الزرع بيده فابصره الناس فجدّوا فى فعله وكان فعله ذلك للرشاد وافضل للجهاد حتى صارت تلك البلاد خاوية على عروشها وقتل من وجد بها من فرسان الروم وجيوشها وبلغ بالروم من النكاية الى غاية النهاية فلمّا دوّخ تلك البلاد وهتكها بعث لولده الامير الاسعد ابى يعقوب فى سرية من ثلاثة الاف فارس الى غزو حصون الواد الكبير فسار اليها فغنم حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطير وسار مع الواد يفسد ويخرب ويقتل وياسر حتى وصل الى اشبيلية فغنمها ودوّخ احوازها ورجع بالغنائم والسبى الى والده فوجده ينتظره بقريبة شريش ففرح بقدومه وارتحل الى الجزيرة يقسم بها المغانم على بنى مرين وقبائل المجاهدين ثم جمع اشياخ القبائل من بنى مرين والعرب والاغزاز والاندلس فندبها الى الجهاد وقال يا معشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش واحوازها قد ضعفا وبادا وان قرطبة واعمالها بلاد خصيبة عامرة وعليها اعتماد الروم واتّكالهم ومنها قوتهم ومعاشهم فان غزوناها وافسدنا زروعها وقطعنا ثمارها فنت الروم جوعا وضعفت جميع بلاد النصرانية وقد عزمتُ على غزوها فما ترون فى ذلك فقالوا يا امير المسلمين وفقك الله فيما رايتَه واعانك واثابك على ما نويتَ نحن نتبعك فى رايك سامعين لامرك ونهيك لو خُضْتَ بنا البحر لخضناه ولو سِرْتَ بنا الى برْك الغماد لقتلناه فشكرهم ودعا لهم وفرق فيهم الخلع والاموال واحسن اليهم وزادهم وكتب الى ابن الاحمر صاحب غرناطة يخبره انه يريد غزو قرطبة ويدعوه فى

المسير معه اليه ويقول له إن خرجتَ معى اليها فتكون لك مهابة فى قلوب الروم ما عشتَ واجرا عظيما عند الله تعالى ✿

الخبر عن غزوة امير المسلمين ابى يوسف الخامسة وهى غزوة قرطبة

قال المؤلف عفا الله عنه خرج امير المسلمين ابو يوسف الى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء فى جيوشه المؤيدة وكتائبه المنصورة المظفرة وذلك فى اوّل يوم من جمادى الاخرة من سنة ستّ وسبعين وستّ مائة وخرج ايضا الامير ابن الاحمر بجنوده من غرناطة فالتقى الجمعان بجنان الورد من بلاد شذونة فاقبل عليه امير المسلمين وفرح به وجمع الله تعالى كلمة الاسلام والّف بين قلوب اهله فطابت نفوس المسلمين على القتال وقويت نياتهم فاستعدّوا للجهاد فنزلوا على حصن بنى بشير والفتح والنصر اليهم يشير فدخلوه فى حينه عنوة بالسيف وقتل جميع رجاله وسبى نساءهم واولادهم وغنمت اموالهم وهدمت الحصن حتى لا يبقى لها اثر وانطلق امير المسلمين الغارات فى كلّ ناحية من بلاد الكفرة وكلّ مَنْ والى من المسلمين مكانا دمره وغنموا من تلك الجهات من البقر والغنم والمعز والخيل والبغال والحمير والزيت والسمن والقمح والشعير ما لا يوصف فكثرت الخيرات فى محلّة المسلمين وامتلات ايديهم بالغنائم ثم ارتحلوا الى قرطبة فبرز امير المسلمين عليها بالساقات والجيوش وضربت عليها الطبول وارتفعت اصوات المسلمين بالتكبير فتحصّن الروم بالاسوار والرماة وسار امير المسلمين تحت ظلال بنوده وقدّم بين يديه ابطاله وجنوده حتى وقف على بابها ثم دار باسوارها ينظر كيف الحيلة فى قتالها ووقف ابن الاحمر بعسكر الاندلس امام محلّة المسلمين يحرسونها خوفا لمّا يحدث من قبل الروم فتفرّقت عساكر بنى مرين والعرب فى احواز قرطبة وحصونها وقراها ومدنها فيقتلون ويأسرون ويفسدون ويخربون ودخلوا حصن الزهراء بالسيف فاقام امير المسلمين على قرطبة ثلاثة ايام حتى هتكها وخرب قراها واحرق زروعها ودوّخ ارضها وارتحل عنها الى بركونة فدخل ارباضها بالسيف وخرقها وقطع ثمارها وارتحل الى ارجونة ففعل بها كفعله فى بركونة وبعث الجيوش الى مدينة جيان وبثّ السرايا فى كلّ جهة فانتشرت فى تلك البلدان فلما رءا الفنش ما نال بلاده من الفساد والدمار وما حلّ برعيته من

القتل

القتل والاسر والتبار جنح الى الصلح ورغب فيه وبعث الاقسة والرهبان الى امير المسلمين يسالمه ويستعطفه فوصلوا الى بابه ويرغبون فى السلم صاغرين ويضرعون اليه داخلين فقال لهم انا ضيف لا اصالحكم الا ان صالحكم ابن الاحمر فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له انّ امير المسلمين قد ردّ الامر اليك وقد التمسناك لتصالحنا صلحا مديدا يدوم على توال الاعصار ويبقى ما تعاقب الليل والنهار واقسموا له بصلبانهم إن لم يرضه الفنش خلعوه من سلطانهم لانه لم ينصر الصلبان ولا حمى الثغور ولا ضبط البلدان وقد ترك رعيته نهبا للعدوان وتمادت بهم الاحوال لم يبق منهم احد، فاتى ابن الاحمر الى امير المسلمين فبيّن له الامور واخبره انّ الاندلس لا تسكن الا بالصلح على قديم الدهور وقد سمّاه الله تعالى الصلح خيرا فانعقد الصلح بين ابن الاحمر والرهبان وقال لهم تصلون اليها فى اثرنا الى حضرة امير المسلمين فيكون بها تمام الصلح والاشهاد به علينا وعليكم ان شاء الله تعالى فرحل امير المسلمين من ارجونة قاصدا الى الجزيرة واخذ على طريق غرناطة فاعطا الغنائم كلّها لابن الاحمر احسانا اليه وفضلا منه وايثارا عليه وقال لا يكون حظ بنى مرين من هذه الغزوات الا الاجر والثواب فسار ابن الاحمر بالغنائم الى غرناطة وسار امير المسلمين على مالقة حتى دخل الجزيرة وذلك فى العشر الاوّل من شهر رجب من سنة ستّ وسبعين وستّ مائة فنزل بمحلّته خارجها وعند وصوله اليها مرض وبقي مريضا سبعين يوما وذلك عشرين يوما من رجب وشعبان بأسره وعشرين يوما من رمضان حتى تحدّث الناس بموته فى بلاد العدوة فبعث ولده الامير ابا يعقوب الى العدوة يهدن الناس ويسكن روعاتهم فلما وجد امير المسلمين الراحة من مرضه اتته ارسال الروم مع الرهبان والاقسة فى تمام الصلح فصالحهم وذلك فى اخر شهر رمضان من السنة المذكورة، وفى شهر رمضان من السنة المذكورة بعث الرئيس ابن اشقيلولة الى امير المسلمين يرغب منه ان ياخذ منه مالقة وقال له انى قد عجزت عن ضبطها فان لم تصل اليها وتقبضها من يدى اعطيتها للروم ولا يتملكها ابدا ابن الاحمر وكان ابن الاحمر قد اعطى عليها للفنش من البلاد والحصون عددا كثيرا وكذلك اعطى عليها ابن اشقيلولة فبعث اليها امير المسلمين ولده الامير ابا زيان فقبضها منه ودخل فى قصبتها وذلك فى العشر الاخر من شهر رمضان المذكور فقام امير المسلمين بعده بالجزيرة حتى انقضى شهر رمضان وعيّد عيد الفطر بها ثم خرج الى مالقة فى ثلاث من شوال فدخل فى اليوم السادس منه فتلقاه

اعداله ببرز عظيم وفرحوا به وتمهّدت روعاتهم وتامّنت بلادهم فاقام بقية شوال وشهر ذى قعدة وثمانية عشر يوما من شهر ذى حجّة وارتحل الى الجزيرة برسم الجواز الى العدوة بعد ان رتب فيها الف فارس من بنى مرين والعرب وسكن فى قصبتها عمر بن علىّ وقدّمه عليها وعلى جيشها وجاز الى العدوة وذلك فى العشر الاوائل من المحرّم سنة سبع وسبعين وستّ مائة فوصل مدينة فاس فاقام بها اياما ثم خرج الى مدينة مرّاكش ، ولمّا تحقّق الفنش لعنه الله جواز امير المسلمين الى العدوة واستقراره بحضرة مرّاكش نقض صلحه ورفض الايمان ونكث العهود ونسى الاحسان وهذه صفة المشركين الذين وصفهم الله تعالى فى كتابه المبين فقال وقوله الحق يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فبعث اللعين الافرونة بحصر الجزيرة وقطع المجاز فلمّا رءا ذلك عمر بن علىّ قائد امير المسلمين على مالقة غدر وقام بها وراسله ابن الاحمر فى شانها فباعها منه بخمسين الف دينار وحصن سلويانية وذلك فى نصف رمضان من سنة سبع وسبعين وستّ مائة واتى ابن الاحمر بجيوشه حتى دخل مالقة وملكها وحمل عمر بن علىّ جميع ما كان امير المسلمين تركه بها من العدد والمال برسم المرتبات والانفاق على اجفان والغزاة ، واتّصل بامير المسلمين غدر ابن علىّ وبيعه مالقة لابن الاحمر فبلغ منه كلّ مبلغ وخرج من فوره عن مرّاكش قاصدا الى الاندلس وذلك فى ثلاث شوال من سنة سبع وسبعين وستّ مائة فوصل قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الامطار والرياح والسيول لم تزل الانواء مصطحة لا يقلع المطر ليلا ولا نهارا فلم يستطع الرحيل لاجل ذلك ووردت عليه الاخبار وهو بهذه المنزلة انّ النصارى دمّرهم الله قد نزلوا الجزيرة برًّا وبحرًا المحلّات فى البرّ والاجفان فى البحر وكان نزول الافرونة عليها فى نصف ربيع الاوّل من سنة سبع وسبعين وستّ مائة فنزلها الفنش بعساكره فى البرّ فى سادس شوال من السنة بعينها فامر امير المسلمين بالرحيل الى طنجة لينظر فى الجواز الى الاندلس واستنقاذ الجزيرة فبينما الناس يرتحلون اذا تواترت الاخبار فى المحلّة انّ امير عرب سفيان مسعود بن كانون قد نافق ببلاد نفيس من احواز مرّاكش وتبعه جميع عرب سفيان فاسرع امير المسلمين بالرجوع الى مرّاكش فلما وصلها فرّ مسعود بن كانون امامه الى جبل السكسيوة وتمنّع منه هنالك وترك جميع امواله وامتعته فاخذها امير المسلمين ففرقها فى بنى مرين ونزل عليه فحاصره بجبل السكسيوة واقام عليه واقسم ان لا يرتحل عنه حتى ينزل على حكمه او يموت دون ذلك وكان نفاق مسعود بن كانون المذكور

المذكور يوم الاحد الخامس من ذى قعدة من سنة سبع وسبعين وستّ مائة فقام محاصرا له وبعث ولدَه الامير ابا زيان الى بلاد السوس فدخلها وهدنها وقمع ثوارها وجبا خراجها ورجع الى والده فوصله فى ءاخر يوم من ذى حجّة من السنة المذكورة ولما طال مقام امير المسلمين على حصار الثائر مسعود بن كانون توارثت عليه الاخبار بما هى عليه الجزيرة الخضراء من شدّة الحصار وتوقع القتل والاسر بالليل والنهار وكان جملة من نزلها فى البرّ الفنش لعنه الله فى ثلاثين الف فارس من الروم وثلاث مائة الف راجل فشدّ عليها الحصار ودارت محلّاتهم بالاسوار واحدقوا بها كالسوار بالمعصم ونصبوا عليها المجانيق والرعادات وضيّقوا عليها ضيقا عظيما حتى لا يدخلها احد ولا يخرج منها وكان اهلها لا يسمعون خبرا الا ما ياتيهم به الحمام من جبل الفتح يحمل اليهم الكتاب ويردّ عليهم الجواب وفنى اكثر اهلها بالاسر والجوع والقتل وسهر الليل فى الاسوار والحراسة والقتال بالليل والنهار حتى اشرف مَنْ بقى بها على هلاك وقطعوا اياسهم من الحياة فجمعوا صبيانهم وطووهم خوفا عليهم من التحويل ونقاء ان تدخل عليهم المدينة فيدعونهم الروم الى تبديل، فلما سمع امير المسلمين ما ءال اليه امرُ الجزيرة وقد سبق يمينه ان لا يرتحل عن ابن كانون حتى يظفر به او ينزل اليه على حكمهْ دعا بولده الامير الاجلّ ابى يعقوب وامره ان يسير الى طنجة برسم النظر فى استنقاد الجزيرة وعمارة الاجفان لجهاد الافرونة الحاصرة لها فخرج الامير ابو يعقوب من حضرة مرّاكش قاصدا الى طنجة وذلك فى شهر محرم من سنة ثمان وسبعين وستّ مائة فوصل طنجة فى غرّة صفر ثانى المحرّم المذكور فامر بعمارة الاجفان بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا وفرق الاموال والعدد على الغزاة والمجاهدين وكان من اهل سبتة من هذه العمارة وغزو هذه الافرونة جهد عظيم فان الفقيه ابا حاتم العزفى رحمه الله لما وصله كتاب الامير ابى يعقوب يامره بالعمارة جمع اشياخ سبتة وقوادها وروءساءها وغزاتها فندبهم للجهاد وحضّهم على نصرة اهل الجزيرة واستنقاذها مما هى فيها من الهلاك والجلاد فبادر جميع مَنْ فيها وسارعوا خفافا وثقالا الى ركوب الاجفان فعمر اهل سبتة خمسة واربعين جفنا ما بين كبار وصغار وركب فيها تطوعًا برسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والصلحاء والطلبة والتجار والسوقة ومَنْ لا معرفة له بالحرب كلّ قد باع نفسه من الله تعالى ولم يبق بسبتة الا النساء والزمناء والشيوخ الذين لا قوة لهم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلمَ وعمّر ابن الاحمر فى المنكب والمرية ومالقة التى

عشر جفنا وعمّر الامير ابو يعقوب بطنجة وسلا وبادس وانفا خمسة عشر جفنا فتمّ
فى الجبع اثنان وسبعون قطعة واجتمعت اجفان المسلمين كلّها بسبتة ثم انقلعوا
منها الى طنجة ليراهم الامير ابو يعقوب فوصلوها فى احسن زىّ واكمل استعداد
فركب فيها هنالك جماعة من انجاد بنى مرين ممن رغب فى الجهاد وعقد لهم
الامير ابو يعقوب رايته السعيدة المنصورة وقال سيروا على بركة الله تعالى ويمنه
فارتفعت اصوات المجاهدين بالشهادة وضجّ الناس بالدعاء لهم والابتهال الى الله تعالى
فى نصرهم وتاييدهم على عدوّهم فاقلعوا من طنجة ثامن ربيع الاوّل المبارك من سنة ثمان
وسبعين وستّ مائة والناس يبكون ويتضرّعون فاقام اهل سبتة وطنجة وقصر المجاز
اربعة ايام بلياليها لم ينم منهم احد ولا غلق فيها باب ومن كان بقى منهم من
الاشياخ والصبيان ركبوا الاسوار واقبلوا على الدعاء والتضرّع لهم بالليل والنهار
فانتشرت قلوع المسلمين فى البحر وقدموا المناطح وصار الموج لهم كالاباطح وسكنت
بيمن الله تعالى الرياح ليطيب لهم الحرب والكفاح واذا سكنت البحار الزواخر
تعدلت عن جريها القراقر فقصدت اجفان المسلمين جبل الفتح فباتوا به تلك الليلة
مرابطين وباتوا المجاهدون باجفانهم ما بين تال لكتاب الله تعالى وذاكر وداع ومتهجد
فلما انفجر الصبح من يوم الاربعاء العشر من ربيع الاوّل المذكور صلّوا صلاة الصبح
لاوّل وقتها فقام فيهم بعض الفقهاء الصلحاء خطيبا وذكّرهم بما اعدّ الله تعالى
للمجاهدين من الاجر العظيم والثواب الجسيم حتى ذرفت عيونهم وثابت قلوبهم
وقويت نفوسهم وخلصت نياتهم واشتاقوا الى الشهادة وتوادعوا وعانق بعضهم بعضا
وتعافوا فيما بينهم ثم اقلعوا قاصدين نحو اجفان المشركين ، فلما ابصر الروم
سروع المسلمين قاصدة نحوهم وقد سدّت المسالك قاصدة للحرب والمهالك قذف الله تعالى
الرعب فى قلوبهم والتحم بعضهم ببعض ليكون امنع لهم فى حروبهم وصعد قائدهم
الملند الاكبر ظهر قرقورة ليرى اجفان المسلمين فعدّ منها الفا وظنّ انّ الباقى
اكثر وعدّها قواد الروم فاجمعوا على انها الف ونيف ليس فيها عندهم خلاف ولا
ريب وسقط فى ايديهم وكثّرها الله تعالى فى اعينهم وايقنوا بالهلاك والدمار
وعزموا على الهروب والفرار واقبلت اجفان المسلمين انجدهم الله تعالى فاصطفّت امامهم
مثل السور متوكّلين على الله فى جميع الامور وكلّهم قد طبّ نفسه على الموت
وباعها من الله تعالى بالجنّة قبل الفوت فبرز اليهم الملند قائد الاقرطة فى قرقورة قد
اعدّها وبرز معه جماعة من قواد الروم وغزاتها فى قطايع معدّة وقواقير هايلة وكلّهم

قد لبسوا الحديد واظهروا العدّة والعديد واكبر جفون المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقورة ارتفاع الجبل الشاهق واذا نشرت شراعها صيرته لها ارضا وجرت عليه جرى الجواد السابق فالتحم الحرب بين الفريقين وتشهد المسلمون وقلوا لا اثر بعد عين واقبلت سهام المسلمين عليهم صايبة كانها المطر الواكف او الريح العاصف فى تنفذ التراس والدرع وتفرق الكتائب والجمع من الاجفان بالقتل والجراح وتولى عليهم رشق السهام وطعن الرماح، فلما رءا الكفرة ما نالهم من الامر نحو العفار ولّوا الادبار واخذوا فى الفرار وقالوا هذه سفرة دائرة وكرة خاسرة فتراما المسلمون معهم فى الاجفان فقتلوا منهم عددا لا يحصى وتراما اكثرهم فى البحر يعومون كالضفادع ويتساقطون فيه تساقط الفراش فقتلهم المسلمون بالرماح الذوابل والسيوف القواطع حتى لم يبق منهم باقية واضحت اجفانهم منهم خاوية خالية فملكها المسلمون واحتووا على ما فيها من العدد والازواد وفرح المجاهدون واستبشروا المسلمون الذين بداخل الخضراء بفساد الاغروفة وهلاكها وقتل تمانتها واخذها وايقنوا بالحيوة بعد ما اشرفوا على الوفاة واتاهم من الله تعالى الامان بعد الذكر واليسر بعد العسر والنصر بعد الصبر والرخاء بعد الشدّة والسرّاء بعد الضرّ والضياء بعد الظلام والصحو بعد الغمام ودخلت اجفان المسلمين الجزيرة على من بها من الروم عنوة بالسيف وقتلوا جميع من وجدوه بها واسر قائدهم المكتند وجماعة من قواد الروم منهم ولد اخت الفنش وكبير بيوته واحتوى المسلمون على جميع ما كان بالجزيرة وفى الاجفان من العدد والسلاح والاسلاب والذخائر التى جاء بها التجار من الحلى والثياب والجواهر والعدد واحتملوا من ذلك ما لا يصفه لسان ولا يحويه عدد، ولما رءا اهل المحلّة التى فى البرّ محاصرين للخضراء ما اصاب اهل البحر من الاسر والقتل والفسد خافوا من فجاة جواز الامير ابى يعقوب اليهم اذ كان مقيما بساحل طنجة مستنفرا للجهاد فاخذوا فى الرحيل والفرار وخلعوا جميع ما كان معهم من الاثقال والازواد فى تلك الدار فخرج الناس من الخضراء رجالا ونساء فانتشروا فى مضاربهم وجالوا فى منازلهم يقتلون ويغنمون فوجدوا بها من الاسلاب والاموال والفواكه والادام والشعير والدقيق ما لا يحصى كثرته فانتهبوا ذلك كله وادخلوه المدينة فبيع الدقيق القرطبى بالجزيرة ربعا بدرهم بعد ان كان فى غدرته معدوما بالكلّية لا يوجد غاليا ولا رخيصا، ومن فضل الله تعالى وتسديده وتاييده فى هذه الغزوة ان اجفان المسلمين كانت نيفا وسبعين جفنا واجفان الروم

زادت على اربع مائة قطعة فغلبتها وسار البشير الى الامير ابى يعقوب فاعلمه بما سناه الله تعالى لعباده المسلمين من الفتح الجليل والصنع الجميل فحمد الله تعالى واثنى عليه وكتب فى الحين الى والده بالفتح وكانت هذه المنّة العظيمة الجسيمة فى اليوم الثانى من شهر ربيع الاوّل المبارك يوم مولد سيدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من سنة ثمان وسبعين وستّ مائة فورد كتاب الفتح على امير المسلمين وهو محاصر لمسعود بن كانون بجبل سكسيوة فخرّ لله تعالى ساجدا ولم يزل له شاكرا وحامدا ثم امر باخراج الصدقات وتسريح المسجونين والمفرحات وضرب الطبول فى جميع بلاده وكان رحمه الله من حين اتّصل به حصار الخضراء لم يلتذّ بمنام ولم يستطب طعاما ولم يقرب امراة ولا غيّر زيا ولم يطب له عيش الى ان وصله خبر الفتح وفساد الاغرونة وفرار المحلّة واقلاعها على الجزيرة وجاز الامير ابو يعقوب باثر هذا الفتح الى الخضراء وذلك فى غرّة ربيع الاخر فخافت الروم فى جميع الاقطار وعملوا على الحصار فى جميع الامصار فهاله عن غزو بلادهم منافسة مع ابن الاحمر فى اخذه مالقة فصالح الامير ابو يعقوب الفنش على ان ينزل معه غرناطة وجاز الى العدوة وجوّز معه زعماء الروم وسار بهم الى ابيه ليتمّ لهم الصلح بين يديه وظنّ ان فعله ذلك مما يرضى اباه فلما سمع امير المسلمين بذلك غضب له ولم يرضه وسار الى بلاد السوس واقسم الا يرى احدًا من الزعماء الذين اتى بهم ولده الى ان يرامم فى بلادهم فانصرف الزعماء خائبين ورجع امير المسلمين من بلاد السوس فدخل حضرة مراكش واقام بها اياما وخرج الى مدينة فاس فوصلها واستقرّ بحضرته من المدينة البيضاء منها وانفذ الكتاب الى قبائل بنى مرين والعرب يستنفرهم للجهاد ثم خرج من حضرة المدينة البيضاء قاصدا الى الاندلس برسم اصلاح احوالها وتسكين فتنها وجهاد غزوها وذلك فى غرّة رجب من سنة ثمان وسبعين المذكورة فوصل طنجة فى نصف رجب المذكور فنزل بقصبتها واستشرف على احوالها منها فوجدها قد اضرمت نارا وعظم النفاق فى جميع اقطارها بين المسلمين والروم واغتنم العدوّ فرصته فيها لغيبة امير المسلمين عنها وتغيّره عن ابن الاحمر بسبب مالقة فبعث رسله الى ابن الاحمر ليردّ عليه مالقة ويصالحه فامتنع ابن الاحمر من صلح واغلظ له فى القول وكان ابن الاحمر قد صالح يغمراسن بن زيان وبعث اليه اموالا جليلة وهدية عظيمة على ان يشغل عنه امير المسلمين ويثقل عليه الحرب فى حين ويشنّ الغارات على بلاده حتى يمنعه من الجواز الى الاندلس فاخبر امير المسلمين

بخبرهما

بخبرهما فبعث رسله على يغمراسن يسأله عن الذى بلغه ويطلب منه تجديد الصلح فقال للرسول لا صلح بين وبينه ابدا وليس له عندى ما عشتُ الا الحرب وكلما وصله عن صلحى مع ابن الاحمر فهو حقّ فقل له يتاهب للقاءى ويستعدّ لقتالى ونزالى فابلغه الرسول المقالة فاسترجع امير المسلمين فقال اللهمّ انصرنى عليهم يا خير الناصرين ثم خرج من طنجة راجعا الى مدينة فاس فدخلها فى عاخر شوال من سنة ثمان وسبعين وستّ مائة فكانت مدّة اقامته بطنجة ثلاثة اشهر وسبعة ايام فاقام بمدينة فاس وبعث رسوله ثانية الى يغمراسن ليقيم عليه الحجّة ويبيّن له المحجّة ويقول له يا يغمور الى متى هذا الضلال والغرور اما ان تنسرح الصدور وتنقضى هذه الشرور اما علمتَ ان السنّ قد انتهى وذهب الشباب وجاوزت معترك المنايا فهلم الى الصلح الذى جعله الله تعالى خيرا للعباد واسلك منهاج التقوى والرشاد وبادر الى التعاون على البرّ والتقوى والجهاد واعمل على الجهاد والرباط وكن بغزو الروم ذا اغتباط

حتّى متى لا تزدجر حتى متى	لا بدّ من كاس الحمام للفتى
فان ابيت السير للجهاد	وحدّت عن مناهج الرشاد
فاترك الناس الى جهادهم	مزمنين فى حمى بلادهم
واهد ولا تنهض الى تجين	فانهم فى العهد معْ مرين

فوصلته الرسل وابلغوه الرسالة وادوا اليه الموعظة والمقالة فلمّا سمع ذكر تجين فى اثناء اللفظ اقام منزعجا وقعد وكاد يتميّز من الغيظ وقال والله لا كففت عن تجين ولو رايت الفنش فى سجين فليصنع ما بدا له وليتاهب للحرب فهو اولى به، فلما قطع المنصور من صلحه الاياس خرج الى قتاله من حضرة فاس وذلك فى شهر ذى حجّة سنة تسع وسبعين وستّ مائة فسار حتّى وصل فجّ عبد الله فاجتمع هنالك بولده الامير ابى يعقوب ثم ارتحل الى رباط تازا فاقام به اياما ثم خرج فنزل وادى ملوية وليس فى جيشه خمس مائة فارس فاقام عليه اياما فتلاحقت به الجيوش والابطال وتوافت عليه قبائل مرين الاقيال وقدمت عليه العساكر كالسيول حتى ملات محلّته الربا والسهول فارتحل حتى نزل تامت فتوفّى هنالك ولده ابراهيم ثم سار حتى نزل وادى تافنت واما يغمراسن فنزل امامه بالمال والاعيال والنفير والقطمير وقدمت معه قبائل الاعراب بالشاة والبعير فنع امير المسلمين الناس من القتال فاشتاقت بنوا مرين للحرب والنزال فخرجت جماعة منهم متصيدين وعلى محلّة

فوارس متشوّفين فاذا بهم لذّة الصيدان وصلوا الى اطراف محلّة يغمراسن خرجت اليهم بنوا عبد الوادى وبادرت اليهم الاعراب كالجراد فكسروهم حتى وصلوا الى امير الوادى فلما رءا امير المسلمين بنى عبد الوادى فى ءاثر خيله وكان كما سلم من صلاة الظهر ركب جواده وركبت جيوش مرين والعرب وسائر الاجناد واقبلوا نحوهم كالاسد ومرّت الخيل على فستين نصف قصد محلّة يغمراسن ونصف سار الى محلّة العرب الذين اقبلوا معه وتاخر امير المسلمين هو وولده الامير ابو يعقوب فى نحو الفى فارس من انجاد بنى مرين فالتحم القتال وحمى الوطيس واشتدّ الحرب بين الفريقين وصرخ ابليس ولم يزل القتال يشتدّ بينهم الى صلاة العصر فاقبل الامير ابو يعقوب فى نحو من الف فارس من بنى مرين واقبل ولده الامير ابو يعقوب كذلك فى ناحية اخرى وكلّ واحد منهما بطبوله وبنوده فاحدقوا بهم من كل جانب واحاطوا بهم كالعذاب الواصب واسبلوا فيهم القنى والقواضب فرءا يغمراسن ما لا يقدر عليه فولّى هاربا مهزوما وخلف القباب والاموال والمضارب والعيال وفرّ فى البيداء كعوائده ولم يفكر فى امواله ولا فى نواعده فقتلت جنوده وحكمت بنوده ودخل الى حضرته ونحسه باد على غرّته وانتهب الناس جميع محلّته ولم يزل الناس طول ليلتهم الى الصباح ينتهبون سائر البلاد والنواحى وباتت طبول امير المسلمين فى محلّته تضرب فى الخيام طول ليلته واخذ اموال العرب باسرها وامتلات ايدى مرين من شاتها وبعيرها ووصل ابو زيان بن عبد القوى الى امير المسلمين ابى يوسف وبايعه واقام معه فى بلاد يغمراسن هو وقبيلته من بنى تجين يومرون ويفسدون ويخربون فلمّا استاصل جميع بلاده واكل زروعها ونهبها وحرب ربوعها امر بنى تجين بالرجوع الى بلادهم واعطاهم اموالا جليلة فى حبائهم واقام هو على تلمسان حتى وصلت تجين بلادهم ثم ارتحل راجعا الى المغرب فوصل مدينة فاس فدخلها فى شهر رمضان من سنة ثمانين وستّ مائة فاقام بها الى ءاخر شوال وارتحل الى مدينة مرّاكش فى اوّل شهر ذى قعدة من سنة ثمانين المذكورة فدخلها فى غرّة محرّم من سنة احدى وثمانين وست مائة فبنا بها بامراة مسعود بن كانون وبعث ولده الامير ابا يعقوب الى بلاد السوس واقام هو بمرّاكش فوصله بها رسول الفنش وكتبه يدعوه فيها الى نصرته ويقول له ايها الملك المنصور ان النصارى نقضوا عهدى وثاروا علىّ مع ولدى وقالوا شيخ كبير قد ذهب رايه وفنا عقله واُعتى عليهم ويكون سيرى معك اليهم واغتنم المنصور هذا الحال وجعل جوابه اليه ارتحل فارتحل عن مراكش

مراكش فى ربيع الاوّل فلم يدخل بلدا ولا تلبّث ولا امهل حتى وصل الى قصر المجاز فجاز منه الى الخضراء وذلك فى ربيع الثانى من سنة احدى وثمانين وستّ مائة فوجد النصارى فى نهاية الضعف وغاية الشتات فاتته خصص بلاد الاندلس فسلّموا عليه فارتحل ونزل بصخرة عباد فاتاه الفنش بها خاضعا ذليلا فاكرمه امير المسلمين وعظم قدره وشكى اليه بقلّة ذات يده وقال له ما لى غيات سواك ولا نصرى الا اليك ولم يبق لى الا التاج وانا فى هذه الحركة محتاج وهو تاج ابى واجدادى فخذه رهنا فى المال واعطنى ما انفقه فى الحال فاعطاه امير المسلمين مائة الف دينار وسار معه يغزوا فى بلاد الروم حتى وصلوا الى قرطبة فنزل عليها وقاتلها اياما وولد الفنش محصور بها وبعث سراياه الى جيان فافسد زروعها ثم ارتحل امير المسلمين الى احواز طليطلة يقتل ويسبى ويغنم الغنائم ويخرب القرى والحصون حتى وصل الى مجريط من احواز طليطلة وقد امتلات ايدى المسلمين بالسبى والغنائم فرجع لاجل ذلك الى الجزيرة فكانت غزوة عظيمة لم يكن مثلها فى سالف الدهر فدخل الجزيرة فى شعبان من السنة المذكورة وهى الغزوة السادسة ، فاقام بالجزيرة الى ءاخر ذى حجّة من العام المذكور وخرج فى اوّل محرّم من سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة فنزل مالقة وفتح باحوازها حصونا كثيرة منها حصن قرطمة وذكوان وسهيل ، وفى هذه السنة اصطلح ولد الفنش مع ابن الاحمر لاجل صلاح والده مع امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله فاشتعلت الاندلس نارا واصل ذلك مالقة وضاقت الدنيا على ابن الاحمر فبعث رسله الى الامير ابى يعقوب ببلاد العدوة ويسأله الجواز ليصلح هذه الخطوب فجاز الامير ابو يعقوب الى الاندلس فى شهر صفر من سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة بعد أن دام النفاق بينهما مدّة فاصلح الله تعالى على يديه بين المسلمين ورفع ببركته علام الدين واجتمعت كلمة الاسلام ورجع الغزو لعبدة الاصنام وبثّ امير المسلمين سراياه فى بلاد الكفرة فغنموا وسبوا ثم خرج من الخضراء غازيا الى قرطبة وهى غزوة البيرة ۞

الخبر عن خروج امير المسلمين الى غزوة البيرة

خرج اليها من الجزيرة فى اوّل يوم من ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة فسار حتى وصل قرطبة فغزا بلادها وغنم حصونها وخرب معمورها وارتحل نحو

انبرة ونرك محلّته على بياسة بالمغانم والانقال ونرك منها خمسة الاف فارس من حماة الابطال وكان فى ذلك رياسة وسياسة فانها دارت بها بلدانهم فجدّ امير المسلمين السير الى البرة فسار يومين بارض خالية حتى وصل الى المعمور فاغارت الخيل حتى وصلوا الى احواز اطليطلة ولم يبق بين امير المسلمين وبينها غير مرحلة واحدة وما صدّه عن غزوها الا كثرة ما بايدى المسلمين من الاموال والسبى والقتل وقتل فى هذه الغزوة من الروم الوفا لا تحصى ورجع امير المسلمين على طريق اخرى يحرق ويخرب ويسبى ويقتل حتى وصل الى مدينة ابره فقاتلها ساعة من النهار فرماه علج بسهام من سورها اصاب الفرس الذى كان عليه وسلم الله تعالى اميرَ المسلمين منه فارتحل عنها الى محلّته التى تركها على بياسة فقام بها ثلاثة ايام حتى استراح الناس وارتحل عنها بعد ما دمّرها فسار الى الجزيرة وقدّم بين يديه من السبى والاموال والكراع ما يعجز عنه الوصف فدخلها فى شهر رجب من سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة ، فقسم بها الغنائم بين المسلمين وجاز الى العدوة فى اوّل يوم من شعبان فقام بطنجة ثلاثة ايام وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى العشر الاخر من شعبان المذكور فصام بها رمضان وعيّد بها عيد الفطر وارتحل الى مرّاكش فوصل رباط الفتح فقام بها شهرين ثم ارتحل الى حضرة مرّاكش فدخلها فى المحرّم من سنة ثلاث وثمانين وستّ مائة وبعث ولده الامير ابا يعقوب الى بلاد السوس برسم غزو العرب ومن بها من القبائل الخارجة ففرّت العرب امامه الى الصحراء فتبعهم حتى بلغ الساقية الحمراء ومات اكثر العرب الفارّين جوعًا ومرض امير المسلمين ابو يوسف بمرّاكش حتى اشرف على الموت وكتب الى الامير ابى يعقوب ان يسرع بالوصول قبل ان يعاجله الموت فارتحل نحو مرّاكش فلما وصل الى والده فرح به وسرّ الناس بقدومه ووجد اميرُ المسلمين الراحة واستنقل من مرضه وعاد الى صحته وارتحل عن مرّاكش برسم بلاد الاندلس عازما على الجهاد وذلك فى عاخر جمادى الاخرة من سنة ثلاث وثمانين وستّ مائة فدخل رباط الفتح فى نصف شعبان من السنة المذكورة فصام بها شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ووفد عليه برباط الفتح اشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنية بصحته ، وكان فى ذلك العام قحط شديد حتى الى عاخر رمضان المعظم يوم موت الحرّة المذكورة وفى عاخر شوال من هذه السنة ارتحل امير المسلمين من رباط الفتح الى قصر المجاز فكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ثم شرع فى تجويز الجيوش الى الاندلس بقية سنة ثلاث

وثمانين

وثمانين المذكورة ، فلمّا كان فى اوّل يوم من صفر من سنة اربع وثمانين وستّ مائة وقد تكامل الناس بالجواز جاز الى الاندلس فنزل بطريف ثم سار منها الى الخضراء ۞

الخبر عن جواز امير المسلمين ابى يوسف الى الاندلس وهو الجواز الرابع

قال المؤلف عفا الله عنه جاز امير المسلمين ابو يوسف الى الاندلس برسم الجهاد وهو الجواز الرابع وذلك يوم الخميس الخامس من صفر من سنة اربع وثمانين وستّ مائة فنزل بجزيرة طريف ثم سار منها الى الخضراء فقام بها اياما ثم خرج منها غازيا الى بلاد الروم فسار حتى وصل الى وادى لكّ فوجد الزرع فى اقبالها والخيرات فى تناهيها فبثّ الغارات فى بلاد الروم ثم ارتحل فنزل مدينة شريش ينتقل الى غيرها من بلاد الروم حتى يأتى على آخر بلاد الروم التى يوالى المسلمون وينزل على كلّ قاعدة من قواعدهم بحصرها حتى يقضى الله تعالى فى ذلك بما يشاء فكانت هذه نيته وكان نزوله مدينة شريش فى اليوم الموفى عشرين من صفر من سنة اربع وثمانين وستّ مائة فكان من يوم نزوله اياها اذا صلّى الصبح ركب وركب جميع المجاهدين فيقف على باب مدينة شريش ثم تفترق الجيوش فى احوازها لافساد الزروع وقطع الثمار وتخريب القرى فلا يزال رحمه الله واقفا من اوّل النهار الى صلاة العصر فاذا صلّى العصر رجع الى بيته ورجع المسلمون الى محالّهم فكان لا يفتر عن تحريض المسلمين ولا عن الوقوف عليهم وسبب مداومته على هذا الحال انه علم ان النصارى دمّرهم الله قد تفرغت مخازنهم من الزرع وان الغلا قد عمّ بلادهم والجوع قد استولى على سائر اقطارها فخاف ان يتمكنوا من هذه الطائفة فيتزوّدون بها ويكون لهم فيها بلغة عيش فداوم على افساد الزروع لاجل ذلك ودأب على قطع المرافق عنهم بالكلّية ، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور وصل الى محلّة من كان بقى على بحير واقطارها من بنى مرين والعرب بعد ما افسدت طول اقامتها هنالك جميع ما كان على بحير من الزروع وجنّات وكرمات واشجار ومرّوا على مدينة ابن السليم فافسدوا زروعها وقتلوا منهم واسروا ، وفى هذه الايام وصل من كان من فرسان المسلمين بطريف ووصلت الرجال التى كانت مرتبة فى حصون

الاندلس بعددهم واسلحتهم فاجتمعت الجيوش المنصورة، وفى يوم الاربعاء الخامس والعشرين من صفر المذكور بعث امير المسلمين عياد العاصمى الى حصن سالوقة فاغار عليها وقتل هنالك جملة من الروم وفى يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر المذكور ركب امير المسلمين فى جميع المسلمين فوقف على مدينة شريش وبعث الخيل والبغال الى حصاد الزرع ونقله الى المحلّة ولم تبق بالمحلّة دابّة الا جاءت موقورة بالقمح والشعير فترغدت المحلّة منه وبعث امير المسلمين وزيريه الشيخين ابا عبد الله محمّد بن عطوان وابا عبد الله محمّد بن عمران برسم التطلّع على حصن القناطر وحصن روضة فركبا وسارا اليها فى نحو الخمسين فارسا فداروا باسوارها من كلّ جهة فعاينوا من ضعف من بها من النصارى فاسرّت نفوسهم ثم رجعوا فاخبروا بذلك امير المسلمين، وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه قعد امير المسلمين فى محلّته ولم يركب وكان قعوده ذلك حيلة على النصارى حتى اطمأنوا وعلموا انه لا يركب اليهم فى ذلك اليوم فخرجوا ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة فكمن لهم الامير ابو علىّ منصور بن عبد الواحد فى الزيتون فى نحو ثلاث مائة فارس من المسلمين مفترقة فاغاروا عليهم فقتلوا الرجال وغنموا الاموال ومع اقامة امير المسلمين فى ذلك اليوم بالمحلّة لم يقعد المجاهدون على الغارات، وفى يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب امير المسلمين وركب معه سائر المجاهدين فسار حتى وقف على مدينة شريش فقاتلها ساعةً ثمّ انصرف عنها وامر الناس بقطع العناب والكرامات فقُطع منها شئٌ كثير ورجع فى عشى النهار الى محلّته، وفى يوم الاحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور عقد امير المسلمين لحفيده الامير ابى علىّ منصور بن عبد الواحد راية على الف فارس وبعثه الى اشبيلية وركب هو على عادته الى شريش فوقف عليها وامر الناس ايضا بفساد الزرع وقطع الكرامات والزيتون وسار ابو علىّ منصور بالف فارس من بنى مرين وعرب المعاصم والخلط والافتنج والاغزاز غدوة الاحد المذكور الى نصف النهار فنزل على جبل اجرين فصلّى هنالك العصر فركب وركب النلس فساروا حتّى غربت لهم الشمس على القنطرة من تحت الاقواس فنزل هنالك حتى اكلت الدوابّ يسيرًا من علفها واسرى بالخيل حتى اصبح بين جبل الرحمة وبين اشبيلية وكمن هنالك حتى ارتفعت الشمس فاستدعا الامير ابو علىّ منصور روّس الجيش من المسلمين واخذ معهم فى المشاورة فيمن يغير على اشبيلية ومن يبقى معه ذتّفق

رأيهم

رائهم على ان تغير خمس مائة فارس منهم وتبقى خمس مائة مع الامير ابى علىّ فاغارت الخمسمائة فارس على اشبيلية والامير ابو علىّ يمشى فى اثرهم على مهل والنصارى يقتلون عن يمين الجيش ويساره ويوسرون وتسبى حريمهم وتخرب ديارهم واغارت طائفة من المسلمين من بنى سوجم وبنى نجوم وبعض برغواطة فصادفوا جمعا وافرا من النصارى فقاتلوهم قتالا شديدا حتى منحهم الله تعالى اكتافهم فقتلوهم واسروا منهم جملة واجتمع سائر جيش الامير ابى علىّ منصور فقال للشيخ ابى الحسن علىّ بن يوسف بن يرجاتن فقال له على اى طريق يكون رجوعنا فقال له ابو الحسن الراى المبارك ان شاء الله تعالى فى اخذ الطريق الذى بين قرمونة والقلعة فامر الامير ابو علىّ بالغنائم فجمعت فجعلها فى يد امين وقدّمها بين يديه وانصرف الى قرمونة فشدّ الحرّ على المسلمين والعطش فبعث الامير ابو علىّ الفارس ابا سمير وامره ان يتقدّم ويتطلّع على اخبار قرمونة فرّ ابو سمير مغيرا فلقى جمعا من المسلمين ممن خرج الى الاغارة فى اوّل النهار وهم قد جدّوا السير مستحفرين ومستوفرين فقال لهم ابو سمير ما بالكم قالوا اجرينا قرمونة فخرجت علينا عنها الخيل والرجال وهم فى اثرنا خلف هذه الربوة فوقف ابو سمير هنالك مع المسلمين حتى وصل ابو علىّ بالجيش والغنائم فاعلموه بذلك فقصد نحو النصارى ففرّوا امامهم فادركهم قريبا من الباب فقتل منهم جماعة وتحصّن الباقون بالمدينة ثم امر بحرق الزرع بقرمونة وقطع ثمارها فقام كذلك الى العصر فارتحل ولحق بغنيمة مع غروب الشمس فبات بها بوادى لكّ ورحل منه الى الاقواس فافسد ما هنالك من الزروع وقام الى ان صلّى العصر فارتحل بغنائمه الى وادى الملاحة ثم ارتحل منها الى الحلّة فوصلها غدوة النهار سالما غانما ، وفى يوم الاثنين الموفى ثلاثين من صفر المذكور ركب امير المسلمين وامر سائر المجاهدين بقطع الكرامات والزيتون واحراق الزرع فافسد المسلمون من ذلك شيئا كثيرا وقام رحمه الله بحرض المسلمين على تدمير اموال النصارى الى ان صلّى العصر وكان يوما شديد الحرّ فامر رحمه الله سعيد بن يخلف وجماعة من الاعربيّين باحضار زقاق الماء العذب فيقفون بادوات الماء خلف المجاهدين يناولون من شاء ان يشرب منهم فلم يزالوا على ذلك مدّة الحصر ، وفى يوم الثلاثاء من غرّة شهر ربيع الاوّل المبارك من السنة المذكورة ركب امير المسلمين ونادى مناديه فى الناس بالخروج الى فساد الزرع وقطع الشجر فلم يرجع ايضا الى بيته حتى صلّى العصر وفى هذا اليوم امر رحمه الله عرب العاصم ان يطوفوا على ابواب شريش برسم اخذ من فرّ

وسبوا منه ستّة علوج واربع روميات ومائة راس من البقر وقسيا وسلاحا كثيرا فاتوا بها الى المحلّة فصرف عليهم خمسة من ذلك كما فعل باهل سبتة وانصرف الامير ابو معرف فى جيشه الذى عقد له عليه وركب معه امير المسلمين مشيعا له حتى ودعه ودعا له واوصاه بتقوى الله فى السرّ والعلانية والصبر والثبات ثم انصرف عنه وجدّ الامير ابو معرف السير يومه ذلك حتّى وصل جبل ابريز فقام به حتى صلّى العصر وركب وجدّ السير الى المغرب فعلف الخيل بوادى لكّ ثم اسرى طول الليل حتّى اصبح على حصن عين الصخرة فكمن هنالك الى العصر فركب وسار بجيشه الى وقت المغرب فنزل وعلف الخيل ثمّ اسرى فاصبح وقد قارب القلعة فجمع الامير ابو معرف اشياخ المجاهدين فشاورهم فيمَنْ يغير من المسلمين ومَنْ يبقى معه فاختار للاغارة خمس مائة فارس فانطلقت اعنتها نحو اشبيلية ونشر الامير ابو معرف بنوده وقدّم العلامَ المنصور امامه وسار رويدًا فى اثر المغيرين وكان النصارى قد خرجوا من اشبيلية خيلا ورجلا فى عدد كثير لقتال المغيرين فلمّا عاينوا العلام المنصور والجيوش على اثره بادروا الى المدينة فدخلوها وغلقوا الابواب وتمتّعوا بالاسوار والسهام فوقف الامير ابو معرف قريبا من حيث لا تلحقه السهام وامر المجاهدين بالغارات فى احائها وتحريق زروعها وتخريب قراها وقطع اشجارها ولم يزل واقفا امام بابها الى الليل حتّى اجتمع اليه جميع المسلمين الذين خرجوا للغارة والطبول تضرب على راسه ترهيبا للعدوّ فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وقتل من النصارى ما يزيد على ثلاثة الاف رجل وذلك يوم مولد نبيّنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وكان جملة ما غنموا فيها من الروميات والاولاد ثلاث مائة وثمانين نفسًا ومن الرمك والبغال والحمير الفا راس وخمسة وستّين راسًا ومن البقر والغنم شيًا كثيرا ولم يُسَرّ فيها رجل الا قُتِل ورجع الى المحلّة بغنائمه سالما ، وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الاوّل المذكور بعث امير المسلمين حفيدَه الامير ابا علىّ عمر بن عبد الواحد فى جملة من المجاهدين وبعث معه مائة من رماة اهل سبتة والف رجل من المطوعة والمصامدة وبعث معهم بالبغال تحمل جواليق السهام والمساحى والفوس الى برج كان بينه وبين المحلّة نحو الثمانية اميال كانوا يقطعون الطريق على من خرج من المحلّة منفردا او فى قلّة وسار المسلمون الى البرج فشرعوا فى قتاله واظهر من فيه من النصارى من الصبر على الحرب ما لا يوصف ورتبوا الرجال والرماة فى علاه وفى اسفله فنزل الامير ابو علىّ من فرسه واخذ درقته بيده وزحف الى البرج على قدمَيْه وتولى القتال

القتال بنفسه ونزلت معه فرسان العرب ففعلوا كفعله وتبعهم رماة سبتة ورجال المصامدة فدخلوا عليهم البرج عنوة بالسيف فقتلوا فيه ثمانين علجا واسروا ما بقى من الرجال والنساء والمسبلات واخذوا ما فيه من السلاح والامتعة والادام والدقيق شيئا كثيرا فوصلوا الى المحلة فى يومهم بعد ان هدموا البرج ونسفوا اثره، وفى يوم الثلاثاء المذكور ركب امير المسلمين فى سائر جيوش المجاهدين فوقف على شريش وقاتلها قتالا شديدا وخرج لقتاله فى ذلك اليوم جميع مَنْ كان بها من الخيل والرجال والرماة فتقدّمت الاغزاز ورماة المسلمين الى جيادهم فرشقوهم بالنبال ثم رجعت عليهم خيل بنى مرين والعرب فهزم النصارى وقتلوا منهم خلقا كثيرا بباب المدينة، وفى يوم الخميس السابع عشر منه ركب امير المسلمين وسائر المجاهدين فسار الى برج كان بينه وبين المحلّة نحو اثنى عشر ميلا يعرف بمنتقوط كان فيه من زعماء النصارى واشرافهم خلق كثير فتشمّر المسلمون لحربه وتحصّن الكفرة بالبرج واستعدّوا للقتال وقاتلوهم المسلمون قتالا شديدا واحدقت بهم رماة المسلمين فقتلوا منهم نحو الستّين رجلا وانضم الرجال الى البرج فدخلوا عليهم فى اسفله وملوه حطبا واضرموا فيه النيران وخرجوا عنه فبقيت النار تعمل فى البرج بقية يومهم ذلك والليل كلّه ويوم الجمعة الى نصف النهار فلما رءا النصارى ما لا طاقة لهم به من النار والسهام استسلموا والقوا بايديهم الى الاسر واسر فيه مائة وتسعون علجا واربع وسبعون امراة وغنم المسلمون جميع اموالهم ودوابهم واسلحتهم وهدم البرج وقطع ما حوله من الاشجار ورجع امير المسلمين الى المحلّة، وفى يوم السبت التاسع عشر منه وصل الى المحلّة عبد الرزاق البطوى فاخبر امير المسلمين بقدوم ولده الامير يعقوب من بلاد العدوة وانه تركه بمحلّته على مدينة ابن السليم وانه وصل بجيش عظيم من المسلمين فقبض بهم الفضا وتضيق بهم الارض وانه قاتل اهلَ مدينة ابن السليم قتالا شديدا فقتل منهم خلقا عديدا ففرح المسلمون بقدومهم وخرج الى لقائه الشيخ ابو الحسن علىّ بن زجدان فى جماعة من بنى عسكر،

الخبر عن قدوم الامير ابى يعقوب من العدوة برسم الجهاد

لما خرج الامير ابو يعقوب من بلاد العدوة الى الاندلس فى جيوش وافرة من المجاهدين والمطوعة سار حتى قرب من محلّة والده امير المسلمين وبعث الى والده

بخبره بقدومه فركب امير المسلمين الى لقائه وركب معه جميع من فى محلّته من المسلمين وانضاف كلّ واحد من بنى مرين والعرب والاغزاز الى قبائلهم ولزموا راياتهم واحتفل الناس للبروز وبرزت كلّ قبيلة بما عندها من العدد وتقدّمت الرجال والرماة امام الخيل وميزت قبائل المتنوعة من المصامدة فى ذلك اليوم فى ثلاثة عشر الف رجل وميزت قبائل المغرب من اوربة وغمارة وصنهاجة ومكناسة وسدراتة ولمطة وبنى وارتين وبنى يازغة وغيرهم فى ثمانية الاف رجل واقبلت الجيوش والقبائل كلّ قبيلة منها منحازة عن الاخرى ولما قرب الامير ابو يعقوب من والده امير المسلمين ترجّل امير المسلمين عن فرسه فوقف بازايه تواضعا منه لله تعالى وترجّل الامير ابو يعقوب فمشا على قدميه اداء لحقّ والده وتواضعا وادبا فلمّا وصل اليه قبّل يديه وسلّم عليه ثم ركب امير المسلمين وامر ولده الامير ابا يعقوب بالركوب فركب واقبل الناس يسلّمون بعضهم على بعض ويشكرون فعْلَيهما واجتمعت الجيوش وضربت الطبول حتى ارتجت الارض وساروا الى المحلّة فنزل امير المسلمين فى خباء السافة ونزل معه ولده ابو يعقوب واشياخ بنى مرين والعرب واوتى بالطعام فاكل الناس وانصرف الامير ابو يعقوب الى محلّته وانصرف معه الرماة الذين توجّه معهم من ملاقة وكانوا مائتىْ رامٍ، وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين لربيع المذكور ركب امير المسلمين فى جميع جيوشه وقدّم بين يديه الرجال والرماة فسار الى حصن القناطير فقاتله المسلمون حتى دخلوا ربضه بالسيف واضرموا فيه النيران وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرّيّة وغنموا جميع ما وجدوا به من البقر والغنم والدوابّ، وفى يوم الاربعاء الثالث والعشرين منه ارتحل امير المسلمين بجميع محلّته فبدّل المنزل فانه تعذّر لطول اقامة الناس به فعبر وادى لك ونزل الناس فى وسط الكرمات والجنّات بقرب من شريش وقاتلوا فى ذلك اليوم من وقت الضحى الى صلاة الظهر، وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه ركب امير المسلمين فى جميع المجاهدين الى شريش يقاتلها ايضا من طلوع الشمس الى صلاة الظهر وانصرف الى بيته، وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه عقد امير المسلمين لولده الامير ابى يعقوب على جيش من خمسة الاف فارس وامره ان يتوجّه بهم الى غزو اشبيلية ويجوز الوادى الكبير فيغنم ما فى عدوته من البلاد فخرج بعد الصلاة الظهر من يومه ذلك وتبعه امير المسلمين الى طرف المحلّة واوصاه بتقوى الله تعالى ودعا له وودّعه ورجع عنه فوقف على باب شريش فقاتلها الى العصر ثم دار باسوارها ورجع الى المحلّة، وفى يوم السبت التالى له امر امير

المسلمين

المسلمين وندّه الامير ابا معرف ان يركب فى جيش المجاهدين فيقاتل شريش ويلازمها بالحرب فى كلّ يوم فسار اليها وقاتلها النهار كلّه الى الليل ولم يزل الامير ابو معرف يتردّد بجيوش المسلمين الى شريش فى كلّ يوم فيقاتلها من اوّل النهار الى الليل فكان يقتل كلّ يوم منهم خلقا كثيرا ويسبى النساء والاولاد وسبب لزومه لقتالها والوقوف عليها ليمنعهم عن الخروج الى مرافقهم وليتنامن المسلمون الذين انتشروا فى الارض لحصاد الزرع ودرسه فكان الناس فى هذه الايام كلّها يخرجون من المحلّة بالدوابّ فيحصدون الزرع ويدرسونه ويحملونه الى المحلّة ويكثر الخيرات فيها وتوفرت الارزاق فكاد القمح والشعير والفواكه والادام لا يباع بها ولا يشترى والمجاهدون برغد من العيش فسارت المحلّة بمنزلة قواعد المدن اجتمع فيها سائر اصناف الصنّاع والتجار، فاخبر من تفقّد اسواقها من اهل البحث انه رءا فيها اصناف الصنّاع كلّ قد تلبس بصناعته وتحرف بحرفته ما عدا الحياكة خاصّة واما سوق الغزل والكتانيين فقد كان بها واخذ سوق المحلّة السهل والوعر اذا غاب رفيقك به فلا تكاد ان تلقاه الا بعد اليومين والثلاثة لكثرة الخلق، ولما خرج الامير ابو يعقوب من المحلّة الى غزو اشبيلية فى خمسة الاف من اهل الديوان والفىْ فارس من المتطوعة وثلاثة عشر الف رجل من المصامدة وسائر قبائل المغرب والفىْ رامٍ من رماة بلاد المغرب وحمل معه البغال والاخبية والجمال عليها السلاح والازواد فعل من لا يعبا بالروم ولا يلتفت اليهم ولا لكثرتهم ولا يهوله ما عزم عليه من الدخول فى اقطارهم والتوغّل فى بلادهم فرحل بجيوشه المظفرة المنصورة حتى نزل جبل ابريز فعلف به ثم سار الى الاقواس فارتفعت هنالك اصوات المسلمين بذكر الله سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الارض من اصواتهم فسار بالمجاهدين تلك الليلة وهم على حال ذكرهم حتى اصبح لهم على عين الصخرة فصلّى الناس فيها صلاة الصبح واقاموا بها الى العصر ثم ارتحل وسار بالناس حتى اظلم عليهم الليل بوادى لك فصادف المسلمون هنالك الطرق الوعرة والشوك والاماكن الحجارة فجدّ الامير ابو يعقوب السير فى تلك الاوعار والناس خلفه يتقاطعون فانقطعت عنه اكثر الجيوش وتفرّقوا فى ظلام الليل لا يدرى احد اين سار صاحبه فتفقّد الامير ابو يعقوب المسلمين فعلم انه تقدّمهم بمسافة طويلة فوقف وامر الخيل بالرجوع الى من تاخّر من المجاهدين وامر بضرب النقرة ليسمعهم من ضلّ عن الطريق فيقصد نحوها ويهتدى اليها فضربت النقرة فسمعها المجاهدون فانتابوا نحوها من كلّ ناحية والامير ابو يعقوب واقف فى موضعه لا يزال

منه حتى اجتمع اليه سائر من تخّر من المسلمين فسار بالجمع حتى اصبح فصلّى الصبح قريبا من الوادى الكبير وسار بالمسلمين يسيرا حتى طلعت الشمس فنزل عن فرسه وتدرّع وتاهّب للقاء العدوّ وتاهّب الناس وجدّدوا نياتهم للجهاد وضجّوا بالدعاء الى الله تعالى فركب الامير ابو يعقوب ومَنْ معه من المجاهدين فعبر الوادى وامر الناس بالاغارة والانتشار فى بلاد المشركين فغارت كلّ فرقة من المسلمين الى ناحية فخرج بنوا عسكر وعرب الخلط الى ناحية فلم يكن الا ساعة واذا هم قدموا على الامير ابى يعقوب بغنائم لا تحصى من البقر والغنم والدوابّ والعلوج والنساء واغارت عرب سفيان على حصن من حصون الروم فدخلوه عليهم بالسيف واضرموا النيران فى ابوابه فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرّيّة وغنموا الاموال وقدموا بغنيمتهم الى الامير ابى يعقوب وانتشرت طوائف المجاهدين فى تلك البلاد يقتلون الروم ويأسرون ويفسدون ويحرقون ويقدمون بالغنائم على الامير ابى يعقوب وهو رحمه الله يمشى فى اثر المغيرين على مهلة فى جماعة من وجوه بنى مرين واشياخ الاغزاز وخرج شيخ الاغزاز حمدا فى مائة فارس الى قلعة الوادى فاغار عليها وقاتلها فقتل على بابها ما يزيد على سبعين علجا واسر كذلك وشرع المسلمون فى حرق الزرع وافساد المرافق الى العصر فرجع الناس وقدموا بالغنائم من كلّ جهة وشرع الناس فى ذبح الغنم فذبح منها نحو العشرة الاف راس ثم امر الامير ابو يعقوب باحصاء الغنائم وجمعها فاحصى عددها فى زمام وجعلت فى ايدى الامناء وبات المجاهدون هنالك فى غبطة وسرور وامر الامير ابو يعقوب ثلاث مائة فارس من المجاهدين يحرسون المسلمين تلك الليلة فباتوا طول ليلتهم يطوفون بعساكر المسلمين حتى اصبح فصلّى الامير ابو يعقوب صلاة الصبح وامر بضرب الطبول فضرب وركب الناس واجتمعوا فدخل بهم قرى الغابة وقرى الشرف فاقبل المسلمون عليها بالحرق والنهب والتخريب والفساد وتحريق الزروع وقطع الثمار وهدم الدور وقتل من بها من الروم الوفا كثيرة واسر من النساء والرجال والاولاد كذلك فاقام بالغابة والشرف يومَيْن حتى لم يترك بها للنصارى ما يتقوّتون به فارتحل راجعا حتى وصل الوادى الكبير فجازه وجوّز المغانم بين يديه فودخل هناك حصنا بالسيف وقتل جميعَ مَنْ كان به من الروم وغنمت اموالهم فبات المجاهدون تلك الليلة فلمّا اصبح ارتحل الامير ابو يعقوب وسار بالغنائم على مهل وبات بها قريبًا من قرمونة ثم ارتحل من الغد فسار طولَ يومهم حتى نزل بالاقواس وجبل اجريز فاقام هنالك الى الثلث الاخر من الليل فارتحل واسرى بقية ليلته

فاصبح

فاصبح قريبًا من المحلّة فاتّصل الخبر بامير المسلمين فركب فى جيوشه الى لقائه فالتقى الجمعان فى جرفى شريش وذلك يوم الاحد الخامس من ربيع الاخر وقدم بالغنائم ملات الارض طولًا وعرضًا فجازت جيوش المجاهدين بغنائمهم والرجال فى الاغلال والنساء مقرنين فى الحبال وبرزوا بها عليها نكاية لمن بها من الروم وارهابا لهم ووقف امير المسلمين على باب المدينة بجيوشه الوافرة ورايته المنصورة والغنائم تسير امامه فضربت الطبول وضجّ الناس بالتكبير فكان يومًا عظيما ابتهجت به نفوس المجاهدين ، وفى يوم الاثنين السادس من ربيع الثانى وصل الامير ابو زيان من طريف فى جيش عظيم من المسلمين فيه الرماة والمتطوّعة وخمس مائة فارس من عرب بنى جابر فبرز بجميع من قدم معه على شريش وقاتلها ذلك اليوم قتالًا شديدًا ، وفى يوم الثلاثاء تالى له عقد امير المسلمين لولده الامير ابى زيان على الف فارس من المجاهدين وامر بالاغارة على اقليم الوادى الكبير فخرج الامير ابو زيان من خباء الساقة بغلام ابيه ومعه الف فارس منهم ثلاث مائة فارس من عرب بنى جابر عليهم يوسف بن قيطون وسبع مائة فارس من قبائل بنى مرين فسار النهار كلّه الى الليل فبات قريبا من الاقواس ثم ارتحل وقدّم بين يديه خمسين فارسا وامرها بالغارات على قرمونة فاغاروا عليها وقتلوا فيها جملة من الروم وسبوا النساء والاموال فخرجت عليهم الخيل من قرمونة وتواترت عليهم الرجال فلم يزالوا يقاتلونهم حتى لحق بهم الامير ابو زيان فهزم الروم وقتل منهم خلقا كثيرا ثم سار الى برج كان هنالك فيه جمع كثير من الروم بنسائهم واموالهم فقاتلوهم فيه ساعة من النهار فترجّلت جماعة من عرب بنى جابر فاخذوا درقهم فى ايديهم واقتحموا السهام حتّى دخلوا البرج عنوةً بالسيف فقتلوا رجاله وسبوا نسآءه وغنموا امواله ثم شرع الامير ابو زيان فى تحريق الزروع وقطع الثمار وتخريب القرى وسار ما بين قرمونة واشبيلية يخرب القرى ويقطع الثمار ويسبى ويقتل حتى سار الى برج فى قبلة اشبيلية فقاتلوه المسلمون واوقدوا حوله النيران حتى دخلوه بالسيف ، ثم اختار الامير ابو زيان من جيشه خمس مائة فارس فاغار بها على اشبيلية فسبا من خارجها مائة وخمسين امراة واربع مائة علج وقتلوا فى فدان واحد ما يزيد على خمس مائة نصرانى وجدوهم يحصدون زرع الفنش فلم يُبْقوا منهم احدًا وغنموا من الخيل والبغال والبقر والغنم ما لا يوصف ثم جمعوا الغنيمة وقدّمها الامير ابو زيان امامه وسار فى اثر محلّته فوصلها فى وقت المغرب فبات بها وارتحل من الغد الى محلّة ابيه ، وفى يوم الاثنين الثالث عشر من

ربيع الثانى المذكور ركب الامير ابو يعقوب فى ثلاثة الاف من المجاهدين وثلاثة الاف من الرجال والرماة الى جزيرة كبوتر التى بازاء نهر البرة بعد ان بعث اليها القطائع فى البحر بغزاة المسلمين فوصلوا اليها واتت الخيل فاقتحمت الوادى فدخلوا الجزيرة وقتلوا جميع من وجد فيها من الرعاة والناس وغنموا ما فيها من الاموال والخيل والبقر والغنم وسبوا النساء والذرّية وابلى فى هذه الغزوة حصرا رئيس الغزاة وابن عمّه بلاء حسنا ، وفى يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور توجّهت قطائع المسلمين من جزيرة كبوتر الى الجزيرة الخضراء لتاتى منها بالمجانيق والسهام وءالات الحرب لينصب ذلك كلّه على شريش ، وفى يوم الجمعة اغارت عرب سفيان على بعض الحصون فغنموا منه ثلاث مائة راس من البقر واربعة الاف من الغنم وثلاثين رومية وستّة عشر علجا وقتلوا منهم عددا وقدموا الى المحلّة بالغنائم ، وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين منه بعث امير المسلمين حصّة من ثلاث مائة فارس فاغارت على قرمونة واحوازها فسبت مالا كثيرا من الدوابّ والبقر والغنم والنساء والذرّيّة وقدمت بها الى المحلّة ، وفى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الاخر المذكور اغار عياد بن ابى عياد العاصمى فى جماعة من اخوانه على حصن من حصون الوادى فدخل ربضه بالسيف وحرقه وقتل فيه نيفا على ثلاث مائة رجل وسبا منه ستّ وسبعين امراة وعشرين علجا فقدم بهم الى المحلّة ، وفى يوم الجمعة غرّة جمادى الاولى منه خرج النصارى من شريش برسم الارتفاق والاحتطاب فحال عرب سفيان بينهم وبين المدينة فقتلوا منهم نيفا وخمسين علجا ، وفى يوم السبت الثانى منه عقد امير المسلمين للحاجّ ابى الزبير طلحة بن علىّ على مائتىْ فارس وامره ان ينصرف بهم الى اشبيلية ليحرّيها ويطلع على اخبار شانجة ملك النصارى فانّ اخباره قد انقطعت عنه فبعث هذه الحصّة لتغير وتطلع على احوال البلاد وتستمع الاخبار وبعث معه الجواسيس من الاندلس واليهود ، وفى يوم الاثنين الرابع منه ركب امير المسلمين فى جميع جيوش المجاهدين خيلا ورجالا الى حصن شلوقة فقاتله حتّى دخله بالسيف واحرق ارباضه ودياره وقتل الرجال وسبا النساء وغنم الاموال ولم يبق هذا اليوم بالمحلّة احدٌ من المجاهدين الا عرب سفيان فانهم اقاموا يحرسون المحلّة ، وفى يوم الخميس السابع من جمادى المذكور كمن عياد العاصمى مع جيش من اخوانه فى حفير شريش ثم سار فى اربعة نفر منهم وبيده راية حمراء حتى وصل الى باب المدينة

وترك

وترك باقى اخوانه فى الكمين فابصره الروم فاخرجوا اليه من شريش خيلا ورجالا شعلةً واحدةً وطمعوا فى اخذه فجبذهم حتى جاز بهم الحفير فخرج عليهم الكمين فقتطعوهم عن البلد فقتلوا منهم ثلاثة وسبعين علجا وكان عياد رحمه الله من اشدّ المسلمين نكاية فى الروم لا يغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحلهم عنها ولم يزل امير المسلمين ابو يوسف رحمه الله من يوم ارتحاله عن شريف ونزوله عين الشمس وذلك بيوم السبت السابع من شهر صفر من سنة اربع وثمانين وستّ مائة وبطول اقامته على حصار شريش الى ان ارتحل عنها فى الثامن والعشرين لجمادى الاولى من السنة المذكورة فى كلّ يوم يشنّ على بلاد العدوّ الغارات شرقًا وغربًا ويبثّ فيها السرايا فتنتشر فى انحائها قتلا ونهبا ويعقد الرايات لبنيه وحفدته ويبعثهم فى الجيوش العظيمة الى الغزوات فكان رحمه الله ايام حصاره لشريش المذكورة اذا صلّى الصبح دعا باحد بنيه او حفدته او احد اشياخ بنى مرين فيعقد له راية ويبعثه فى مائتَىْ فارس سريّة ويامره بالتوجّه والاغارة على الناحية التى يريد غزوها من بلاد العدوّ حتى انتسفت جميع ما قرب منه منها وما بَعُد عنه وكان على مسافة الايام الكثيرة كلبلة واشبيلية وقرمونة واستجة وجيان وجبل الشرف وغيرهما فلما افنى تلك البلاد ودمّرها واكل زروعها وغنم اموالها وقطع ثمارها ولم يبق للنصارى شيئًا يرتفقون به واقبل فصلُ الشتاء وقلّ العلف فى المحلّة وغلت اسعارها ارتحل عنها الى بلاده، فاتّصل به وهو فى الطريق ان النصارى دمّرهم الله قد عمروا اقروطة فينزلوها الزقاق ويقطعون المجاز فاسرع السيرَ الى طريف فنزل بها وامر بعمارة الاجفان فعمرت فى الحين بسبتة وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف وبالجزيرة وطريف والمنكب فاجتمع منها ستّة وثلاثين جفنا غزوانية معدّة فى الرماة والغزاة والعدد الكاملة فلما علمت اقروطة الروم بعمارة اجفان المسلمين وقدومها الى حربها وتحقّقت وفودها عليها وقصدها نشرت شروعها وفرّت امامها خوفا ان تلقاها فتفنا جماعتها فاقبلت اساطيل المسلمين المظفرة حتّى وافت حضرة امير المسلمين بالجزيرة فبرزوا امامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره من البلد الجديدة فلعبوا امامه فى بحرهم وتناطحوا قدامه كفعلهم فى حربهم فامر رحمه الله بكافّتهم بالاحسان وصرفهم الى وقت الحاجة اليهم فيامرهم بالاتيان، فلمّا رءا شانجة ملك النصارى ان بلاده خربت وجماته قتلت واموال رعيته نهبت وغنمت ونساءهم سبيت واقروطة التى

كان بعثها لقطع الجواز فرّت وهزمت جنح الى السلم والطاعة واخذ فى التذمّم والضراعة ✿

الخبر عن وصول الرهبان والاقسة من الروم الى حضرة امير المسلمين يرغبون فى الصلح

قال المؤلف عفا الله عنه لمّا ارتحل امير المسلمين عن شريش ورجع الى بلاده لاجل زمان الشتاء الذى اقبل خرج شانجة ملك النصارى من اشبيلية الى شريش فزعا من اثار عبث المجاهدين فى بلاده وفعل المسلمين بالتخريب والتحريق والقتل والسبى والتمزيق فى نجوده ووهاده ما اشعل النار بفواده وابدل نومه بسهاده فبعث ثقته الزنديّاس فى جماعة من الاقسة والرهبان والزعماء المحرمين الى حضرة امير المسلمين فاقبلوا اليها صاغرين داخلين متذلّلين ضارعين فى السلم راغبين فلم يسمع منهم امير المسلمين قولا ولا ردّ عليهم صرفا ولا عدلا فرجعوا الى مُرْسِلِهم خائبين فاعادهم ثانيةً وقال ارجعوا اليه فعساه ان يلين فاتوه الثانية فقالوا له ايها الملك المنصور جئنك بقلوب منكسرة وافيدة منقطعة منحصرة نرتجى عَفْوَك ونطلب سلمك وصلحك والصلح خيرٌ فلا تخيب قصدنا ولا تردّ وسيلتنا فقال لهم لا اصالح سلطانكم الا على شروط اشترطها عليه ابعث رسولى لديه فان قبلها سالمتُه وان حاد عنها نابذتُه ثم دعا بالشيخ ابى محمّد عبد الحق الترجمان وقال له تسير الى هذا اللعين وتقول له يقول لك امير المسلمين لا اسالمك ولا اترك حربك وغزو بلادك الا على شروط منها ان لا تتعرّض بعد هذا لبلد من بلاد المسلمين ولا لجفن من اجفانهم ولا تتوصّل لهم باذاية لا فى برّ ولا فى بحر كان ذلك من طاعتى او من غيرها وانت تكون لى بمنزلة الخديم فيما آمُرُك به وانهاك عنه وان يكون المسلمون يسيرون فى بلادك فى تجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لا يتعرّضهم بشرّ ولا يلزمهم درهم ولا دينار وأنْ لا تدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ولا تقعد مع احد منهم بحربة، فسار اليه ابو محمّد عبد الحق ليبلغه الرسالة ويشترط عليه ما ذكره امير المسلمين من المقالة فوصله وهو بحضرته من اشبيلية اعادها الله للاسلام فسلّم عليه وابلغه رسالة امير المسلمين فاحتملها واعلمه بالشروط التى اشترطها عليه فالتزمها فقال له ابو محمّد عبد الحق عند ذلك يا سلطان اما الشروط فقد قبلتَها فاسمع منّى مقالة اقولها قال تكلم

بها

بما شئت قال يا سلطان قد صحّ عند المِلّتين وثبت فى قلوب الفريقين انّ امير المسلمين ابا يوسف ايّده الله صاحب دين وامانة وعهد ووفاء فى الميثاق اذا عهد وفا واذا قدر عفا وانت لا يعلم لك مذهب فانك فعلتَ مع والدك ما فعلت وخرجتَ عليه ظلمًا ونكثتَ فسار الناس ينقصون عنك لقلّة استئمانهم لك فقال له شانجة لو علمتُ انّ الملك ابا يوسف يرضى ان اكون من جملة خدامه لبادرتُ فقال له ابو محمّد عبد الحق اما والله ان خدمتَ مولانا امير المسلمين وظهر له منك النصح فى الخدمة لتجدنّه كما تريد فقال شانجة فما الذى اصنع اوّلًا بما يرضيه قال اوّل امرٍ تصنعه ألّا تُدْخِل نفسك فى امور المسلمين بكلمة واحدة وتترك التجريب بينهم ولا تتعرض لبلادهم وان كان بينك وبين ابن الاحمر كلام او ربط فاتركه واخرج من اموره بالكلّية واصرف ارساله اليه وبهذا يرضى عنك امير المسلمين ويصالحك ويومن بلادك ، وكان ابن الاحمر قد بعث رسله اليه يعقدون معه الصلح على بلادهم ونكون يدهم واحدة على حرب المسلمين وكانت عند شانجة اجفان مجهزة معدّة للسفر بالوادى فلما فرغ عبد الحق من كلامه قال له شانجة اذا كان غدا تسمع ما اقول وترى ما افعل فلما كان من الغد ركب شانجة الى شاطئ الوادى فوقف عليه واقبلت رسل ابن الاحمر فقعدوا بين يديه فلما استقرّ عليهم المجلس بعث الى عبد الحق رسول امير المسلمين فاقبل اليه واقعده الى جنبه واخذ معه فى الحديث الى ان ظهرت الاجفان وهى مقلعة فقال له رسل ابن الاحمر ما هذه الاجفان المقلعة ايها الملك فقال لهم شانجة هذه الاجفان اعددناها برسم خدمة امير المسلمين ابى يوسف وتصرف فى حوائجه وقضاء اغراضه حيث كانت فلما سمعوا ذلك منه سقط فى ايديهم ونظر بعضهم الى بعض ثم قالوا له ونحن ايضا بما ذا ننصرف عنك ايها الملك فقال لهم اما ما جئتم اليه من عقد الصلح مع ابن الاحمر فلا اعرف له وجها وكيف اصالحه او على اى شئ اعاهده اهو كفوٌ لى او قرينى حتى اعقد معه الصلح وما جرت عادة الرجل الا تخدمنى ويقبل بيد ابى وبيدى وبيد الصغير منّا والكبير وهذا الملك امير المسلمين ابو يوسف هو ملك المسلمين فى العدوتين وصاحب حضرة مرّاكش وفاس ومملكة المسلمين بالمغرب فيهما وقد قهر جميع الملوك بصدق نيته وسعده وغلبهم بقوة عزمه وكثرة جنوده وافنى ملوك بنى عبد المومن وسلب ملكهم وقطع دولتهم وليس فى الارض ملك اخشاه سواه وقد علمتم انه قهرنى وقهر ابى قبلى واستولى على بلادنا وقتل رجالنا وابطالنا وسبا حريمنا وغنم اموالنا وليس لنا

طاقة لقتاله ولا قدرة بحربه ونزاله ومع هذا كلّه فقد كاتبه جميع ملوك النصرانية يرغبون في مسالمته ومهادنته فكيف اترك صلح امير المسلمين واتكلم مع من هو دونه في القدرة والقوة والحزم فابلغوا ابن الاحمر كلامي وقولوا له لا كلام بيني وبينك ابدًا فاني رايتُ ذلك مصلحة لي ولبلادي ولرعيتي واعلموه اني لا اقدر على مدافعة امير المسلمين عن نفسي فكيف ادفعه عن غيري والمال الذي اخذتُ منكم هو مصروف عنكم رغما على انفي بسبب امير المسلمين ابي يوسف ، فانصرفت رسل ابن الاحمر وقد يئسوا من نصرة الفنش اياهم فقال له ابو محمّد عبد الحق هذه رسل ابن الاحمر قد انصرفت وانا بما ذا انصرف الى مولانا امير المسلمين فقال له شانجة انا احد خدمته ممتثل لامره ونهيه مبادر الى ما يرضيه فقال عبد الحق يرضيه ان تصل اليه فتجتمع به قال شانجة نعم وكرامة فلما عزم شانجة على الخروج ليجتمع بامير المسلمين اجتمعت عليه النصارى وغلقت عليه ابواب اشبيلية دونه ومنعوه من السير والخروج وقالوا انا نخاف عليك من ملك المسلمين فقال لهم البت على نفسي ان اصله واخذ معه مشافهة فيما يقع الصلح بيني وبينه عليه فدعوه يصنع ما يشاء ويفعل في ما اراد فلما راوا عزمه خلوا سبيله فسار حتى بعد عن اشبيلية بمرحلة فادركه الخوف وداخله الجزع وقال لابي محمّد عبد الحق الترجمان ما اظنّ اصحابي في منعهم اباي الا على بصيرة ولاكني اريد ان تعاهدني وتحلف لي اني ءامن منه ولا ارا منه الا ما يسرّني فحلف له عبد الحق على ذلك في تهليل كان عنده فاطمانّ قلبه في الظاهر ثم سار حتى وصل شريش فازداد جزعا وقال لعبد الحق اني لا اقدم على امير المسلمين ابي يوسف حتى اجتمع بولي عهده ابي يعقوب فيؤمنني ويسكن خاطري فاتقدم معه الى والده في ذمّته وامانه واسير معه ، فلما سمع ذلك عبد الحق ساء ظنّه وخاف ان يدبّرها مكيدة على المسلمين فقال له نعم يصل اليك ولاكنه ملك كبير وسلطان عظيم اذا وصل اليك بجيشه وانت في بلد من بلادك تطلب ان يشفع لك عند ابيه وجب عليك ان تخرج عن تلك البلد فان المملكة تقضي ذلك فلا يمكنك الا الخروج له عن شريش اذا دخل فيها فان لم تفعل كنتَ مقصرا في حقّه وخافضا من قدره فدبر بما ذا اتاك فيه واما وصوله اليك فانا الكفيل به فلما سمع شانجة هذه المقالة التي قصد بها ابو محمّد عبد الحق تعطيل مرامه من دخول الامير ابي يعقوب في شريش استنكفّ عن مقالته الاولى ورجع عنها وقال وانا ايضا اخرج الى لقائه فالقاه خارج المدينة ، فسار ابو محمّد عبد الحق الى الامير ابي

يعقوب فعرّفه بخبر شانجة واستجارته به وميله الى جانبه واعلمه برضاه بعهده وانه راغب ان يكون فى ذمّته حتى يصل معه الى امير المسلمين، فاجابه الامير ابو يعقوب الى ذلك واسعفه به فسار مع ابى محمّد عبد الحقّ الى لقاء شانجة فى جيش عظيم من انجاد بنى مرين وشجعانها واهل الباس والفتك منها فتلقاه شانجة على مسيرة اميال من شريش فسلّم عليه واظهر له السرور والفرح والبشاشة كثيرًا واخرج له الضيافة لجميع المحلّة فامر الامير ابو يعقوب رحمه الله بالنزول بخارج البلد فضربت قبابه ومضاربه ونزل فيها ونزل شانجة فدخل معه فى خبائه فقال له اعلم ايها الامير الاسعد والسلطان المبارك الاصعد انى اردت ان اكون دخيلك وفى وفاء ذمّتك ومتفيّا بظلّ حرمتك حتى اجتمع مع امير المسلمين والدك، فاعطاه الامير ابو يعقوب امانه والتزم له ما يرضيه من والده وتكفل له بجميع قضاء اغراضه وشؤنه عنده فقال له شانجة الان طابت نفسى ورجعت الى حسبى، فلما كان فى عشى النهار وركب الامير ابو يعقوب الى خارج محلّته فوقف بها وخرج جميع من بشريش ينظرون اليه فركبت ابطال بنى مرين تلعب بين يديه وركب شانجة ووقف بازائه وبنوا مرين فى لعبها وقال شانجة وانا ايضا العب سرورًا بما منّ الله عزّ وجلّ به علىّ من اقبالكم الىّ واسعافكم لى بالصلح والمهادنة فانا اولى الناس بالسرور، ثم اخذ الترس والرمح بيده فلعب بهما مع زعمائه بين يدى الامير ابى يعقوب حتى غربت الشمس فلما كان من الغد ارتحل الامير ابو يعقوب وشانجة الى لقاء امير المسلمين فاجتمع له بحصن الصخراة على مقربة من وادى لك واستعدّ امير المسلمين رحمه الله الى لقائه فى ذلك اليوم وامر رحمه الله جميع جيوشه وجنوده بلباس البيض والعدد الكاملة فابيضت الارض من بياض المسلمين واقبل شانجة فى عقدة من المشركين مسودة فكان ذلك عبرة للمعتبرين فسلّم على امير المسلمين وقعد بين يديه تادّبا منه ثم قال يا امير المسلمين انّ الله عزّ وجلّ اسعدنى بلقائك وشرّفنى فى هذا اليوم برويتك وانى لارجوا ان انال طرفا مما اعطيت من السعادة حتى افتخر به ملوك النصرانية ولا تظنّ انى جيتك رضى منّى وطوعا من نفسى بل والله ما قدمت لحضرتك الا رغما على انفى فانك نسفت بلادنا وسبيت حريمنا واولادنا وقتلت حماتنا ولا طاقة لنا بحربك ولا مقدرة على معاندتك فكلّ ما تامرنى به امتثلته وكلّما شرطته علىّ التزمته واحمله وبيدك الباسطة على جميع بلادى ورعيتى تحكم فى الكلّية بما شئت ثم قدّم له هدايا نفيسة وتحفا عظيمة وكذلك لولده الامير ابى يعقوب استجلا بالمرضاتهما

فكافاه امير المسلمين عنها باضعافها ليتخرج عن اياديه وتمّ الصلح بينهما وذلك يوم الاحد الموفى عشرين لشعبان من سنة اربع وثمانين وستّ مائة ، ولما صرفه الى بلده امره رحمه الله تعالى ان يبعث اليه بما يجده في بلاده بايدى النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتاب العزيز وتفسيره كابن عطية والثعالبى ومنها كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار وكتب الفروع وكتب الاصول واللغة والعربية والادب وغيرها فامر رحمه الله بها فحملت الى مدينة فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التى بناها نفعنا الله تعالى بقصده ، وبعد انصراف شانجة الى بلاده رجع امير المسلمين الى الجزيرة فدخلها في السابع والعشرين من شعبان المذكور فوجد القصر الذى بنا له بالمدينة الجديدة والمشور والجامع قد تمّ ذلك كلّه وفرغ منه فنزل بالقصر المذكور وقام به شهر رمضان وصلّى الجمعة بجامعها المكرّم وصلّى بمشورها صلاة الاشفاع ولم يتخلّف عنه ليلةً واحدةً فكان لا يزال قائما من اوّل الصلاة الى اخرها مواظبا على ذلك حتى انقضا شهر رمضان المعظم وقد قضى حقّه صياما وقياما وكان الفقهاء يبيتون عنده في كلّ ليلة منه فيذاكرهم في فنون العلم فاذا كان ثُلث الليل الاخر قام الى ورده ومناجات ربّه يسئله خلاص نفسه رحمه الله حتى انصرف شهر رمضان فلما كان يوم عيد الفطر انصرف من المصلّى الى قصره وقعد بالمشور المبارك ودخل عليه اشياخ بنى مرين والعرب فقعدوا بين يديه ياكلون الطعام فلما فرغوا من اكلهم رفع اليه الفقيه الاديب البارع ابو فارس عبد العزيز المكنسى الدار الملزوزى النجار قصيدة ذكر فيها غزوات امير المسلمين في تلك السنة وغزوات بنيه وحفدته وامتدح قبائل بنى مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وامر الدين وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديدة التى على الجزيرة والدار وحلول امير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والهيئة بعيد الفطر والشكر له على قيامه بامر الدين واهتباله باهل العلم فانشدها بين يديه بمجلسه ذلك قاريه الفقيه ابو زيد الفاسىّ الدار المعروف بالقرابلى وامير المسلمين يصغى الى انشادها وجميع اشياخ بنى مرين والعرب يستمعونها حتى اتى على ءاخرها فقبل يديه الكريمتين فامر للقارى بمائتى دينار وامر للناظم بالف دينار وخلعت له ثياب ومركوب والقصيدة هذه

بحمد

بحمد الله افتتح الخطابا ... وابدا في النظام والكتابا
لعلّ الله يبلغني امالي ... ويفتح بالسرور عليّ بابا
ويرشدني الى نقل صحيح ... ويرزقني من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرايا ... وصوّرهم وقد كانوا ترابا
الله واحدٌ حيّ مريد ... عليم قادر بالجود حابا
يرى اثر النميلة حين تمشي ... وتقطع في الدجا الصمّ الصلابا
ويسمعها اذا دبّت عليه ... وجنح الليل قد امسى غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا ... وان يعزى له الوصف انتسابا
يجيب بعلم ما تحوى عليه ... طباق السبع ان دعى استجابا
يقيم في الاراضي السبع علوا ... يحيط بعد حصدها حسابا
ولم لا وهو انشاه امتنانا ... واوعدنا على الحسن المثابا
وانشا في السماء لنا بروجا ... والبسنا بزينتها ثيابا
واجرى الشمس ثم البدر فيها ... وسخر بالرياح لنا السحابا
لنسقي بلدة ميتا بغيث ... تمول بالحيوة ثملا وصابا
واجرى في بسيطتها عيونا ... موججة واودية عذابا
وارسل في الورى منهم رسولا ... شفيعا مصطفى يتلوا الكتابا
محمّد نبيّ المجتبى من سلالة ... هاشم فلاصل طابا
فقد اسرى به مولاه ليلا ... وجبريل له اخذ الركابا
دنا من حضرة العلى تدلى ... وحاز القرب منه فكان قابا
عليه صلاة ربّ العرش تترا ... مدا الايام تورثنا الثوابا
وما سحت بماء المزن سحب ... فحلّ الزهر بالزهر الهضابا
هو المبعوث بشّرنا ببشرى ... من المولى وانذرنا العقابا
وحرضنا على قتل الاعداء ... تضيق بهم تلالا او شعابا
ونبذل في جهاد الكفر نفسا ... ومالا قد جمعناه اكتسابا
فصدّقه ابو بكر عتيق ... وثانيه ابو حفص اجابا
وثالثهم ابو عمرو ووفى ... ابو حسن طعانا او ضرابا
هم الخلفاء اربعة تواصوا ... على الاسلام صونا واحتجابا
وباقي العشرة المرضى عنهم سما ... وعلى ابن عوف هم الشهابا

سعيد وابن جراح وسعد … زبير طلحة كرموا صحابا
هم قد بايعوا المختار طوعا … على ان لا يضام ولا يصابا
وان تفنى نفوسهم احتماء … لدين الله بعدا واقترابا
وهم قد جاهدوا في الله حقًّا … وسلوا في اعدائهم الذبابا
عليهم رحمة الرحمان تملى … بنور من قبورهم الرحابا
فقد بانوا وبان من اقتفاهم … خفا نور الهدى منهم وغابا
وعاد الدين بعدهم حقيرا … ومسحوقا ومهونا مصابا
وصار بغربنا الاقصى غريبا … فيا للدين يغترب اغترابا
ولم نعلم جهادا للاعداء … بهذا الارض يحتسب احتسابا
الى ان فتح الرحمان فيه … ليعقوب بن عبد الحق بابا
لمولانا امير العدل ملك … به انسلبت عن الكفر اسلابا
ولم نر قبله في العصر ملكا … ارانا في العدا العجب العجابا
فهناه الا له السعد فيه … ونيةً صادق من اذابا
دعى لله دعوة مسلمين … لمولاه دعاء استجابا
فلبّا الله دعوته وسنا … له الحسنى وجنبه الصعابا
فجاز البحرَ مجتهدا مرارًا … يقود الى العدا الخيل العرابا
فالبس ملكهم ذلّا وصارت … به الاملاك ترتهب ارتهابا
ابعد جواز ارض البرة فخر … تزيد به صيالا واعتجابا
هو القطب الذى دارت عليه … نجوم السعد لا تخشى اضطرابا
بنوه نجومه والبدر فيهم … ولى العهد من بالفضل حسابا
ابو يعقوب مولانا المرجى … لدفع الخطب ان ارسا ونابا
هو الملك الذى اعطى واقنى … وصير طعم عيش مستطابا
وابناء الامارة ترتجيهم … واحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
اوفي حقهم فردا ففرد … كما جعلوا الجهاد لهم نصابا
واذكر غزو هذا العام حتى … اذكر كلّ شخص ما اصابا
وانشر من فخار مرين فردا … كما احتزبوا لدينهم احتزابا
واروى مدحهم في الدهر شعرا … ادوّنه واودعه الكتابا
ليبقى ذكرُهم في الارض يُتلى … يراه الراكب زادًا واحتقابا

فعزهم

فعزّهم مكين في المعالي ... وعز سواهم اضحى سرابا

ساودع غزوهم في الروم نصا ... نظاما لا اخاف به اضطرابا

واذكر من وقائعهم امورا ... يصير بهن طعم الشرك صابا

فهل من سامع خبر لبيب ... يردّ عليّ بالصدق الجوابا

فيصبح بسمعه نحوى امتنانا ... يقول اذا اصبت لقد اصابا

وذلك انّ مولانا اناخت ... عزائمه بنطحته الركابا

فجاز البحرَ في سفر خميس ... لخامس شهره اقتصاد القرابا

وحلّ شريغا المولى بجمع ... كسا الشم المعاقل والهضابا

وفي غد يومه ضربت عليه ... هنالك قبّة تنسى القبابا

زهت حسنا وجملها سناها ... لها اختاروا من الحبر التبابا

ولم ير مثلها في الحسن لاكن ... قد انتخبت بسبتة انتخابا

فحلّ بها كانّ الشمس لاحت ... بطلعته زهاء واعتجابا

فيا لك قبّة يحكى سناها ... سنا الفلك المحيط بنا انتسابا

وخلف عامر اوانى قريبا ... من اركش ثم رام به اجتلابا

ورام نكاية الاعداء فيه ... فانسفه احتراقا وانتهابا

ومنه الى شريشا في جموع ... ووافته محلّته ايابا

فاوسعت الزروع بها احتصادا ... واوسعت الغروس بها احتطابا

وداثوا من شلوقة كلّ ربع ... وروضة من قناطرها عذابا

مدينتها وقلعتها بحير ... اشاعوا في نواحيها الخرابا

وجهز للعدا جيشا منصورا ... ليترك دارهم قفرا يبابا

على اشبيلية اجرا خيولا ... فاوسع من ساحتها انتهابا

سبا منهم وغدر الف علج ... تطارد عنهم الطير الذبابا

وابو مظفر وابو عليّ ... اخوه اتا وقد جدّوا الايابا

وجهّز جيشه عمرو ووافا ... الى قرمونة يحكى العقابا

ولم يترك بها احد سوى من ... بها ينكبّ في الارض انكبابا

اتى بغنائم ملات عديدا ... بسيط الارض بل غطت شعابا

وجيش ابي معرف المعلى ... على اشبيلية خطّ القبابا

لمولد سيد الثقلين تشهد ... له فيما سباه وما اصابا

الى بغنيمة فيها سبايا ... واوصل من مراكبهم لبابا
وفى ذلك اليوم سار ابو علىّ ... الى برج فصيّره خرابا
وغزوة مسقرنليس لا تخفى ... فضائلها لقد حسنت مآبا
ولا انسى البروز على شريش ... فاهل البرج قد ذاقوا العذابا
فذالك اليوم اعظم يوم حرب ... وابناه اذا ذكروا الحرابا
ويوم وصول مولانا المرجى ... الى يعقوب اشرف واستنابا
هناك بروز اهل الدين ردّت ... محاسنه على الدهر الشبابا
ولا انسا القناطر حين دارت ... بها الاسلام توسعها انتهابا
واهل شريش لما ان تراءا ... ولى العهد قد فرّقوا ارتعابا
هنالك خصّص المولى بجيش ... ابا يعقوب مولانا وحابا
باربعة من الالاف خيلا ... مسوّمة مسلقّرة عرابا
واجرى الخيل من كلّ النواحى ... على اشبيلية شرقا وغابا
فلم يترك بتلك الارض خلقا ... الا اسرى او سباء او سلابا
فتلك غنيمة ما ان سمعنا ... بهذا العام اكثرها اجتلابا
وبعدُ اتى ابو زيان وافا ... شريشا بالبروز قد اسنرابا
بهذا اليوم جهزه بالف ... الى قرمونة رايا صوابا
وجاء بزرعها واحاد عنها ... الى اشبيلية ولها استنابا
وقتل اهلها وسبا وولّا ... حميدا فى سرور من اسنشابا
ومولانا ابو يعقوب وافا ... شلوقة ثم حرّقها خرابا
الى كبنور اعمل جدّ عزم ... لو ان الهند سبّل به انذابا
احاطه بربعها برّا وبحرا ... فدمّرها وصيّرها يبابا
وخلف ارضها غبرا واضحت ... حمامه حسن معناه غرابا
ولما دوّخ المولى النصارى ... والبسهم من الذلّ الثيابا
ولم يترك بارضهم طعاما ... ولا عيشا هنئا مستطابا
واعوزه بها علف وطالت ... بها حركاته قصد الايابا
وقد ظهرت لاسطول الاعادى ... علامات تزيدهم ارتيابا
يوم الى الجزيرة رام منها ... بجدد غزوة تدنى الثوابا
الى اشبيلية ليبيد منها ... طغاة ضال ما عبدوا الصلابا

وبنزلها

وينزلها يقيم بها شتاء — يهدمها ويبقيها خرابا
فلما حلّ ربع طريف والى — الى اجفانه العزّ الكتابا
فيامر ان تجهز للاعادى — اساطله فاسرعت الجوابا
فجهّزها ووافت باحتفال — وباس منه راس الكفر شابا
هنالك شانجة وافى شريشا — بلبل ثم عاين ما ارابا
فوجه منه ارسال النصارى — الى المولى ليسعفه الطلابا
يطالبه بعقد الصلح يعطى — له ما ذا اراد وما استجابا
ولم يقبل لهم قولا وابت — له الارسال حائرة خيابا
ولم يرددهم المولى سوى من — حديث البحر لا يربوا ارتيابا
فقرب جيشه المنصور بحرا — الى افرونة الكفر انسيابا
فلما بارز الاسطول فرّت — جيوش الكفر فى البحر انسرابا
وما الموت على معتذريها — ولو سئلت لما ردّت جوابا
فاتى الى الجزيرة فى سرور — يجدد غزوة تبدى العجابا
فوافته بها الارسال تبغى — بعطفته من الصلح اقترابا
فاسعفهم به والله يجرى — على ارائه الحسن الصوابا
ويجعل فيه للاسلام نشرا — مصالحها الذى تدنى الطلابا
وذلك من امور قد حكاها — لنا المولى واحصاها حسابا
فبادر شانجة فى الصلح حتى — تقرّب من مدينة اقترابا
وجاء بقيله الاعلى واعطا — هدايات لمولانا رغابا
فكان هناك بينهما امور — ينسيى السرور بها الخضابا
واسرع شانجة للعقد حرصا — واظهر فيه لمولى ارتعابا
فتمّ الصلح بينهما العذر — مبين واضح والسرّ غابا
فهذه جملة والشرح عندى — ساودعه بايضاح كتابا
هنيئا يا مرين لقد علوتم — بنى الاملاك باسا وانتجابا
وفاخرتم بمولانا البرايا — فاعطوكم قيادا وانقلابا
ابعد الغنش وابن الغنش يبغى — رضاكم لا يخاف به العيابا
فحزب مرين حزب الله يحمى — حما الاسلام لا يخشى عقابا
اذا سلّوا السيوف ترى الاعدا — وقد حلّ الردا مدّت رقابا

هم اشفار بين الملوك تروى — عن الملك القتام او الترابا

وهم مثل الانامل حين مدّت — يدا لامر الذى تعطى الرغابا

انظم فيهم مدحى ففيهم — اناس طال ما ضمنوا القبابا

فمن اولاد عبد الحقّ ابدا — بمدح عرفه يحكى الرضابا

هم الامراء ان ذكرتَ علاهم — ترى الاقمار تنتسب انتسابا

ومنهم تجتلى شمس المعالى — لدار الملك تختطّ النقابا

وهم اساد حرب من يوازى — مقامهم اذا ما الخطب نابا

وهم للجود بحر فيه تلافى — نفيسَ الدرّ او تجد السحابا

فما قدرة من كرم ففيهم — انسخ تسمع لدى بهم جوابا

وفخر بنى تمامة ليس يخفى — كنور الشمس ترتقب ارتقابا

سموا قدرا وعز بهم تمامهم — فجارهم عزيز لن يصابا

فانهم القرابة حين يعزى — لمولانا لقد عزوا جنابا

وعترته السراة بنو علىّ — لانهم ابوا ذمّا وعابا

هم الفضلاء والشرفاء حقّا — فسل تجد العلا والانتسابا

وهم اخوال مولانا المرجى — ابى يعقوب فخر لى بعابا

وسادة عسكر قوم احاطوا — باوصاف العلى وسموا الثنايا

شجاعتهم وجودهم استفاضا — بحور قد تدفعت العبابا

بنوا واجاسن افتخروا افتخارا — بعلم قائم السيف الضرابا

اذا لبسوا الحديد ترى اسودا — تميد الارض ان كانوا غضابا

ونجدةُ تيربيعين استقرّت — وزادوا فى علوهم انتصابا

فمنهم ابتدى بنى وراغ — وباسهم اذا سيموا الضرابا

بنو سوجم اراهم نعم قوم — اذا حضروا الوغا النهب النهابا

وسائر تيربيعين ان تداعوا — لحرب فرّت الروم ارتهابا

بنو يابان ان ذكروا تجدهم — اسودا تورث الاعدا ارتيابا

سيوفهم تقدّ الهام طولا — وماء سحابهم يهمى انسكابا

وباس بنى تنالفت استمرّت — مريرته فبلغنا الطلابا

اذا حضروا الحروب ترا عداهم — بغاة الطير ابصرت العقابا

بنوا وطاس فازوا بالمعالى — فلم يخشوا لمجدهم انتكابا

بنوا وارتاجن اعتزّوا بما هي ... فخارهم عداتهم اعتجابا
بنوا الخير اناس من تسامى ... ورام بهم حلول الضيم خابا
بنوا وارتين ارتفعوا وتعالوا ... بعزّتهم وباسهم الرقابا
وسائرهم متى ذكروا توالت ... شجاعتهم اذا البطل استرابا
بنوا غودود والحشم استمرّوا ... على نصح لمولانا فجابا
فقرّبهم وسيّرهم لديه ... من الرهط الذى نال اقترابا
واذكر خدمة العرب التى قد ... اعتزّ بهم لدى المولى جنابا
فحازوا عنده اعلى مكان ... مكين لم يرام ولم يصابا
اذا نصح الخديم نيل مناه ... ويحرس من ذوى العلى احتسابا
فانتم ايها العرب انتصرتم ... لعزّكم فالزمكم منابا
انبس لحمير لكم انتسابا ... كذاك مرين ان رفعوا انتسابا
وانتم اخوة نسبًا وصهرًا ... فما حدتم عن الفخر اجتنابا
وجدّ جميعكم سنا وقيس ... من الاعلام فى العرب انتصابا
ولم لا والرضى عنكم توالى ... من المولى به ملا القبابا
فسفيان سموا قدرا ففيهم ... سراة العز يولون الرغابا
لهم ايام صدق ليس تخفى ... لها حسن تجلى ان يعابا
بنوا جرمون انجمهم وفيهم ... هلال بدرهم يجلوا سحابا
وسيف العاصم اشتهرت وسارت ... بارض الروم تغمدهم الرقابا
بها عبادهم قدرا ووافا ... باخوته لمولانا انتصابا
لقد نصحوا ويشهد فى علاهم ... بما فعلوا الذى كتب الكتابا
وللخلط السيوف مجوهرات ... تصيرها اعداهم قرابا
هبيرة من كنجدهم افتخار ... لخطب هاج وحرب ارابا
مقدّمهم تقدّم فى المعالى ... بهم ومهلهل احصا الذبابا
جماعة جابر قوم كرام ... كسوا من صدق نصحهم ثيابا
فجرّوا منه يوم الحرب ذيلا ... على الاعداء تنسحب انسحابا
بيوسف بن قيطون تساموا ... فعزوا جانبا وحموا جنابا
وقل لـلاتيج دانت علاها ... بكم ساقاتكم تدنى اقترابا
سيوفكم تدبير على الاعداء ... كؤس ردا سقوا منها شرابا

فلابن العجاج المرضى على ... مختار يورث الشرك ارتيابا
لئن اخذتكم فى النظم يشهد ... لكم فى سبقكم من حل زابا
فهذا سعد مولانا المرجى ... ونبيته التى تدنى الطلابا
فقد حلّ الجزيرة والامانى ... تساعده وقصد الشرك خابا
اقام بها والقى الرحل منها ... لبلدته الجزيرة حين ابا
كان القرية المشهور منها ... على ما اودع الله الكتابا
وقد ذكروا الجدار بها وفيها ... مكان الصخرة انتصب انتصابا
فصدق قولهم عنها فلوس ... بها وجدت مصورة عجابا
لها الف من الاعوام زادت ... من المبين اربعة حسابا
وقد دثرت رسوم الربع منها ... فاحياها وقد كانت خرابا
وجددها وشاد السور منها ... وانشا فى جوانبها القبابا
بدائع سعدة فى خير دار ... مؤسسة بها يولى الرغابا
قواعدها على السعد استقرّت ... تقابل من جبال الفتح بابا
ومشورها البهيج يروق حسنا ... تحلى من حلى البحر الحبابا
تقلده كمثل سيف يحكى ... اذا ما انساب فى الرمل الحبابا
تطالعه نجوم السعد منها ... قريبا تورث الشرك انتيابا
ومسجدها المبارك قد تلالا ... سنا انواره يحكى الشهابا
ومنبرها الرفيع يقوم فيه ... امامكم فيختطب اختطابا
ويدعوا الله مبتهلا عساه ... يزيدكم السعادة والثوابا
ويجعل من تمادى الخير فيها ... بشائر والفتوحات العجابا
بنا الدار السعيدة للامانى ... العزفى وشيدها قبابا
بعزمة مخلص برصفى ... محبّ للوفاء قد استنابا
اناس دابهم نشر المعالى ... فهابهم قد كسوا منها ثيابا
فهم خدموا لمولانا موفى ... لدين الله نصحا واحتسابا
مرين لقد مدحتكم فوفوا ... لمادحكم ببيعته المثابا
وقد ورخت دولتكم وصارت ... جلا يحدوا بها الحادى الركابا
وكلّ منظم شعرا سيفنى ... وتبقى فيكم مدحتى كتابا
امير المسلمين بقية تعلوا ... سعودكم الذى ترضى الايابا

وابقاكم

وابقاكم اله العرش عزّا ... تنال بكم امانيها الرغابا
فهذا العام عام الفتح نبدوا ... بتاريخ السعود لك الحسابا
وهذا العيد عيد الفطر وافت ... به النثر كالفطر انتسابا
فعمرك الا له سنين عدا ... تبلغنا الاماني والطلابا
فانك قد رفعت العلم قدرا ... وصنت ذويه راغبا الثوابا
وبالصلحاء قد زدت اعتناء ... وبرّا واعتلاء واقترابا
وزدتهم احتفالا وارتفاء ... به للتخلد تنقلب انقلابا
فدام سعود ملكك في ازدياد ... وجمع عداتك انتكب انتكابا
سلام الله متصلا يوافي ... مقامكم كعرف المسك ثابا

قال المؤلف عفا الله عنه وفي العاشر من شهر رمضان المعظم من سنة اربع وثمانين وست مائة بعث امير المسلمين ولده الامير ابا زيان في جيش كثيف ليقف على الحدّ بين بلاده وبين بلاد ابن الاحمر وامره الا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثا ولا يواصل لها باذاية ولا بمضرّة فانصرف الى حصن دكوان بالمغرب من مالقة فسكن لخارجه، وفي شهر رمضان المذكور توفّي الوزير المرحوم ابو علىّ يحيى بن ابي مدين الهسكوري بالجزيرة الخضراء، وفي اخر شهر شوال امر امير المسلمين عباد بن ابي عباد العاصمي ان يرتحل بجميع اخوانه الى اسطبونة فيسكن هنالك فارتحل اليها فنزلها في غرّة ذي قعدة من السنة المذكورة، وفي يوم الاثنين السادس عشر لذي قعدة المذكور جاز امير المسلمين ابو يعقوب من الخضراء الى العدوة يتفقّد احوالها في غراب القائد المجاهد ابي عبد الله محمّد بن القائد ابي القاسم الرجراجي رحمه الله فنزل بقصر المجاز، وفي هذه السنة بنيت زاوية فرناسة على قبر الامير المرحوم ابي محمّد عبد الحقّ وتصدّق عليها امير المسلمين بحرث اربعين زوجا، وفي اخر شهر ذي قعدة ابتدا امير المسلمين مرضه الذي توفّي منه فلم يزل المه يشتدّ وحاله يضعف الى ان توفّي رحمه الله بقصر من بلدته الجديدة من جزيرة الاندلس وذلك في ضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين محرّم من سنة خمس وثمانين وست مائة فحمل رحمه الله الى رباط الفتح من بلاد العدوة ودفن بمسجد شالة منها فكانت ايامه في الخلافة تسعا وعشرين سنة وذلك من حين بويع له بحضرة مدينة فاس بعد وفاة اخيه ابي يحيى ومن حين ملك حضرة مرّاكش وقطع ملك بني عبد المومن فخلص له امر المغرب سبع عشرة سنة وعشرين يوما فانا لله وانا اليه راجعون فلقد انصدع بموته

الاسلام ورزى بوفاته جميع الانام تلقاه الله عزّ وجلّ بالروح والريحان والمغفرة والرضوان
جبر الله صدع الاسلام فيه وابقى خلافته وبركته مؤيدة فى حفدته وبنيه وصلّى الله
على سيدنا محمّد وعلى ءاله وصحبه وسلّم تسليما ۞

الخبر عن دولة امير المسلمين ابى يعقوب بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحق عفا الله عنهم

هو عبد الله يوسف امير المسلمين بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحق
كنيته ابو يعقوب لقبه الناصر لدين الله امّه حرّة علويّة تسمّى امّ العزّ بنت محمّد
بن حازم العلوى ٢ مولده فى شهر ربيع الاوّل من سنة ثمان وثلاثين وستّ مائة
بويع له بالخلافة فى الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس يوم وفاة ابيه وكان غائبا ببلاد
العدوة فاخذ له البيعة الوزراء والاشياخ وبعثوا اليه فاتّصل اليه الخبر وهو ببعض
احواز مدينة فاس فجدّ السير الى طنجة فوجد الاسطول هنالك بنتظره فجاز البحر
الى الجزيرة وبها جميع قبائل مرين وقبائل العرب فجدّدت له البيعة بها واجتمع على
بيعته كافّة قبائل مرين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والاندلس من المسلمين
وذلك فى غرّة صفر من سنة خمس وثمانين وستّ مئة وسنّه يوم بويع خمس واربعين
سنة وثمانية اشهر ، ولمّا تمّ له الامر واستقامت له الخلافة فرّق الاموال على جميع
قبائل مرين والعرب والاندلس والاغزاز وسائر الاجناد واحسن الى الفقهاء والصلحاء
واخرج الصدقات الى الضعفاء وسرّح المسجونين فى جميع بلاده وتصدّق بترك
الفطرة على الناس وكل من وجب عليه اداؤها يتصدّق بها لنفسه حيث شاء
ورفع النزال عن ديار الرعية وكفّ ايدى الظلمة والعمال على الناس وازال المكوس
وامر بهدم المروس وقمع البغاة واباد الطغاة وامّن الطرقات وازال اكثر الرتب
والقبالات التى كانت بالمغرب الا ما كان منها فى البلاد الخالية والمفازات المخيفة
فخضعت مرين تحت قهره واصلح امر الناس فى ايامه ، صفته ابيض اللون حسن
القدّ مليح الوجه اقنا الانف هيبا لا يكاد احد يبتديه بالكلام من مهابته ذا انفة
وسياسة فاذا عزم بطش واذا اخذ افنا يستبدّ برايه دون وزرائه قهرا فى سلطانه
واذا اعطى اغنا واذا مال افنا شفيقا بالضعفاء متفقّدا لاحوال رعيته وبلاده
غليظ الحجاب لا يكاد يوصل اليه الا بعد الحين ، حاجبه عتيق مولاه ثم عنبر
مولاه

مولاه ، وزراؤه ابو علىّ عمر بن السعود الحبشى وابو سالم ابراهيم بن عمران الفودودى وتوزّر له فى اخر عمره يخلف بن عمران الفودودى ، كتّابه الفقيه ابو زيد الجزان والفقيه ابو عبد الله العمرانى ثم الفقيه الاجلّ المرحوم ابو محمّد عبد الله بن ابى مَدْيَن وهو القائم بامر المملكة كلّها وعلى يده تتصرّف احوالها ومن كتّابه الفقيه الكاتب البارع ابو عبد الله المغيلى كان يتولّى العرض والانشاء وبيده العلامة الى ان مات رحمه الله فولّى العلامة بعده الفقيه الاجلّ ابو محمّد عبد الله بن ابى مدين ومن كتّابه الفقيه الاجلّ اوحد عصره ونخبة دهره ابو علىّ بن رشيق كان يتولّى التنفيذ ، قضاته بحضرة فاس الفقيه الصالح المبارك ابو عمر بن النعال ثم الفقيه الخطيب ابو عبد الله بن ابى الصبر ايوب ثم الفقيه ابو غالب المغيلى وقضاته بحضرة مراكش الفقيه ابو فارس العمرانى والفقيه ابو عبد الله السقطى ثم الفقيه ابو عبد الله بن عبد الملك قاضيه بحضرة تلمسان الجديدة الفقيه الاجلّ المحدّث المشاور ابو الحسن علىّ بن ابى بكر المليلى ، شعراؤه الفقيه البارع ابو الحكم مالك بن مرحل والفقيه الاديب ابو فارس المكناسى والفقيه ابو العبّاس الفشتالى والفقيه ابو العبّاس الحبشى هؤلاء الشعراء الذين هم كانوا ملتزمين لخدمة بابه الكريم تجرى عليهم المرتبات والاحسان ، اطبّاؤه الوزير الطبيب ابو عبد الله بن الغليظ الاشبيلى والوزير ابو محمّد بن عمار المكناسى ، قال المؤلّف عفا الله عنه لما تمّت البيعة لامير المسلمين ابى يعقوب خرج من الجزيرة الخضراء الى مربالة فنزل بظاهرها وبعث رسوله الى ابن الاحمر ليجتمع به فبادر اليه فى احتفال عظيم وعسكر جسيم فاجتمع له هنالك فعزّاه عن ابيه الامير ابن الاحمر فهنّاه بالخلافة فصالحه امير المسلمين ابو يعقوب وصرف عليه جميع ما كان بيده مما كان له من بلاد الاندلس ولم يحبس منها حاشى الجزيرة ورندة وطريف ووادى ياش واحوازها وكان اجتماعه به وصلحه اياه فى العشر الاوّل من شهر ربيع الاوّل من سنة خمس وثمانين وستّ مائة ورجع الى الجزيرة فاقام بها بقية ربيع الاوّل المذكور ، وفى يوم الاحد الثانى من شهر ربيع الاخر منها قدم عليه ارسال الفنش فجدّد معه الصلح على ما كان عقده مع والده رحمه الله فلما فرغ من اصلاح بلاد الاندلس وهدّنها وسكن دهماها عاد ناحية الامير ابى عطية بن امير المسلمين ابى يوسف فعقد له على ما بيده من بلاد الاندلس واوصاه بتقوى الله تعالى وضبط ثغوره والحزم فى جميع اموره ثم دعا بالشيخ المجاهد المرحوم ابى الحسن علىّ بن يوسف بن يرجانتن

فعقد له على اعنة خيل الاندلس وجندها وقلده امر حربها وغزوها وترك معه
ثلاثة الاف فارس من بنى مرين والعرب وجاز الى العدوة يوم الاثنين سابع ربيع الاخر
من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى مدينة فاس فدخلها فى الثانى
عشر من جمادى الاولى من العام المذكور، فلما استقرّ بحضرة فاس الجديدة خرج
عليه ابن عمّه محمّد بن ادريس بن عبد الحقّ فى جماعة من بنيه بجبال ورغة من
احواز فاس فسار اليهم الامير ابو معرف محمّد بن امير المسلمين الى يوسف فتابعهم
فى خلافهم وانضوا الى جملتهم فلم يزل امير المسلمين يبعث اليهم بالجيوش ويدبّر
عليهم السياسة حتّى نزل عليه اخوه فامنه وناب الى طاعته وفرّ محمّد بن ادريس
وبنوه الى تلمسان فقبض عليهم فى الطريق فقيدوا بالحديد واتا بهم الى رباط
تازا فبعث امير المسلمين اخاه الامير ابا زيان لقتلهم فقتلوا بخارج باب
الشريعة منها وذلك فى شهر رجب من سنة خمس وثمانين وستّ مائة، وفى هذه
السنة خرج عليه عمر بن عثمان بن يوسف الهسكورى بقلعة فندلاوة من
جبال بنى يازغة فامر امير المسلمين ابو يعقوب قبائل بنى عسكر ومن بتلك الجهات
من قبائل البربر من سدراتة وبنى وارتين وبنى يازغة وبنى سيتان وغيرهم بحصاره
وقتاله فحاصروه مدّة من شهر ثم خرج امير المسلمين اليه بنفسه فسار حتى وصل الى
قرية سدورة من بلاد بنى وارتين وقدّم بين يديه الرماة والمجانيق وءالة الحرب
فعلم عمر بن عثمان بقدومه فزعا انه لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له بمدافعة امير
المسلمين فبعث اليه الصلحاء ياخذون له الامان منه فامنه ونزل اليه فبايعه وصرفه الى
تلمسان بجميع اهله وماله، وفى شهر رمضان من سنة خمس وثمانين ارتحل امير
المسلمين ابو يعقوب من مدينة فاس الى حضرة مرّاكش فدخلها فى شوال من السنة
المذكورة فاقام بها الى يوم الخميس الثالث عشر من ذى قعدة من العام المذكور
فهرب الحاجّ طلحة بن علىّ البطوى الى بلاد السوس فاقام بها ودعا لنفسه فاتّصل خبره
بامير المسلمين فدعا بابن اخيه الامير ابى علىّ منصور بن الامير ابى محمّد عبد الواحد
فعقد له على بلاد السوس وامدّه بالاموال والجيوش وامره بقتال طلحة بن علىّ الخارج
بها ومَنْ وافقه ببلاد السوس من قبائل بنى حسان فسار الامير ابو علىّ منصور فى
جيوش عظيمة الى بلاد السوس فغزا بها عرب بنى حسان فقتل منهم خلقا
كثيرا وذلك فى شهر ذى حجّة من العلم المذكور ثم سار الى قتال طلحة
وحصاره، ثم دخلت سنة ستّ وثمانين وستّ مائة وفى يوم الاثنين الثالث عشر من
جمادى

جمادى الاخرة منها قتل طلحة بن علىّ الثاير ببلاد السوس فى المعترك وقطع راسه فبعث به الامير ابو علىّ منصور الى عمّه امير المسلمين ابى يعقوب فامر رحمه الله ان يطوف به فى جميع بلاده وبعلق على باب رباط تازا فلم يزل عليها طول ايام خلافته معلقا فى شبكة من نحاس ، وفى شهر رمضان منها خرج امير المسلمين ابو يعقوب لغزو العرب ببلاد قبلة درعة الذين كانوا يقطعون على طريق سجلماسه فخرج اليهم من حضرة مرّاكش فى اثنى عشر الف فارس من بنى مرين فجدّ السير على جبل هسكورة حتى خرج الى بلاد درعة ثم سار حتّى ادركهم فى القبلة ممّا يلى الصحراء فصبحهم وقتل منهم خلقا كثيرا وسبا اموالهم وامر بقطع رؤسهم وحملها الى مرّاكش وفاس وسجلماسة وتعليقها فى الاسوار ثم رجع الى مرّاكش فدخلها فى آخر شوّال من سنة ستّ المذكورة فاقام بها بقية عامه وعيّد بها عيد الاضحى ، ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستّ مائة فى نصف ربيع الاخر منها خرج امير المسلمين ابو يعقوب رحمه الله من حضرة مرّاكش الى حضرة فاس وفيها وُفّته ارسال ابن الاحمر مع ابنة الامير موسى ابن رحوا فاعترس بها بحضرة مرّاكش وفيها اعطى امير المسلمين لابن الاحمر مدينة وادى ياش وحصن راجة وحصن بيانة وحصن الدير والانتبير وغون وغورب وذلك فى شهر صفر من سنة سبع وثمانين وستّ مائة ، وفى نصف ربيع الاخر منها تحرّك امير المسلمين من مرّاكش الى فاس فلما قدمها فاقام بها وخرج عليه ولده الامير ابو عامر فسار الى حضرة مرّاكش وذلك يوم السبت الرابع والعشرين من شوّال فثار بها مع واليها محمّد بن عطوا البربرى الجنفىّ وكان دخوله مرّاكش وقيامه بها فى اوّل يوم من ذى قعدة من سنة سبع وثمانين وستّ مائة فانتهى الخبر الى امير المسلمين ابى يعقوب فبادر الى مرّاكش فوصلها ونزل بظاهرها فخرج ولده الامير ابو عامر الى حربه فرجع مهزوما ودخل مرّاكش وغلقها فى وجه ابيه فاقام بقصرها الى الليل فقتل مشرفها ابن ابى البركات وحمل ما كان فى بيت مالها وخرج منها نصف الليل فارًّا الى بلاد القبلة واسلم البلد فدخلها امير المسلمين من الغد وهو اليوم التاسع من ذى حجّة من السنة المذكورة فعفا عن اهلها وسار الامير ابو عامر مع ابن عطوا على بلاد القبلة فاقام بها مدّة من ستّة اشهر ثم سار الى تلمسان فوصلها فى الثانى عشر من رجب من سنة ثمان وثمانين وستّ مائة ، ثم دخلت سنة ثمان وثمانين فيها رجع الامير ابو عامر الى والده امير المسلمين فعفا عنه وفيها كتب امير المسلمين الى عثمان بن يغمراسن

امير تلمسان ان يسلم اليه عامله ابن عطوا الذى لجا اليه فامتنع عثمان بن يغمراسن من ذلك فقال والله لا اسلمه ابدًا ولا ابيع حرمتى واترك مَنْ استاجرنى حتى اموت فليصنع ما بدا له واغلظ للرسول فى القول وتكلّم له القبيح فثقفه بالحديد فانف لذلك امير المسلمين ابو يعقوب وعمل على غزوه فسار اليه، وفى سنة تسع وثمانين فى السابع والعشرين من ربيع الاخر منها خرج امير المسلمين ابو يعقوب من حضرة فاس الى غزو تلمسان ومَنْ بها من بنى عبد الوادى وهى اوّل غزواته اليها فسار نحوها وبقى يرتحل فى احوازها ياكل زروعها ويسبى اموالها ويخرب قراها فلم يخرج اليه اميرها فلما رءا عجزه عن ملاقاته قصد الى حصاره فنزل عليه فى اوّل يوم من رمضان من سنة تسع وثمانين وستّ مائة فحاصره وضيّق عليه بالقتال ونصب عليه المجانيق وقام عليه ستّة عشر يومًا وارتحل عنه راجعا الى المغرب فدخل رباط تزا فى ثالث ذى قعدة من العام المذكور، ثم دخلت سنة تسعين وستّ مائة فيها انفسد الصلح بين امير المسلمين والفنش شانجة فكتب امير المسلمين الى قائده وهو الشيخ ابو الحسن علىّ بن يوسف بن يرجانن يامره ان ينزل مدينة شريش ويشنّ الغارات على بلاد النصارى شرقا وغربا فسار ابو الحسن بن يرجانن بمَنْ معه من المجاهدين حتى نزل مدينة شريش وذلك فى ربيع الاخر من سنة تسعين المذكورة وشرع فى قتالها وشنّ الغارات على احوازها، وفى شهر ربيع الاخر المذكور خرج امير المسلمين ابو يعقوب من حضرة فاس الى قصر المجاز برسم الجواز الى الاندلس والجهاد وكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم الى الغزو فوصل الى قصر المجاز فى جمادى الاولى من السنة المذكورة فشرع فى تجويز المجاهدين من بنى مرين والعرب فسمع الفنش لعنه الله بقدومه فاراد قطع المجاز عليه فعمر الاجفان فبعثهم الى الزقاق فنزلوا به فنشب امير المسلمين عن الجواز بقصر المجاز وامر بتعمير الاجفان يقابل بها اجفان الروم، وفى شعبان من هذه السنة انعسدت قطائع المسلمين فى الزقاق فقتل قوادها وقطع غزاتها فاقام امير المسلمين بقصر المجاز حتى عمر الاجفان واستعدّ للجواز فجاز ونزل بطريف وذلك فى العشر الاخر من شهر رمضان من سنة تسعين وستّ مائة، ثم خرج الى غزو بلاد الروم فنزل على حصن بجر فاقام محاصرا له مدّة من ثلاثة اشهر وجيوشه تخرج فى كلّ يوم من المحلّة فتغير على شريش واحوازها وحصن الوادى حتى هتك جميع تلك البلاد ودخل فصل الشتا فقلع عنه ورجع الى الجزيرة فجاز منها الى العدوة فى اوّل شهر محرّم من سنة احدى وتسعين

وست

وستّ مائة وقد انفسد ما بينه وبين ابن الاحمر وفي سنة احدى وتسعين اصطلح ابن الاحمر مع الفنش وتراضى معه ان ينزل طريف حتى يملكها ليقطع جواز امير المسلمين ابى يعقوب الى الاندلس وشرط له ان ينفق عليه وعلى محلّته بطول اقامته عليها فنزلها الفنش في اوّل يوم من جمادى الاخرة من سنة احدى وتسعين وستّ مائة فاقام الفنش يقاتلها برًّا وبحرًا ليلًا ونهارًا ونصب عليها المجانيق والرعدات وابن الاحمر يبعث اليه بالميرة والعدد والسهام وكلّما يحتاج اليه حتى ملكها صلحا من اهلها فدخلها في ءاخر يوم من شوّال من سنة احدى وتسعين وستّ مائة وكان قد اتّفق مع ابن الاحمر اذا اخذها ان يسلمها اليه فلما ملكها تمسّك بها فاعطاه ابن الاحمر بسببها حصن شكيش ونبيرة ونقلة وابلش وقشتلة والمساجين وهب ذلك كلّه في حقّ طريف ولم ينقص منها شيء وذلك في سنة احدى وتسعين المذكورة ، وفي شهر شعبان منها اقبل عمر بن يحيى الوزير الوطاسى الى حصن تازوطا من قلاع الريف فدخلها ليلًا غدرًا من اهلها وكان بها الامير ابو علىّ منصور بن عبد الواحد فخرج منصور منها فارًّا بنفسه في جوف الليل فلحق برباط تازا واخذت امواله وقتلت رجاله وملكها عمر بن يحيى الوزير بجميع ما كان بها من المال والسلاح والامتعة واعشار الروم التى كانت مختزنة بها كما قال المتنبى رحمه الله

تملّكها الآتى تملّك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

فاتّصل الخبر بامير المسلمين ابى يعقوب فبعث اليها من حينه وزيره ابا علىّ بن السعود فسار في جيش عظيم حتى نزل عليه فحاصرها هو والامير ابو علىّ منصور فاقام ابو علىّ منصور اياما ثم مرض ومات غمّا رحمه الله ودفن بجامع تازا ، وفي شهر شوّال من سنة احدى وتسعين خرج امير المسلمين ابو يعقوب من فاس الى حصار تازوطا ومعه عامر بن يحيى بن الوزير اخو عمر النذر بها فضمن له اخراج اخيه عمر عنها واستاذنه في الدخول اليه فاذن له فدخل الحصن وتكلّم مع اخيه فيما احبّ فاخذ عمر كلّما كان فيها من الاموال والمتاع فخرج به ليلًا على حين غفلة من الناس وتوجّه به الى تلمسان واسلم الحصن لاخيه فبلغ عامر ان امير المسلمين ابا يعقوب عزم على قتله بابن اخيه منصور لافلاته اخيه عمر الجانى عليه فتمسّك بالحصن وامتنع من الهبوط فاقام بها الى ان قدم الرئيس ابو سعيد فخرج ابن اسمعيل بن الاحمر صاحب مالقة بهدية من الاندلس الى امير المسلمين ابى يعقوب راغبا في الصلح مع

ابن الاحمر فنزل باجفانه في مرسى عساسة فبعث اليه عامر بن يحيى بن الوزير وسأله ان يشفع له عند امير المسلمين ابي يعقوب فشفع له فاشهر له امير المسلمين الاسعاف بذلك فلم يطمئن عامر بنفسه وبعث بعض خدامه الى المرسى نهارا فتطلع اكثرهم في اجفان الرئيس ابي سعيد ليرحلوا فيها الى الاندلس وبقي عامر الى جوف الليل فخرج من القلعة كانه يريد التوجه الى المرسى ففر الى تلمسان فخرجت الخيل في اثره فركض الفرس فنجا وقبض على ولده بالخيل فقتل بفاس وصلب واخذت رجاله من اجفان الرئيس ابي سعيد فضربت اعناقهم وظفر بمن كان في الحصن من القلعيين وغيرهم فقتلوا عن آخرهم وحمل نساؤهم واولادهم الى رباط تازا فنفقوا بها ، وفي هذه السنة قدم على امير المسلمين وهو بتازوتا رومي جنوى بهدية جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها طيور تصوت بحركات هندسية مثل التي صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه السنة رفع عن اولاد الامير ابي يحيى بن عبد الحق الغدر ففروا الى تلمسان واقاموا بها الى ان ارسل اليهم امير المسلمين بالرجوع فاقبلوا الى مدينة فاس فسمع بذلك الامير ابو عامر وهو ببلاد الريف فجعل العيون عليهم فدله الجاسوس فاخبره بقدومهم فخرج الى القتال بهم فواقفهم بصبرة من بلاد ماوية فقتلهم ورجع الى البراءة وهو يرا انه قد وافق رأى ابيه وغرضه في قتلهم فاتصل الخبر بامير المسلمين ابي يعقوب فاظهر البراءة من فعل ولده ابي عامر وابعده واقصاه فلم يزل شريدا في بلاد الريف وبلاد غمارة الى ان مات ببلد بني سعيد من جبال غمارة وحمل الى مدينة فاس فدفن بها بالزاوية التي بداخل باب الفتوح وذلك في شهر ذي حجة عام ثمانية وتسعين وست مائة وخلف ثلاثة من الولد عمر وسليمان وداوود فكفلهم جدهم امير المسلمين ابو يعقوب الى ان مات فولي عامر الخلافة بعد جده ثم ولي سليمان بعد وفاة اخيه عمر وسياتي ذكر ايامهما بعد ان شاء الله تعالى ، وفي شهر ذي قعدة من سنة احدى وتسعين المذكورة اعطى ابن الاحمر حصن الابط الى الفنش شنجة وفيها امر امير المسلمين ابو يعقوب بعمل المولود وتعظيمه والاحتفال له في جميع بلاده وذلك في شهر ربيع الاول المبارك من السنة المذكورة ونفذ الامر به عنه رحمه الله وهو بصبرة من بلاد الريف في آخر شهر صفر من السنة المذكورة فوصل برسم اقامة بحضرة فاس الفقيه ابو يحيى بن ابي الصبر ، ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين فيها وفد على امير المسلمين رسل ولد الرنك ملك برتقال ورسل ملك بيونة ورسل صاحب تلمسان ورسل ملك تونس

وذلك

وذلك فى جمادى الاولى من سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة وفيها فتح حصن تازوطا وذلك يوم الجمعة لحادى عشر من جمادى الاخرة من السنة المذكورة وانصرف ارسال ابن الاحمر الرئيس ابو سعيد وابو سلطان الدانى من حضرة امير المسلمين ابى يعقوب بفاس الى الاندلس فى العشر الاواسط من رجب عام اثنين وتسعين وخرج الامير ابو عامر الى قصر المجاز برسم النظر فى امر الاندلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وجاز السلطان ابو عبد الله بن الاحمر برسم لقاء امير المسلمين ابى يعقوب والاعتذار اليه بما فعل فى امر طريف ويرغب منه نصرة بلاد الاندلس فخرج بساحل بليونش من حوز مدينة سبتة ثم ارتحل الى طنجة وقدّم بين يديه هدية عظيمة منها المصحف العزيز الذى كانت ملوك بنى امية يتوارثونه بقصر قرطبة يقال انه بخطّ امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان وصوله الى طنجة فى يوم السبت الثانى والعشرين لذى قعدة من سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة فتلقاه بها الامير ابو عبد الرحمان يعقوب وابوه عامر وخرج امير المسلمين برسم لقائه من مدينة فاس وذلك بعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثانى والعشرين من ذى قعدة المذكور وخرج معه جميع بنيه فتوفّى ولده الامير ابو محمّد عبد المومن فى طريقه ذلك ببلد ارجار وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ذى قعدة وحمل الى مدينة فاس ودفن بالصحن الذى بقبلة الجامع بالمدينة الجديدة وسار امير المسلمين ابو يعقوب الى طنجة فاجتمع بها مع ابن الاحمر فاراه من القبول فوق ما امله وبالغ فى برّه واكرامه واسعفه بجميع مطالبه ولم يعد شيا مما سلف منه وبذل له هدية عظيمة اضعاف ما قدم به وانصرف ابن الاحمر الى الاندلس وذلك يوم السبت الموفى عشرين لذى حجّة من عام اثنين وتسعين وستّ مائة ، وفى هذه السنة بذل امير المسلمين ابو يعقوب الى ابن الاحمر الجزيرة ورُندة وما والاها من الحصون مثل حصن يامنة وابدونة ورنيش والصخيرات وبخ والغار ونشيط وتردلة ومنتعور وانيط وحصن المداو وادياروا والشطبيل والطشاش وابن الدليل والشطبونة ومجلوش وشمينة والنجور وتنبول وتجارش ، ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها جاز جيش امير المسلمين ابى يعقوب مع وزيره ابى علىّ عمر بن السعود الى الاندلس لحصار مدينة طريف فنزل عليها وحاصرها مدّة وفيها كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم فكان الموتى يحملون اربعة وثلاثة واثنين على مغسل وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستّة اواق بدرهم ، وفيها امر

امير المسلمين ابو يعقوب بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وذلك على يد الفقيه ابى فارس الملزوزى المكناسى ، ثم دخلت سنة اربع وتسعين وستّ مائة فيها صلح امر الناس وانجبرت احوالهم ورخصت الاسعار فى جميع الامصار فبيع القمح عشرين درهما للصحفة والشعير ثلاثة دراهم ، ثم دخلت سنة خمس وتسعين فيها خرج امير المسلمين ابو يعقوب لغزو بلاد تلمسان فوصل الى حصن تاوريرت وكان نصفه لعثمان بن يغمارسن ونصفه لامير المسلمين لانه كان الحدّ بين بلادهما فردّ عنه عمال عثمان بن يغمراسن المذكور ثم اخذ فى بناء الحصن فابتدا فى بناء سوره فى اوّل يوم من شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستّ مائة ففرغ من تشييده وبنائه وركب ابوابه مصفحة بالحديد وذلك يوم الخامس من شهر رمضان المعظم المذكور فكان رحمه الله يصلّى الصبح ثم يقف على بنائه بنفسه ثم رجع الى رباط تازا فعيّد عيد الفطر على وادى ملوية بعد ان سكّن حصن تاوريرت المذكور بقبائل بنى عسكر وقدّم عليهم اخاه الامير ابا يحيى بن امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله ، وفى سنة ستّ وتسعين وستّ مائة غزا امير المسلمين ابو يعقوب بلاد تلمسان خرج اليها من حضرة فاس فسار حتّى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشدّ فى قتالها اياماً ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة وامر ببنائها وبنيت وحصنت اسوارها وبنا بها قصبة ودارا وحماما ومسجدا ونقل اليها قبيلة بنى عسكر مع اخيه الامير ابى يحيى وامره بالغارات على مدينة تلمسان واحوازها مع الساعات والاحيان ورجع الى مدينة فاس ، ثم دخلت سنة سبع وتسعين فيها غزا امير المسلمين ابو يعقوب ايضا مدينة تلمسان فنزل عليها وحاصرها وفيها نكب امير المسلمين جماعة من خدامه منهم ابو فارس عبد العزيز الشاعر وابو عبد الله الكنانى والفقيه ابو يحيى ابن ابى الصبر وفيها قتل اشياخ مراكش عبد الكريم بن عيسى وعلىّ بن محمّد الهنتاتى قتلهم ولده الامير علىّ المعروف بابن زريجة بكتاب لبس به عليه كاتب ابيه ابو العبّاس المليانى وفيها مات الامير ابو زيان ، ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستّ مائة فيها نزل امير المسلمين ابو يعقوب مدينة تلمسان النزول الاخر الذى لم يقلع منها الا ميتا رحمه الله ۞

الخبر

الخبر عن حصار تلمسان

قال المؤلف عفا الله عنه كان اصل حصار تلمسان وفناء بنى عبد الوادى انّ ابن عطوا لمّا فعل ما فعل وفرّ الى عثمان بن يغمراسن ملكها فكتب اليه امير المسلمين ابو يعقوب ان يسلمه اليه فامتنع من ذلك فغزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما الى ان غزاه ثانية فى شهر رجب من سنة سبع وتسعين فوصل الى تلمسان فخرج اليه عثمان ملكها فقاتله خارجها فانهزم عثمان المذكور ودخل المدينة وسدّ ابوابها واعتمد فيها على الحصار فحاصره بها اياما ثم اقلع عنها ورجع الى مدينة فاس وترك اخاه الامير ابا يحيى مع قبيلة بنى عسكر بمدينة وجدة وامره بحرب تلمسان واحوازها وندرومة وما والاها فكان لا يرفع عنها يدًا بالغارات فضاق اهل ندرومة لذلك ذرعًا فقبل اشياخها الى الامير ابى يحيى فبايعوه وطلبوا منه الامان فامنهم ومكنوه من البلاد فقبضها وبعث بالفتح والاشياخ الى اخيه امير المسلمين ابى يعقوب وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستّ مائة وسالوه التوجه الى بلادهم ليريحهم من عدوّهم فارتحل من فوره الى مدينة تلمسان فنزلها فى شهر شعبان من السنة المذكورة وكان نزوله عليها فى يوم الثلاثا وقت السحر ثانى يوم من شعبان المذكور وملك ندرومة وهنين ووهران وتونة ومزغران ومستغانم وتنس وشلشل وبرشك والبطحا ومازونة وانشريس وملبانة والقصباة والمرية وتفراجنيت وجميع بلاد بنى عبد الوادى وبلاد مغراوة وبايعه صاحب الجزاير ووفدت عليه رُسُل امير تونس والهدايا وخدمه اهل بجاية وقسطينة وهو مع ذلك محاصر لمدينة تلمسان قد احدقت بها محلّته وجيوشه وقد ترتب قواده لقتالها فكانوا يخرجون اليها فى كلّ يوم نوبًا الى ان دخل فصل الشتاء فابتدا امير المسلمين ببناء قصره فبناه فى موضع نزوله حيث ضرب قبابه ثم بنا جامعًا كبيرًا واقام فيه الخطبة بازاء قصره وامر الناس بالبناء فانتشر البنيان بالمحلّة يمينا وشمالا فادار سورا على قصره وعلى الجامع الذى بازائه ، وفى سنة اثنتين وسبع مائة امر امير المسلمين ابو يعقوب ببناء السور العظيم على تلمسان الجديدة فابتدا بنائه فى الخامس من شوّال من سنة اثنتين وسبع مائة وتوفّى عثمان بن يغمراسن فى الحصار فولّى بعده ولده محمّد المكنى بابى زيان فضبط بلده واقام بامرها ، وفى

سنة احدى وسبع مئة توفى ملك الاندلس ابو عبد الله بن الاحمر وولى بعده ولده محمد المخلوع فكتب بالبيعة الى امير المسلمين ابى يعقوب وبعث اليه بهدية عظيمة ، وتوفى الامير ابو عبد الرحمن بتلمسان الجديدة فحمل الى رباط تازا فدفن بصحن جامعها ، ووفد على امير المسلمين ابى عبد الله وهو محاصر لمدينة تلمسان وفد اهل الحجاز ورسل الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية عظيمة ووفد عليه رسل ملك افريقية بهدايا جليلة وبنا تلمسان الجديدة ومدنها وبنا بها الحمامات العظيمة والفناديق والمارستان وجامعا كبيرا للخطبة اقامه على الصهريج الكبير وبنا به منارا عظيما وجعل على راسه تفافيحا من الذهب بسبع مئة دينار ذهبا ، وامر صلحاء المغرب بالمشى الى الحجاز وبعث معهم مصحفا محللا بالجوهر والياقوت اهداه الى الكعبة وبعث اموالا كثيرة برسم التفريق على اهل مكة والمدينة وبعث الى الملك الناصر باربع مئة جواد من عتاق الخيل بجهازاتها برسم الجهاد ، واضعف اهل تلمسان حتى اشرفوا على الهلاك ، وغدر اهل الاندلس باهل سبتة فى السابع والعشرين من شهر شوال من سنة خمس وسبع مئة وكان قد فسد حال اهلها عند امير المسلمين ابى يعقوب وقطع عنهم جميع المرافق وغدر بها الرئيس ابو سعيد فدخلها وملكها وثقف بها بنى العزفى وحملهم الى الاندلس واحتوى على جميع اموالها فاتصل خبرها بامير المسلمين ابى يعقوب ان الرئيس ابا سعيد قد تملكها بدعوة المخلوع فعظم عليه الامر فبعث ولده الامير ابا سالم ابراهيم فى جيش عظيم الى حصارها وحشد اليها جميع قبائل الريف وقبائل بلاد تازا فلم يغن بها شيا واقلع عنها مهزوما فهجره لذلك امير المسلمين فبقى مهمولا وقتل امير المسلمين ابو يعقوب غيلة بقصره من حضرة تلمسان الجديدة فى يوم الاربعاء السابع لذى قعدة من سنة ست وسبع مائة جاءه فى بطنه وهو نائم خصى من فتيانه اسمه لا سعادة كان لابى على المليانى فتوفى من تلك الضربة قريبا من عصر ذلك اليوم فحمل الى رباط شالة من رباط الفتح ودفن بها والبقاء لله وحده

الخبر عن دولة امير المسلمين ابى ثابت عامر ابن الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يعقوب رحمه الله ورضى عنه

هو امير المسلمين عامر ابن الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يعقوب بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحق كنيته ابو ثابت امّه حرّة اسمها بزوا بنت عثمان بن محمّد بن عبد الحق مولده غرّة رجب من سنة ثلاث وثمانين وست مائة ، ايامه بويع بعد وفاة جدّه بحضرة تلمسان الجديدة باجتماع من الناس واتّفاق من اشياخ مرين واشياخ العرب على بيعته وذلك فى صبيحة يوم الخميس الثامن من ذى قعدة عام ستّة وسبع مائة ثانى يوم وفاة جدّه وتوفّى رحمه الله بقصبة طنجة فى يوم الاحد الثامن من شهر صفر من سنة ثمان وسبع مائة فايامه سنة واحدة وثلاثة اشهر ويوم واحد وسنّه يوم توفّى اربع وعشرين سنة واشهر ، وزراؤه ابراهيم بن عبد الجليل الدنجاسى وابراهيم بن عيسى اليريانى كاتبه الضابط لامره والقائم بامر ملكه الفقيه ابو محمّد عبد الله بن ابى مدين حاجبه فرج مولاه ثم عبد الله الزرهونى قاضيه الفقيه ابو غالب المغيلى، لمّا ولىّ رحمه الله وتمّت بيعته جمع اشياخ مرين والعرب ورؤساء الناس فاستشارهم فى امر تلمسان هل يقيم على حصارها او يرتحل عنها الى المغرب فكلّهم اشاروا عليه بالرحيل والانصراف وقالوا له ادرك بلاد المغرب واسكنها فان عثمان بن ابى علىّ بسبتة وقد سمع بموت جدّك وخرج الى نحو فاس قاصدا وقد دخل قصر كتامة ومدينة اصيلا وانّ الناس قد قتلوا فى هذه البلاد ولهم بها عن عيالاتهم واولادهم اربع عشرة سنة فسِرْ الى بلادك حتى تؤمّنها وتسكنها وبعد ذلك تنظر فيما تريد ان شاء الله تعالى ، فلما رءا اجتماع الناس على الرحيل بعث الى ابى زيان محمّد بن عثمان بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التى كان اخذها جدّه لهم حاشى تلمسان الجديدة التى اختطّها امير المسلمين ابو يعقوب فى ايام الحصار فانه اشترط عليه ان لا يدخلها وان يبقيها على حالها وان يتعاهد مساجدها وقصورها بالاصلاح وما يحتاج اليه ومن اراد الاقامة من اهل المغرب فما لاحد عليه من سبيل فاشترط له ذلك كلّه وبعث الى جيوش جدّه وجنوده ورماته وخصصه التى كانت متفرقة فى بلاد

المشرق فاتوه واسلموا البلاد الى اهلها وكتب الاوامر الى قواعد المغرب بخبرهم بوفاة جدّه وببيعته وقدّم الى مدينة فس ابن عمّه الامير ابا علىّ الحسن بن الامير عمر بن عبد الله بن امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله فى جيش عظيم وامر بضبطها وتسريح سجونها وردّ مظالمها وتفريق الاموال على الخاصّة والعامّة ففعل ذلك وقتل عمّ ابيه الامير ابا يحيى ثم قتل عمّه الامير ابا سالم بن امير المسلمين ابى يعقوب رحمه الله وارتحل الى المغرب عن مدينة تلمسان فى امم لا تحصى وذلك فى غرّة ذى حجّة من سنة ستّ وسبع مائة فعيد عيد الاضحى بالطريق بين مدينة وجدة ومدينة تلمسان ثم ارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى المحرّم من سنة سبع وسبع مائة فاقام بها الى السابع من رجب، فتّصل به ان يوسف بن محمّد بن ابى عياد قائده على مدينة مرّاكش قد خرج عليه بها ودعا لنفسه وقتل عاملها الحاجّ المسعود فخرج الى حربه وقدّم له بين يديه ابا الحاجّ يوسف بن عيسى الحشمى ويعقوب بن ازدج فى جيش من خمسة الاف فارس فلتقوا به بعدوة امّ الربيع فهزموه فرجع الى مرّاكش مهزومًا فقتل جمعا من الروم بها وسبا ديارهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقرّ بها فقرّ الى جبال هسكورة فنزل على خلوف بن حنوا من اشياخ الهساكر دخيلا عليه فغدر به وثقفه بالحديد ودخل امير المسلمين ابو ثبت حضرة مرّاكش فى غرّة شعبان من سنة سبع وسبع مائة فسبق اليه يوسف بن محمّد بن ابى عياد يرفل فى القيود فقتله بالسوط ثم قطع راسه وبعث به الى مدينة فاس فنوف به فيها وقتل من كان معه ووزراءه على فعله نيفا على ستّة مائة رجل واجمع عليهم من باب الرب من ابواب مرّاكش الى برج دار الحرّة عزونة وقتل فى اغمات كذلك ثم خرج فى الخامس عشر من شعبان المذكور الى بلاد تامزّورت برسم قتل السكسيوى وقبائل ركنة فوصل تامزورت فنزل بها فبعث اليه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيفة وبعث قائده يعقوب بن ازدج فى جيش من ثلاث مائة فارس الى بلاد حاحة برسم غزو قبائل ركنة ففرّوا بين يديه حتى دخل بلاد القبلة فكرّ راجعا الى تامزورت فوجد امير المسلمين ابا ثبت ينتظره بها فاعلمه بهدنة البلاد وسكونها فارتحل امير المسلمين ابو ثبت الى مرّاكش وذلك يوم السبت مهلّ شهر رمضان المعظم من سنة سبع وسبع مائة فدخل مرّاكش واقام بها الى الخامس عشر من رمضان المعظم المذكور فخرج الى رباط الفتح فاخذ على بلاد صنهاجة وجاز وادى امّ الربيع من مجاز تنامة فى القوارب لكبره ثم ارتحل الى

بلاد

بلاد تامسنا فتلقته بها وفود العرب من الخلط والعاصم وبنى جابر وغيرهم من عرب حشم برسم السلام عليه والوداع له فلم ياذن لاحد منهم فى الانصراف فسار حتى نزل بظاهر مدينة انفا ثم دعا باشياخ العرب فثقف منهم ستّين شيخا بسجن انفا وضرب اعناق عشرين رجلا من اشرافهم الذين كانوا يقطعون الطريق فى تلك الجهات وصلبهم على اسوار انفا وارتحل الى رباط الفتح فدخله فى اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم فعيّد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين رجلا من اشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على اسوار العدوتين وارتحل برسم غزو عرب رباح الذين هم بانى شويل والجزائر وفحص ازغار وذلك فى الخامس عشر من شهر شوّال من سنة سبع وسبع مائة فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وسبا ذراريهم واموالهم وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى نصف من ذى قعدة من العام المذكور فاقام بها حتى عيد عيد الاضحى وخرج برسم حصار سبتة وذلك فى الرابع عشر من ذى حجّة فسار حتى وصل قصر عبد الكريم فاقام عليه ثلاثة ايام حتى استوفت عليه قبائل مرين وعرب البلاد وارتحل الى قلعة علودان فدخلها بالسيف ودخل بلد الدمنة فقتل الرجال وسبا النساء والذريّة والاموال وسبب فعله ذلك بهم انهم كانوا قد بايعوا عثمان بن ابى العلا ودلوه على الطريق وجوزوه على بلادهم وبالغوا فى تضييفه واكرامه ودخلوا معه قصر عبد الكريم وبلاد اصيلا وسبوا كثيرا من مالها، ولما فرغ من اهل جبل علودان ارتحل فدخل طنجة فى اوّل محرّم عام ثمان وسبع مائة ثم اخذ فى بعث الجيوش الى احواز سبتة وشرع فى بناء تطاوين وبعث الفقيه ابا يحيى بن ابى الصبر رسولا الى ابن الاحمر يطلب منه ان يتخلّا له عن سبتة واقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما ياتى به رسوله فعاجله الموت فتوفّى بها فى يوم الاحد الثامن من شهر صفر من سنة ثمان وسبع مائة وحمل الى شالة من رباط الفتح فدفن بها مع سلفه رحمهم الله ورضى عنهم فولّى بعده اخوه سليمان بن الامير عبد الله .

الخبر عن دولة امير المسلمين ابى الربيع سليمان بن الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يعقوب

هو سليمان امير المسلمين بن الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يعقوب بن امير

المسلمين ابى يوسف بن عبد الحق كنيته ابو الربيع امّه امّ ولد مولدة من تاليد العرب اسمها زيانة ، كاتبه كاتب اخيه الفقيه ابو محمّد بن ابى مدين وهو المدبّر لدولته الى ان قتله فاستكتب مكانه اخاه الحاجّ الفقيه ابا عبد الله بن ابى مدين ، وزراؤه ابراهيم بن عيسى اليرناسنى وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسى ، بويع له بقصبة طنجة بادارة كتاب اخيه ووزرائه وذلك يوم الاثنين التاسع من شهر صفر سنة ثمان وسبع مائة وسنّه يوم بويع تسع عشرة سنة واربعة اشهر فثقف عمّه علىّ المعروف بابن رزيجة فانه كان قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس فقبض عليه وثقفه وبعث الى من بمحلّة تطاوين التى كانوا بها فاقبلوا اليه ففرق الاموال فى قبائل بنى مرين والعرب والاندلس والاغزاز والروم وارتحل الى مدينة فاس ، فخرج ابن ابى العلا من سبتة فى جمع عظيم من رجاله وبنيه واخوانه ليضرب على محلّته ليلا فاختبر بذلك امير المسلمين سليمان فارتحل تلك الليلة فى نصف الليل فالتقا به وهو راحل فكانت بينهما حرب عظيمة فرّ فيها ابن ابى العلا واسر ولده وجماعة من عسكره وقتل اخرون وسار امير المسلمين ابو الربيع الى مدينة فاس فدخلها فى يوم الحادى عشر من ربيع الاوّل من سنة ثمان وسبع مائة فاقام بها مولد النبى صلّى الله عليه وسلّم وفرق الاموال وتمهّدت له البلاد واستقامت له الاحوال وخدمته الملوك وجدّد الصلح مع صاحب تلمسان ، وفى اخر يوم من شهر ذى قعدة قتل امير المسلمين ابو الربيع كاتبه القائم بامره الفقيه ابا محمّد عبد الله بن ابى مدين فكانت ايام كتابته له وقيامه بامره تسعة اشهر واحد وعشرين يوما ، وفى غرّة ذى حجّة من سنة ثمان وسبع مائة بعث امير المسلمين قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسى الى حصار سبتة فسار اليها فى جيش عظيم من بنى مرين ففتحها عنوةً بامر اشياخها وموافقة عامّتها فانهم كرهوا امارة الاندلس عليهم وكان فتحها يوم الاثنين العشر من شهر صفر من سنة تسع وسبع مائة وكتب تاشفين بالفتح الى امير المسلمين ابى الربيع سليمان وبعث اليه باشياخها وقبض على قائدها المتولّى بحربها الشيخ ابى علىّ عمر بن رحوا بن عبد الحق ، وفى شهر جمادى الاولى فى اوّل يوم منه عزل امير المسلمين سليمان قاضيه ابا غالب المغيلى عن قضاء مدينة فاس وقدّم على قضائها الفقيهَ المشاور ابا الحسن علىّ المعروف بالصغير ، وفى شهر جمادى المذكور صالح امير المسلمين ابو الربيع ابنَ الاحمر على ان يعطيه الجزيرة ورندة واحوازها وطلب منه العروسة اخت ابن الاحمر فانعم له بذلك كلّه وبعث له الاموال والخيل برسم

الجياد

الجهاد مع ثقته عثمان بن عيسى اليرناني ، ثم دخلت سنة عشر وسبع مائة وفي جمادى الاولى منه هرب وزيره عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسى وقائد الروم غَنْصَالوا الى رباط تازا وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من بني مرين على خلع سليمان امير المسلمين وتولية عبد الحق بن عثمان بن محمّد بن عبد الحق ولمّا استقرّوا برباط تازا بعثوا الى عبد الحق فاتاهم فبايعوه وتسمّى بامير المسلمين واخذ في جمع الجيوش وكتب الى خاصّته من بني مرين والعرب والاشياخ يدعوهم الى بيعته فاتّصل الخبر بامير المسلمين فخرج نحوه الى رباط تازا وقدّم بين يديه يوسف بن عيسى الجشمي وعمر بن موسى الفودودى في جيش كثيف من بني مرين وسار هو في اثرهم فلما اتّصل خبر قدومه بعبد الحق القائم وبرحوا بن يعقوب علموا ان ما لهم بحربه ناقة وكانوا يظنّون انه لا يخرج اليهم ففرّوا ليلا عن رباط تازا وساروا الى تلمسان ثم جازوا منها الى الاندلس فدخل امير المسلمين رباط تازا فقتل به ناسا ممن كان بايع عبد الحقّ وتبعه على امره واقام بها فاعتراه المرض ونفد الاجل وتوفّى بها ليلة الاربعاء بين العشاءين منسلخ جمادى الاخرة من سنة عشر وسبع مائة ودفن ليلته تلك بصحن جامعها ، فكانت ايامه سنتين وخمسة اشهر وكانت كلّها غالية لم يزل الزرع بها والسعر مرتفعا الا انها كانت معشة وغليت في ايامه الاملاك فبيعت الدار في ايامه بالف دينار ذهبا واتّخذ الناس في ايامه الدوابّ والكسا والتحلى واوثقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقوش وغير ذلك ، قال المؤلّف عفا الله عنه بل كان هروب الوزير رحوا بن يعقوب وغيره من حضرة فاس في يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الاخر سنة عشر وسبع مائة والباقى هو الله لا غيره ☆

الخبر عن دولة ملك الزمان وسراج الاوان الامام السعيد والخليفة الرشيد امير المسلمين ابى سعيد

هو الخليفة في وقتنا هذا وهي سنة ستّ وعشرين وسبع مائة اطال الله ايامه وخلّد ملكه ونصر علامه وامضى في الاعداء سيوفه واقلامه وهو عبد الله عثمان امير المسلمين بن امير المسلمين المنصور بالله القائم بالحقّ ابى يعقوب بن عبد الحق ، كنيته ابو سعيد، لقبه السعيد بفضل الله امّه حرّة اسمها عايشة بنت امير عرب

الخلط ابى عطية مهلهل بن يحيى الخلطى مولده يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الاخرة من سنة خمس وسبعين وستّ مائة ، صفته ابيض اللون ازهر معتدل القدّ مليح الوجه جميل الصورة حسن القبول وطىء الاكناف متواضعا فى ذات الله تعالى شديدا فى حدود الله شفيقا رفيقا جوادا كريما متوقفا فى سفك الدماء ذا اناءة وحلم ودهاء وسياسة وعقل وهو احد السوابق من الملوك ، وزراؤه فى اوّل دولته ابو الحجاج يوسف بن عيسى الجشمى وابو علىّ عمر بن موسى بن عمران الفودودى ثم توفّيا فاستوزر بعدهما ابا عبد الله محمّد بن ابى بكر بن علىّ وابا سالم ابراهيم بن عيسى اليرناى ، كتّابه الحاجّ الفقيه ابو عبد الله بن ابى مدين وابو المكارم منديل الكنانى ثم توفّيا فكتب له بعدهما الفقيه الاجلّ الكاتب الابرع الافضل ابو محمّد عبد المهيمن بن الفقيه العالم الاوحد المجتهد المشاور القاضى الاعدل ابو عبد الله محمّد الحضرمى والفقيه الكاتب ابو محمّد صالح بن حجاج والفقيه الكاتب ابو العبّاس بن الفراق ، قضاته الفقيه القاضى ابو عمران الزرهونى ثم الفقيه الاجلّ العالم الاوحد المشاور المجتهد قاضى الجماعة ابو عبد الله محمّد بن الشيخ والفقيه العالم المحدّث المجتهد الصالح الورع المبارك قاضى الجماعة ابو الحسن بن ابى بكر المليلى ، اطبّاؤه ابو عبد الله بن الغليط الاشبيلىّ ثم ولده الوزير ابو الحسن والوزير ابو محمّد غالب الشقورى ، بويع له بالخلافة ليلة الاربعاء منسلخ جمادى الاخرة من سنة عشر وسبع مائة بقصبة رباط تازا بايعه الوزراء والكتّاب والاشياخ والخاصّة وكتب الاوامر فى تلك الليلة وصرف بها البريد للبلاد بخبر بوفاة سليمان وببيعته وبعث ولده الامير الاجلّ المبارك الاسعد الاكمل ابا الحسن علىّ الى مدينة فاس فوصلها فى وقت العصر من يوم الاربعاء غرّة شهر رجب من سنة عشر وسبع مائة فدخل المدينة الجديدة دار ملكهم وقرار سلطانهم فملكها وضبط امورها وحوز القصر وبيوت الاموال والخزائن والسلاح وامر بضرب الطبول والمفرحات ولما اصبح امير المسلمين ابو سعيد بيوم الاربعاء غرّة رجب المذكور ركب من قصر رباط تازا الى خارج المدينة فى زىّ عجيب واحتفال عظيم فجدّدت له البيعة هنالك فبايعه جميع قبائل مرين وكافّة العرب والاندلس والاغزاز والقواد والروم ثم بايعه الفقهاء والقضاة والصلحاء واشياخ المدينه ببيعة عامّة من جميع الناس رضاء من قلوبهم وطيبا من نفوسهم واختيارا له على مَنْ سواه وذلك لِمَا جمع الله عزّ وجلّ فيه من الخلال السنية والاخلاق السرية الرضية والشِيَم المحمودة والمآثر

والمآثر الجميلة المشهودة والحزم والدين والشفقة على سائر المسلمين والفضائل الوافية والسياسة الشافية التى لا تصلح الخلافة الا بها فكان كما قيل

اتته الخلافة مستقادة	اليه تجرى اديالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها احد غيره	لزلزلت الارض زلزالها

ولما تمّت له البيعة واستقام له الامر فرق الاموال على قبائل بنى مرين والعرب والاجناد ووصل الفقهاء والصلحاء واحسن الى الخاصّة والعامّة وجلس الناظر فى امر بلاده ورعيته وباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحطّ المغارم وسرّح اهل السجون الا اهل الفساد فى الارض واصحاب الدماء ومَنْ حبس فى حقّ شرعى وامر بتفريق الصدقات فى الضعفاء واهل التستر من البيهنات ورفع عن اهل مدينة فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فاصلح حال الناس فى ايامه وكثرت الخيرات بايديهم فالايام بدولته مشرقة والخيرات بها متتابعة متسعة والرعية بحمد الله تعالى بها فى جناب رطب ومشرب عذب وظلّ ظليل وحرز كفيل وخير كامل وصلاح شامل فلياليهم مشرقة بمواسم وايامهم اعياد ومواسم وذلك بيمن خلافة امير المسلمين وبركة امامته التى اتخذ الحقّ فيها امامه وملك بيده زمامه واجرى عليه فى القوى والضعيف اعماله واحكامه ورفع لدعوة المظلوم حجابه وفتح على الضعفاء بالخير بابه ووطا للرعية بالحلم اكنافه وافاض عليهم عدله وابدل انصافه اطال الله عمره وخلد ملكه ، وفى العشر الاخر من شهر رجب خرج امير المسلمين ابو سعيد من رباط تازا الى مدينة فاس فدخلها وقدمت عليه وفود البلاد بها وفقهاؤها وقضاتها واشياخها للسلام والتهنية بالخلافة فاقام بمدينة فاس وعيد بها عيد الفطر ، وفى شهر ذى قعدة خرج امير المسلمين ابو سعيد من مدينة فاس الى رباط الفتح برسم التفقّد لامور رعيته والنظر فى احوال بلاد الاندلس وانشا الاجفان لغزو العدوّ فوصلها فى اخر ذى قعدة فعيّد فيها عيد الاضحى واصلح احوالها وامر بانشاء الاجفان فى بحرها ورجع الى مدينة فاس ، وفى سنة احدى عشرة ولّى امير المسلمين ابو سعيد اخاه الامير ابا البقاء يعيش الجزيرة ورندة واحوازها من بلاد الاندلس وامر بانشاء الاجفان بدار صناعة مدينة سلا برسم غزو الروم وكان بهذه السنة قحط واستسقى الناس له فخرج امير المسلمين ابو سعيد الى اقامة السنة للاستسقاء فمشى على قدميه حتّى وصل المصلّى والفقهاء والصلحاء والقراء بين يدَيْه بالذكر كلّ ذلك

تضرّعا لله تعالى وتواضعا لجلاله واقامة لسنة نبينا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وقدم بين يدى نجواه بالصدقات وفرق الاموال لذوى الحاجات وكان خروجه للاستسقاء المذكور فى يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدى عشرة وسبع مائة ثم سار فى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المذكور فى جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتين لزيارة قبر الرجل الصالح ابى يعقوب الاشقر نفعنا الله به فدعا الله تعالى هنالك فقبل الله تعالى دعوته ورحم ورحم بلاده واغاث عباده ولم يرجع من هنالك الا بالمطر العام لجميع البلاد ولم يزل امير المسلمين ابو سعيد اطال الله ايامه من اوّل خلافته الى الان يعود المرضى ويشهد جنائز الصلحاء ويعطى الشرفاء والفقهاء والصلحاء فى كلّ سنة الاموال والخلع والزرع وجميع ما يحتاجون اليه ، وفى سنة ثلاث عشرة وسبع مائة خرج على امير المسلمين ابى سعيد عدى بن هنوا الهسكورى ببلاد هسكورة فخرج اليه امير المسلمين حتى نزل على قلعته فامكنه الله تعالى منه فدخلت بلاده ونهبت امواله وثقف بالحديد وقدّمه بين يديه موثقا مغلولا الى مدينة فاس فثقف بها ، وفى سنة اربع عشرة وسبع مائة فى شهر ذى حجّة منها عقد امير المسلمين ابو سعيد لولده الامير الاجلّ ابى علىّ عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وما والى ذلك الى الصحراء وفوّض له الامر فى خراجها وجميع امورها وفى هذه السنة ولّى امير المسلمين ابو سعيد القائد يحيى بن الفقيه ابى طالب العزفى مدينة سبتة وفوّض له فى جميع امورها وعقد له على اسطولها ، وفى سنة خمس عشرة وسبع مائة امر امير المسلمين ابو سعيد ببناء الباب امام القنطرة من مدينة الجزيرة ثم بعد ذلك دار السنارة بالمدينة المذكورة ، وفيها سار امير المسلمين الى حضرة مراكش فاقام بها مدّة حتى اصلح احوالها وعاد الى مدينة فاس وفى سنة ستّ عشرة وسبع مائة نزل القائد يحيى جبل الفتح وحاصرها اياما حتى دخل ربضه ، وفيها افسد يحيى المذكور اجفان الروم ببحر الزقاق وقتل قائدها جرناق وكان اذية على المسلمين فروّح الله منه الناس ، وفى شوّال من هذه السنة ثار يحيى العزفى بسبتة وتمنع عن الوصول الى حضرة امير المسلمين ابى سعيد فبعث اليه امير المسلمين وزيره ابا سالم ابراهيم بن عيسى اليرناني فسار اليه فى جيش عظيم فنزل عليه وحاصره مدّة ، وفى سنة تسع عشرة وسبع مائة خرج امير المسلمين ابو سعيد من مدينة طنجة برسم النظر فى امر سبتة وبلاد الاندلس ، وفيها امر ببناء الجبوب براس قبور

الاغزاز

الاغزاز فبنيت واقام امير المسلمين بمدينة طنجة اياما ثم رجع الى فاس ، وفى شعبان من سنة عشرين وسبع مائة خرج امير المسلمين ابو سعيد الى مراكش فاقام بها مدة حتى سكن احوالها وتفقد امور رعيتها وضبط ثغورها واستخلف عليها جندون بن عثمان ورجع الى مدينة فاس ودخلها فى اخر سنة عشرين وسبع مائة ، وفى سنة احدى وعشرين تحرك امير المسلمين ابو سعيد الى رباط تازا فاقام بها مدة من ثلاثة اشهر وامر ببناء حصن تاوريرت وسكنه بالرجال والرماة والخيل ، وفى هذه السنة امر ببناء سور مدينة اجرسيف ، وفى سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة فى ربيع الاخر منها خرج امير المسلمين الى مراكش فوصلها واقام بها مدة حتى سكن احوالها وضبط امورها ورجع الى مدينة فاس ، وفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة كان القحط الشديد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج ايضا امير المسلمين ابو سعيد الى اول سنة الاستسقاء وقدم بين يديه الصدقات ، وفى سنة اربع وعشرين وسبع مائة وصدرا من خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب وارتفع السعر فى جميع البلاد وغلت الاسعار فى الامصار فوصلت صحفة القمح تسعين دينارا ومد القمح خمسة عشر درهما والدقيق اربع اواق بدرهم واللحم خمس اواق بدرهم والزيت اوقيتان بدرهم والعسل كذلك والسمن اوقية ونصف بدرهم وعدمت الخضرة باسرها دام ذلك من اول سنة اربع وعشرين الى شهر جمادى الاولى من سنة خمس وعشرين فاغاث الله عز وجل بلاده ورحم عباده وصنع امير المسلمين فى هذه الشدة والمجاعة مع رعيته ما لا يقدر احد ان يصفه فتح اهراء الزرع واخرجه للبيع اربعة دراهم للمد والناس يبيعونه ستة عشر درهما وامر بالصدقات فلم يزل يفرقها بطول ايام الشدة يمر بها الثقات على حوائر المدينة يعطونها لاهل التستر والبيتات وذوى الفاقة والحاجة كل على قدر حاله وضعفه وكانوا ياخذونها من دينار ذهبا الى ربع دينار ولم يزل من يوم ولايته الى الان يامر بالجبات والاكسية فى زمان الشتاء والقر للضعفاء والمساكين وامر بمن مات من الغرباء ان يجهز ويكفن فى الثياب الجديدة ويقام بحق دفنهم احسن قيام نفعه الله تعالى بفعله وابقى على المسلمين ايامه بمنه وفضله

الخبر عن الاحداث التى كانت بالمغرب من سنة ست وخمسين وست مائة الى ما ذكرنا منه

فيها بويع امير المسلمين ابو يوسف رحمه الله بمدينة فاس ، وفى سنة ثمان وخمسين

وستّ مائة غدر النصارى مدينة سلا فدخلوها بالسيف وكان بها الحادث العظيم وذلك ثانى يوم من شوّال ، وفى سنة تسع وخمسين كانت وقعة امّ الرجلين بين امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله وجيش المرتضى ، وفى سنة ستّين نزل امير المسلمين ابو يوسف مدينة مرّاكش وحاصر بها المرتضى ، وفى سنة احدى وستّين توفّى الامير عبد الله بن امير المسلمين ابى يوسف على مدينة مرّاكش وفيها كان ظهور النجم ابى الذوائب وذلك يوم الثلاثا الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقى يطلع كلّ ليلة فى وقت السحر نحو من شهرين ، وفى هذه السنة جاز المجاهدون من بنى مرين الى الاندلس برسم الجهاد تطوّعا وكان رئيسهم عامر بن ادريس والحاجّ الناعرى ، وفى سنة ثلاث وستّين هدم الفقيه العزفى سور مدينة اصيلا وقصبتها ، وفى سنة اربع وستّين قدم ابو دبوس على امير المسلمين ابى يوسف بحضرة مدينة فاس مستنصرا به ، وفى سنة ستّ وستّين سرق بيت المال من قصبة مدينة فاس سرق منها اثنى عشر الفا دينار وثلاثة قلائد ، وفى سنة سبع وستّين توفّى الشيخ الصالح ابو مروان الوجانسى بمدينة سبتة وفيها غزا امير المسلمين المستنصر عرب رياح فقتلهم وغنم اموالهم وسبا ابناءهم ورجع الى تونس وفيها وصلت هدية المنصور ملك افريقية الى امير المسلمين ابى يوسف رحمه الله مع ابى زكرياء بن صالح ، وفى سنة ثمان وستّين فى شهر محرّم منها دخل الروم مدينة العرايش وتسمى من مراسى العدوة وقتلوا رجالها وسبوا نساءها واموالها واضرموا فيها نارا وارتحلوا عنها فى اجفانهم وفيها قتل طلحة بن علىّ يعقوب بن عبد الله وفى يوم عيد الاضحى منها ولد الامير مسعود بن امير المسلمين ابى يعقوب وتوفّى بطنجة ، وفى سنة ستّ وستّين كانت غزوة امير المسلمين ابى يوسف ليغمراسن بن زيان بوادى تلغ ، وفى سنة ثمان وستّين اعطى عمر بن منديل المغراوى ليغمراسن بن زيان مدينة مليانة فملكها وفى يوم الاربعاء بعد صلاة العصر ليلة الخميس الخامس والعشرين لذى حجّة من سنة ثمان وستّين وستّ مائة نزل ملك الافرنش الرومى مدينة تونس فى مراكب لا تحصى فنزلوا فى البرّ وملكوا حصن القلعة وهم فى امم لا يعلم لهم عدد ومقعدهم فى البحر متصل فكانت خيل الروم اربعين الفا فارس ورماتها مائة الف رام ورجالها مائة الف الف راجل وفى الخامس والعشرين من ربيع الاخر من سنة تسع وستّين توفّى ملك الافرنش المحاصر لتونس فاقلعوا عنها لسبب وفاته ، وفى غرّة المحرّم من سنة ثمان وستّين ملك امير المسلمين ابو يوسف حضرة مرّاكش

فدخلها

فدخلها ، وفى سنة تسع وستين غزا امير المسلمين ابو يوسف عرب درعة وفيها نافق محمد بن ادريس وموسى بن رحو بجبل ابركوا من احواز فاس فحاصرهم ثلاثة ايام واذعنوا للطاعة فعفا عنهم ، وفى سنة سبعين فى رجب منها غزا امير المسلمين ابو يوسف ببلاد يغمراسن بن زيان فهزمه بوادى ايسلى وفرّ الى تلمسان مهزوما فحاصره بها مدة ، وفى سنة ثلاث وسبعين فتح امير المسلمين ابو يوسف مدينة سجلماسة ، وفى سنة اثنتين وسبعين فتح مدينة طنجة وفيها نزل سبتة ، وفى سنة اربع وسبعين فى ثالث شوّال منها اسّست المدينة الجديدة على وادى فاس ، وفى ثانى شوّال قتل اليهود لعنهم الله بمدينة فاس ، وفيها جاز امير المسلمين الجواز الاوّل الى الاندلس برسم الجهاد وفيها ملك من بلاد الاندلس الجزيرة وطريف ورندة ، وفيها كانت غزوة دون نونه ، وفيها بنيت قصبة مكناسة ، وفى سنة خمس وسبعين امر امير المسلمين ابو يوسف ببناء البلد الجديدة على الجزيرة الخضراء ، وفى سنة ستّ وسبعين جاز امير المسلمين ابو يوسف الجواز الثانى ، وفيها توفى الرئيس ابو محمّد بن اشقيلولة بمالقة ، وفى سنة سبع وسبعين من ربيع الاوّل منها نزلت اقرونة الروم على الجزيرة الخضراء ، وفيها وصلت هدية يحيى الواثق ملك افريقية ، وفى شعبان منها غدر عمر بن علىّ عامل امير المسلمين ابى يوسف على مالقة وباعها لابن الاحمر ، وفى شوّال منها نافق مسعود بن كانون السفيانى ، وفيها بنى الجامع بالمدينة الجديدة من فاس ، وفى سنة ثمان وسبعين افسد المسلمون الاقرونة المحاصرة للجزيرة ، وفى سنة احدى وثمانين جاز امير المسلمين ابو يوسف الجواز الثالث فسار حتى جاز البيرة وغزا طليطلة ، وفى سنة ثمانين قبلها غزا امير المسلمين ابو يوسف يغمراسن بن زيان فهزمه بالملعب من احواز تلمسان ، وفى سنة تسع وسبعين توفى زيان بن عبد القوى التجيبى ، وفيها كان الجراد ببلاد المغرب واكل جميع زروعها فلم يترك منها خضرا ، وفيها علقت الثريا بالجامع الجديد من فاس ووزنها سبع قناطير وخمسة عشر رطلا وعدد كيسانها مائتا كاس وسبعة وثمانون كاسا ، وفيها نزل الرئيس ابو الحسن بن اشقيلولة والفنش مدينة غرناطة ، وفى سنة ثمانين توفى عبد الواحد السكيسيوى الثائر باحواز مراكش ، وفيها توفى مسعود بن كانون العزفى ، وفى سنة احدى وثمانين توفى الزنداجى بسبتة ، وفيها جاز امير المسلمين ابو يوسف الى الاندلس برسم الجهاد واجتمع مع الفنش على صخرة عباد واعطاه تاجه رهنا فى مائة الف دينار ، وفيها هرب الملند الرومى من قصبة فاس ، وفيها دخل ابن ابى عمارة مدينة تونس ،

وفيها توفى يغمراسن بن زيان، وفى سنة اثنتين وثمانين فى شهر محرّم منها مات الفنش الاحول اخزاه الله، وفيها توفى تاشفين بن عبد الواحد الامير ببلاد الاندلس، وفى سنة ثلاث وثمانين وصل ماء غبولة الى قصبة رباط الفتح، وفيها مات ابن ابى عمارة بتونس فتوفى ابو حفص وفى السادس من شهر رمضان منها توفيت الحرّة امّ العز بنت محمّد بن حازم برباط الفتح فدفنت بشالة، وفى محرّم من سنة خمس وثمانين توفى امير المسلمين ابو يوسف رحمه الله، وفيها عملت الناعورة الكبرى بوادى فاس، وفى سنة سبع وثمانين وستّ مائة فتح الملك المنصور صاحب الديار المصرية مدينة اطرابلس الشام، وفى سنة تسع وثمانين غزا امير المسلمين ابو يعقوب مدينة تلمسان وحاصرها، وفيها توفى الشيخ الصالح ابو يعقوب الاشقر بالكندريين ببلاد بنى بهلول، وفى سنة تسعين نزل الفنش طريفا فحاصرها حتى ملكها، وفيها فتح الملك الاشرف مدينة عكّة، وفيها امر امير المسلمين ابو يعقوب بعمل المولد وتعظيمه فى جميع بلاده، وفى سنة اثنتين وتسعين فتح حصن تازوطا، وفى سنة ثلاث وتسعين فرغ من بناء جامع تازا وعملت الثرية بجامعها وزنتها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس وعدد كيسانها خمس مائة كاس واربعة عشر كاسا وانفق فى بناء الجامع وعمل الثرية من المال ثمانية الاف دينار ذهبا، وفى سنة سبع وتسعين نزل امير المسلمين ابو يعقوب مدينة تلمسان فحاصرها اياما ورجع الى حضرة فاس، وفى سنة اثنتين وسبع مائة مات ابن الاحمر ملك الاندلس، وفى سنة ستّ وسبع مائة توفى امير المسلمين ابو يعقوب رحمه الله، وفى سنة ثمان وسبع مائة توفى امير المسلمين ابو ثابت بقصبة طنجة، وفى سنة عشر منسلخ جمادى الاخرة منها توفى امير المسلمين ابو الربيع وفيها بويع ابو سعيد عثمان امير المسلمين، وفى سنة عشرين وسبع مائة امر امير المسلمين ابو سعيد ايده الله ببناء المدرسة بحضرة فاس الجديدة فبنيت اتقن بناء ورتب فيها الطلبة لقرأة القرءان والفقهاء لتدريس العلم واجرى عليهم المرتبات والمؤن فى كلّ شهر وحبس عليها الرباع والمشاجر كلّ ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء مغفرته، وفى سنة احدى وعشرين وسبع مائة امر الامير الاجلّ الموفق الصالح ابو الحسن علىّ بن امير المسلمين ابى سعيد بن امير المسلمين ابى يوسف بن عبد الحقّ رضى الله عنهم ببناء المدرسة غربى جامع الاندلس من مدينة فاس فبنيت على اتمّ بناء واحسنه واتقنه وبنا حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك كلّه من عين بخارج باب الحديد من ابواب مدينة فاس وانفق فى

ذلك

ذلك اموالا جليلة تزيد على مائة الف دينار ورتب فيها الفقهاء للتدريس واسكنها بطلبة العلم وقرءاة القرءان واجرى عليهم الانفاق والكسوة وحبس عليهم رباعا كثيرة نفعه الله تعالى بقصده ، وفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فى شهر المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة بدم عبيط من نصف وقت العصر الى ثلث الليل وعادت الى حالها ، وفى شهر مهل شعبان منها امر امير المسلمين ابو سعيد ايده الله بنصره ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين شرفه الله بذكره فبنيت على يد الشيخ المبارك ابى محمد عبد الله بن قاسم المزوار ووقف امير المسلمين على تاسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى ءاسست وشرع فى بنائها نفعه الله بذلك واجزل ثوابه عليه فجاءت ءاية من الدهر لم يبن مثلها ملك قط وبلد واجرا بها ماء العين الغزير ورتب الفقهاء لدراسة العلم واسكنها للطلبة وقدم فيها اماما ومؤذنا وخدمة يقومون بامرها واجرى على الكل المرتبات واشترى الاملاك ووقف لها احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابه ، فاسئل الله تعالى ان يجازيه باحسان فى جنات الخلد مع الحور الحسان وان ينفعنا بركة جميع ما كتبنا هاهنا من العلماء والصالحين والاشياخ واهل الفضل والاحسان فى المال والذرية وفى الدين والدنيا والاخرة يا ارحم الراحمين ،،

كمل كتاب الانيس المطرب روض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس بحمد الله وحسن عونه ،،

Pag. ١٠٨ l. 21 الوظائف
,, ١١٣ l. 19 وابو عمران l. 28 وبقى
بعد ذلك
,, ١١٤ l. 1 دطة
,, ١١٥ l. 4 وقتال اهل الزيغ et post فجمع قبائل الموحدين addas: المبتلين وعبّ الجيوش وقصد نحو مرّاكش
,, ١١٧ l. 13 الرواية
,, ١١٩ l. 6 الامنى بن l. 17 ضاحكة
,, ١٢١ l. 5 لشهر
,, ١٢٧ l. 15 الناس ان عدد من
,, ١٢٨ l. 10 وصادفتنا l. 23 اشمنيا
,, ١٢٩ l. 14 الرماة
,, ١٣٢ l. 19 وغاب
,, ١٣٣ l. 22 لحظها
,, ١٣٩ l. 18 وجواحى
,, ١٤٠ l. 6 والرماة
,, ١٤١ l. 4 وتحققوا ذلك
,, ١٤٧ l. 16 خفى
,, ١٤٩ l. 3 قبيلة
,, ١٥٠ l. 10 وخفقت
,, ١٥٩ l. 6 وفرج
,, ١٥٧ l. 9 شعارا
,, ١٦١ l. 14 فساروا نحوهم
,, ١٧٣ l. 21 في الثاني والعشرين لصفر الثاني
,, ١٧٥ l. 1 القصر l. 7 يهنيه l. 14 الاتفاق

Pag. ١٨٥ l. 4 فولده
,, ١٨٦ l. 7 ودون لقائه
,, ١٨٨ l. 6 النجود
,, ١٩١ l. 12 مجلسه
,, ١٩٥ l. 13 محاصر
,, ١٩٨ l. 11 بن الامير
,, ٢٠٢ l. 20 فيها على الحصار
,, ٢٠٣ l. 18 المغلظة l. 18 كتب
,, ٢٠٤ l. 21 لغزو l. 23 سنة
,, ٢٠٩ l. 24 ربيع الاول l. 28 deleas ر ante منازع
,, ٢١٧ l. 23 السابغة
,, ٢١٨ l. 2 لا يبصر
,, ٢١٩ l. 19 فصديهم
,, ٢٢٧ l. 8 تتشرح l. 26 والنقبير
,, ٢٤٠ l. 25 ودخل l. 27 فبات
,, ٢٤١ l. 11 بعلام ابيه
,, ٢٤٣ l. 16 وغيرها
,, ٢٤٤ l. 19 بمنزلة
,, ٢٥٢ l. 11 مظفرة
,, ٢٥٣ l. 26 لا يخاف
,, ٢٥٩ l. 26 دعا باخيه
,, ٢٦٦ l. 14 خرج
,, ٢٦٧ l. 17 post السوادى addas: وبلاد تجين
,, ٢٦٨ l. 16 اموالهم
,, ٢٧٠ l. 10 لنفسه l. 19 ستّ مائة

Corrigenda.

Pag. ٩ l. 7 من الطلب
„ ٨ l. 25 فذكر
„ ١٢ l. 9 11 et 25 et pag. ١٣ l.
12 ثمان سنة
„ ١٣ l. 14 مائة فارس l. 24 خاصّة
„ ١٤ l. 21 فسارح
„ ١٨ l. 4 وحاميّة ابى يعقوب
„ ١٩ l. 12 اثنتين l. 16 ثلاث
„ ٢٠ l. 2 الرعة
„ ٢١ l. 3 تسع عشرة
„ ٢٣ l. 20 محضرة
„ ٢٥ l. 12 فسمّيت l. 20 جميعها
„ ٢٦ l. 11 post كوشة، addas: وكان
بها من الافران فى حاراتها وازقتها
الف فرن ومائة وتسعين فرنا،
l. 12 ثمان عشرة l. 20 احد عشر
„ ٢٧ l. 11 تلمسان l. 17 et 19
ثلاث عشرة
„ ٢٨ l. 2 وولّى اخاه l. 25 وعمر
„ ٣٢ l. 21 افتضحت
„ ٣٤ l. 3 وكملت l. 8 الصهريج
„ ٣٥ l. 6 تدخله l. 8 عليها
„ ٣٦ l. 13 وخمسين l. 16 غليظة
„ ٣٧ l. 18 مال الاحباس l. 28 وستّين
„ ٤٠ l. 1 واشرف l. 3 اثنتين
„ ٤١ l. 23 الحُفاة
„ ٤٣ l. 27 ابو مروان

Pag. ٤٤ l. 13 والغزاة l. 16 فى مرضه
„ ٤٩ l. 10 عنهم
„ ٥٠ l. 17 من سور
„ ٥٦ l. 21 واربعين وثلاث مائة
„ ٦٣ l. 4 وثلاث
„ ٦٤ l. 10 فغاظه
„ ٦٧ l. 20 وفاة l. 26 بملك ابيه
„ ٦٨ l. 4 et 22 وفاة
„ ٧٤ l. 10 الاثنى عشر
„ ٧٦ l. 6 ازيد من عشرين ملكا من
l. 25 وفاة
„ ٧٩ l. 10 عليه ايام
„ ٨٣ l. 17 غسل l. 28 وسورة موسى
„ ٨٤ l. 2 الخجل
„ ٨٦ l. 14 وستّين
„ ٨٧ l. 4 تضييع
„ ٨٩ l. 9 وسلاحه l. 23 الرماة
„ ٩٢ l. 10 ففتحها
„ ٩٧ l. 25 غيظا
„ ٩٨ l. 13 فلم يثنى l. 21 والرماة
„ ٩٩ l. 9 فقبض l. 22 ولم يعرج عليه
„ ١٠١ l. 2 ثم لم يزل
„ ١٠٣ l. 25 والتهنئة
„ ١٠٤ l. 5 وهوّنوا عليه l. 17 فى غزاة
„ ١٠٥ l. 18 والرماة
„ ١٠٦ l. 10 فيها
„ ١٠٧ l. 23 ونزل تاشفين

ANNALES REGUM MAURITANIÆ

A CONDITO IDRISIDARUM IMPERIO AD ANNUM FUGÆ 726

AB

ABU-L HASAN ALI BEN ABD ALLAH IBN ABI ZER' FESANO

VEL UT ALII MALUNT,

ABU MUHAMMED SALIH IBN ABD EL HALIM GRANATENSI

CONSCRIPTOS

ad librorum manuscriptorum fidem edidit, scripturæ varietatem notavit, latine vertit observationibusque illustravit

CAROLUS JOHANNES TORNBERG

PH. D. LL. A. A. L. L. MAG., IN ACADEMIA UPSALIENSI LITTERAT. ARAB. DOCENS, AD BIBL. EJUSDEM ACADEMIAE AMANUENSIS TIDENIANUS, REG. ACAD. LITT. HUMM. HISTOR. ET ANTIQUITT. HOLM., REGIAE SOCIET. UPSAL. ET SOCIET. PARISIENSIS MEMBRUM.

VOLUMEN PRIUS

TEXTUM ARABICUM CONTINENS.

UPSALIAE

LITTERIS ACADEMICIS

MDCCCXLIII.

1843